

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مفتوري - قسنطينة



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

الدراسات اللغوية
لمحمد تقي الدين الهلالي
وأثرها في
تحليل الخطاب الكيفي

مذكرة تخرج لفيل شهادة الماجستير في الدراسات اللغوية

إشراف الأستاذ الدكتور:
يحيى بعيطيش

إعداد الطالب:
فارس كجوي

لجنة المناقشة:

(1) أ.د. يمينة بن مالك: رئيسا

(2) أ.د. يحيى بعيطيش: مشرفا ومقررا

(3) أ.د. أحمد غرس الله: عضوا

(4) د. إدريس حمروش: عضوا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ﷺ؛ أما بعد:

لقد قيص الله سبحانه وتعالى لخطابه الديني القرآني والنبوي علماء أجلة أفنوا أعمارهم في التفقه في معانيه، لأنه يمثل الجانب الأهم في حياة المسلمين؛ فهو الذي يبين فروض الإيمان، ويقرر الواجب والمندوب والمباح والمحرم من الأفعال.

ولا ريب أن أي خطاب لا يمكن فهمه إلا بفهم اللغة التي ورد بها، لذلك كانت اللغة العربية أصلا من أصول فقه الدين الإسلامي، خاصة قواعدها النحوية التي عرفت نضجا كبيرا عند سبويه ومن جاء بعده، حيث انتقل تأثيره إلى فقه الدين، مثل كتاب: الكوكب الدرّي فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، لجمال الدين الإسنوي [ت: 772 هـ].

إلا أنه مع أهمية علوم اللغة في تحليل الخطاب، إلا أن: دراسة أي نص لن تكون كافية عند وصف بنيتة اللغوية فحسب، بل لا بد من دراسته على مستوى الخطاب¹؛ والخطاب ينظر إليه على أنه ارتباط النص بالسياق الذي قيل فيه بكل مكوناته: المخاطب والمخاطب وزمان الخطاب ومكانه، ولتحليل هذا السياق الخارجي وفهمه لا غنى عن اللغة العربية أيضا فبالفاظ اللغة العربية ودلالاتها نقل إلينا، في علوم كثيرة: أسباب النزول، والمكي والمدني، ...؛ ففقه اللغة العربية مع معرفة السياق الخارجي لورود الخطاب هما أساسا تحليل الخطاب الديني وفهمه.

وقد وقفت عند قراءتي لكتب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ومقالاته على كثير من المسائل الدينية في العقيدة والفقه التي بناها على دراسات لغوية تعضدها ترجيحات سياقية.

ومع عظم شأن هذه الدراسات فإنها لم تحظ باهتمام الباحثين، فلم أجد دارسا بحث الجانب اللغوي عند الهلالي فضلا عن أثره في فقه الدين، فكل الرسائل التي وجدت تبحث في فكره الديني والسياسي؛ وهي:

- "السلفية الوهابية بالمغرب؛ تقي الدين الهلالي رائدا" للباحث المغربي مخلص السبتي، وقد نشر في سنة (1993م)، وهو من منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي.
- "محمد تقي الدين الهلالي وجهوده في الدعوة إلى الله" للأستاذ خالد الزهراني، وهي أطروحته للماجستير.
- "جهود محمد تقي الدين الهلالي في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين" للأستاذ عبد الرحمن العميسان، وهي أطروحته للماجستير.
- "تطور السلفية من خلال حياة محمد تقي الدين الهلالي وفكره" للدكتور الكندي لوزيبر هنري، وهي أطروحته للدكتوراه.

فمن أجل سد هذا النقص وتبيين فكره اللغوي وصلته بفكره الديني اخترت البحث في:

الدراسات اللغوية لمحمد تقي الدين الهلالي وأثرها في تحليل الخطاب الديني

1 وردت هذه المقالة في سؤال مسابقة الدخول إلى السنة الأولى ماجستير في الآداب، اختبار المقال يوم: 22 أكتوبر 2007، وبعد المقالة: حلل هذا القول مبينا علاقة النص بالسياق.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- الإيمان أن أفضل ما تصرف له الجهود والأوقات والأموال هو الدين واللغة.
 - 2- الرغبة في بحث المسائل الدينية بردها إلى أصولها اللغوية.
 - 3- إرادة التفقه في علوم اللغة والدين على علامة متبحر، والوقوف على جل الدراسات اللغوية وعلاقتها بالقضايا الدينية.
 - 4- منزلة الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله الكبيرة في فقه اللغة العربية والدين، يبين ذلك مايلي:
- قال الإمام عبد الحميد بن باديس: «العلامة الأستاذ محمد تقي الدين الهلالي المدرس بالهند، لهذا الأستاذ شهرة علمية إصلاحية عظيمة بالشرق، ومقالات رنانة في صحفه»¹، فضلا على أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منحته لقب رئيس شرفي لها. 2
- 5- أهمية الوقوف على ملامح دور السياق الخارجي في تحليل النصوص، والترجيح بين الاحتمالات اللغوية.
 - 6- إثراء مكتبة الدراسات الدينية المبنية على أصول لغوية.

ويجيب هذا البحث عن إشكالية رئيسة؛ هي:

- ما أثر الدراسات اللغوية عند الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في تحليله للخطاب الديني؟

ويتفرع عليها:

- ما هي الدراسات اللغوية التي توظف لتحليل الخطاب الديني؟
- وما هي أهم عناصر السياق الخارجي للخطاب الديني الإسلامي؟
- وما دور اللغة في فهم هذا السياق الخارجي؟
- ما دور مبحث الحقيقة والمجاز في معرفة المخاطب؟
- ما دور المكان والزمان في تحديد الدلالة المقصودة من بين عدة دلالات محتملة لغويا؟
- هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص سبب النزول؟
- كيف يرجح تفاعل السياق مع اللغة بين دلالات مشترك لغوي، أو حقيقة ومجاز؟
- وهل تتصف مصطلحات العلوم اللغوية والدينية (الجهاز المفاهيمي بتعبير معاصر) بالكفاءة لتحليل الخطاب الديني واستنطاق معانيه؟
- كيف أفادت التحليلات الفيلولوجية في النظر إلى المعرب في القرآن الكريم؟
- ما أحسن الطرق لتعليم اللغة لغير الناطقين بها؟
- كيف ترجم الهلالي الخطاب الديني ونقله إلى سياقات جديدة؟

أما صعوبات البحث:

فقد صعب علي في أول الأمر جمع المادة العلمية للبحث بسبب ندرة كتب الهلالي على كثرة تأليفه، ثم يسره الله.

منهج الدراسة وترتيبها:

سيكون سير هذه الدراسات في أغلب هذه المذكرة على المنهج الوصفي مع الاستعانة بالتحليلي؛ فأقوم أولا بتحليل الخطاب إلى مكوناته الداخلية (لغة الخطاب) والخارجية (سياق الخطاب الخارجي) ثم أصف دراسة الهلالي له. أما عملي في المذكرة، فيتلخص في:

أولا: خرجت كل الآيات القرآنية بذكر السورة ورقم الآية في السطر نفسه الذي كتبت فيه.

1 ابن باديس: تقديم مقال الهلالي: جمعية العلماء المسلمين (1). جريدة الصراط السوي. السنة الأولى. العدد الأول. 23 أكتوبر 1933. ص 2
2 مقدمة آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط 1. 1997م. 2/ 25

ثانيا: إذا كان الحديث في الصحيحين عزوته إليهما برقمه فيها، أو إلى أحدهما، وإذا كان في غير الصحيحين خرجته من كتب الألباني.

ثالثا: عزوت الأشعار إلى قائلها من مصادر الشعر والشعراء.

رابعا: أحلت النقول إلى مصادرها.

خامسا: جمعت الدراسات اللغوية للدكتور محمد تقي الدين الهلالي التي لها أثر في تحليل الخطاب الديني دون غيرها.

سادسا: إذا تتالت المصادر أو المراجع نفسها فيغني عن إعادتها التنبيه بلفظ (نفسه)، وإذا فصل بينها كتاب آخر فيغني عن إعادتها لفظ (السابق).

وقد اجتهدت في ترتيب مادة فصول هذه الدراسة ترتيبا منطقيًا:

ففي التمهيد عرفت بالعلامة محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله.

وفي الفصل الأول وصفت الدراسات اللغوية عند الدكتور محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله مُبتدئا برأيه في أصل اللغة، ثم تكلمت في لغات الوحي الأصلية التي نزل بها المنتمة إلى مجموعة اللغات السامية المنحدرة من أصل لغوي واحد¹، وتطرق إلى أثر معرفتها في النظر إلى قضية المعرب في القرآن الكريم.

ثم تكلمت في الصوت والصرف والنحو والدلالة.

أما الفصل الثاني وهو نظري أيضا فقد خصصته لسياق نزول الخطاب الديني، وبما أن السياق الخارجي يضم المخاطب، والمخاطب، والأزمنة والأمكنة، وكلها لها صلة بإنتاج الخطاب وتفسيره، فقد جعلت ثلاثة مباحث لها مركزا على دور اللغة في فهمها.

أما الفصل الثالث فهو القسم التطبيقي، وفيه بينت استثمار الهلالي للدراسات اللغوية والسياقية في فهم دلالات البنى النحوية (الخبر والطلب) وفقه الخطاب الديني، ثم تكلمت في بعض فروع اللسانيات التطبيقية؛ وهي: تعليم اللغة، وترجمة الخطاب الديني.

خطة البحث:

التمهيد:

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

الفصل الأول: الدراسات اللغوية عند محمد تقي الدين الهلالي:

المبحث الأول: أصول اللغة:

المطلب الأول: أصل اللغة.

المطلب الثاني: اللغات السامية.

المطلب الثالث: المعرب في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: البنية الصوتية والصرفية والنحوية:

المطلب الأول: حروف المباني والحركات.

المطلب الثاني: أبنية الأسماء والأفعال ومعانيها.

المطلب الثالث: حروف المعاني وأسماء الكناية.

المطلب الرابع: مباني النحو.

¹ اللغات السامية نسبة إلى سام بن نوح ﷺ.

المبحث الثالث: التفسير اللغوي:

المطلب الأول: التفسير النبوي.

المطلب الثاني: التفسير عند السلف.

المطلب الثالث: التفسير عند محمد تقي الدين الهلالي.

المبحث الرابع: دلالة اللفظ على المعنى:

المطلب الأول: في وضع اللفظ للمعنى.

أولاً: العام والخاص.

ثانياً: المشترك والمتضاد والمترادف.

المطلب الثاني: اللفظ باعتبار استعماله في المعنى:

أولاً: الحقيقة والمجاز.

ثانياً: الصريح والكناية.

المطلب الثالث: كيفية دلالة اللفظ على المعنى:

أولاً: المنطوق.

ثانياً: المفهوم.

الفصل الثاني: دور اللغة في فهم سياق نزول الخطاب الديني:

المبحث الأول: المخاطب:

المطلب الأول: أدلة أسماء الله ﷻ وصفاته.

المطلب الثاني: صلة القرينة في المجاز بتحريف الأسماء والصفات.

المطلب الثالث: حمل نصوص الأسماء والصفات على الحقيقة عند الهلالي.

المطلب الرابع: رسول الله ﷺ؛ أسماؤه وصفاته.

المطلب الخامس: أهمية معرفة صفات المخاطب

المبحث الثاني: المخاطب:

المطلب الأول: أصناف المخاطبين

المطلب الثاني: المخاطبون من حيث العموم والخصوص.

أولاً: خطاب الرسول ﷺ؛ وخطاب الأمة.

ثانياً: خطاب الرجال، وخطاب النساء.

ثالثاً: خطاب نساء النبي ﷺ؛ وخطاب نساء الأمة.

رابعاً: خطاب المشركين؛ وخطاب المسلمين.

المطلب الثالث: أهمية معرفة صفات المخاطب.

المبحث الثالث: الأزمنة والأمكنة:

المطلب الأول: زمان الخطاب الديني ومكانه، والزمان والمكان في الخطاب الديني.

المطلب الثاني: التناسل الديني والإسرائيليات.

المطلب الثالث: أسباب النزول.

المطلب الرابع: المكي والمدني.

المطلب الخامس: النسخ

الفصل الثالث: أثر اللغة في تحليل الخطاب الديني:

المبحث الأول: معاني النحو:

المطلب الأول: الخبر.

المطلب الثاني: الطلب.

المبحث الثاني: فقه الخطاب الديني:

المطلب الأول: الإيمان.

المطلب الثاني: الإسلام.

المطلب الثالث: الإحسان.

المبحث الثالث: من تطبيقات علوم اللسان عند الهلالي:

المطلب الأول: تعليم اللغة.

المطلب الثاني: ترجمة الخطاب الديني.

الخاتمة.

واعترافاً بالفضل لأهله أتقدم في ختام هذه المقدمة بالشكر والتقدير لفضيلة المشرف الأستاذ الدكتور: يحيى بعيطيش سائلاً المولى أن يجزيه خير الجزاء على أخلاقه العلمية الفاضلة، وعلى ما بذل من نصح وإرشاد أثناء إشرافه على البحث، ولست أنسى أن أشكر قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة منتوري، داعياً الله تعالى أن يبارك في جهود القائمين عليه وأن يسدد خطاهم لخدمة اللغة العربية وأدبها.

التمهيد

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي 1407-1311 هـ / 1987-1892 م

هو العلامة اللغوي الدكتور أبو شبيب محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، نسبة إلى هلال الجدي الحادي عشر، بن محمد المعروف بـ: بابا، بن عبد القادر، بن الطيب، بن أحمد، بن عبد القادر، بن محمد، بن عبد النور، بن عبد القادر، بن هلال، بن محمد، بن هلال، بن إدريس، بن غالب، بن محمد، المكي بن إسماعيل، بن أحمد، بن محمد، بن أبي القاسم، بن علي، بن عبد القوي، بن عبد الرحمان، بن إدريس، بن إسماعيل، بن سليمان، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ. 1

ولد في قرية "الفرخ" 2 من بادية سجلماسة في المغرب عام 1311 هـ / 1892 م التي هاجر إليها أجداده من "القيروان" في تونس في القرن التاسع الهجري 3.

كان والده وجده من العلماء الفقهاء المعروفين وقد قرأ على والده، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وحضر - ختم موطأ الإمام مالك وهو صغير 4.

وبينما هو يعلم الصبيان عند قبيلة من قبائل الحدود المغربية الجزائرية عام 1333 هـ / 1914 م إذ مر بهم عالم شنقيطي ومعه تلاميذه، ففتح لهم درسا في النحو، ولم يسبق للهلالي أن سمع بهذا العلم ولا حضر دروسا من دروسه، ولما أتم الشيخ الدرر توجّه إلى أحد التلاميذ واسمه محمد المختار ليسأله عن هذا الكلام الذي لم يعرفه فقال له: إن هذا شيء بعيد عنك، اذهب إلى صبيانك لتعلمهم، وضحك مستهزئا به، فكان هذا التهكم والاستهزاء هو الزند الوري الذي أوقد في قلبه نار الغيرة والحماس والشجاعة والإقدام، وحرك كل ما كان كامنا في نفسه من الصفات التي يرتقي بها العظماء إلى أعلى الدرجات، وهنا توجه إلى الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله وسأله، فقال له: هذا العلم يسمى علم النحو، فقال: وهل يمكنني أن أقرأه، وأين؟ فأجاب الشيخ: نعم، وعندني، فعاهده على أن لا يفارقه، وذهب معه إلى البلدة التي كان الشيخ مقيما بها وتسمى "المشرية"، قرية بالجزائر تبعد عن "وجدة" بنحو 160 كلم، وما بقي معه إلا مدة قليلة حتى انفجر ينابيع نبوغه وذكائه الوقاد، فبز أقرانه واستطاع بما أتاه الله من المواهب أن يغوص في بحور العلم من نحو وفقه ولغة وتفسير وأدب 5.

استشار الهلالي الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي في الرحلة في طلب العلم، يقول الهلالي: «من تواضعه وكرمه وحلمه قال لي: امكث عندنا حتى تحصل هذا الذي عندنا من مبادئ العلم... فبقيت معه في البادية، ومدرسته خيمة بقرب خيمته التي يسكن فيها بأهله، بقيت على ذلك سنتين ثم انتقل بمدرسته إلى مدينته "المشرية" فبقيت معه خمس سنين أخرى... ومناقبه كثيرة لا يتسع لها المقام، وهو من قبيلة "تندغ" مشهورة في قبائل شنقيط، توفي بالمشرية من عمالة "وهران" من الجزائر حوالي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف» 6.

«قرأ على الشيخ محمد الشنقيطي عبادات خليل في الفقه، ومن علم النحو درس الأجرومية، وملحة الإعراب، وألفية ابن مالك أيضا» 7 و«درس عنه البلاغة» 1 أيضا.

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. الدار الأثرية، عمان. الأردن. ط 1. 1427 هـ / 2006 م. 13 / 1

2 وتسمى "الفيضة" أيضا. انظر: العميسان: جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني رحمه الله في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين. رسالة ماجستير مخطوطة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ص 4

3 محمد خير رمضان يوسف: المستدرک على تنمة الأعلام للزركلي. دار ابن حزم. بيروت. لبنان. ط 1. 1422 هـ / 2002 م. 235 / 2

4 الهلالي: دار الحديث وفضل علم الحديث. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة السابعة. العدد السابع. ذو الحجة 1383 هـ / أبريل 1964 م. ص 1

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد... 1 / 114-115

6 محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم. دار الشواف. القاهرة. مصر. ط 4. 1992 م. 195 / 1

7 المصدر السابق. 4 / 195

قال ربيبه عبد الغني بوزكري: «من فرح الشيخ [محمد حبيب الله الشنقيطي بمحمد تقي الدين الهلالي] في الإعراب: [امتحان الطلبة ب] قصيدة:

فيك يالوح لم أطع ألف لاح
وشفائي من غلتي ولوح
طلب الوفر منك شر إنصاح²

عم صباحا أفلحت كل فلاح
أنت يالوح صاحبي وأنيسي
فانتصاح إمري يروم إعتياضي

فلما أعربها [الطالب محمد تقي الدين الهلالي و] ما عرفها الطلبة، قال [الشنقيطي] بفرح: سعدي به؛ يعني سعدي بالشيخ محمد تقي الدين الهلالي؛ يعني: فرح به.³ ما يدل على نبوغه الباكر.

وبقي يتعلم في مدرسته سبع سنين، إلى أن توفي شيخه الشنقيطي عام 1338 هـ / 1919 م، وكان من أفضل العلماء في الزهد والتقوى ومكارم الأخلاق.

وفي عام 1340 هـ / 1921 م عاد الهلالي إلى المغرب وتلقى بعض الدروس على العلماء في مدينة فاس، وكان من شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم الشيخ الفاطمي الشراوي، والشيخ محمد العربي العلوي، والشيخ أحمد سو كيرج، كما حصل على شهادة من جامع القرويين استطاع بها أن يكون طالبا في جامعة بون فيما بعد.⁴

وبعد ذلك غادر المغرب إلى مصر في سنة 1922 م وهو ابن ست وعشرين سنة، والتقى الإمام المصلح المجدد السيد محمد رشيد رضا وفي مجالسه تفتق ذهن الطالب المغربي، وبان فضله ورغبته في العلم، وحرصه على تحصيله مهها كلفه ذلك من جهد أو تضحية، كما أن المناقشات التي كانت تجري في مجالس الشيخ رشيد رضا كانت سببا في نضجه الفكري وتحوله عن التقليد إلى استعمال الفكر، وطلب الأدلة العقلية وعن التقديس المبالغ فيه للعلماء الأعلام والتسليم بكل ما يرد عنهم، إلى البحث الاستقلالي والاعتماد على الأدلة الأصولية والرجوع إلى الكتاب والسنة.⁵

كما التقى ببعض علماء مصر، أمثال الشيخ محمد الرمالي، والشيخ عبد العزيز الخولي، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ محمد عبد الرزاق، والشيخ محمد أبو زيد، وغيرهم من العلماء، وحضر دروس القسم العالي بالأزهر.

ومن مصر توجه إلى الحج سنة 1341 هـ 6، ولقي فيها الشيخ العلامة الكبير المصلح محمد نصيف، وسهل له السفر إلى الهند بغية طلب علم الحديث النبوي.⁷

سنة 1342 هـ / 1923 م سافر إلى الهند،

قال الهلالي: «كان الشيخ عبد الوهاب الدهلوي قد كتب لي كتاب توصية إلى عمه الحاج عبد الغفار في دلهي؛ فضيفني وأكرمني ولقيت النواب صدر الدين المدبر لشؤون مدرسة "علي خان" ومسجده وكان عالما بالعربية وعلوم الدين فصيح اللسان بالتحديث بلغة الضاد، وكان المتحدثون بفصاحة باللغة العربية في ذلك الزمان في بلاد الهند في غاية القلة، فرحب بي واستحسن مقصدي، وقال لي: إن تجولك في بلاد الهند للقاء العلماء والاطلاع على الكتب يحتاج إلى أمرين: أحدهما: الدراهم، والثاني: اللغة وبدون هذين تتعب

1 عبد الغني بوزكري: محاضرة في ترجمة تقي الدين الهلالي. دون معلومات نشر.

2 أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدياء شنقيط. المكتبة الحماوية. مصر. ط 1. 1329 هـ / 1911 م. ص 317

3 عبد الغني بوزكري: محاضرة في ترجمة تقي الدين الهلالي.

4 محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم. 1/ 196

5 The Evolution of the Salafiyaa through the life and Thought of Taqi al-Din al-Hilali (d 1987). ProQuest LLC. Washington, DC. 2008. p 114

6 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. مكتبة الصحابة. الشارقة. الإمارات العربية المتحدة. ط 1. 1424 هـ / 2003 م. ص 153

7 المصدر نفسه. ص 172

كثيرا ولا تحصل على طائل؛ فأنا أقترح عليك أن تمكث عندنا هنا سنة تتعلم فيها شيئا من اللغة الهندية وتحصل على شيء من المال، وفي أثنائها يستفيد من علمك تلامذة مدرستنا؛ فإن الطلبة عندنا يدرسون كتب التفسير والحديث والأدب العربي نظما ونثرا بالترجمة الهندية بلغة أردو من البداية إلى النهاية ويتخرجون في المدرسة (ولا تقل من المدرسة) ولم يقرع آذانهم كلام باللغة العربية فيعيشون بكما صما يعتمدون على ترجمة الكتب لا على الكتب نفسها.

فقبلت هذا الاقتراح وأقمت في مدرسة "علي خان" فأمر النواب صدر الدين المتقدمين في العلم من الطلبة أن يحضروا دروسي فحضر عندي خمسة عشر طالبا 1. 2

قال الهلالي: «قلت لأولئك الطلبة: ماذا تريدون أن أدرسكم من كتب الأدب؟ فقالوا: نريد أن تدرسنا ديوان المتنبي؛ فبدأت أدرسهم ووجدت صعوبة في إفهامهم لأنهم كما قال النواب صدر الدين: لم يقرع آذانهم كلام عربي قط، وبعد أربعة أيام وصلنا إلى بيت من قصيدة للمتنبي يمدح بها سيف الدولة وكانت النسخة التي كنا نقرأ فيها مطبوعة في دهلي وفيها أخطاء فوجدنا فيها البيت هكذا:

أَنَالَهُ الشَّرْفُ الْأَعْلَى تَقَدَّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَى مَا أَتَى نَالَ 3

ففكرت في معنى الشطر الثاني من هذا البيت فلم أكد أفهمه، فلما حضر الطلبة قلت لهم: هذا الشطر لم أفهمه وأظن أنه محرف، فأنكروا ذلك وقالوا: "توبة"، "أستغفر الله"، وهاتان الكلمتان تستعملان في لغتهم عند الغضب والإنكار الشديد، وقالوا لي: إن هذه النسخة التي في يدك درسنا بها مولانا عبد الرحمن النكرامي مرارا، فلم يجد فيها خطأ، فيا لله العجب أنت عربي وأديب وتعجز عن فهم كلام المتنبي مع أن أقل الأدباء علما عندنا يدرس "ديوان المتنبي" بدون مطالعة، والآن ظهر لنا صدق ما قال أستاذ الأدب مولانا عبد الرحمن النكرامي، فقلت لهم: وماذا قال؟ قالوا: قال لنا: اذهبوا إلى النواب صدر الدين، وقولوا له: إننا لا نفهم كلام هذا المدرس العربي ولا حاجة لنا بتدريسه، فقلنا له: نحن نستحي من النواب أن نقول له ذلك، فقال لنا: اعلموا أن العرب في هذا الزمان كلهم جهال لم يبق عندهم من العلم شيء، وإنما كان عندهم العلم في زمان النبي ﷺ وفي زمان السلف الصالح، أما اليوم فلا علم عندهم؛ أما ترونهم كل سنة يأتون من مكة والمدينة ويتكفنون الناس، فهل رأيتم منهم أحدا من أهل العلم؟ يضاف إلى ذلك أن هذا العربي - يعنيني - شاب مجهول في الهند لا يعرفه أحد وشهادته لا تنفعكم، وأنا لا أعطيكم شهادة إذا تركتموني ودرستم عنده، فقلت لهم: إن شئتم أن تحضروا درسي فاحضروا، وإن رأيتم أن درسي لا فائدة فيه فانصروا إلى مولانا عبد الرحمن، فانصرف أحد عشر منهم وبقي أربعة لا لأنهم يعتقدون صحة ما قلت من أن شطر البيت يمكن أن يكون محرفا بل فضلوا سماع الكلام العربي، ولو من مدرس قليل العلم، وكان أحدهم عبد الودود المذكور.

فذهبت إلى النواب صدر الدين رحمه الله وذكرت له ما وقع، فقال لي: أنا أعرف علمك وأعرف علم الشيخ عبد الرحمن النكرامي وقد أردت لهم الخير؛ فإن أبوا فذرهم في ضلالتهم، وأرجو أن تبقى في مكانك ولو لم يحضر عندك أحد منهم، وبقيت أربعة أيام أفكر في معنى ذلك الشطر فلم أفهمه، وقال لي أحد الأربعة الباقين: إن الشيخ عبد الرحمن قال للطلبة: إن هذا الشطر واضح يفهمه كل أحد حتى الحمار وقد رأيتم صدق ما قلته لكم.

وفي اليوم الخامس ذهبت إلى الشيخ عبد الرحمن النكرامي رحمه الله وأمامه حلقة كبيرة من الطلبة فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت: يا شيخ عبد الرحمن لم أفهم هذا الشطر وقد أخبرني الطلبة أنك تفهمه فأفهمي إياه، فقال لي كلاما لا معنى له، فقلت له: أعربه من فضلك فبالإعراب يتبين المعنى. فقال: "ما" موصولة، و"الذي" توكيد لها، و"يتوقى" فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على الأعداء في البيت قبله، و"ما" مفعول به، و"أنى" فعل ماض فاعله ضمير مستتر يعود على الممدوح، و"نال" خطأ والصواب نالوا، فقلت له: إذا كانت ما موصولة يكون تقدير الكلام: الذي الذي. فقال: وأي شيء في ذلك؟ فقلت له: وفاعل

1 ذكر الهلالي أحدهم، وهو الشيخ عبد الودود بن عبد النواب الملتاني، وقد حج عام 1390 هـ/ 1971 م، ولقيه الهلالي بالمدينة.

2 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 172

3 انظر صوابه وعزوه فيما يلي.

يتوقى إذا كان يعود على الأعداء لم يصح ذلك، لأن قياس النحو يقتضي- أن يكون واو فيقال: يتوقون، وليس عندنا ضمير مستتر تقديره "هم" إلا في نحو قولنا: الرجال قائمون، ففي قائمون ضمير مستتر تقديره "هم"، أما الفعل فلا يقدر فيه من ضمائر الغيبة إلا "هو" و"هي".

قال لي: تريد أن تعترض (يعني تعترض) على المتنبي؟ إنك لا تستطيع ذلك فقد عكف أبو علي الفارسي على ديوان المتنبي يبحث عن خطأ فلم يجده، فقلت له: أنا لا أريد أن أعترض ولكن أريد أن أفهم، ومع ذلك فالمتنبي غير معصوم من الخطأ فقد عيب عليه أبيات منها قوله:

شِيمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَّ دَلَائِلٌ¹

جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ

فيه التعقيد،

ومن ذلك قوله:

فَبَرَّئْتُ حَيْثُ نَذِرُ مِنَ الْإِسْلَامِ²

إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ

فيه الركاقة وقبح البراءة من الإسلام لأمر مكذوب يريد به التملق،

ومن ذلك قوله:

قَلَّ قَلُّهُمْ كُلُّهُنَّ قَلَّ قَلُّ³

فَقَلَّ قَلَّتْ بِأَلْهَمِ الَّذِي قَلَّ قَلَّ الْحَشَا

فيه من الركاقة والثقل على اللسان بتكرار حرف القاف ما لا يخفى فأعرض عني، وقال للطالب الذي كان يقرأ عليه: «تسالو» يعني استأنف القراءة، فأصابني من الغم ما الله به عليم، ولم أكن قبضت شيئاً من المدرسة وما كان عندي إلا أربع وعشرون روية أي درهما هندياً، فعزمت على شراء "شرح ديوان المتنبي للعكبري" لأعرف أين يكمن سر عدم فهمي لذلك الشطر؛ أهو في جهلي أم في الخطأ الواقع في الطبعة الهندية؟ فسألت أحد الطلبة عن لفظ السؤال عن المطبع المجتباتي بلغة أردو فلقنتني إياه، فذهبت أسأل إلى أن وصلت فسألت صاحبه عن "شرح العكبري لديوان المتنبي"، فقال لي: النسخة الأخيرة اشتراها مني طالب من مدرسة كذا وكذا، فذهبت إلى تلك المدرسة ووجدت الطالب الذي اشترى النسخة؛ فوجدت البيت هكذا:

فَمَا الَّذِي بَتَّقِي مَا آتَى نَالُوا⁴

أَنَالَهُ الشَّرْفَ الْأَعْلَى تُقَدَّمُهُ

فظهر أنني كنت مصيباً وأن الشطر كان محرفاً، والطامة الكبرى كانت في زيادة نقطة بلفظ "بتوقى" الذي هو جار ومجرور فصار "يتوقى" فعلاً مضارعاً، وظهر أن الشيخ عبد الرحمن لم يفهم منه شيئاً فإن "ما" التي زعم أنها موصولة ليست موصولة بل هي استفهامية، و"يتوقى" الذي اخترع له فاعلاً وجعله ضميراً مستتراً تقديره هو ليس فعلاً وإنما هو جار ومجرور. فنقلت البيت على الوجه الصواب وما قاله العكبري في شرحه.

ومعنى البيت: "تقدم سيف الدولة في الحروب وهزيمته لأعدائه أكسبه الشرف الأعلى فما الذي ناله أعداؤه بتوقيهم وإحجامهم عن فعل ما أتاه من ذلك؟! الجواب: نالوا الخزي والعار." فانطلقت إلى الشيخ عبد الرحمن النكرامي، وهو يدرس وكان لا يفتر عن التدريس طول النهار فسلمت عليه فرد علي السلام، وقلت له: أيها الشيخ إنك قلت للطلبة: إن هذا الشطر يفهمه كل أحد حتى الحمار وقد ظهر أنك لم تفهمه، وناولته الصحيفة وقلت له: اقرأ ما قاله العكبري في شرحه فقرأه ثم ناولني الصحيفة، وقال للطالب الذي كان يقرأ عليه: «تسالو» فهجرته ثلاثة أيام وهجوته بقصيدة لا أريد أن أذكر منها هنا شيئاً، فكان خيراً مني لأنه بعد ثلاثة أيام بدأني بالسلام.⁵

1 البيت من الكامل، وهو للمتنبي في ديوانه. ص 179

2 البيت من الكامل، وهو للمتنبي في ديوانه. ص 426

3 البيت من الطويل، وهو للمتنبي في ديوانه. ص 34، وفيه: «قلاقل عيسٍ» بدل «قلاقل هم...»، والعيس: الإبل، وقلاقلها: خفافها وسراعها.

4 البيت من البسيط، وهو للمتنبي في ديوانه. ص 489

5 الهلائي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 173-174-175-176

وفي الهند اجتمع بعلماء أهل الحديث وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، وهو أفضل علماء الهند في ذلك الزمان صاحب كتاب تحفة الأحوزي في شرح جامع الترمذي، وأقام الهلالي في الهند ثلاث سنوات.

ومن الهند توجه إلى الزبير في العراق سنة 1343 هـ/ 1924 م، والتقى العالم الموريتاني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وتزوج ابنته وأقام ثلاث سنوات،

ومن الزبير سافر إلى مصر، سنة 1345 هـ/ 1927 م

وبتوصية من الشيخ رشيد رضا سافر تقي الدين إلى مكة، حيث حل ضيفاً على عبد العزيز بن سعود أربعة أشهر¹

ثم عين مراقباً للتدريس في المسجد النبوي، وبعد سنتين نقل إلى المسجد الحرام والمعهد السعودي بمكة المكرمة لمدة سنة، ثم جاءته رسائل من إندونيسيا ومن الهند، وكلها تطلبه للتدريس في مدارسها، فاستجاب لدعوة السيد سليمان الندوي بالهند عام 1349 هـ/ 1930 م، وصار رئيس أساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكونو بالهند، حيث بقي ثلاث سنوات يعلم اللغة العربية وآدابها بدون استعمال لغة أخرى 2، وتعلم فيها الإنجليزية، وأصدر باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة الطلاب: مسعود عالم الندوي، وأبي الحسن الندوي، ومحمد ناظم الندوي، وهم تلامذته مجلة الضياء عام 1932 م،

ثم عاد إلى الزبير سنة 1352 هـ/ 1933 م وعمل مدرسا بمدرسة النجاة الأهلية التي أسسها الشيخ الشنقيطي والد زوجته، ومكث ثلاث سنوات.

ولما رأى الشيخ انحطاط كثير من المسلمين، ورأى أن بلاد المسلمين بحاجة للعلوم التي عند الغرب توجه إلى أوروبا ليكمل سلكه التعليمي وذلك عام 1936 بتاريخ النصارى³؛ فسافر إلى مدينة جنيف في سويسرا، ونزل عند الأمير شكيب أرسلان الذي كتب له توصية إلى أحد أصدقائه في وزارة الخارجية الألمانية في برلين حت يدرس في إحدى الجامعات، ويعلم الأدب العربي براتب يستعين به على الدراسة.

وسرعان ما جاء الجواب بالقبول من وزارة الخارجية الألمانية، وسافر الهلالي إلى ألمانيا وعين محاضراً في جامعة بون وشرع يتعلم اللغة الألمانية، وحصل على دبلومها بعد عام، ثم صار طالباً بالجامعة مع كونه محاضراً فيها، وفي تلك الفترة ترجم مع رئيس القسم الشرقي في الجامعة الأستاذ باول كالي تمثليات "طيف الخيال" لمحمد بن دانيال بن يوسف الموصل، و"كتاب البلدان" في الجغرافية العالمية لمحمد بن الفقيه البغدادي المتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري،

واستمرت عناية المحدث الكبير تقي الدين الهلالي بديوان المتنبي، فقد شرحه في محاضراته في ألمانيا⁴.

وبعد ثلاث سنوات في بون جاءته دعوة من الإذاعة الألمانية في برلين بواسطة مدير إذاعة كولونيا للاستشارة في تأسيس إذاعة عربية ألمانية، فنقل سنة 1939 م إلى برلين طالباً ومحاضراً ومصححاً للإذاعة، أو مرجعاً لغوياً كما يسمى بالألمانية، وأشرف على أطروحته المستشرق الأستاذ هارتمن⁵.

1 آراء وأحاديث مع تقي الدين الهلالي. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الأولى. العدد الثالث. صفر 1377 هـ، سبتمبر 1975 م. ص 25

2 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 240

3 عبد الرحمن بن محمد عميسان: جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني في تقرير عقيدة السلف. ص 27-28

4 انظر: عائض القرني: إمبراطور الشعراء. مكتبة العبيكان. الرياض. ط3. 1428 هـ/ 2007 م. ص 123

5 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. مكتبة الهدي المحمدي. القاهرة. مصر. ط 1. 1431 هـ/ 2010 م.

ومن جهاده ضد الاحتلال الفرنسي: «لقد اتهمت إذاعة ألمانيا السلطات الفرنسية في الجزائر يوم 9 أيار [ماي] 1940 على لسان تقي الدين الهلالي بأنها المسئولة عن وفاته، وقد ذكرت أنه مات مسموماً على أيدي الفرنسيين، كما فعلوا بمعظم العلماء الذين ما يزال بعضهم يعاني من ظلمات السجون.»¹

وعمل الهلالي في الإذاعة مع نخبة من المفكرين العرب، قال يونس بحري: «نخبة من المذيعين الذين دربتهم على الإذاعة، وكانوا حسب القدم في العمل يتألفون من الأساتذة التالية أسماؤهم: حمدي الخياط، محمود الأمين، مهدي الحمداني من العراق، هاشم معلوف من لبنان، عزيز ضومط وحسن تيوفيل حداد من فلسطين، رشاد جاسم، زكي كرام، من سوريا، شوقي عميرة من الأردن الهاشمي، وبوزيد من مراكش، وعبد الرحمن ياسين (مراد) من تونس.. والشيخ محمد صالح من الجزائر؛ وهكذا صارت هيئة الإذاعة العربية في برلين جامعة عربية! هذا ناهيك عن جيش لجب من المحررين والكتاب والمترجمين.. والضاربين والضاربات على الآلات الطابعة.»²

وفي صيف سنة أربعين وتسعمائة وألف 1940 م قدم رسالة الدكتوراه، وهي ترجمة مقدمة كتاب: "الجواهر في الجواهر" مع تعليقات عليها، إلى مجلس الامتحان في الجامعة، وكان مؤلفاً من عشرة من العلماء، وقد فند آراء أكبر العلماء المستشرقين في زمانه وهو كارل بروكلمان، وآراء أكبر العلماء المستشرقين في ألمانيا في العصر الذي قبل هذا العصر، وهو مارات هارثمن، فقد زعم هارثمن في مقدمة ترجمة "تاريخ الهند" للبيروني أن البيروني كان في الحقيقة زنديقا، لأن عقله أعظم من أن يؤمن بالإسلام، وكان شعوبيا يتعصب للفرس الذين قضوا على دولة ساسان، ويبغض العرب بغضا شديداً، ويحتقر علومهم.

وزاد بروكلمان في "تاريخ الأدب العربي" أنه كان محققاً في احتقار علوم العرب، أما في الظاهر فكان قبل اجتماعه بالسلطان محمود الغزنوي شيعياً، وبعد اجتماعه بالسلطان المذكور صار سنياً.

فأقام البراهين القاطعة في تعليقات الرسالة على بطلان كل ما ادعيه من كتب البيروني نفسه، فوافق العلماء العشرة بالإجماع على ما حققه³

قال الهلالي: «وهذه الفكرة الكاذبة الخاطئة مستولية على عقول الأوربيين عالمهم وجاهلهم وذكيمهم وغبيهم وسادتهم وسوقتهم، حتى أن العالم الشهير المؤلف كارل بروكلمان تورط فيها فتقل من ترجمة "تاريخ الهند" للعالم الفيلسوف الكبير أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني لمتبرجه مارتن هارتمن أكاذيب اخترعها هذا الأخير، منها أن البيروني كان مسلماً في الظاهر فقط ولم يكن مسلماً في الباطن لأن علمه أجل من أن يقبل الإسلام، ومنها أنه كان شيعياً في أول الأمر فلما اجتمع بالسلطان محمد بن الغزنوي صار سنياً، ومنها أنه كان فارسياً متعصباً لدولة الساسانيين التي قضى عليها العرب وكان يبغض العرب، ويحتقر علومهم وهنا زاد الناقل كارل بروكلمان «بحق». انتهى كلامها بنصه وفصه مترجماً بحروفه.

وقد نقلت كلام هارتمان بنصه الانكليزي، وكلام بروكلمان بنصه الألماني، ورددت عليه في رسالتي التي قدمتها في جامعة برلين، وأحرزت بها لقب دكتور في الفلسفة على حد تعبير الأوربيين وفي الأدب على حد اصطلاح العرب، وقد ناقش هذه الرسالة عشرة من علماء جامعة برلين أحدهم أستاذي المرشد رشارد هارتمان فوافقوا بالإجماع على ردي لتلك الترهات التي اخترعها مارتين هارتمان، واستحسنها بروكلمان وسود بها صحائف كتابه "تاريخ الأدب العربي"، وزاد عليها تلك الكلمة الإجرامية وهي قوله: «بحق»؛ اقترف ذلك نزلاً لحزب هتلر النازي، وزعم بروكلمان أن البيروني كان يفتخر بأريته يعني لأنه فارسى يتصل بالنسب

1 عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931هـ-1945 م). دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار. الرويبة. الجزائر. ص 169

2 معن عبد القادر آل زكريا: يونس بحري؛ حياة مثيرة؛ مذكرات عراقي في برلين خلال الحرب العالمية الثانية. الحلقة 64. جريدة "الزمان" الدولية. السنة الثالثة. العدد 3670. يوم: 2010/8/12 م. ص 14

3 محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم. 1/ 199-200

الآري الذي يعتز به هتلر وحزبه، وكان بزعمه يبغض العرب ويحتقر علومهم "بحق" لأنهم ساميون، ولم يكن في إمكاني حينئذ أن أرد عليه في هذا الزعم الأخير لأنني كنت في عاصمة البلاد الألمانية الذي يدعي له مضلله رورتيك، أن البشر ينقسمون إلى قسمين: قسم آري وهو الأعلى الكامل الذي أنشأ المدنية، واكتشف المكتشفات واختراع المخترعات، وأنشأ العلوم، وحملها بجدارة واستحقاق، وهو الذي يستحق أن يسود ويقود، وقسم غير آري وهو بضد ذلك غير صالح لإنشاء المدنية والعلم ولا حملها، وحقه أن يستعمر، ويجب على الجنس الآري أن يسخره ويقوم بتغذيته والمحافظة على صحته والعدل بين أفراده ووضع مناهج العمل له.

وكان العلماء الألمان ينفرون بهذا الرأي ويستهجونونه، ولما اشتدت وطأة الحكم الهتلري ما كان أحد يستطيع أن يجهر بمعارضته، كما أنه لم ينتزل أحد من العلماء لإظهار الموافقة عليه إلا النادر، ومن هذا النادر بروكلمان.

وكان الأستاذ باول كالي قد اقترح علي ترجمة مقدمة كتاب "الجهامير في الجواهر" للبيروني مع التعليق عليها ليكون ذلك موضوعا لرسالة امتحان شهادة الدكتوراه التحريري، فترجمت المقدمة وعلقت عليها، ولما فر الأستاذ باول كالي من حكومة هتلر إلى بريطانيا في أول سنة 1939 انتقلت من جامعة بون إلى جامعة برلين، وأتمت دراستي على يد الأستاذ رشارد هارتمان، لم أجد في تلك المقدمة شيئا أولى بالتعليق من تلك المفتريات التي اختلقها عدو الإسلام والعرب مارتين هارتمان وأقرها وزاد فيها بروكلمان، فتجددت لردّها وقضيت عليها بالبراهين القاطعة من كلام البيروني نفسه في تأليفه، فغضب علي بروكلمان لأنه ظن أن الجو خلا له يبيض ويصفر، وينقر ما شاء أن ينقر، وحسب أن المسلمين والعرب نائمون في غفلة من مكايده، ومكايده أستاذة الذي نقل عنه ذلك الهراء ﴿بَلْ نَقَدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18]، ولهما الويل مما هما يصفان، ويحق للعلماء الألمان العشرة الذين ناقشوا رسالتي وحكموا لي على أشهر مؤلف في هذا العصر من المستشرقين لا في ألمانيا وحدها بل في سائر البلاد الأوربية، يحق لهم أن يفخروا بحرية الفكر ونصر الحق بقطع النظر عن قائله وهو طالب عربي غريب، ولا مجال هنا لتفصيل ذلك الرد لطوله، ولكنني أذكر عبارة شاذة فلذة قالها البيروني في كتاب "الصيدنة" الذي ألفه في شرح مفردات الأدوية، وقد قال فيه أن الصواب في هذه الكلمة هو الصيدنة بالنون وليس باللام كما هو مشهور، والكلمة التي قالها البيروني في تفضيل اللغة العربية على اللغة الفارسية هي قوله: أنا لا أحسن اللغة العربية ولا الفارسية، ولكن الهجو بالعربية خير لي من المدح بالفارسية. يعني أنه يفضل أن يهجو بالعربية على أن يمدح بالفارسية، وهذه غاية المبالغة في حب العرب ولغتهم حبا يزيد على حب العرب أنفسهم للغتهم، وخصوصا في هذا الزمان الذي طغى فيه الاستعمار الروحي بله المادي، ولا سيما في هذا الوطن المغربي المنكوب الذي نرى أبناءه يتراطنون بلغة الاستعمار فيما بينهم بدون ضرورة؛ شيء يدمي القلوب ويشمت الأعداء ويسوء الأصدقاء. 1

وقد «نوقش تقي الدين أمام لجنة من الأساتذة في اللغة السريانية والعبرية والأدب العربي، ونال أخيرا لقب الدكتوراه بدرجة حسن، فكان بذلك أول مغربي يتخرج من جامعة برلين، كما قال له البروفيسور كينل وهو يصفحه مهنتا بالنجاح. 2

وفي شهر آذار مارس من سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى 1362 هـ / 1942 م، اتفق مع سباحة المفتي السيد أمين الحسيني على التوجه من برلين إلى شمال المغرب، وحمله رسالة شفوية إلى رئيس حزب الإصلاح الوطني عبد الخالق الطريس رحمة الله عليه تتعلق بإصلاح حال المسلمين في شمال المغرب، وكان في ذلك الزمان القسم الشمالي من المغرب يسمى المغرب الإسباني لأن المغرب كان مجزأ إلى ثلاثة أجزاء؛ المغرب الفرنسي، وهو القسم الأكبر من المغرب عدد سكانه زهاء أحد عشر مليوناً، والمغرب الإسباني وعدد سكانه زهاء مليون واحد، وطنجة ونواحيها وهي دولية، فرجع إلى المغرب. 3

1 الهلاي: دواء الشاكين وقامع المشككين 8. مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة. العدد الأول. جمادى الأولى 1380 هـ / أكتوبر 1960م. ص 10-11

2 آراء وأحاديث مع تقي الدين الهلاي. ص 25

3 الهلاي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 36-37

استقر الهلالي في تطوان وعين مديرا لمكتبة معهد الباحثين، وأسس مجلة شهرية سماها "لسان الدين" 7.
ومكث الدكتور تقي الدين في تطوان إلى سنة 1947. 2

وفي 1947 م سافر الشيخ الهلالي إلى العراق، وقام بتدريس الأدب العربي والقرآن والحديث بالجامعة في كلية الملكة عالية ببغداد ثم في كلية الآداب بدار المعلمين العليا أستاذاً مساعداً ثم أستاذاً 3، وبقي إلى 1958 م حين قام الانقلاب العسكري في العراق، فغادرها عام 1959 م إلى المغرب وعمل أستاذاً في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، قال الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري: «في سنة 1967 كنت طالبا في شهادة "فقه اللغة" بكلية الآداب بفاس، كان الأستاذ تقي الدين الهلالي رحمه الله يدرس "العبرية" مع بعض المقارنة بالعربية.» 4

وفي 1968 م تلقى دعوة من ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - للعمل أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منتدباً من المغرب، وبقي يعمل إلى عام 1394 هـ / 1974 م، طلب منه إخوانه في المغرب أن يستقر في المغرب للدعوة إلى الله تعالى، فعرض الأمر على رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - فوافق عليه، ورجع إلى المغرب، وسكن مكناس 5.
وسنة 1982 سكن في الدار البيضاء.

وافته المنية في منزله بالدار البيضاء بالمغرب يوم الاثنين 25 شوال 1407 هـ الموافق 22 حزيران يونيو 1987 م رحمه الله. 6

أحب العلوم إليه:

قال الهلالي: «أحبها إلي علوم الحديث وعلوم القرآن لأي أحب اتباع الكتاب والسنة، وأكره مخالفتها، ثم علم النحو وسائر علوم الأدب، ثم علم اللغات.» 7

الرجال الأكثر تأثيراً في حياته:

قال: «إن أولهم رسول الله ﷺ، والثاني محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي، والثالث محمد بن العربي العلوي المدغري المغربي، والرابع الشيخ الفاطمي الشراوي، والخامس السيد محمد رشيد رضا، والسادس الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك بوري مؤلف "تحفة الأحوذى"» 8

1 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 73

2 آراء وأحاديث مع تقي الدين الهلالي. ص 26

3 محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم. 1 / 215، والهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. مكتبة الرضوان. البحيرة. مصر. ط 1. 1427 هـ / 2006 م. ص 37

4 عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب. ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية. كلية الآداب. فاس - سايس 21 - 22 / 11 / 2007 م. دون معلومات نشر. باختصار

5 عبد القادر منير: شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل في شرح مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. مركز التراث الثقافي المغربي. الدار البيضاء، ودار ابن حزم. بيروت. ط 1. 1430 هـ / 2009 م. 1 / 14

6 محمد خير رمضان يوسف: المستدرك على تنمة الأعلام للزركلي. 2 / 236، نزار أباطة ومحمد رياض المالح: إتمام الأعلام. دار صادر. بيروت. لبنان. ط 1. 1999 م. ص 226، وأحمد العلاونة: ذيل الأعلام. دار المنارة للنشر والتوزيع. جدة. السعودية. ط 1. 1418 هـ / 1998 م. ص 170

7 محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم. 1 / 201

8 المرجع نفسه والصفحة.

مؤلفاته:

ذكر الشيخ عبد الله العقيل أن له محاضرات ودروساً وندوات وأحاديث ومقالات وبحوثاً لا يمكن الإحاطة بها، لأنها في موضوعات عدة، وبلدان متفرقة، وأزمان مختلفة. 1

أ- مؤلفاته الدينية والفكرية:

1. البراهين الإنجيلية في أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية.
2. الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة.
3. السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم.
4. الطريق إلى الله.
5. العلم المأثور والعلم المنصور واللواء المنشور في الرد على أهل الغرور المستنجدين بالمقبور.
6. القاضي العدل في حكم البناء على القبور.
7. القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانكليزية، ترجمة: الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، والدكتور محمد محسن خان.
8. الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية.
9. جواب عن مسألة تتعلق بالقبور.
10. حقوق آل البيت ما لهم وما عليهم.
11. ديوان منحة الكبير المتعالي في شعر الهلالي.
12. سبيل الرشاد في هدي خير العباد.
13. قبسة من أنوار الوحي.
14. مفتاح التفقه الأصيل في شرح مختصر هدي الخليل.
15. مقال: الإسلام يكافح الاستعمار.
16. مقال: الإسلام والمذاهب الاشتراكية.
17. مقال: أئمة الدولة العلوية وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم ﷺ.
18. مقال: معنى دعوة الحق.
19. مقال: مكائد الاستعمار في بلاد المغرب.
20. مقال: من نتائج إصلاح جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم.

21. *Die Kasten in Arabien. Die Welt des Islam, Bd 22(1940), pp. 102-110.*

ب- مؤلفاته اللغوية:

1. تقويم اللسانين.
2. ما وقع في القرآن بغير لغة العرب.
3. الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية.
4. حديث مع زائر كريم.
5. اللغة العربية للبقاء لا للفناء.
6. بعض دسائس اليسوعيين في اللغة العربية.

ج- ما ترجمه من العربية إلى اللغات الأجنبية:

- *Taqi al Din al Hilali, Muhammad Muhsin Khan: Interpretation of the Meanings of the Noble Qur'ân in the English Language: A Summarized Version of At-Tabarî, Al-Qurtubî and IbnKathîr with Comments from Sahîh Al-Bukhâr, Darussalam, Riyadh, Saudi Arabia 1997, Edition: 17 revised.*
- ترجمة "مختصر صحيح البخاري" بالاشتراك مع محمد محسن خان.
- *Taqi al Din al Hilali: Tr - Die Einleitzuung al-Biruni's Steinbuck. Mit Erläuterungenübersetwt von - Leipwi, Harrassowitz, 1943 (Sg. Orient Arbeiten, H.7).*

• مسرحيات طيف الخيال.

د- ما ترجمه إلى العربية:

1. مدنية المسلمين في إسبانيا. لجوزيف ماكيب.
2. كيف يربي يهود الولايات المتحدة الأمريكية أولادهم
3. *MAN does not-stand alone*

الفصل الأول: الدراسات اللغوية عند محمد تقي الدين الهلالي:

وفيه ثلاثة فصول:

المبحث الأول:
أصول اللغة

المبحث الثاني:
البنية الصوتية والصرفية والنحوية

المبحث الثالث:
التفسير اللغوي

المبحث الرابع:
دلالة اللفظ على المعنى

المبحث الأول:
أصول اللغة:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:
أصل اللغة

المطلب الثاني:
اللغات السامية

المطلب الثالث:
المعرب في اللغة العربية وفي القرآن الكريم

المطلب الأول: أصل اللغة

تعريف اللغة:

اللغة لغة: فُعَلَةٌ من لَعَوْتُ؛ أي: تَكَلَّمْتُ، وأصلها: لُغَوَةٌ، ككُرَّة، وقَلَّة، وثَبَّة؛ كلها لاماتها واوات، وقيل: لُغَيٌّ أو لُغَوٌ، والهَاء عوض، وجمعها: لُغَيٌّ مثل بُرَّة وِبُرَى، وفي "المحكم": الجمع: لُغَات، ولُغُونٌ. ويقال: هذه لغتهم التي يَلُغُونَ بها؛ أي: ينطقون 1.

اللغة اصطلاحاً:

عرفها ابن جني بقوله: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم» 2. وقريب منه: «وظيفة التعبير اللفظي عن الفكر» 3. ولو تأملنا في التعريفين لوجدناهما يدلان على نعمتي العقل والنطق؛ فالعقل عُبر عنه بالفكر أو الأغراض، والنطق بالأصوات أو الألفاظ المفهومة عند جماعة من الناس.

قال عبد الملك مرتاض: «تشكل أصوات مختلفة المخارج فيما بينها فتمثل ألفاظاً، فهذا اللفظ نفسه هو الذي يتكفل بالإحالة على المعنى، وهذا المعنى هو الذي يتكفل بالإحالة على المدلول، أو على مرجع خارجي، يمثل ما يكون حقيقة يتفق أو يختلف من حولها المتعاملون بهذه اللغة المطروحة للاستعمال.

فالفكرة تتكون في الذهن أولاً، فيقع التعبير عنها بهذه الأصوات المختلفة مخارجها التي تدل على مدلول الفكرة المتكونة في الذهن» 4.

وهذه العناصر الثلاثة؛ اللفظ، والمدلول الذهني، والشيء في الواقع (المرجع) 5، هي مكونات العلامة اللغوية في اصطلاح المعاصرين، وبتعبير آخر الموجودات لها وجود في الأذهان، ووجود في الأعيان، ووجود في اللغة؛ قال الهلالي: «النفس الكلية لا وجود لها في الأعيان، وإنما توجد في الأذهان فهي من التخيلات التي لا حقيقة لها» 6.

ويطلق اللسان والكلام على اللغة؛ ففي قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبْنِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103] قال الهلالي: «الإلحاد: الميل، أي: يميلون ويشيرون، «لسان»: أي: لغته وكلامه، وأطلق اللسان على القرآن، لأن العرب تطلق اللسان وتريد به الكلام، فتؤنثها وتذكرها.

ومنه قول الشاعر:

لِسَانَ السُّوءِ تُهْدِيهِ إِلَيْنَا
وَحِنْتَ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا 7

1 ابن منظور: لسان العرب. ت: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، ومحمد الشاذلي. دار المعارف. القاهرة. مصر. ص 4050

2 ابن جني: الخصائص. ت: محمد علي النجار. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 1/ 33

3 أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية. تر: خليل أحمد خليل. منشورات عويدات. بيروت. لبنان. باريس فرنسا. ط 2. 2001 م. ص 523

4 عبد الملك مرتاض: قضايا الشعرية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. ص 120

5 ويتم معرفة الموجودات بالحس، وبالشعور، وبالعقل، وبالإيمان بالوحي، وبهذا الأخير تتميز نظرية المعرفة في الإسلام، قال محمد تقي الدين الهلالي يعد المدركات بالحس: «المنظور هو واحد من المدركات بالحس، وبقيت أربعة أشياء تحس ولا تنتظر، وهي المسموعات والمشمومات والمذوقات والملموسات.» نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 1. مجلة دعوة الحق. السنة الثامنة. العدد الثاني. شعبان 1384 هـ/ ديسمبر 1964 م. ص 20، ومعرفة شيء غير إدراكه، فالله ﷻ مثلاً نعرفه بأسائه وصفاته، لكننا لا ندركه، قَالَ قَتَالَى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103]

6 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة النيجانية. دار الكتاب والسنة. القاهرة. مصر والدار الأثرية. عنابة. الجزائر. ط 1. 2005 م. ص 113

7 البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية لإميل بديع يعقوب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط 1. 1417 هـ/ 1996 م. 8/ 63

وقال الهلالي:

فكل لسان في الحقيقة إنسان 2

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعا
أي: فكل لغة.

أولا: أصل اللغة في الدين:

قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة: 31-33]

وفي التوراة:

«19: وَجَعَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ البرية، وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكُلُّ ما دعا به آدم ذات نفس حيّة فهو اسمها.

20: فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية.» 3

تحليل هذه النصوص الدينية:

في القرآن: لقد علّم الله آدم الأسماء كلها، والضمير في ﴿ عَرَضَهُمْ ﴾ يعود على «المسميات وفيه تغليب العقلاء» 4، وأيضا اسم الإشارة ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾، والضمير المتصل في ﴿ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾، ونظيره في القرآن المجيد؛ ﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَلَأٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النور: 45]

وفي التوراة: بعد أن خلق الله كل حيوانات البرية وطيور السماء أحضرها إلى آدم، وسمى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية.

خلاصة: يخاطبنا الله ﷻ في القرآن بأنه هو الذي علّم الأسماء آدم، في حين يدل نص التوراة على أن آدم هو الذي وضعها.

ثانيا: نظريات علم الأحياء:

تفسر النظريات البيولوجية أصل اللغة بأنه تطور لجسم الإنسان؛ المخ والحواس، وجهاز النطق.

من بين النظريات البيولوجية الأكثر شهرة نظريتان هما:

أ- نظرية محاكاة أصوات الطباعة: ظهرت اللغة حسب هذه النظرية نتيجة محاكاة أصوات الطبيعة؛

قال الدكتور أحمد مومن: «يرى الفريق الأول [الطبيعيون Naturalists] وعلى رأسه أفلاطون أن اللغة من صنع الطبيعة أي أنها

انحدرت من أصل تحكمه قوانين خالدة غير قابلة للتغيير، وأخذت بهذا الرأي مدرسة الشذوذيين، وعلى رأسها قراطيس Krates،

ومدرسة الرواقيين ومؤسسها زينون Zenno.» 5

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 299

2 المصدر نفسه. 1/ 108

3 التوراة. طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. 2006 م. سفر التكوين: الإصحاح الثاني. ص 19-20

4 المحلي؛ جلال الدين، والسيوطي جلال الدين: تفسير الجلالين. ت: المركز العلمي بدار السلام. علق عليه: صفى الرحمن المباركفوري. دار السلام. الرياض. السعودية.

ط 2. 1422 هـ/ 2002 م. ص 15

5 أحمد مومن: اللسانيات؛ النشأة والتطور. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون. الجزائر. ط 3. دون تاريخ. ص 15-16

وقال ابن جنّي: «وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الرياح، وحنين الرعد، وخريير الماء، وشحيج الحمام، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطيبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل.»¹

ولقد أكد دعاء الطبيعة على التطابق الموجود بين كل دال ومدلول، ورأوا أن العوام من الناس لا يدركون سر هذه العلاقة البديهية، وذلك على عكس الفلاسفة الذين يتمتعون بقدرات فكرية تمكنهم من تفسير كل الحقائق الكامنة، ومن هذه النظرة الفلسفية انبثق علم أصول الكلمات.²

ومن أمثله ما يلي:

قال ابن جنّي تحت عنوان "باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" ما نصه: «اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول؛

قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًا، فقالوا صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على "الفعْلان": إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النَّقْران، والغَلِيان، والغَثِيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال حركات الأفعال.

ووجدتُ أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه، ومنهاج ما مثّلاه؛ وذلك أنك تجد "المصادر الرباعية المضعفة" تأتي للتكرير، نحو الرَّعْرَعَة، والقَلْقَلَة، والصَّلْصَلَة، والقَعْقَعَة، والصَّعْصَعَة، والجَرَجَرَة، والقَرَقَرَة.

ووجدتُ أيضًا "الفعْلَى" في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة، نحو: البَسْكَى، والجَمْزَى، والوَلْقَى.»³

وقال: «أما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فبابٌ عظيم واسع، ونهج متلئّب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نُقدِّره، وأضعاف ما نستشعره.

ومن ذلك قولهم: خضم وقضم؛ فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو: قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شعيرها، ونحو ذلك.

وفي الخبر: «قد يُدْرِك الخضمُّ بالقضم»، أي: قد يدرك الرخاء بالشدة، واللين بالشظف، وعليه قول أبي الدرداء: «يخضمون ونقضم، والموعود الله.» فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حَذْوًا لِمَسْمُوعِ الأصوات على مُحْسُوسِ الأحداث.

ومن ذلك قولهم: النَّضْحُ للماء ونحوه، والنَّضْحُ أقوى، قال الله سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ قَضَّخَتَانِ﴾ [الرحمن: 66]؛ فجعلوا الخاء لرققتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه...

ومن ذلك قولهم: صعد وسعد؛ فجعلوا الصاد لأنه قوية لما فيه أثر مشاهد يُرى، وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك، وجعلوا السين لضعفها لما لا يَظْهَرُ ولا يُشَاهَدُ حِسًّا، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجِد، لا صعود الجسم.»⁴

تحليل هذه النقول:

(1) كثير من الكلمات محاكية لأصوات الطبيعة.

(2) في الكلمات أصوات رمزية تملك معان دالة على طبيعة الأشياء.

إلا أن عدد الكلمات التي يمكن تفسير نشأتها بالمحاكاة قليل جدا بالنسبة لعدد كلمات اللغة العربية مثلا.

1 ابن جنّي: الخصائص. 1/ 98-99

2 أحمد مومن: اللسانيات؛ النشأة والتطور. ص 16

3 ابن جنّي: الخصائص. 1/ 505

4 المرجع نفسه والصفحة.

ب- النظرية الانفعالية (التعجيبية):

أصل اللغة حسب هذه النظرية هي انفعالات تعرض لها الإنسان، فنطق بأصوات لا إرادية عبرت عن أحاسيسه؛ من ألم وفرح وخوف وجوع، وفي مسيرة تطور هذه الأصوات، ضُم بعضها إلى بعض فتكونت كلمات، واكتسبت معانٍ رمزية. من أنصار هذه النظرية دارون¹.

البدائية الأولى للأسماء حسب هذه النظرية تمثلت في لغتين: لغة الإشارات (حركة الأيدي والوجه)، ولغة الأصوات (حركة اللسان والشفيتين)؛ بالاستعانة بالإشارات مثل الإنسان الأشياء، وبالاستعانة بالأصوات عبّر عن مشاعره وعواطفه. لقد ميز فونددت بين ثلاثة أنواع من الإشارات: إشارية مثل الإشارة بالأصابع، وتصويرية مثل حركة اليد الدائرية، ورمزية مثل الأصبع بين الشفتين.

شيئاً فشيئاً أصبحت اللغة الصوتية مكتملة، وبدأت لغة الإشارات تلعب دوراً ثانوياً؛ فالإشارات أقل راحة من الأصوات، وهي لا تُرى ليلاً ومن وراء الأشجار، ولا يمكن فعلها عندما تكون اليد تعمل. استطاع الإنسان الأول أن ينطق بأصوات متميزة، ثم جمع بعضها إلى بعض؛ وبهذا قتلت الكلمة الإشارة.

ثالثاً: النظريات الاجتماعية:

حسب تفسير النظريات الاجتماعية: اللغة ضرورة اجتماعية؛ فقد عاش الناس في مجموعات، وكانت أصواتهم بلا معاني، ولتفاهموا تواضعوا على أسماء لكل الأشياء.

قال الأستاذ أحمد مومن: «أما الفريق الثاني [الاصطلاحيون *Conventionists*] الذي يتزعمه أرسطو، فيؤكد على أن اللغة من قبيل الاصطلاح، أي أنها وليدة العرف والتقليد، والتزم بهذا الرأي القياسيون وعلى رأسهم أرسطراخوس *Aristrachos*، والأبيقريون وعلى رأسهم أبيقور *Epicure*»².

وقال ابن جني: «وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء والمعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمةً ولفظاً إذا دُكر عُرف به ما مُسماه، ليمتاز عن غيره، وليُغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين»³.

وذكر ابن تيمية اختلاف أقوالهم، فقال: «قال قوم: بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي، وهذا قول طوائف منهم: ابن عقيل وغيره، وقال قوم: يجوز فيها هذا وهذا، ولا نجزم بشيء، وهذا قول القاضي أبي يعلى، والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني وغيرهما، ولم يقل: إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم، ورأس هذه المقالة أبو هاشم ابن الجبائي»⁴.

يقول القاضي عبد الجبار في تأويله لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾: «إن ظاهر الآية يقتضي أن ما علمه من الأسماء هو ما تقدمت المواضعة عليها، وصارت بذلك أسماء، لأن الاسم يسمى بذلك متى تقدمت فيه مواضعة أو ما يجري مجراه، لأنه إنما يصير اسماً للمسمى بالقصد، ومتى لم يتقدم تعلقه بالمسمى لأجل القصد، لم يسم بذلك، كما لا يسمى متى خلا من القصد خبراً وأمرًا»⁵.

1 انظر: تشارلز داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي. تر: مجدي محمود المليجي. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر. ط1. 2005 م. 1/ 416

2 أحمد مومن: اللسانيات؛ النشأة والتطور. ص 16

3 ابن جني: الخصائص. 1/ 96-97

4 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 12/ 447، وقال في موضع آخر: «تنازع الأشعري وأبو هاشم في مبدأ اللغات؛ فقال أبو هاشم: هي اصطلاحية، وقال الأشعري: هي توقيفية، ثم خاض الناس بعدهما في هذه المسألة، فقال آخرون: بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي، وقال فريق رابع بالوقف» 7/ 91

5 القاضي عبد الجبار: المغني. ت: محمود محمد الخضير. مراجعة: د. إبراهيم مدكور. إشراف: طه حسين. الدار المصرية للتأليف والترجمة. 5/ 169

نقد:

قال ابن تيمية: « قد يقول قائل: إن الدليل على ذلك عقلي، فإنه إن لم يكن اصطلاح متقدماً، لم يكن الاستعمال، قيل ليس الأمر كذلك، بل نحن نجد أن الله يلهم الحيوان من الأصوات ما به يعرف بعضها مراد بعض، وقد سمي ذلك منطقاً وقولاً في قول سليمان: ﴿ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل: 16]، وفي قوله: ﴿ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَكَايُهَا التَّمَلُّ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ ﴾ [النمل: 18]، وفي قوله: ﴿ يَجِبَالٌ أَوْبَى مَعَهُ ﴾ [سبأ: 10]، وكذلك الآدميون؛ فالمولود إذا ظهر منه التمييز، سمع أبويه أو من يريه ينطق باللفظ ويشير إلى المعنى، فصار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى، أي: أراد المتكلم به ذلك المعنى، ثم هذا يسمع لفظاً بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشأ بينهم من غير أن يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم، بل ولا أوقفوه على معاني الأسماء، وإن كان أحياناً قد يسأل عن مسمى بعض الأشياء فيوقف عليها، كما يترجم للرجل اللغة التي لا يعرفها فيوقف على معاني ألفاظها، وإن باشر أهلها مدة علم ذلك بدون توقيف من أحد هم. »¹

رابعاً: أصل اللغة عند محمد تقي الدين الهلالي:

جاء في ترجمة الدكتورين محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: 31]، قالوا: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣١﴾ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْزِي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ [البقرة: 31-33] ما يلي:

«31. And He taught Adam all the names (of everything), then He showed them to the angels and said, "Tell Me the names of these if you are truthful."

32. They (angels) said: "Glorified are You, we have no knowledge except what you have taught us. Verily, it is You, the All-Knower, the All-Wise."

33. He said: "O Adam! Inform them of their names," and when he had informed them of their names, He said: "Did I not tell you that I know the Ghaib (unseen) in the heavens and the earth, and I know what you reveal and what you have been concealing?" »²

لقد ترجم الهلالي قوله تعالى: بقوله: "all the names"، ثم فسره فقال: "of everything" أي: أسماء كل الأشياء، ومصدر هذا التفسير هو السنة، قال الهلالي:

Narratad Anas رضي الله عنه: The prophet ﷺ said: « On the day of resurrection the believers will assemble and say : « Let us ask somebody to intercede for us with our Lord». So they will go to Adam and say: You are the father of all the people, and Allah created you with His Own Hands, and ordred the angels to prostrate themselves to you, and taught you the names of all things»³

والحديث المترجم هو:

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: «يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ...»⁴ ولا يعني هذا التفسير إقصاء النظريات الأخرى، فالله ﷻ علم آدم، وبنو آدم تعلموا من أبيهم، وحاكوا أصواتاً في الطبيعة، واصطلحوا على كلمات، وبهذا تطورت اللغات واختلفت.

1 ابن تيمية: مجموع الفتاوى 91-92/7

2 Dr. Muhammad Taqi-ud-Din al-Hilali and Dr. Muhammad Muhsin Khan: Translation of the meanings of the Qur'an in the english language. King Fahd Complex for the printing of the Holy Qur'an. 7-8

3 Ibid. 7-8

4 رواه البخاري. الجامع الصحيح. دار الحديث. القاهرة. مصر. 1425 هـ/ 2004 م. حديث رقم 4476

المطلب الثاني: اللغات السامية

أولاً: فصائل اللغات:

يرجع الفضل في بحث موضوع الفصائل اللغوية إلى السير وليام جونز الذي اكتشف اللغة السنسكريتية وحل رموزها، فأدرك القرابة بينها وبين اليونانية واللاتينية، قال في خطاب ألقاه في الجمعية الملكية الآسيوية في الهند يوم 2 فيفري 1786: «إن اللغة السنسكريتية، مهما كان قدمها، فلها بنية رائعة، فهي أحسن من الإغريقية، وأغنى من اللاتينية، وأشد تهديبا وصقلا من كليهما، ولكن تربطها بالأخرين قرابة وثيقة للغاية، سواء من حيث الأصول الفعلية أو الأشكال النحوية، ولا يمكن لهذه القرابة أبدا أن تكون من قبيل المصادفة، فالصلة متينة جدا إلى درجة أنه لا يمكن لأي فيلولوجي أن يفحص هذه اللغات الثلاث دون الاعتقاد بأنها انبثقت من أصل واحد قد لا يكون له أي وجود، وهناك سبب مماثل، وإن كان غير قسري، للاعتقاد بأن كلا من القوطية والسلتية على الرغم من امتزاجهما بلهجة مختلفة جدا، إلا أن لهما أصلا واحدا تشارك في مع السنسكريتية، كما يمكن للفارسية القديمة أن تُضاف إلى هذه العائلة أيضا.»¹

وهذا شجع الباحثين على المقارنة بين لغات الفصيصة الهندية الأوربية، متأثرين بنظرية النشوء والارتقاء لـ "دارون"، وبالفيزياء الميكانيكية؛ فانصبت جهودهم على الدراسة التاريخية التطورية للغات، واكتشاف قوانين هذه التغيرات الصوتية². ولللهالي اطلاع كبير على اللغات وفصائلها وخاصة اللغات السامية ففي معرض تقريره لأصالة الكلمات المشتركة بين اللغات المنتمية إلى فصيلة واحدة في كل لغة من هذه الفصيصة الواحدة قال: «وهذا هو الشأن في كل مجموعة من اللغات ترجع إلى أصل واحد، كاللغات اللاتينية كالأيطالية والإسبانية والفرنسية والرومانية والبرتغالية، ومجموعة اللغات الجرمانية كالألمانية والهولندية والفلمنكية والسويدية والنرويجية والدانماركية.»³

ويقول حين التقى بعالم تركي: «سألته عن لغة الترك في الصين ولغة الترك في الأناضول: أبينهما فرق كبير؟ فقال: بينهما اختلاف يسير لا يمنع من التفاهم.»⁴

ثانياً: اللغات السامية:

ليسهل علي دراسة هذا الموضوع سأرتبه زمانيا، وقد بدأته بتحقيق "أصل اللغة"، فأقول:
عن زيد بن سلام، قال: سمعتُ أبا سلام قال: سمعتُ أبا أمامة: «أن رجلا قال: يا رسول الله! أنبيي كان آدم؟ قال: نعم، مُكَلِّم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون.»⁵، وَقَالَ عَمَّالِي: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ وَتَمَيَّنَتْهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُرًّا بَابِيْنَ ﴿٧٧﴾ [الصفات: 75 - 77]

وقد ورد في جدول الشعوب، وهو الإصحاح العاشر من سفر التكوين ما نصه: «وهذه مواليد بني نوح؛ سام وحام ويافث، ووليد لهم بنون بعد الطوفان؛

1 أحمد مومن: اللسانيات؛ النشأة والتطور. ص 66

2 انظر قانون "جاكوب غريم" في كيفية تطور حروف اللغة الجرمانية الأولى من اللغة الأصلية الهندية الأوربية. في اللسانيات؛ النشأة والتطور لمومن. ص 67

3 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. مجلة الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. السنة الثالثة. العدد الثالث. 1390 هـ / 1970 م. ص 27-28

4 الهلاي: مع الأستاذ الشيخ موسى جار الله العالم التركي الروسي الشهير. صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 267. الخميس 27 ربيع الثاني 1350 هـ. ص 11، والشعوب التركية هي: الترك والكزخ والقرغيز والأوزبك والتركان والأذربيجان.

5 قال الألباني: صحيح. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان. حديث رقم 6180. دار باوزير. جدة السعودية. ط 1. 1424 هـ / 2003 م. حديث رقم 6157. /9 37-38، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. 1415 هـ / 1995 م. حديث رقم 2668. /6

385-386 وحديث رقم 3289. /7 852-853

بنو يافث جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس، وبنو جومر أشكناز وريفات وتوجرمة، وبنو يوان أليشة وترشيش وكتيم ودودانيم؛ من هؤلاء تفرقت جزائر الأمم بأراضيهم، كل إنسان كلسانه حسب قبائلهم بأممهم. وبنو حام كوش ومضرايم وفوط وكنعان، وبنو كوش سبأ وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا، وبنو رعمة سبأ وددان، وكوش ولد نمرود الذي ابتداءً يكون جباراً في الأرض. الذي كان جبار صيد أمام الرب. لذلك يقال كيمرود جبار صيد أمام الرب. وكان ابتداءً مملكته بابل وأرك وأكد وكنتة في أرض شنعار. من تلك الأرض خرج أشور وبنى نينوى ورخوبوت عير وكالخ. ورسن بين نينوى وكالخ. هي المدينة الكبيرة. ومضرايم ولد لوديم وعناميم ولهايمم ونفتوحيم وفرتوسيم وكسلوحيم. الذين خرج منهم فلسطين وكفتوريم. وكنعان ولد صيدون بكره وحشا واليوسبي والأموري والجزجاشي والحوي والعريقي والسيني والأروادي والصباري والحاتي. وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني. وكانت تحوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع. هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم كأستهم بأراضيهم وأممهم. وسام أبو كل بني عابر يافث الكبير ولد له أيضاً بنون. بنو سام عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام. وبنو آرام عوض وحول وجائر وماش. وأرفكشاد ولد شالح وشالح ولد عابر. ولعابر ولد ابنان. اسم الواحد فالج لأن في أيامه قسمت الأرض. واسم أخيه يقطان. ويقطان ولد الموداد وشالف وحضر موت ويارح. وهذورام وأوزال ودقلة. وعوبال وأبيمايل وسبأ. وأوفير وحويلة ويوباب. جميع هؤلاء بنو يقطان. وكان مسكنهم من ميسا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق. هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم كأستهم بأراضيهم حسب أممهم.

هؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأممهم. ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان. 1
نقد:

قال كارل بروكلمان 2: « كان ذلك هو التقسيم الوحيد، المعروف حينذاك، للتعبير عن العلاقات السياسية وطبائع الشعوب. ويدل بوضوح على أن العلاقات السياسية والثقافية، لدى مؤلف هذا الجدول، كانت على الأقل في مثل أهمية طبائع الشعوب، أو بتعبير آخر أنه كان لا يجد بينهما فرقا على الإطلاق؛ يدل على كل هذا، أنه كان يعد من أبناء سام "عيلام" و"لود"، أو العيلاميين واللوديين، اللذين كانا من رعايا الدولة الآشورية، على الرغم من أنه لا توجد بين هذين الشعبين قرابة من ناحية، كما أنه ليست بينهما وبين الآشوريين قرابة من ناحية أخرى. هذا إلى أنه يعد من أبناء حام -على العكس من ذلك- الفينيقيين الذين هم أقرب الشعوب إلى الشعب العبري، الذي يعد فرعاً منهم، وذلك بسبب صلاتهم السياسية والثقافية الشديدة بمصر. غير أن "شلوتسر" Schlozer عندما كان يبحث، في نهاية القرن الثامن عشر، عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش، الذين توجد بين لغاتهم صلات القرابة، أطلق عليهم اسم "الساميين"، لأن جدول الشعوب يرجع العبريين والآراميين والعرب إلى سام بن نوح، وهذه التسمية في الحقيقة، مختصرة ومناسبة، كما هو الواجب في الأسماء الاصطلاحية، ولا يعارضها أن يفهم منها العلم الحديث شيئاً آخر، غير ما فهمه منها مؤلف الإصحاح العاشر من سفر التكوين. 3
وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم». 4

1 التوراة. سفر التكوين. الإصحاح العاشر. ص 16-17

2 كان من المناقشين لأطروحة دكتوراه الهلاي في جامعة برلين بألمانيا عام 1940 م.

3 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 11

4 قال الألباني: ضعيف. انظر: الضعيفة. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1 الجديدة. 1412 هـ/ 1992 م. حديث رقم 3683 / 8 / 159-160-161.

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «كنعان بن سام بن نوح، إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية.»¹ وقال مبارك الميلي: «علاقة العرب بإبراهيم وقومه وقوم نوح: ... إن الجميع أبناء سام، ولغاتهم متحدة الأصل، ولهم علاقة خاصة بإبراهيم، فهو جد العدنانيين ومن بني عمومة القحطانيين، ثم هو الذي رفع قواعد البيت معقد عزهم، ومنتهى فخرهم، وترك بينهم ابنه إسماعيل ظهره في مأثرة بناء الكعبة.»²

ولا ريب في اطلاع الهلالي على النصوص الدينية والتفسيرية في صلة العرب ببني عمومته الساميين. وقد ألف محمد تقي الدين الهلالي كتاب: "الفوائد السامية في تاريخ اللغات السامية"، وللأسف لم يتيسر لي الحصول عليه، وفي غالب الظن استفاده الهلالي من دراسته للخطاب الديني؛ القرآني والنبوي، ومن دراسات المستشرقين الذين تتلمذ على بعضهم، وسأجمع بعض ما كتبه في تاريخ اللغات السامية وفقهها من مؤلفاته المنشورة.

• حرفا العين والحاء في البربرية والقبطية دليل على الموطن الأول للغات السامية:

يستدل الهلالي على أن: «البربر من الشعوب التي خرجت من جزيرة العرب قبل زمان سحيق في القدم.»³ بأن «حرف العين خاص بالشعوب السامية التي خرجت من جزيرة العرب ولا يوجد عند غيرهم، فالشعوب التي ليس في لغتها عين كالأوروبيين مثلا لا يستطيع الشخص الذي لم يسمع العين ولم يتدرب عليها مدة طويلة لا يستطيع أن ينطق بها أبدا إلا إذا خالط شعبا ساميا كالعرب والسريانيين والآشوريين والعبرانيين والقبط والبربر مدة طويلة وقد يخالطهم زمانا طويلا ولا يستطيع أن ينطق بها.»⁴ ف«من المعلوم عند علماء اللغات أن العين والحاء لا توجدان إلا في اللغات السامية، فإن وجدت إحداها في كلمة من لغة غير سامية فتلك الكلمة طارئة واردة على تلك اللغة وبهذا يستدل الفيولوجيون على أن البربر من جزيرة العرب قبل خروج البابليين والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين كما هو مبين في موضعه.»⁵

وقال: «إن سكان المغرب قسمان أو غصنان من شجرة واحدة وهم العرب والبربر، والبربر شعب يتصل بالعرب في النسب، وقد ضرب بسهم وافر في بناء مجد العروبة والإسلام لا يستطيع العرب أن يدلوا بأكثر منه، وإن علماء اللغات المعروفين في اللغات الأوربية بلفظ الفيولوجيين مجمعون على ما يعلمونه علم اليقين أن البربر وقدماء المصريين يتصل نسبهم بالعرب فلا شك عندهم أن أصلهم واحد وقد أخبرني البروفيسور تشرماك مدير المعهد الإفريقي في جامعة "فيينا" أنه ألقى محاضرات في الجامعة المصرية أثبت فيها بالبرهان القاطع من طريق علم اللغات ما ذكرته أنفا.»⁶

وقال: «البربر يتصلون بالعرب في أصل بعيد، ويتفقون معهم في العادات والميول والطباع، ولذلك لم تستطع أمة من الأمم؛ لا الفينيقيون ولا القوط ولا الروم أن يمتزجوا بهؤلاء القوم كما امتزج بهم العرب واتحدوا معهم في العقيدة وسائر مقومات الحياة الاجتماعية.»⁷

ويوافقه الرأي بروكلهان، فيقول: «إذا ما تأمل المرء في أنه قد لوحظ في العصور التاريخية، كيف أن بلاد الحضارة في ما بين النهرين وسوريا، كانت تكتسحها دائما وأبدا، موجات من القبائل البدوية القادمة من الصحراء العربية، حتى غمرت أخيرا إحدى هذه الموجات القوية، وهي المسماة بالموجة العربية، كل صدر آسيا وشالي إفريقيا، إذا تأمل المرء في كل هذا، فإنه يمكنه حقا أن يعتقد أن

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين. ت: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال. 1/ 205

2 مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره. ت: أبي عبد الرحمن محمود. دار الراجية. الرياض. السعودية. ط1. 1422 هـ/ 2001 م. ص 123-124

3 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 182

4 الهلالي: حديث مع زائر كريم. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة السادسة. العدد الرابع. ربيع الثاني 1394 هـ/ أبريل 1974 م. ص 24

5 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 31

6 الهلالي: تعليق على مقالين. السنة الرابعة. العدد الثاني. جمادى الثانية 1380/ نوفمبر 1960. ص 106

7 انظر في هذا التعبير: الهلالي: تقويم اللسانين. مكتبة المعارف، الرباط، المغرب. ط 2. 1404 هـ/ 1984 م. ص 41-44

8 الهلالي: من مكائد الاستعمار في بلاد المغرب. ضمن: رسائل مسجد الجامعة لجماعة من العلماء. المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط 2. 1405 هـ/ 1985 م. ص

الجزيرة العربية، هي المكان الذي يصلح لأن يكون مهد الساميين الأول، ذلك المهد الذي يرجح أن الشعب السامي الذي يقطن الحبيشة، قد خرج منه كذلك.¹

إبراهيم ﷺ:

من التراث المشترك بين العرب والعبريين قصة إبراهيم الخليل ﷺ²؛ وقد عاش سيدنا إبراهيم ﷺ في العراق والشام ومصر والحجاز؛ قال محمد تقي الدين في ترجمته لقصة عبرية: «تعلم داني في الروضة قصة إبراهيم وهاجر وإسماعيل حين كان طفلاً فتأسف داني على هاجر وابنها الظمآن في الصحراء، ثم فرح بأنهما أخيراً وجدوا الماء.»³

وقال: «إسماعيل لم يكن عربياً في الأصل، وإنما تعلم العربية لأنه نشأ بين العرب في مكة وتزوج منهم، وبارك الله في ذريته كما جاء في سفر التكوين من العهد القديم في الباب السادس عشر أن: «ساراي امرأة أبرام لم تلد له، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر، فقالت ساراي لأبرام: إن الرب قد أمسكني عن الولادة، أدخل على جاريتي لعلني أرزق منها بنين، فسمع أبرام لقول ساراي، فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان، وأعطتها أبرام رجلها زوجة له، فدخل على هاجر فحبلت، ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها، فقالت ساراي لأبرام: ظلمي عليك، أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينها، يحكم الله بيني وبينك. فقال أبرام لساراي: هذه جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينك. فأذلتها ساراي فهربت من وجهها، فوجدها ملك الرب على عين الماء في البرية، على العين التي في طريق شور، وقال: يا هاجر جارية ساراي، من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ قالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملك الرب: ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها. وقال لها ملك الرب: تكثيراً أكثر من نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملك الرب: ها أنت حبلتي فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه وأمام جميع أخوانه يسكن.»⁴

وهذه بشارة جاءت في العهد القديم بأن الله يكثر أولاد إسماعيل.⁵

وفي الشام رُزق إبراهيم ﷺ بإسحاق ﷺ؛ قَالَ قَمَالِي: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: 84]

قال محمد تقي الدين: «يعقوب، ابن إسحاق وإسحاق ابن إبراهيم.»⁶

وقال: «قول ابن كثير: «إنَّ إسماعيل كان أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة»⁷ قرأتُ هذا في "التوراة" باللغة العبرانية، فلله در هذا الإمام ما أعظم تحقيقه وأوسع اطلاعه.»⁸، ونقل أن: «إسرائيل هو يعقوب.»⁹

تحليل هذه النصوص:

لقد تنقل إبراهيم ﷺ بين العراق والشام ومصر والحجاز، والتقى أناساً وتكلم معهم، وقد تكلمت هاجر المصرية مع إبراهيم وسارة بلا شك، ومع جُرْهُم، وتعلم إسماعيل ﷺ العربية من قبيلة جُرْهُم.

1 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 12

2 الهلاي: كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المغرب. 1403 هـ/ 1983 م. ص 4-5

3 المصدر نفسه. ص 7

4 التوراة: سفر التكوين. الإصحاح 16. من 1 إلى 12. ص 23-24

5 الهلاي: أخلاق الشباب المسلم. مجلة الجامعة الإسلامية. السنة الأولى، العدد الثاني، رجب 1388 هـ/ تشرين أول 1968 م. ص 31-32

6 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 243

7 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ت: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. السعودية. ط. 2. 1420 هـ/ 1999 م. 1/ 425

8 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد 1/ 580

9 المصدر نفسه. 1/ 148

ومنه نستنتج أن لغات هذه المناطق كانت متقاربة بحيث يسهل التفاهم؛ قال الدكتور عبد الرحمن عطية: «جميع ذرية نوح من سام إلى إبراهيم يحملون أسماءً تَنَفَّسُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ»¹
 واستمر الوحي في ذرية إبراهيم؛ قَالَ صَلَّى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْمُ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحديد: 26]

• لغات التوراة والأنجيل؛ لغات سامية درسها الهلالي:

درس الهلالي اللغات السامية في ألمانيا، وبقي يتتبع كلماتها وغريبها أينما حل من السنة أصحابها، واهتم بالخصوص بلغات الكتب المقدسة،

وقد تساءل أحمد يوسف داود: «إن أقدم النماذج المكتوبة لفصحانا المروية في النصوص الشعرية الجاهلية، لا ترقى حسب الشائع إلى ما قبل القرن السادس الميلادي... مع أننا نجد هذه الفصحى مكتملة البناء والقدرة على التعبير، حتى لتكون بعد قرن واحد جاهزة لوراثة كل ما أنجزته الدائرة الحضارية العربية من إرث مفهومي اعتقادي وعلمي وفلسفي.. خلال ما يزيد على أربعة آلاف عام!

إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يصح، علمياً أو منطقياً، أن تنجز مجموعة أو مجموعات قبلية من البدو رعاة الشاء والإبل مثل تلك المنظومة اللغوية الفذة ذات القدرة العالية على الاستيعاب الحضاري بدون سابق تجربة لمنجزها؟!

إن الجواب الوحيد المقبول على هذا التساؤل هو جواب بالنفي!

ومن جهة أخرى، كيف يمكن تفسير أن فصحانا القرشية وهي في بداية تجربتها الحضارية، حسب اعتباراتنا الشائعة، قد استطاعت أن تسيطر فوراً، خلال ما سمي 2 "الفتح الإسلامي" على مصر والشام والعراق، فتهمزم «لغات!!» يفترض أنها سليلية أربعين قرناً من التمدن، بدل أن تهزمها تلك «اللغات!!» كما يقتضي منطق الأمور؟!³

والسؤال نفسه يطرحه الدكتور محمد تقي الدين الهلالي؛ قال: «قال الترمذي في جامعه "باب تعليم السريانية" ثم روى بسنده إلى زيد بن ثابت قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كلمات من كتاب يهود، وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي. قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له»، قال: «فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليهم قرأت له كتابهم.»⁴ هذا حديث حسن صحيح... وهذا الحديث رواه أيضاً أحمد وأبو داود والبخاري في تاريخه وذكره في صحيحه تعليقا.

ومعنى الحديث أن النبي ﷺ أمر الصحابي الجليل كاتب الوحي زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود وفي رواية: «أمره أن يتعلم السريانية.» وعلل ذلك بأنه عليه الصلاة والسلام لا يأمن اليهود أن يقرؤوا له كتاباً يأتيه منهم لئلا يزيدوا فيه وينقصوا أو يبدلوا ويغيروا، فتعلم زيد ما أمره به النبي ﷺ في نصف شهر، وقد يشكل فهم هذا من وجهين:

الأول: أن المعهود من اليهود أن يتكلموا ويكتبوا بالعبرانية لا بالسريانية.

الثاني: كيف يستطيع متعلم أن يتعلم لغة أجنبية في نصف شهر؟!⁵

1 عبد الرحمن عطية: تاريخ العربية لسان العالمين. تر: حفناوي بالي. دار هومة. الجزائر 2007 م. ص 171

2 الذي سباه فتحا هو القرآن؛ قَالَ صَلَّى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ [النصر: 1] قال محمد تقي الدين: «سمي الاستيلاء على أرض الأعداء فتحاً، لأن أرض العدو قبل ذلك كانت مغلقة في وجه المسلمين، وبعد تغلبهم عليها صارت مفتوحة أمامهم.» قبسة من أنوار الوحي. مكتبة المعارف. الرباط. المغرب. 1405هـ/1985م. ص 34

3 أحمد يوسف داود: الميراث العظيم؛ إعادة بناء المنجز الحضاري العربي بين الألف الرابع قبل الميلاد وظهور الإسلام. دار المستقبل. دمشق. سوريا. ط 1. 1997م. ص 233

4 الألباني: صحيح سنن الترمذي. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1 الجديدة. 1420هـ/2000م. حديث رقم 2715. 3/ 85.

5 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 24

ثم يجب الهلالي عن الأول، فيقول: «إن اليهود في زمان النبي ﷺ بل في زمان عيسى بن مريم وقبله بزمن لم يكونوا يتكلمون ويكتبون بالعبرانية لأنها كانت قد انقرضت ولم يبق منها إلا كلمات قليلة تردد في الصلوات، وكان اليهود يكتبون علومهم الدينية والدينية ويتخاطبون بالسريانية.

وإنما جددوا العبرانية وأحيوها وبذلوا في ذلك جهوداً عظيمة في هذا العصر الأخير.»¹
والجواب عن الثاني: «إن زيدا لم يتعلم اللغة في نصف شهر وإنما تعلم الكتابة والقراءة، أما معاني لغة اليهود فكان يفهمها لأنها كانت لا تزال قريبة جداً من لغة العرب، ولأن قبائل من اليهود كانت مساكنة للأنصار.»²
أي أن هذه اللغات كانت لغة واحدة ثم افترقت؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «وأساليب هذه اللغات 3 ونثرها ونظمها متقارب في الغالب؛ كما أن نظم العربية وأحوالها كالعبرانية والسريانية متقارب.»⁴

الخصائص المشتركة للغات السامية:

قال بروكلمان: «تشابه اللغتان العبرية والعربية، في كثير من الأمور، تشابهاً كبيراً، لدرجة أن علماء اليهود في القرن العاشر الميلادي، قد أدركوا هذا التشابه وتلك الصلات القائمة بينهما، وأشد من ذلك وضوحاً، تلك العلاقات الموجودة بين العبرية والآرامية.»⁵

ويكمن هذا التقارب في:

الصوت:

- قال الهلالي: «من المعلوم أن أكثر الكلمات في اللغات السامية سواء أكانت فعلاً أم اسماً لا يقل عددها في الكلمة الواحدة عن ثلاثة أحرف، وما جاء ناقصاً؛ كيدٍ ودمٍ فالحرف الثالث فيه مقدر يظهر في الجمع نحو: «اغسلوا أيديكم» وسالت دماء الأعداء، فهزمة دماء منقلبة عن ياء والأصل دماي وعلماء اللغات السامية متفقون على هذا...»⁶
- قال بروكلمان: «باستثناء كلمات التعجب، والضمائر التي تمت لها بصلة، فإن كل كلمات اللغات السامية تقريباً، تنضوي تحت مجموعات، يتعلق المعنى الأساسي المشترك فيها، بثلاثة أصوات صامتة.»⁷
- قال الهلالي: «الأسماء الثلاثية في اللغة العبرانية كثير منها يكون بكسر أوله وثانيه وإذا أضيف إليه ياء المتكلم تقول: «سفري» بكسر فسكون كما في العربية.»⁸
- قال بروكلمان: «ما يميز فصيلة اللغات السامية، عن غيرها من الفصائل الأخرى، يتمثل قبل كل شيء في الأصوات، وهو رجحان الأصوات الصامتة على الأصوات المتحركة، ويرتبط المعنى الرئيسي في الكلمة، وفي ذهن الساميين، بالأصوات الصامتة فيها، أما الأصوات المتحركة فهي لا تعبر في الكلمة، إلا عن تحوير هذا المعنى وتعديله، ولهذا السبب نفسه يقع الثقل الرئيسي في النطق، على الأصوات الصامتة مطلقاً، أما الأصوات المتحركة فإنها تتأثر في صفاتها بتلك الأصوات الصامتة.»⁹

1 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 24-25

2 المصدر نفسه. ص 25

3 يعني الانكليزية والألمانية والفرنسية.

4 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 93

5 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 11

6 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 27

7 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 83

8 المصدر السابق. ص 27

9 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 14-15

الصرف:

قال الهلالي: «من المعلوم أن أكثر الكلمات في اللغات السامية سواء أكانت فعلاً أم اسماً لا يقل عددها في الكلمة الواحدة عن ثلاثة أحرف، وما جاء ناقصاً؛ كيدٍ ودمٍ فالحرف الثالث فيه مقدر يظهر في الجمع نحو: «اغسلوا أيديكم» وسالت دماء الأعداء، فهزمة دماء منقلبة عن ياء والأصل دماي وعلماء اللغات السامية متفقون على هذا...»¹

وقال بروكلمان: «ترجع الكثرة العظيمة، لأبنية الاسم في اللغات السامية، إلى ثلاثة أصول من الأصوات الصامتة، غير أنه يوجد أيضاً بين الثروة اللغوية القديمة، أسماء ذات أصلين من تلك الأصوات.»²

وقال الهلالي: «التبسيط هو التوسيع فهو بمعنى البسط، إلا أن التبسيط فيه مبالغة كالتثقيط بمعنى القتل؛ أي كثرته، وفعل المضاعف إذا اشترك مع الثلاثي في معنى واحد دلّ الرباعي على الكثرة والمبالغة في اللغة العربية، وفي أختيها العبرانية والآرامية.»³
وقال: «فعلوت» مصدر يستعمل كثيراً في السريانية كالجبروت «كبوروثا» جاءت من «جبر» وهو الرجل ومنه جبرائيل «كفرائيل» فمعناه بالسريانية: رجل الله، أي: الرجل الذي يبعثه الله لتبليغ رسالته، فالجبروت هو الرجولة الكاملة و«كبور» جبار رجل عظيم، ومن ذلك جاء لفظ «لاهوت» من اسم الله تعالى.»⁴

التركيب:

قال الهلالي: «العربية والعبرانية كلتاهما تبدأ الجملة الفعلية فيهما بالفعل ولا يلزم أن نذكر اسماً قبل الفعل لا ضميراً ولا ظاهراً، فنقول طلعت الشمسُ وظهر الحق، ولو ذكرنا ضمير «أنا» قبل الفعل الماضي لم يصح إسناد الفعل إليه بل تتصل به وجوباً تاء متكلم فنقول في العربية: أنا تعلمتُ، وفي العبرانية: أني لامدت.»⁵

الأسلوب:

قال محمد تقي الدين في معرض حديثه في التكرار في سورة الكافرون: «التكرار الواقع في هذه السورة بليغ، والغرض منه التوكيد كقوله تعالى ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5 - 6] وكقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ [التكاثر: 6 - 7]... وهذه طريقة معروفة في اللغة العربية وفي سائر اللغات السامية.»⁶
وقال الدكتور ربحي كمال: «لم أعر على مراجع عبرية أو سريانية تقول بوجود ألفاظ تدل على المعنى وضده في هاتين اللغتين، لكن من خلال حديثي في هذا الشأن مع بعض اللغويين العبريين والسريان، أقر هؤلاء بوجود ألفاظ قليلة جداً تدل على المعنى وضده في اللغتين العبرية والسريانية، وهم يرون أن لكل من هذه الألفاظ معناه الخاص، وأن الاستعمال لم ينصرف إلى المعنى المضاد إلا لداع بلاغي كالتفاؤل، أو التهكم، أو اجتناب التلفظ بما يكره أو يمجّه الذوق أو بما يؤلم المخاطب، مما اصطلحت اللغات الأوربية على تسميته باسم "Euphémisme"، أي تلطيف التعبير عن شيء بغض.»⁷

1 محمد تقي الدين الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 27

2 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 93

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 34

4 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. 208

5 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 20

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد 2 / 376

7 ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السامية. ص 4

مثال على تقارب كلمات اللغات السامية:

قال الدكتور الهلاي: «جاء في ترجمة يوسف روفلين للقرآن الكريم بالعبرانية 1 في أول سورة الصّف ما نصّه - مع استبدال الحروف الحروف العبرانية بحروف عربيّة -:

"باراششت همعراخا: سورة المعركة"

"بشم إلهوهم هارحمان هارحوم. 2"

يشيخ اث إلهوهم 3 كل اشربشاميم وغل اشربا آرص وهو هكبور وهحاخام، همأمميم لاماتوا مروات أثر لو تعسوا"

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ [الصف: 1 - 2]

فأنت ترى أنّ الألفاظ كلّها مُشتركة من أول البسملة إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ﴾ إلا أنّ:

لفظ ﴿سَبَّحَ﴾ أبدلت سيئته شيئاً، وحلّ المضارع محلّ الماضي، وهذا الفعل في العبرانية مُتعدّد بنفسه وكذلك في العربيّة؛ قال تعالى في سورة ق (40): ﴿فَأَصْبِرْ فَسَيِّئَةٌ وَأَدْبِرْ الشُّجُورِ﴾ ﴿٤٠﴾، وإلاّ:

ترجمة ﴿ما﴾ الموصولة بـ "اشر"

وزيادة "كل" لأنّ الترجمة إنّما هي تفسير.

وإبدال سين السّموات شيئاً وجمعها بالياء والميم.

واستعمال "باء الجر" في موضع "في"، وهو جائز في العربيّة؛ قال تعالى في سورة الصّافات: ﴿وَإِنَّكُمْ لَنْتُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصِيبِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾

﴿وَيَأْتِيهِمْ أَفْلا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ [الصافات: 137 - 138]

وإبدال ضاد الأرض صادًا.

وإبدال ﴿الْعَزِيزُ﴾ بالجبار "هكبور" وهما مُتقاربان في المعنى.

وإبدال ﴿الْحَكِيمُ﴾ "هحاخام" وهما شيءٌ واحدٌ إلا أنّ الكاف أُبدلت خاءًا. 4

وهذا الجدول يجمع بعض الكلمات التي وقفت عليها ومقابلاتها في اللغات السامية من كلام الهلاي، ويبيّن مدى التقارب بين معاجمها لأنها منحدرّة من أصل واحد:

العربية	العبرانية	السريانية الغربية
إل 5	آل	آل

1 الترجمة الثالثة والكاملة للقرآن الكريم تنسب لـ "يوسف يوثيل ريفلين" وهو من مواليد القدس (1890-1971م) وعنوان ترجمته باسم: "القرآن"، وصدرت عام 1936 في فلسطين. سعيد عطية علي مطاوع: إشكالية الترادف في الترجمة العربية لمعاني القرآن. دار الآفاق العربيّة. القاهرة. ط1. 2006م. ص 60

2 قال الهلاي: «هذه الكلمات الأربع التي في البسملة كلّها مشتركة بين اللغتين، فالاسم: "شم" بإبدال السين شيئاً وذلك كثير في العبرانية، والله: "إلهوهم"، والرحمن والرحم لفظه بالعبرانية كلفظه بالعربية إلا أداة التعريف فإنه بالعبرانية: "هارحمان"، والرحيم بالعبرانية: "هارحوم"، وهذه الكلمات الكثيرة المشتركة بين اللغات السامية هي أصلية في كل واحدة منها، لا يقال إن إحداهن أخذتها من الأخرى وهذا هو الشأن في كل مجموعة من اللغات ترجع إلى أصل واحد.» ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27

3 قال الهلاي: «اسم الله بالسريانية "الاه" هذا عند السريانيين الغربيين، وعند السريانيين الشرقيين "ألاهوا"، والسبب في ذلك أن جميع الأسماء عند السريانيين الغربيين تختتم بألف مثل "بيتا": بيت، "ماي": ماء، "شهايا": سماء، "عليا": غلام. وهكذا.. أما السريانيون الشرقيون فإن الأسماء تختتم عندهم بواو قبلها ضمة، واسمه تعالى باللغة العبرانية: "إلهوهم"، ولا تختلف الشعوب السامية فيما نعلم في اسم الله تعالى إلا فيما رأيت من تغيير الحركات.» حديث مع زائر كريم. ص 23

4 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 28-29

5 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 47/5

ألاها	إلوهيم	الله 1
شِما	شِمْ	اسم 2
أرعى	أرص	أرض 3
بيتا		بيت 4
بيعى		بيضة 5
	كبور	جبار 6
	حاخام	حكيم 7
	طوبة	طيبة 8
مايا		ماء 9
شايا		سواء 10
	لومذ	تلميذ 11
	مأمينم	مؤمنون 12
	شِفِط	سبِط 13
	سِفِر	سِفِر 14
	رحان	رحمان 15
	رحوم	رحيم 16
عليما		غلام 17

- 1 الهلاي: حديث مع زائر كريم. ص 23
- 2 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27
- 3 المصدر نفسه. ص 28-29، و: الموازين والضوابط. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الخامسة. العدد الرابع. شعبان 1381 جانفي 1962. ص 15
- 4 الهلاي: حديث مع زائر كريم. ص 23
- 5 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 83-84
- 6 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 28-29، والهلاي: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. ص 208
- 7 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 28-29
- 8 الهلاي: تقويم اللسانين. ص 140-141
- 9 الهلاي: حديث مع زائر كريم. ص 23
- 10 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 28-29
- 11 المصدر السابق. ص 20
- 12 المصدر السابق. ص 28-29
- 13 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 202-203، والهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 33-34
- 14 الهلاي: حديث مع زائر كريم. ص 27
- 15 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27
- 16 المصدر نفسه والصفحة.
- 17 الهلاي: حديث مع زائر كريم. ص 23

بالقاء نظرة سريعة على كلمات الجدول نلاحظ أنها ثلاثية الأصول، وحروف الكلمة العربية قريبة في المخرج أو الصفات من حروف مقابلاتها في اللغات الأخرى إن لم تكن نفسها، ففي كلمة "شهر" مثلاً؛ تُبدل الشين سينا في السريانية؛ قال محمد تقي الدين: «الشهر موجود في السريانية بلفظ "سهرًا" ومعناه الهلال والقمر.»¹، وقال ربحي كمال: «[في السريانية] "سَهْرًا": القمر والهلال، والهلال، ومثلها "سَهْر" في العبرية. [و] في العربية "الشَّهر" يطلق على القمر وعلى الهلال؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: 185] أي الهلال، جاء في لسان العرب: «والشهر: القمر، سمي بذلك لشهرته وظهوره.»² وفي الحديث: «صوموا الشهر وسره.» قال ابن الأثير: «الشهر الهلال، سمي به لشهرته وظهوره؛ أراد صوموا أول الشهر وآخره.»³ والعرب تقول: رأيت الشهر، أي رأيت هلاله. قال ذو الرمة:

يَرَى الشَّهْرَ قَبْلَ النَّاسِ وَهُوَ نَجِيلٌ⁴

فَأَصْبَحَ أَجْلَى الطَّرْفِ مَا يَسْتَرِيذُهُ

وفي العربية الساهور: القمر 5. 6

فإذا كان التقارب بين هذه اللغات واضح إلى هذه الدرجة، فما أصل هذه اللغات خاصة إذا علمنا أن موطنها الأصلي هو شبه الجزيرة العربية كما تقدم؟

العربية أصل الساميات:

يذهب الهلالي إلى أن: «الرأي الصحيح الذي عليه المحققون من علماء هذا الشأن أنّ اللّغة العربيّة هي الأصل وسائر اللّغات السامية تفرعت عنها كما العامية عن الفصحى»⁷

ويوافقه الفراهي، قال: «العربية أحفظ وأقرب إلى الأصل، إن لم تكن هي الأصل.»⁸

ويقول الهلالي: «ومشتقات مادّة "ل م د" في اللّغة العبرانيّة كثيرة،

وأما في اللّغة العربيّة التي هي أصلها على الصحيح وقيل هي أختها الكبرى والأصل ضائع؛ فلم يُستعمل من هذه المادّة إلاّ

تلميذ.»⁹

وهذا ما أدى إلى اعتبار اللغات السامية لهجات للغة العربية؛ قال الأستاذ أحمد يوسف داود: «إنّ البيان اللغوي الأصل، المتكون بدنياً في شبه جزيرة العرب، هو الذي كان قيد الاستعمال في كل أرجاء الدائرة الحضارية العربية، حيث نما وتطور في فروع لهجية ظلت تتفاعل فيما بينها تفاعلاً متكاملًا دون انقطاع، حتى انتهت حصيلة كل ذلك إلى سيادة «مجموع لهجي حجازي» أساسه القرشية - وهو ما نسميه الفصحى - مع بقاء الفروع اللهجية قيد الاستعمال اليومي في بيئاتها، دون أن يخل ذلك بعروبة كل الأنساق اللهجية.»¹⁰

ولا شك أن انتشار الشعوب السامية أدى إلى الاختلاف بين هذه اللغات، ومن أمثلته:

1 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 28

2 ابن منظور: لسان العرب. ص 2351

3 ابن الأثير: النهاية. ص 498 وفيه: «وقيل: سرّه وسطه.»

4 ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي. ت: مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط2. 1416هـ/1996م. ص 642 وفيه: ضئيل بدل نجيل.

5 في اللسان: «السَّاهُورُ والشَّهْرُ القمر نفسه [في الأصل: نفس القمر]، والساهور دائرة القمر، وكلاهما سرياني.» ص 2133

6 ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السامية. ص 50 - 51

7 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 140

8 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ت: محمد أجمل أيوب الإصلاحي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط1. 2002م. ص 333

9 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 20

10 أحمد يوسف داود: الميراث العظيم. ص 229

الاختلافات بين العربية واللغات السامية:

اختلافات صوتية:

من أمثله في حروف المباني قول الهلالي: «وذكرت أن الدال المعجمة لا وجود لها في اللغة العبرانية أصالةً وإنما توجد الدال المهملة ويعرض لها الإعجام إذا جاءت بعد حركة ممدودة أو غير ممدودة أو سُكون ناقص». 1
وفي الحركات: قال: «أني لا مذت، بكسر التاء لأن تاء المتكلم في العبرانية مكسورة». 2

اختلافات صرفية:

قال محمد تقي الدين: «كلمة "تلموذ" بالدال المعجمة في اللغة العبرانية مشتقة من المصدر "لاموذ" وهو مصدر الفعل الثلاثي المعروف عند علماء هذا الشأن باسم "قال".

وذكرت بعض مشتقاته من الثلاثي:

إسم الفاعل: "لومذ" أي متعلم.

"يلمذ" بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه، ومعناه يتعلم

والفعل الرباعي "لمذ" بكسر اللام والميم المشددة، ومعناه "علم" من التعليم.

ومضارعُه "يلمذ" واسم الفاعل "لممذ".

فهو "تفعول" بزيادة التاء والواو ومعناه في اللغة التعليم. 3

اختلافات نحوية:

من الاختلافات النحوية بين العرب والعبريين، كما يقول الهلالي: «الفعل المضارع المبدوء بحرف من حروف "أنيت" عندهم في الأزمنة المتأخرة يختص بالمستقبل». 4، وهو مشترك بين الحاضر والمستقبل عندنا.

اختلافات معجمية:

قال محمد تقي الدين: «بعض الكلمات تهمل في إحداها وتوجد في الأخرى، وبعضها تقل فروعها ومشتقاتها في إحدى اللغتين وتكثر في الأخرى». 5

ومن آثار معرفة الهلالي للغات السامية: الاستعانة باللغات السامية في فقه الخطاب الديني:

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: 40]

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ إلى آخره يعني: إن الله تعالى شرع الجهاد والدفاع بحكمته البالغة، ابتلاء منه لعباده، وأمر المؤمنين أن يدافعوا عن أنفسهم ودينهم، ولو تركوا الجوا خاليا للمجرمين لتغلب أهل الباطل على أهل الحق، وعم الكفر والظلام وحيث تدهم معابد النصارى الخاصة بالرهبان وهي الصوامع، ومعابدهم العامة وهي البيع، ومعابد اليهود

1 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 19

2 المصدر نفسه. ص 21

3 المصدر نفسه. ص 19

4 المصدر نفسه. ص 21

5 المصدر نفسه. ص 20

وهي الصلوات، ومعابد المسلمين وهي المساجد التي يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولو شاء الله لأهلك المجرمين بعذاب من عنده، ولكن أراد سبحانه أن يبلو الناس بعضهم ببعض، لما في ذلك من الفوائد والنعم. 1

ثم قال: «والعجب من المفسرين الأولين فإنهم اختلفوا في معنى البيع والصلوات، وكل من يعرف شيئا من السريانية والعبرانية يعلم يقينا أن "البيع" معابد النصارى العامة، وأصل البيعة، بيضة بالسريانية، لأن السريانيين كثيرا ما يقبلون الضاد عينا، فيقولون للأرض: "أرعى"، وللبيضة: "بيعى"، وإنما سميت كنيسة النصارى بيعة عندهم، لأنهم كانوا يجعلون لها قبة على شكل بيضة، ثم عم استعمالها في كل كنيسة لهم، والصلاة معبد اليهود، فإنهم يسمون الصلاة "تَفْلَهُ" بسكون التاء وكسر الفاء ولام مشددة مفتوحة بعدها هاء لا ينطق بها، إلا إنهم يسمون كنيستهم "بيت تفله" أي: بيت الصلاة، والله در الإمام ابن جرير 2 فإنه فسر البيع بكنائس النصارى، والصلوات بكنائس اليهود، ولم يشك. 3

وقال في موضع آخر: «الصوامع: معابد الرهبان والراهبات التي انقطعوا فيها إلى العبادة وتركوا أمور الدنيا يريدون بذلك التقرب إلى الله والبعد عن فتنة الدنيا حسب اعتقادهم كما قال تعالى في سورة الحديد: ﴿وَهَبْنَاهُ آتَدْعُوهَا﴾ [الحديد: 27]، وقد أمر النبي ﷺ المسلمين إذا وقع بينهم وبين النصارى قتال أن يحترموا الرهبان والراهبات ولا يتعرضوا لهم بسوء إلا إذا اشتروا في القتال. والبيع: جمع بيعة، وهي في الأصل الكنيسة التي بنيت قبتها على شكل بيضة، لأن البيعة باللغة السريانية هي البيضة، قلبوا الضاد عينا كما فعلوا ذلك في ضاد الأرض فقالوا: "أرعا" ومن المعلوم عند من يعرف اللغة السامية أن الضاد تصعب على السريانيين والعبرانيين فيقبلونها ويبدلونها بحرف آخر، ثم عم لفظ البيعة كل كنيسة للنصارى.

والصلوات: جمع صلاة، وهي معبد اليهود ويسمى في اللغة العبرانية المستعملة إلى اليوم "بيت تفلان" أي بيت الصلاة. والمساجد: معابد المسلمين، وقد جاء الإسلام باحترام هذه المعابد، وسلط على كل ظالم مقاوما يردعه ويرده عن غيه، وما أحسن قول الشاعر:

ولا ظالم إلا سبيلى بظالم 4

وما من يد إلا يد الله فوقها

ومن آثار فقهاء رد الجهالات على الدين واللغة؛ قال محمد تقي الدين: «قد كنت نشرت في صحيفة "الأخبار" التي كانت تصدر في تطوان منذ سبع وعشرين سنة مقالا كذبت فيه ما ادعاه مؤلف كتاب "الإبريز" من أن الحرف الواحد من السريانية يساوي كلمة من اللغات الأخرى كالعربية مثلا 5، وذكرت أربعين كلمة من السريانية وقابلتها بالكلمات العربية، فكانت إما مساوية للكلمات العربية في عدد الحروف أو تزيد عليها وبينت أن السريانية والعربية والعبرانية أخوات مشتركات في الضمائر وأغلب القواعد التي يعتمد عليها في تركيب الجمل، وأن آلافا من الكلمات مشتركة بين اللغات الثلاث. 6»

الإعراب في ضوء اللغات السامية:

1/ معنى الإعراب:

أ/ الإعراب في اللغة:

قال ابن فارس: «أعرِب الرجل عن نفسه إذا بين وأوضح. 7»

1 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 83

2 انظر: ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن. ت: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. ط 1. 1420 هـ / 2000 م. 18 / 648، وفيه عن الضحاك:

﴿وَصَلَوْتُ﴾ كَنَائِسُ الْيَهُودِ، وَيَسْمُونَ الْكَنِيسَةَ: صَلَوَاتًا. 18 / 649

3 المصدر السابق. 2 / 83-84

4 الهلاي: الموازين والضوابط. ص 15

5 قال عبد العزيز الدباغ: «إن اللغات كلها مطبنة بالنسبة للسريانية لأن الكلام في كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية، وفي السريانية يتركب من الحروف الهجائية، فكل حرف هجائي في السريانية يدل على معنى مفيد، فإذا جمع إلى حرف آخر حصلت منها فائدة الكلام، ومن عرف لأي معنى وضع كل حرف هان عليه فهم السريانية وصار يتكلم بها كيف يجب وارتقى إلى معرفة أسرار الحروف.» أحمد بن المبارك السجلهاسي المالكي: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط 3. 1423 هـ / 2002 م. ص 183

6 الهلاي: حديث مع زائر كريم. ص 22

7 أحمد بن فارس: مقاييس اللغة. ت: عبد السلام هارون. دار الفكر. بيروت. لبنان. 1399 هـ / 1979 م. 4 / 299

وقال: «إعراب الكلام أيضا من هذا القياس لأن بالإعراب يفرق بين المعاني في الفاعل والمفعول والنفي والتعجب والاستفهام وسائر أبواب هذا النحو من العلم.»¹

وقال ابن جني: «أعربت عن الشيء إذا أوضحت عنه، وفلان معرب عما في نفسه أي مبين له، وموضح عنه.»²

ب/ الإعراب في الاصطلاح:

عرفه ابن هشام بأنه أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة³، والمراد بالأثر: ما يحدثه العامل من الحركات الثلاث أو السكون وما ينوب عنها.

قال سيبويه: «هذا باب مجاري أو آخر الكلم من العربية؛

وهي تجري على ثمانية مجارٍ؛ على النصب، والجر، والرفع، والجزم، والفتح، والضم، والكسر، والوقف.

وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب؛ فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر - فيه ضرب واحد،

وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف.

وإنما ذكرت ثمانية مجارٍ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه -،

وبين ما يُبنى عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عاملٍ منها ضرب من اللفظ في الحرف،

وذلك الحرف حرف الإعراب؛ فالرفع والنصب والجزم لحروف الإعراب.»⁴

2/ أهمية الإعراب:

قال أبو القاسم الزجاجي (ت 337 هـ): «فإن قال قائل: قد ذكرت أن الإعراب داخل في الكلام فما الذي دعا إليه واحتيج إليه من

أجله؟

فالجواب أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضafa إليها، ولم يكن في صورها وأبنيتهما

أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني؛

فقالوا: ضرب زيد عمراً؛ فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وينصب عمرو على أن الفعل واقع به.

وقالوا: ضرب زيد؛ فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد على أن الفعل ما لم يُسمَّ فاعله وأن المفعول قد ناب منابه.

وقالوا: هذا غلامٌ زيد؛ فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه،

وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها.»⁵

ولقد ظهرت أربعة آراء في العلامة الإعرابية:

الرأي الأول: العلامات الإعرابية هي علامات على المواقع النحوية، فيحصل بها التمييز بين الفاعل والمفعول، واسم كان وخبرها..

قال أبو القاسم الزجاجي: «إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة ومضafa إليها، ولم يكن في

صورها وأبنيتهما أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد

عمراً، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له، وينصب عمرو على أن الفعل واقع به، وقالوا: ضرب زيد؛ فدلوا بتغيير أول الفعل، ورفع

زيد على أن الفعل ما لم يُسمَّ فاعله، وأن المفعول قد ناب منابه، وقالوا: هذا غلامٌ زيد، فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه،

1 أحمد بن فارس: مقاييس اللغة. 4/ 300

2 أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص. 1/ 36

3 ابن هشام: قطر الندى وبل الصدى. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط. 1. 1423 هـ/ 2002 م. ص 6

4 سيبويه: الكتاب. ت: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة، ودار الرفاعي. الرياض. ط. 2. 1402 هـ/ 1982 م. 1/ 13

5 الزجاجي: الإيضاح على علل النحو. ت: مازن المبارك. دار النفائس. بيروت. لبنان. ط. 3. 1399 هـ/ 1979 م. ص 69

وكذلك سائر المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها، ليتسعوا في كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعاني. 1

الرأي الثاني: رأي قطرب (ت: 206 هـ)، فقد ذهب إلى أن الإعراب للوصل بين الكلمات، قال قطرب: «إنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام، ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطؤون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان. 2

وانتقد الرأي الأول بقوله: «لم يعرب الكلام للدلالة على المعاني، والفرق بين بعضها وبعض، لأننا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب مختلفة المعاني، وأسماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني؛

فما اتفق إعرابه واختلف معناه قولك: إن زيذاً أخوك، ولعل زيذاً أخوك، وكأن زيذاً أخوك: اتفق إعرابه واختلف معناه، وما اختلف إعرابه واتفق معناه قولك: ما زيذاً قائماً، وما زيد قائم، اختلف إعرابه واتفق معناه، ومثله: ما رأيت من يومين، ومنذ يومان، ولا مال عندك، ولا مال عندك، وما في الدار أحداً إلا زيد، وما في الدار أحد إلا زيذاً، ومثله: أن القوم كلهم ذاهبون، وأن القوم كلهم ذاهبون، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154]، ﴿وَالْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: 154]، قريء بالوجهين جميعاً. 3

نقد:

لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرة، ورفع آخرى ونصبه، وجاز نصب المضاف إليه، لأن القصد في هذا إنما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام، وأي حركة أتى بها المتكلم أجزأته فهو مخير في ذلك. وفي هذا فساد للكلام، وخروج عن أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم 4. يقول الدكتور إبراهيم السامرائي في رأي قطرب: «وهذا الرأي في جملته غريب، وقد انفرد فيه صاحبه، ولم يؤيده فيه إلا الدكتور إبراهيم أنيس بعد أكثر من أحد عشر قرناً، ووجه الخطأ في هذا الرأي أن العربية كانت معربة منذ أقدم العصور والنصوص شاهدة على ذلك. 5 ولكل مثال مما ذكره قطرب علة 6.

إن الحركة علامة إعرابية تميز بين عناصر الجملة، إلا إذا كان الإعراب تقديرياً أو محلياً أو بالحذف، فلا تظهر العلامة، ويُلبغ إلى قرائن أخرى لتحديد الفاعل من المفعول، وكلها لها أبواب في النحو. وهذا لا ينفي أن لها دوراً في وصل الكلمات.

1 الزجاجي: الإيضاح على علل النحو. ص 69-70

2 المرجع نفسه. ص 70-71

3 المرجع نفسه. ص 70

4 المرجع نفسه. ص 71

5 إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط 3. 1983م. ص 121

6 الزجاجي: الإيضاح على علل النحو. ص 71

3/ حالات الإعراب في اللغات السامية:

قال بروكلمان: « وأنه ليلظن أن السامية الأولى، كانت تفرق بين حالة الرفع، بوصفها حالة تحديد للمسند إليه، وربما المسند أيضاً، بالنهاية: $[u]=\text{[}^{\text{u}}]$ ، وحالة الجر بوصفها حالة تحديد للاسم، بالنهاية: $[i]=\text{[}^{\text{i}}]$ ، وأخيراً حالة النصب بوصفها حالة تحديد للفعل بالنهاية $[a]=\text{[}^{\text{a}}]$. »¹

وقال: « احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة، غير أن الحركات قد قصرت، ولا تحتفظ بطولها إلا في الوقف والقافية أحياناً، وقد بقيت طويلة دائماً، في كلمات القرابة في حالة الإضافة: "أب" و"أخ" و"حم"؛ تلك الكلمات التي يعوض فيها سقوط لام الكلمة، بهذا الطول للحركة. »²

وأحسب الشيء نفسه أصاب لهجاتنا العامية؛ قال محمد تقي الدين في معرض حديثه عن خطأ في النطق وهو حذف تاء التانيث المتحركة والاقتران على حركة ما قبلها وهي الفتحة؛ فبعضهم يمدّها فينشأ عنها ألف وأكثرهم لا يمدّها مثل "الأجهز الإعلامية" و"الأسمد الكيماوية" و"الطاق البشرية": « والعجب كلّ العجب أنّ هذا الفساد نفسه قد سبق إليه العبرانيون والسريانيون منذ آلاف السنين، فإنّ الرأي الصحيح الذي عليه المحققون من علماء هذا الشأن أنّ اللّغة العربيّة هي الأصل وسائر اللّغات السّاميّة تفرعت عنها كما العاميّة عن الفصحى ومن العجب أنّ التطوّر الذي وقع في اللّغة العبرانيّة واللّغة السريانيّة هو بعينه الذي وقع في اللّغة العاميّة، فإنّ العبرانيّة والسريانيّة كان فيهما إعراب في الأصل، ولا تزال بقاياها في اللّغة العبرانيّة، ولما كثر الجهل بالقواعد فيها أخذ الإعراب يزول شيئاً فشيئاً، حتّى صار معدوماً بالمرّة، ولنضرب لذلك مثلاً: المرأة في اللّغة العبرانيّة اسمها "اشه" وأصلها "اشة" فتقول مثلاً: «ها اشه طوبه» فمعناه: المرأة الطيّبة، و"ها" هي أداة التعريف بمنزلة الألف واللام في العربيّة، فالأصل: «ها اشه طوبه»، فلما وقع الفساد وتغيّرت اللّغة عن أصلها وانحرفت عنه حُذفت هاء التانيث في الكلمتين وأُبدلت بألف مدّ، كما يُقال في العاميّة: «الغرفا العليا» وعربيتها في الأصل: «الغرفة العالية»، والدليل على ذلك أنّك إذا أضفت كلمة "اشه" يظهر الأصل فتقول: «اشه خا طوبه» معناه امرأتك طيّبة، ولذلك اشتدّ ألمي وعظمت حسرتي، لأننا إذا سرنا في هذا الطريق يزول الإعراب من لغة القرآن، وتبعّد عن أصلها كلّ البعد كما بعدت أختاها. »³

وفي هذا رد على منكري الإعراب ومنهم صديق الهلاي باول كاله 4 (Paul Kahle) الذي عقد في كتابه "الذخائر القاهرية" فصلاً عنوانه: "نص القرآن العربي" يقول فيه: «جمع نص القرآن بعد وفاة النبي ﷺ بمدة وجيزة في عام (632 م)، وأخذ شكله النهائي في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (644-655 م)، وهنا قامت مشكلة كيف يُقرأ هذا النص ويرتل؟ فقد ولد محمد ﷺ بمكة، وانحدر - كمعظم مواطنيه - من القبيلة العربية: قريش.

وكانت اللغة العربية التي يتكلمها هي لغة المواطن المثقف في مكة. والنص القرآني الخالي من الضبط بالشكل يعكس بوضوح اللغة العربية التي كانت تتكلم في مكة، غير أنّ العرب كانوا قد تعودوا أن يعدوا اللغة البدوية نموذجاً للنطق الصحيح، فبهذه اللغة نظم الشعر العربي الجاهلي، وكان كل عربي مزهوا بذلك. وإذا كانت كلمة الله لا يصح أن ترتل بلغة أقل مستوى من أي 5 لغة أخرى، فقد بدأت العواصم الإسلامية في ذلك العصر المبكر المبكر - في الكوفة، والبصرة، والمدينة، ومكة - دراسة نشيطة للشعر البدوي، فكان الرجال المهتمون بهذا النمط في اللغة العربية

1 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 100

2 المرجع نفسه والصفحة.

3 الهلاي: تقويم اللسانين. ص 140-141

4 ترجم مع الهلاي في جامعة بون: كتاب البلدان لابن الفقيه البغدادي، وظيف الخيال لمحمد بن دانيال الموصل.

5 في الأصل أية، والمثبت هو الصواب. انظر: الهلاي: تقويم اللسانين. ص 29

يذهبون إلى جيرانهم من البدو، ويجمعون ما أمكنهم من أشعارهم، وما يتصل بها من الحكايات، وهي في الغالب أخبار عن الحروب الصغيرة التي جمعت تحت عنوان: «أيام العرب».

وقد اتخذت المادة التي جمعت بهذه الطريقة أساساً للعربية النموذجية التي ابتدعتها النحويون، ثم حذبت لغة القرآن على نمطها، ومع ذلك لم تتغير كتابة المصحف، بل ابتدعت طريقة تُضاف فيها علامات مختلفة إلى النص، لضمان صحة القراءة.¹

قال الدكتور رمضان عبد التواب: «قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «إن إعراب القرآن لأحب إليّ من حفظ بعض حروفه».

وقال ابن مسعود: «جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه؛ فإنه عربي، والله يحب أن يُعرب...».

وقد علق كاله على كلمة: "إعراب" في نص أبي بكر الصديق، بقوله: الإعراب يعني الحركات في أواخر الكلمات العربية طبقاً لقواعد العربية الفصحى.

وقد استنتج كاله من ذلك أنّ الإلحاح على طلب قراءة القرآن بالإعراب لا يبدو معقولاً إلا إذا كان يُقرأ في الواقع بدون إعراب، وأريد له أن يُقرأ بالإعراب الذي عُدّ في وقت متأخر من مظاهر القُحّة اللغويّة.

وهو مخطئ في استنتاجه ذلك، لأنّ الإعراب بمعناه الاصطلاحي لم يكن معروفاً في أيام أبي بكر وابن مسعود.

ومعنى كلمة إعراب القرآن في هذه الأحاديث - إن لم تكن مزيفة - هو الوضوح والبيان في قراءة القرآن الكريم.²

1 رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر. ط. 6. 1420هـ/1999م. ص 378-379

2 المرجع نفسه. ص 379-380

المطلب الثالث:

المعرب في القرآن الكريم

أولاً: تعريفه:

لغة: اسم مفعول من الفعل عَرَّبَ، يُعَرَّبُ، تَعَرَّبًا، فالمُعَرَّبُ: الذي جُعِلَ عَرَبِيًّا.

اصطلاحاً: قال في "اللسان": «تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها»¹

وعرف الهلالي العجمة، فقال: «العجمية في لسان العرب: الإخفاء وضد البيان، فالأعجمي المراد به: الذي لا يفصح وإن كان ينزل

البادية»²، ومن أمثلة الاسم الأعجمي المُعَرَّبُ: «الفرسخ؛ فهو ثلاثة أميال، وهو فارسي معرب 4»³

ثانياً: دوافع التعريب:

ركّز الهلالي في مقاله "ما وقع في القرآن بغير لغة العرب" على سبب رئيس للتعريب هو ضرورة التواصل مع الأمم الأخرى في

المعاملات التجارية ففي تفسير قول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ

أَفْعِدَّةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ [إبراهيم: 37]

قال الهلالي: «ذكر إبراهيم في دعائه أنه أسكن ذريته يعني إسماعيل وآله بواد غير ذي زرع وهو وادي مكة، وإذا لم يكن فيه زرع لم

تكن فيه ثمرات، وذكر في أثناء دعائه ومناجاته لربه أنه أسكن ذريته بذلك الوادي المقفر ليقيموا الصلاة أي يؤدّوها قائمة كاملة عند

بيت الله، ويعبّده، فسأل الله أن يجعل قلوب الناس تهوي إلى ذريته، أي تُسرع إليهم شوقاً ومحبةً، وتمدهم بما يحتاجون إليه وأن

يرزقهم من الثمرات التي تجلب إليهم من الآفاق والأقطار المختلفة، ليشكروا الله على ذلك فيزيدهم، وقد استجاب الله دعوته

فصارت أنواع الحبوب والثمار والتوابل والأدوات والثياب والتحف والطرائف تجلب إلى مكة من جميع أنحاء المعمورة، وهذه

الأمر التي تجلب إليها كثير منها وُضعت أسأؤها في البلدان التي تصدر منها؛ فإذا جاءت إلى أهل مكة تسمونها بالاسم الذي جاءت

به، فتندمج في لغتهم وتصير جزءاً منها»⁶

قال: «وقد أخبرنا القرآن أنّ قريشا كانت لهم رحلتان 7: رحلة في الشتاء إلى جنوب الجزيرة العربية، ورحلة في الصيف إلى الشام،

وكانوا تجاراً ينقلون البضائع من بلد إلى بلد، وكانت مكة شرفها الله تعالى مركزاً عظيماً للتجارة قبل الإسلام فكانت تنقل إليها

البضائع من الشرق والغرب والجنوب والشمال، فكيف يتصور أنّ لغة العرب تبقى مغلقة محتوماً عليها لا تخرج منها كلمة ولا

تدخلها كلمة؟!»⁸

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 2865

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 299

3 قال الهلالي: «وجدت في كلام السلف ما يدل على أن الميل ألف وخمسمائة متر، لأنهم نصوا على أن المسافة بين جدة ومكة أربعون ميلاً، وهي محصاة الآن ومعلومة فهي

ستون كلمتراً.» شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل لعبد القادر منير. ص 688

4 قال الأستاذ عبد النعيم محمد حسنين: «فرسنگ: فرسخ: ست كيلو مترات.» قاموس الفارسية؛ فارسي/عربي. دار الكتاب المصري. القاهرة/ دار الكتاب اللبناني.

بيروت. ط. 1. 1402 هـ/ 1982 م. ص 492

5 الهلالي: الصبح السافر في حكم صلاة المسافر. دون معلومات نشر. ص 22

6 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 20-21

7 قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ فَرْدِيْنًا ۖ لِيُؤْتِيَهُمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢١﴾﴾ [قريش: 1-2] قال في اللسان: «ألف الشيء ألفاً وإيلاًفاً وولافاً، الأخيرة شاذة، وألفناً، وألفه:

لزمه.» لسان العرب. ص 108، وقال مساعد بن سليمان الطيار: «لأجل نعمته عليهم بإيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن، والصيف إلى الشام؛ أي: ما ألفوه واعتادوه من

اجتماعهم في رحلتهم للشام واليمن من أجل التجارة.» تفسير جزء عم. دار ابن الجوزي. الرياض. السعودية. ط. 2. 1422 هـ. ص 235

8 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 21، والافتراض اللغوي ظاهرة عامة في اللغات بسبب احتكاك مستعمليها، قال الهلالي: «لا يزال اسم مصنع الأسلحة

باللغة الإسبانية والفرنسية والإنكليزية "أرسنل" وهو تحريف لدار الصنعة.» رأي في تحديد النسل والعدوى 1. مجلة دعوة الحق، السنة السادسة، العدد السادس. شوال،

1382 هـ/ مارس 1963 م. ص 8

فالحاجة والضرورة هي التي دفعت العرب إلى تعريب الأسماء التي تفرد بها غيرهم؛ فلا خلاف بين علماء اللغة في وجود كلمات أعجمية عربتها العرب، ونظمت بها على سنن كلامها، إننا الخلاف في المعرب: أ هو موجود في القرآن الكريم أم لا؟

ثالثا: منشأ الخلاف في وقوع المعرب في القرآن الكريم:

ذكر الهلالي أن الأئمة الذين أنكروا وجود كلمات غير عربية في القرآن تسمكوا بظاهر قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2]، وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿ لِسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل: 103] وما أشبه ذلك 7.

فمنشأ الخلاف هو تفسير هذه الآيات؛ فـ ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ هل معناه أن كل كلماته أصولها عربية خالصة، أو المعنى: كل ما في القرآن من الكلمات كانت تنطق به العرب وتفهمه وهو جار على سنن كلامها « وإن كانت بعض الكلمات أصولها أعجمية غير عربية؟

رابعا: الخلاف في وجود المعرب في القرآن الكريم:

نقل الهلالي عن السيوطي مذاهب العلماء في وجود المعرب في القرآن الكريم في مقاله " ما وقع في القرآن بغير لغة العرب " وهذا تلخيصها من المقال المذكور.

المذهب الأول: الإنكار:

قال السيوطي: « الأكثرون؛ ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت: 44]، وقد شدد الشافعي التكرير على القائل بذلك .

وقال أبو عبيدة: «إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ومن زعم أن ﴿ لَدْنَا ﴾ [مريم: 97] بالنبطية فقد أكبر القول.» 2 « 3

قال الشافعي: « أقام الله ﷻ حجته في كتابه بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَعْجَمِيًّا فَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [النحل: 103]، وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت: 44] 4

وقال أبو عبيدة: «أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن ﴿ طه ﴾ [طه: 1] بالنبطية فقد أكبر، وإن لم يعلم ما هو، فهو افتتاح كلام، وهو اسم للسورة وشعار لها.

وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه ومعناها واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها؛ فمن ذلك الاستبرق بالعربية، وهو الغليظ من الديباج والفرنند، وهو بالفارسية: إستبره 5، وكوز 6، وهو بالعربية: جوز 7، وأشباه هذا كثير.

1 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 21

2 أبو عبيدة: مجاز القرآن. ت: فؤاد سزكين. مؤسسة الرسالة. ط. 2. 1401 هـ. 1 / 17

3 السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ت: مركز الدراسات القرآنية. المدينة النبوية. ص 934-935، و: الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 22

4 محمد بن إدريس الشافعي: الرسالة. ت: أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ص 47

5 قال عبد النعيم محمد حسنين: «إستبر: السميك، الغليظ، الضخم، ومثلها ستره، وإصطبره، وستبره.» قاموس الفارسية؛ فارسي/عربي. ص 68

6 قال عبد النعيم محمد حسنين: «كوز: جوز.» المرجع نفسه. ص 578

7 قال ابن منظور: «الجوز الذي يؤكل، فارسي معرب، وقد جرى في كلام العرب وأشعارها.» لسان العرب. ص 726

ومن زعم أن ﴿حِجَارَةٌ مِّنْ سِجِّيلٍ﴾ [هود: 82] بالفارسية، فقد أعظم - من قال: إنه: «سنگ» و«كل» - إنما السجيل: الشديد... ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كف عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع. 2

واحتج ابن فارس بدليل عقلي على إنكار المعرب في القرآن، فقال: «لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.» 3

قال محمد تقي الدين معقبا: «إنما يمكن أن يقال ذلك إذا كان في القرآن تراكيب أعجمية، أو كلمات باقية على عجمتها، أما وجود كلمات قد صقلتها العرب بألستها ونحت بها مناحي كلماتها ودخلت في أوزانها فلا يمكن أحدا أن يدعي ذلك فيها، وقد رد القرآن نفسه على من زعم ذلك من أعداء الإسلام الأولين، فقال تعالى في سورة النحل (103): ﴿وَلَقَدْ فَعَلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾،

وتحدهم أن يأتوا بسورة مثله بأشد أساليب التحدي، فقال تعالى في سورة البقرة (23-24): ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰكِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٤)

وقال تعالى في سورة الإسراء (88): ﴿قُل لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨)

فأي عدو يسمع مثل هذا التحدي لا يبذل قصارى جهده في معارضة عدوه وإبطال تحديه؟... ولم يقل أحد من العرب المعادين للإسلام إن الذي منعهم من معارضة القرآن هو وجود كلمات فيه غير عربية «بل سلموا أنه كله عربي.» 4

أما قول الطبري الذي نقله السيوطي، وهو: «ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظ القرآن أنها بالفارسية أو الحبشية أو النبطية أو نحو ذلك إنما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد.» 6
فتعقبه محمد تقي الدين الهلالي بقوله: «ابن جرير إمام المفسرين في زمانه وما بعده وقد أخطأ في هذا الرأي إذ لا يمكن أن تتكلم هذه الشعوب المتباينة في أنسابها ولغاتها المتباعدة في أوطانها على سبيل المصادفة والاتفاق وتوارد الخواطر بتلك الكلمات الكثيرة العدد.» 7

وأنكر الهلالي أن يكون المثبتون محتجون بهذا، فقال: «على أن الذين قالوا في القرآن كلمات كانت في الأصل غير عربية ثم صارت بالاستعمال عربية لم يقل أحد منهم أن الكلمة التي أصلها فارسي قد اتفق فيها الفرس مع العرب والنبط والحبشة، بل إذا كانت الكلمة فارسية كالأباريق مثلا لم تكن حبشية ولا نبطية، والكلمة التي قيل إنها حبشية كـ ﴿أَبْلَعِي﴾ من قوله تعالى: ﴿يَتَأْرَضُونَ أَبْلَعِي مَاءَهُ﴾ [هود: 44] لم يقل أحد أنها توافق الفارسية والنبطية.» 8

1 قال عبد النعيم محمد حسنين: «سنگ: حجر.» قاموس الفارسية. ص 385، وقال: «گل: الطين.» المرجع نفسه. ص 572

2 أبو عبيدة: مجاز القرآن. 1/ 17-18

3 السيوطي: الإقتان في علوم القرآن. ص 935، و: الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 22

4 المصدر نفسه. ص 22-23

5 انظر: القول في البيان عن الأحرف التي اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفظ غيرها من بعض أجناس الأمم. في جامع البيان للطبري. 1/ 13-20

6 السيوطي: الإقتان في علوم القرآن. ص 935، و: الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 25

7 المصدر نفسه والصفحة.

8 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 25-26

المذهب الثاني: الإثبات:

قال الهلالي: «ثم ذكر السيوطي آراء أخرى يظهر زيفها عند الإمتحان فأعرضت عن نقلها.»¹ ومن هذه الأقوال قول السيوطي: «وذهب آخرون إلى وقوعه فيه.

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: 113] بأن الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً، والقصيدة الفارسية لا تخرج عنها بلفظة فيها عربية.

وعن قوله: ﴿ءَأَعَجَبْتُمْ وَعَرَبِيًّا﴾ [فصلت: 44]؛ بأن المعنى من السياق 2: أكلام أعجمي ومخاطب عربي؟³

وقال: «وأقوى ما رأته للوقوع، وهو اختياري، ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل؛ قال: في القرآن من كل لسان 4.»⁵

وعلى سبب اختياره بقوله: «حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبا كل شيء، فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن؛ لئتم إحاطته بكل شيء، فاختر له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب.»⁶ للعرب.⁶

أي هذه الكلمات أصولها عربية مع وجودها في لغات أخرى، فما تفسير ذلك؟

المذهب الثالث: التوفيق:

قال الهلالي: «قال السيوطي: «قال غيره 7: بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم أسفارهم فعلمت من لغاتهم ألفاظاً غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن.»⁸

قال الهلالي: «هذا هو الحق الذي لا ريب فيه.»⁹

وهو مذهب أبو عبيد القاسم بن سلام إذ يقول: «والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأخرى أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنّها وقعت للعرب فعرّبتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن بها وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنّها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق.»¹⁰ ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون¹¹.

خامساً: الألفاظ المعربة في القرآن:

قال السيوطي: «قد نظم القاضي تاج الدين بن السبكي منها سبعة وعشرين لفظاً في أبيات، وذيل عليها الحافظ أبو الفضل بن حجر بأبيات فيها أربعة وعشرين لفظاً، وذيلت عليها بالباقي، وهو بضع وستون فتمت أكثر من مائة لفظاً.

1 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 26

2 قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَأَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَءٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: 44]

3 السيوطي: الإلتقان في علوم القرآن. ص 937

4 انظر: تفسير الطبري. 1 / 14

5 المرجع السابق. ص 937

6 المرجع نفسه. ص 938

7 هو ابن عطية في المحرر الوجيز. 1 / 36

8 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 26

9 المصدر نفسه والصفحة.

10 السيوطي: الإلتقان في علوم القرآن. ص 940، والهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 26

11 المصدر نفسه. ص 940-941

فقال ابن السبكي:

رومٌ وطوبى وسبيل وكافور
إستبرق صلوات سندس طور
ق ودينار والقسطاس مشهور
ويؤت كفلين مذكور ومسطور
فيما حكى ابن دريد منه تنور 1

السلسبيل وطه كورت بيع
والزنجبيل ومشكاة سرادق مع
كذا قراطيس ربانهم وغسا
كذلك فسورة والييم ناشئة
له مقاليد فردوس يعد كذا
وقال ابن حجر:

السري والأب ثم الجبت مذكور
دارست يصهر منه فهو مصهور
وأوي معه والطاغوت مسطور
ثم الرقيم مناص والسنا النور 2

وزدت حرّم ومهل والسجل كذا
وقطنا وإنهاء ثم متكنا
وهيت والسكر الأواه مع حصب
صرهن إصري وغيض الماء مع وزر
وقلت:

ت ثم سين شطر البيت مشهور
جان ويم مع القنطار مذكور
ء والأرائك والأكواب مأثور
هون يضدون والمنساء مسطور
ريون كنز وسجين وتبير
إل ومن تحتها عبّدت والصور
جاة وسيدها القيوم موقور
وسجدا ثم ريون تكثير
عدن ومنفطر الأسباب مذكور
مافات من عدد الألفاظ محصور
والآخره لمعاني الضد مقصور 3

وزدت يس والرحمن مع ملكو
ثم الصراط ودري يحور ومر
وراعنا طفقا هذنا ابلعي وورا
هود وقسط وكفر رمزه سقر
شهر مجوس وإفقال هود حوا
بعير أزر حوب وردة عرم
ولينة فومهار هو وأخلد من
وقمل ثم أسفار عنى كتبا
وحطة وطوى والرس نون كذا
مسك أباريق ياقوت روا فهنا
وبعضهم عد الأولى مع بطائنها

سادسا: التأصيل اللغوي للمعرب في ضوء اللغات السامية:

ذكر ابن السبكي سبعة وعشرين لفظا، وزاد ابن حجر خمسة وعشرين، وزاد السيوطي ثمانية وستين؛ فبلغ مجموع الألفاظ التي حسبها السيوطي أعجمية مُعرّبة مائة وعشرين لفظا، فهو لم ينتقد كلمة واحدة مما نقله عن ابن السبكي، وعن ابن حجر؛ فظهر بهذا أنه يجمع أقوال من سبقه.

قال محمد تقي الدين الهلالي: «المؤلف في هذا الموضوع يحتاج إلى إلمام باللغات التي قيل أنّ بعض مفرداتها قد عرّب ودخل في القرآن، فإن لم يعلم بها كلها فلا أقلّ من الإلمام ببعضها، وأكثر علماء العرب مقصرون في علم اللغات، والذين يعرفون شيئا من اللغات الأخرى منهم قليل.»⁴

1 السيوطي: الإلتقان في علوم القرآن. ص 972

2 المرجع نفسه. ص 973

3 المرجع نفسه. ص 974

4 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 23

لأن: «هذه الكلمات الكثيرة المشتركة بين اللغات السامية هي أصلية في كل واحدة منها؛ لا يقال إن إحداها أخذتها من الأخرى، وهذا هو الشأن في كل مجموعة من اللغات ترجع إلى أصل واحد، كاللغات اللاتينية كإيطالية والإسبانية والفرنسية والرومانية والبرتغالية، ومجموعة اللغات الجرمانية كالألمانية والهولندية والفلمنكية والسويدية والنرويجية والدانماركية.»¹

ويقول طه باقر: «تلك الكلمات التي دخلت إلى لغتنا العربية من تراثنا اللغوي القديم؛ من البابلية والآشورية والسومرية، وقد انتقلت إلى العربية إما عن طريق اللغات القديمة الأخرى كالفارسية القديمة والآرامية والعبرانية التي اقتبستها بدورها من تراثنا اللغوي القديم فوسمتها معجماتنا العربية بأنها فارسية أو أعجمية ودخيلة لأن لغات العراق القديم التي ينبغي تأصيلها إليها قد ماتت من الاستعمال ولم يمتد الباحثون إلى حل رموزها ومعرفة نصوصها إلا منذ منتصف القرن التاسع عشر الماضي، فانكشفت آفاق بعيدة في الدراسات اللغوية والمعجمية مما يحتم على باحثينا اللغويين أن يعيدوا النظر في تلك التسمية الغامضة التي أطلقتها معجماتنا

على طائفة كبيرة من المفردات، أي: الدخيل والأعجمي، في حين أنها في واقع الأمر من قبيل "هذه بضاعتنا ردت إلينا"² وينوه بأهمية دراسة اللغات السامية، فيقول: «على أن هذا النقص الذي أشرت إليه في معجماتنا العربية لا يضيرها ويقلل من شأنها، ذلك لأن معرفة لغويينا بما يسمي اللغات السامية أو الأصح اللغات أو اللهجات العربية القديمة كانت ناقصة محدودة إلى درجة كبيرة لأن ما كان معروفا من هذه اللغات اقتصر على العبرانية والآرامية والحبشية، ولم تكن اللغات السامية الأقدم منها مثل البابلية والآشورية «الأكدية» والكنعانية قد كشف عنها النقاب... ذلك الكشف الذي يعد من أروع ما حققته التحريات والبحوث الأثرية الحديثة والدراسات اللغوية المقارنة بين تلك اللغات وتأكيد كونها من أصل واحد... وإن عدم معرفة اللغويين العرب القدماء بهذه الحقيقة قد أوقعهم في أخطاء ومزالق في تأصيلهم لكثير من الألفاظ العربية، وقد ذهب بعضهم الوهم أنه أرجع كثيرا من المفردات التي لا غبار على أصلها العربي إلى السريانية مثلا بمجرد وجودها في السريانية، وقد فاتهم للأسباب التاريخية التي نوهنا بها أن مرد التشابه في اللفظ والمعنى ليس إلى اقتباس العربية من السريانية أو غيرها من اللغات السامية، بل إن هذا التشابه ناشئ من حقيقة كون السريانية والعربية تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة.»³

ومع أن علماء اللغات لا يعدون اللغة الفارسية القديمة من اللغات العربية (السامية) إلا أنها صارت وسيطا لغويا جاءت إلينا عن طريقها طائفة من المفردات البابلية، وهو مما نجده نعت في معجماتنا العربية بالأعجمي أو الدخيل⁴.
والأمر نفسه يقال في اللغة الإغريقية (اليونانية)؛ قال الأستاذ عبد الرحمن عطية: «تستحيل دراسة العلميات الإغريقية، وأيضا دراسة معجم اليونانية، لوما دوام اللسان العربي، من خلال لغاته العدة، اللواتي تشدهن إلى بعضهن أو أصر قرابة متباينة نحويا وصرفا ومعجميا.

[فبعد] ألفي سنة بعد مجيء العهد المسيحي، يسمح لنا معجم مبتذل للغة العربية بحل معضلات المعنى الأصلي لتسمية الأماكن والأشخاص والشعوب... إلخ، المستعملة في بلاد الإغريق منذ أكثر من ثلاث آلاف سنة.»⁵

سابعا: كلمات أصيلة في اللغات السامية عُدت معربة:

﴿أَبْلَعِي﴾ [هود: 44]

قال السيوطي: «أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه في قوله تعالى: ﴿أَبْلَعِي مَاءَكِ﴾ [هود: 44] قال: «بالحبشية: ازدرديه»، وأخرج أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال: «أشربي بلغة الهند.»⁶

1 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27

2 طه باقر: من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل. مكتبة لبنان. بيروت. 2001م. المقدمة. ه

3 المرجع نفسه. المقدمة. ح

4 المرجع نفسه. المقدمة. ط

5 عبد الرحمن عطية: تاريخ العربية لسان العالمين. ص 219

6 السيوطي: الإقتان في علوم القرآن. ص 941، والهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 31

قال محمد تقي الدين: «وإن تعجب، فعجب قولهم أن: ﴿أَبْلَعِي﴾ بلغة أهل الهند، وهذا القول إلى الهزل أقرب منه إلى الجد وقائله ليس أهلاً أن يؤخذ عنه العلم، وإنما هو يهرف بما لا يعرف.

وأهل الهند أجناس كثيرة لهم مئات من اللغات ولا تكاد تسير مسافة يوم إلا وجدت جنسا آخر له لغة أخرى، وفي زماننا هذا نرى الدماء تسفك بينهم بسبب اللغات فلا يرضى جنس أن تكون لغة الدولة لغة أخرى غير لغته، وفي زمان الاستعمار لم تكن في الهند لغة يستطيع المسافر أن يتكلم بها ويجد من يفهم كلامه في جميع أنحاء الهند إلا لغتين إحداهما الإنكليزية وهي لغة الدولة الحاكمة، والثانية لغة المسلمين وهي لغة أوردو.

على أن "بلع" كلمة عربية سامية أصيلة عريقة في عروبتها وساميتها وترفع راية اللغات السامية وهي حرف العين، ومن المعلوم عند علماء اللغات أن العين والحاء لا توجدان إلا في اللغات السامية، فإن وجدت إحداهما في كلمة من لغة غير سامية فتلك الكلمة طارئة واردة على تلك اللغة، وبهذا يستدل الفيلولوجيون على أن البربر من جزيرة العرب قبل خروج البابليين والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين كما هو مبين في موضعه.

ونحن نرى إخواننا عامة المسلمين من أهل الهند يبذلون جهودهم في النطق بقوله تعالى: ﴿يَاكَ تَبَدُّ وَيَاكَ فَسْتَعِثُ ۝﴾ [الفاتحة: 5] فلا يَتَمَوَّنُ النطق بالعينين حتى تغفر ذنوبهم من مشقة النطق بهما.¹

﴿أَخْلَدَ﴾ [الأعراف: 176]

قال السيوطي في الإتيان: «قال الواسطي في الإرشاد: أخلد إلى الأرض: ركن، بالعبرية.»²
قال الهلاي: «أقول: هذا القول لا يقوله إلا جاهل باللغات السامية فإن "أخلد" و"خلد" موجودتان في اللغتين كليهما ومتفقتان في معانيهما في الجملة؛ فمن قال أنهما عبريتان وليستا عربيتين لقد 3 فقا ما لا علم له به، ومن قال العكس فهو مثله، غير أن: "أخلد" في العبرانية بالحاء المهملة، وكذلك "خلد"، وقد تقدم أن الحاء المعجمة لا توجد بالأصالة في العبرانية وإنما توجد بالعرض في حرف الكاف إذا جاءت بعد حركة، ولم نر أحدا من علماء اللغة العربية أشار إلى أن "أخلد" عبرانية كما ادعى هذا المدعي، قال في لسان العرب: «وخلد إلى الأرض وأخلد: أقام فيها، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَنَكْنَهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ [الأعراف: 176] أي ركن إليها وسكن، وأخلد إلى الأرض وإلى فلان أي ركن إليه ومال إليه ورضي به، ويقال خلد إلى الأرض بغير ألف وهي قليلة.»⁴
قليلة.⁴ وقال البيضاوي في تفسيره: «﴿وَلَنَكْنَهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا أو إلى السفالة ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ في إشار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات»⁵.⁶

﴿الْأَرَايِكُ﴾ [الكهف: 31، يس: 56، الإنسان: 13، المطففين: 23، 35]

قال السيوطي: «حكى ابن الجوزي في "فنون الأفتان" أنها السرر بالحشيشة»⁷.⁸

1 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 31

2 السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ص 941، والمصدر نفسه. ص 32

3 لعل الصواب: فقد.

4 ابن منظور: لسان العرب. ص 1261

5 انظر: حاشية محيي الدين زادة محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي (ت 951هـ) على تفسير القاضي البيضاوي (ت 685هـ). ت: محمد عبد القادر شاهين. شاهين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط 1. 1419هـ/ 1999م 332/4، وقال: «السفالة وهي الانحطاط الذي هو مقابل الرفع، كما أن الدنيا مقابل منازل الأبرار؛ فإن الدنيا ليست منازلهم.»

6 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 32

7 عبد الرحمن بن الجوزي: فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن. ت: صلاح بن فتحى هليل. مؤسسة الكتب الثقافية. ص 165

8 السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ص 942

قال محمد تقي الدين: «قال الراغب: «الأريكة حجلة على سرير جمعها "أرائك"، وتسميتها لذلك إما لكونها في الأرض متخذة من أراك وهو شجرة، أو لكونها مكانا للإقامة من قولهم: أرك بالمكان أروكا، وأصل الأروك: الإقامة على رعي الأراك، ثم تجوز به في غيره من الإقامات.»¹

وقال في لسان العرب: «والأريكة سرير في حجلة والجمع أريك وأرائك، وفي التنزيل ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ﴾ [يس: 56] قال المفسرون: الأرائك السرر في الحجال. وقال الزجاج: الأرائك الفرش في الحجال، وقيل: هي الأسرّة، وهي في الحقيقة الفرش، كانت في الحجال أو في غير الحجال، وقيل الأريكة سرير مُنَجَّدٌ مُزَيَّنٌ في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة. وفي الحديث: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله»³؛ الأريكة السرير السرير في الحجلة من دونه ستر، ولا يسمى منفردا أريكة.»⁴

قال في اللسان: «والحجلة مثل القبة، وحجلة العروس معروفة وهي بيت يُزَيَّنُ بالثياب والأسرّة والسُّتُور.»⁵ فقد رأيت أن الأرائك كلمة عربية خالصة، وبطل ما ادعاه السيوطي ومن نقل عنه.»⁶

﴿أَسْبَاطًا﴾ [الأعراف: 160]

قال محمد تقي الدين: «قال أبو العالية والربيع وقتادة: الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط.»⁷

ثم قال: «السط، يلفظ به في اللغة العبرانية "شفيط" وهو غصن الشجرة، وسمي أبناء يعقوب الاثنا عشر أسباطا، لأنهم أبناء أب واحد كأغصان الشجرة.»⁸

وقال السيوطي: «حكى أبو الليث في تفسيره أنها بلغتهم كالقبايل بلغة العرب.»⁹ قال محمد تقي الدين: «وفي هذا الكلام شيء ساقط لأن الضمير في لغتهم لم يذكروا ما يعود عليه وهذا الساقط يحتمل أن يكون يدل على بني إسرائيل، وكلام جفري يؤيد هذا الاحتمال وهذا نص ترجمته بالعربية: «اضطر أبو الليث أن يعترف أنه -أي السبط- لفظ عبراني مستعار، قاله السيوطي في الإلتقان»¹⁰،

وقد أطل جفري البحث في هذا اللفظ وادعى أنه لم يستعمل في كلام العرب قبل استعماله في القرآن، وربما يكون أول من استعمله محمد، ونحن نقول لجفري وأمثاله من الذين أعمى التعصب بصائرهم وأفقدتهم صوابهم: إن الله الذي أنزل التوراة والإنجيل اللذين تؤمن بهما أنت هو الذي أنزل القرآن على عبده ورسوله محمد بن عبد الله خاتم النبيين على رغم أنفك، ولا ضير على القرآن أن يوجد

1 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. نشر مكتبة نزار مصطفى الباز. 1/ 19، وقال ابن الأثير: «الأريكة السرير في الحجلة من دونه ستر، ولا يُسمى منفرداً أريكة، وقيل: هو ما تكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة.»، وقال: «إبل أوارك؛ أي قد أكلت الأراك، يقال: أَرَكْتُ تَأْرَكُ وتَأْرَكُ فهي أَرَكَةٌ إذا أقامت في الأراك ورعته.»
النهاية في غريب الحديث والأثر. ت: علي بن حسن الحلبي. دار ابن الجوزي. السعودية. ط 1. 1421 هـ. ص 34
2 في اللسان: مُتَّكٍ.

3 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 2664. 3/ 64، وصحيح سنن ابن ماجه. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1 الجديدة. 1417 هـ/ 1997 م.
حديث رقم 12. 1/ 21

4 ابن منظور: لسان العرب. ص 65

5 المرجع نفسه. ص 787-788

6 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. 32-33

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 202-203، وانظر: تفسير الطبري. 2/ 121، وعزاه الطبري إلى ابن عباس.

8 المصدر نفسه والصفحة.

9 السيوطي: الإلتقان في علوم القرآن. ص 943، والهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 33

10 Arthur Jeffery The foreign vocabulary in the Quran. Oriental Institute, Baroda. 1938. p 57-58

فيه لفظ شاع استعماله في العبرانية لأن هاتين اللغتين نشأتا من أصل واحد، وإذا جاز أن يكون في القرآن ألفاظ هي في الأصل فارسية مع أن لغة الفرس بعيدة من لغة العرب فما المانع أن توجد فيه ألفاظ عبرانية أو سريانية؟ وإذا اعتبرنا السبب اسماً لقبيلة من قبائل بني إسرائيل فالتعبير به طبيعي، وهو أولى من التعبير عنه بالقبيلة، لأنه صار شبيهاً بالأعلام التي يجب ذكرها بلفظها.

قال في لسان العرب: «والسبب من اليهود كالقبيلة من العرب وهم الذين يرجعون إلى أب واحد، سمي سبباً ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق وجمعه أسباط.

وقوله ﴿وَقَطَعْنَهُمْ أَثْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّا﴾ [الأعراف: 160] ليس أسباطاً بتمييز لأن المميز إنما يكون واحداً لكنه بدل من قوله ﴿أَثْنَى عَشْرَةَ﴾ كأنه قال: جعلناهم أسباطاً. 1
والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب.
وأصله بالعبرانية "شِبْط" على وزن إِبِل؛ ومعناه القضيب والعصا والقبيلة. 2

﴿أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]

قال محمد تقي الدين: «كلمة "سِفْر" - بكسر السين وسكون الفاء - من الكلمات المشتركة بين اللغات السامية التي نعرفها؛ ففي السريانية "سفرا" سواء أكان نكرة أم معرفة، لأن كل اسم في السريانية ينتهي بالألف، وليس فيها أداة تعريف، وبالعبرانية إذا لم تضاف هذه الكلمة تلفظ "سِفْر" بكسر السين والفاء، وهكذا الأسماء الثلاثية في اللغة العبرانية كثير منها يكون بكسر أوله وثانيه، وإذا أضيف إليه ياء المتكلم تقول: «سفري» بكسر فسكون كما في العربية، أما الجمع فيختلف؛ ففي العربية وحدها لا في أختيها يجمع على "أسفار". 3

﴿الرَّحْمَنُ﴾ [الرحمن: 1]

قال السيوطي: «ذهب المبرد وثعلب إلى أنه عبراني وأصله بالخاء المعجمة. 4»
وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة الفرقان (60): ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ الآية، لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره، ولذلك قالوا: ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: 60] أي: للذي تأمرنا يعني تأمرنا بسجوده، أو لأمرك لنا من غير عرفان، وقيل: لأنه كان معرباً لم يسمعه. 5

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 1922

2 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 33-34

3 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 27

4 السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ص 950

5 انظر: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 6/307 والهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27

قال محيي الدين شيخ زادة: «قوله: لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى. على أن يكون قولهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ سؤالاً عن المسمى بهذا الاسم... فإنهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم، اتجه لهم أن يسألوا عن مسماه، أو كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به، إلا أنهم كانوا يزعمون أنه قد يراد به غيره تعالى، وهو مسيئة الكذاب باليهامة، فإنه يقال له رحمن اليهامة، وكان المشركون يكذبونه أيضاً، ولذلك قالوا: ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أي: الذي تأمرنا، بتقدير: تأمرنا بسجوده، فحذف ما حذف منه على التدرج؛ حذف الجار وأوصل الفعل، كما في: أمرتك الخير، فقيل: تأمرنا بسجوده، ثم حذف المفعول الذي هو المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فصار تأمرنا، ثم حذف الضمير أيضاً، فصار ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ على أن "ما" موصولة بمعنى "الذي"، أو مصدرية أي: لأمرك، على معنى لأجل أمرك لنا من غير عرفان.

قوله: «وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعه» عطف على قوله: «لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله»، أي: وقيل: قولهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ ليس سؤالاً عن المسمى، بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لأنه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل: الرحيم والرحوم والراحم. 6/307-308

قال محمد تقي الدين: «هذا يدل على ما قلته سابقا من جهل علماء العرب باللغات حتى أخوات لغتهم كالعبرانية والسريانية، فالرحمن كلمة عربية خالصة من الرحمة بزيادة الألف والنون كظمآن وعطشان، وكانت العرب تعرفه وتفهم معناه وقد سموا به مسيلم الكذاب فكانوا يدعونهم "رحمان اليمامة" ولكنهم لجهلهم لم يكونوا يعلمون أنه من أسماء الله.

ومن أعجب العجب قولهم أنه عبراني، وأن أصله بالخاء المعجمة، والخاء المعجمة لا وجود لها في العبرانية استقلالا، وإنما تنطق الكاف بها إذا جاءت قبلها حركة مثل: "هبراخا" البركة، ومثل "باروخ" أي: مبارك، ومعناه بالعبرانية هو معناه بالعربية، إلا أنه في اللغة العبرانية صفة عامة لكل من في قلبه رحمة ليس خاصا بالله تعالى، إذن فهو من الكلمات المشتركة بين العبرانية والعربية، وهي كثيرة تعد بالآلاف»¹

﴿رَبَّنَا﴾ [آل عمران: 79]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «﴿كُونُوا رَبَّنَا﴾ [آل عمران: 79] قال: حلمااء فقهاء علماء»². وجاء في تهذيب اللغة: «قال سيبويه: زادوا ألفا ونونا في الرباني إذ أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره؛ كأن معناه: صاحب العلم بالرب دون غيره من العلوم.

وقال: وهذا كما قالوا: رجل شعرائي، وحيائي، ورقباني، إذا خص بكثرة الشعر، وطول اللحية، وغلظ الرقبة... والربي: منسوب إلى الرب، والرباني: الموصوف بعلم الرب»³

وقال الطبري (ت: 310): «أولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين: أنهم جمع رباني، وأن الرباني المنسوب إلى الربَّان الذي يُرَبُّ الناس، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها، ومنه قول علقمة بن عبدة:

وَكُنْتُ أَمْرًا أَفْضَتْ إِلَيْكَ رَبَّابِي
وَقَبْلَكَ رَبَّنِي فَضَعْتُ رُبُوبًا⁴

يعني بقوله: «ربتي» ولي أمري والقيام به قبلك من يرَبُّه ويُصْلِحُه، فلم يصلحوه، ولكنهم أضاعوني، فضعت.

يقال منه: رَبَّ أَمْرِي فلانٌ، فهو يرَبُّه رَبًّا، وهو رَبُّه. فإذا أريد به المبالغة في مدحه قيل: هو رَبَّانٌ، كما يقال هو نَعْسَانٌ، من قولهم: نَعَسَ يَنْعَسُ. وأكثر ما يجيء من الأسماء على فعلان ما كان من الأفعال ماضيه على فَعَلْ؛ مثل قولهم: هو سكران، وعطشان، وريان، من سَكِرَ يَسْكُرُ، وَعَطَشَ يَعْطَشُ، وَرَوِيَ يَرَوِي. وقد يجيء مما ماضيه على فَعَلْ يَفْعُلُ، نحو ما قلنا من نَعَسَ يَنْعَسُ وَرَبَّ يَرَبُّ.

فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، وكان الربَّان ما ذكرنا، والربَّاني هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت، وكان العالم بالحكمة والفقه والحكمة من المصلحين يُرَبُّ أمور المسلمين، بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقى لله، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم، وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم، كانوا جميعا يستحقون أن يكونوا ممن دخل في قوله ﷺ: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنَا﴾ [آل عمران: 79]

فالربانيون إذا: هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا. ولذلك قال مجاهد: هم فوق الأبحار؛ لأن الأبحار: هم العلماء، والربَّاني: الجامع إلى العلم والفقه، البصر بالسياسة والتدبير، والقيام بأمر الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم»⁵

1 الهلاي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27

2 الألباني: مختصر صحيح الإمام البخاري. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1 الجديدة. 1422هـ/2002م. ص 47

3 الأزهرى: تهذيب اللغة. ت: عبد السلام هارون وآخرين. الدار المصرية للتأليف والنشر. القاهرة. مصر. 15/ 178، والهلاي: تقويم اللسانين. ص 59

4 البيت من الطويل، وهو لعلقمة بن عبدة في ديوانه بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق: حنا نصر. ص 28، وهو فيه:

وأنت امرؤ أفضت إليك أمانتي وقبلك ربتي، فضعت ربوب

5 الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 6/ 543-544

فاللفظ موجود في العبرية أيضا؛ قال الهلالي: «قال كروسمن (Crossmann) في معجمه العبراني الانكليزي في تفسير الرباني ما معناه: «هو العالم المتقي»، لكن كل ما جاء في القرآن فهو عربي.»¹
قال الدكتور مساعد بن سليمان الطيار بعد أن أورد كلام الطبري: «بهذا يعلم أن لفظ الربانيين عربي، وأن السلف عرفوه وبينوا معناه، وأن جهل أهل اللغة به لا يخرجهم إلى كونه معربا، وأنهم لو اعتمدوا تفسير السلف في ثبوت اللغة لحكموا بعربيته.»²

﴿مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: 92]

قال الدكتور ربحي كمال: «"برخ": بارك، كما في: «وبارك الرب إبراهيم في كل شيء.»³
في العربية باركه وبرك فيه: دعا له بالبركة.»⁴

قال محمد تقي الدين: «الخاء المعجمة لا وجود لها في العبرانية استقلالا، وإنما تنطق الكاف بها إذا جاءت قبلها حركة مثل: "هبراخا": البركة، ومثل "باروخ" أي: مبارك، ومعناه بالعبرانية هو معناه بالعربية، إلا أنه في اللغة العبرانية صفة عامة لكل من في قلبه رحمة ليس خاصا بالله تعالى، إذن فهو من الكلمات المشتركة بين العبرانية والعربية، وهي كثيرة تعد بالآلاف.»⁵

لكن هل الهلالي يذهب إلى أن كل ما وصف بالمُعرب في القرآن هو سامي عربي؟
هذا ما يبينه هذا النص؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «كل ما جاء في القرآن فهو عربي، سواء أكان عربيا غير مشترك؛ أي: خاصا باللغة العربية، أم كان لفظا مشتركا بين العربية وأخواتها الساميات، أم كان لفظا غير عربي في الأصل، ولكن العرب تكلمت به فصار عربيا بالاستعمال ككلمتي "جبريل" و"ميكائيل"، فكل ما بين دفتي المصحف فهو عربي.»⁶

أي أن بعض كلمات القرآن الكريم عُدَّت مُعربة وليست عربية، وهي نوعان:

- 1/ كلمات مشتركة بين اللغات السامية: فهي عربية أصيلة وليست مُعربة لانحدارها إلى اللغة العربية من نفس الأصل السامي المشترك، فليست إحدى اللغات السامية أولى بها من الأخرى.
- 2/ كلمات أصولها غير سامية: فهي مُعربة عربتها العرب قبل الإسلام ووقع بها البيان، ثم نزل بها القرآن الكريم، وإن كان لا يبعد أن تكون انتقلت إلى تلك اللغة من العربية أو من إحدى اللغات السامية الأخرى، ثم عادت إلى العربية.

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 60

2 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. دار ابن الجوزي. الرياض. السعودية. 1422 هـ. ص 568

3 التوراة. سفر التكوين. الإصحاح 24. سطر 1. ص 35

4 ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السامية. ص 33

5 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 60

المبحث الثاني:

اليغية الصوتية والصرفية والفحوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

حروف المباني والحركات

المطلب الثاني:

ألفية الأسماء والأفعال ومعانيها

المطلب الثالث:

حروف المعاني وأسماء الكفاية

المطلب الرابع:

مباني الفحو

عند نقد الكلام تنقد مبانيه ومعانيه؛ قال محمد تقي الدين منتقدا: «تعبيره بالمنظور وغير المنظور فاسد، لأن المنظور هو واحد من المدركات بالحس، وبقيت أربعة أشياء تحس ولا تنظر، وهي المسموعات والمشموحات والمذوقات والملموسات، ولكننا لسنا بصدد مؤاخذته على فساد العبارة، وإنما نؤاخذة الآن على فساد المعاني، ونؤخر انتقاد المباني»¹

وأتوكل على الله، فأبدأ بدراسة مباني النحو عند الهلالي، وأؤخر معانيه؛ فهي متحصلة من مباني الكلام وسياقه. وقد عرف ابن جني النحو، فقال: «هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقيق، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدَّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع؛ أي: نَحَوْتُ نَحْوًا، كقولك: قصدتُ قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم»²

المطلب الأول:

حروف المباني والحركات

لخص الهلالي كلام كريسي مورسن في الحياة فقال: «إن الحياة أستاذ موسيقي علم كل طائر كيف يغني ألحان حبه وعلم كل حشرة كيف تخاطب غيرها من الحشرات بنغمات وأصوات لا يأتي عليها الحصر، تسمع هذه الأصوات في وقت الربيع، ومن الأصوات الموسيقية نقيق الضفادع وصوت الدجاجة الأمي الذي تخاطب به فراريجها، وزئير الأسد، وأصوات سائر الوحوش، بل سائر أنواع الحيوان، ثم سائر أصوات الناس واختلافها، أقول: وهنا يجدر بنا أن نذكر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ الْأَسْنَانِ﴾³ وَالْوَيْكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ⁴ [الروم: 22]؛ ففي اختلاف ألوان الناس واختلاف لغاتهم آيات تدل على عظمة الخالق سبحانه ما يعقلها إلا العالمون، وكذلك اختلاف أصواتهم فقد زد البارئ سبحانه وتعالى كل شخص من ذكر وأنثى وصغير وكبير بصوت خاص كما ميز وجهه بشكل خاص يعرف به ويميزه عن غيره»⁴

فعندما يصطدم الهواء الخارج من الرئتين بعائق من مكونات جهاز النطق⁵ ينشأ الصوت؛ قال ابن سينا: «القرع هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له لمزاحمته تقريبا تتبعه ثماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها، ومقابل هذا تباعد جرم ما عن جرم آخر مماس له، منطبق أحدهما على الآخر تبعيدا ينقلع عن مماسه انقلعا عنيفا لسرعة حركة التباعد، وهذا يتبعه صوت»⁶

أولا: حروف المباني:

الحرف لغة:

قال ابن دريد: «حَرْفٌ كُلُّ شَيْءٍ حَدَّهُ وَنَاحِيَّتُهُ»⁷، وقال ابن تيمية: «لفظ الحرف أصله في اللغة هو الحد والطرف، كما يُقال: حروف الرغيف، وحرف الجبل»⁸

1 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط. 1 / 20

2 ابن جني: الخصائص. 1 / 34

3 كذا في المطبوع، ولعل الصواب: صوت الدجاجة الأم الذي تخاطب به فراخها.

4 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين. 4. مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة. العدد السابع. شوال 1379 أبريل 1960. ص 9

5 عندما يتكلم الإنسان يعمل جهاز النطق فيه؛ ومكونات جهاز النطق هي: الشفتان: العليا والسفلى، والثنايا: العليا والسفلى، واللسان: طرفه، ومقدمه، ووسطه، وآخره، والحنك الأعلى: مقدمه، ووسطه، وآخره، واللقوم، والأجبال الصوتية. انظر: "أسباب حدوث الحروف"، لأبي علي الحسين بن سينا. ت: محمد حسان الطيبان وبجي مير علم. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. 1983م. فصل: في تشريح الخنجر واللسان. ص 64-71، و"الكتاب"، لسيبويه. 4 / 433

6 قال ابن سينا: «يَلزَمُ فِي كَلَا الْأَمْرِينَ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَهُوَ تَمَوُّجٌ سَرِيعٌ عَنِيفٌ فِي الْهَوَاءِ» أسباب حدوث الحروف. ص 57

7 ابن دريد: جمهرة اللغة. ت: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط. 1. 1987 م. ص 517

8 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 12 / 103

واصطلاحاً:

قال أنطوان الدحداح: «صوت معتمد على مقطع من مقاطع الحلق أو اللسان أو الشفتين، ويسمى حيثئذ ذلك المقطع حرفاً هجائياً». 1، وقال ابن سينا: «الحرف هيئة للصوت عارضة له يتميز بها عن صوت آخر». 2
ولفظ الحرف يراد به الاسم والفعل وحروف المعاني واسم حروف الهجاء، والنحاة اصطلاحوا اصطلاحاً خاصاً 3.
وذكر الهلالي أن حرف التهجي ليس له معنى 4، أما علاقة حروف المباني بحروف التهجي، فقال أنطوان الدحداح: «حروف المباني: الحروف الهجائية، ويلحق بها: الحركات، التنوين، الضوابط، كتابات خاصة». 5
فتألف الأصوات المفردة من مجموعة صامتة مثل: ل، ج، ح، د، ب، ق، ك... في عربيتنا، ومن مجموعة من الأصوات الصائتة هي في العربية: و-ي-ا، ونموذجها المقصور -، -، - أي الحركات، إضافة إلى إمالاتها اللهجية.
ومن علاقات الصوامت بالصوائت تتألف المقاطع الصوتية الأساسية في كل لغة وهي بدورها محدودة العدد.
أما اللغة فهي تتألف من علاقات الكلمات داخل نظام الجملة أو العبارة، فيها الكلمات تتولد من مزج عدد من المقاطع الصوتية، وقد لا يدخل في صياغتها إلا مقطع صوتي واحد 6، وتختلف اللغات في أصواتها؛ قال الهلالي: «قولكم: إن من المشاهد أن تعلم الإنجليزية بحروف عربية ممكن وسهل بخلاف العكس». فيه نظر؛ فإن في الإنجليزية حروفاً وأصواتاً، لا يوجد في اللغة العربية في حروفها وحركاتها ما يصوره. 8
والضوابط: أربع، وهي الشد، المد، الوصل، القطع.

1 - الشدّ (ّ): يدل على أن الحرف حرفان ويُرسم من فوق الحرف: قَدَّمَ (قَدَدَمَ)

2 - المدّ (آ): يدل على ألف محذوفة بعد همزة بصورة الألف: آثَرَ (أَثَرَ)

3 - الوصل (ا): يدل على إسقاط الهمزة لفظاً؛ وهمزة الوصل تلفظ في ابتداء الكلام وتسقط في أثنائه: اجلس يا رجل، يا رجل اجلس.

4 - القطع: يدل على ثبوت الهمزة لفظاً، وهمزة القطع تُلفظ حيث وقعت، وتُرسم من فوق الحرف إلا إذا كانت معها كسرة في أول الكلمة: أَكْرَمَ، إِكْرَامَ 9.

والكتابات الخاصة هي: ي، ة، لا، و، ا، ي، وُ، وُ، وُ، وُ، ا، أ، أ، د، د، د 10.

قال سيبويه: «أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والحاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو». 11

1 أنطوان الدحداح: معجم قواعد العربية العالمية؛ عربي فرنسي. راجعه: إلياس مطر. دقق فيه: جورج متري. مكتبة لبنان. بيروت. لبنان. ط 1. 1991 م. ص 4

2 أبو علي الحسين بن سينا: أسباب حدوث الحروف. ص 60

3 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 107 / 12

4 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 27

5 أنطوان الدحداح: معجم قواعد العربية العالمية. ص 7

6 أحمد يوسف داود: الميراث العظيم. ص 241

7 المناقشة بين تقي الدين الهلالي ومصطفى اللبان.

8 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضاً. مجلة الفتح. السنة السادسة. العدد 293. الخميس 29 ذي الحجة 1350 هـ. ص 6

9 أنطوان الدحداح: معجم قواعد العربية العالمية. ص 10

10 المرجع نفسه والصفحة.

وهي مجموعة في قولهم: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سغفص، قرشت، ثخذ، ضظغ. ونستطيع تصنيف حروف المباني حسب:

مخارجها: أين يلتقي الهواء بالعائق؟

كيفية التلفظ بها (أي: صفاتها): أيّ عائق يلتقيه الهواء وكيف يمر عليه؟

ولعل أهم علم اهتم بحروف المباني بأدق تفصيلاتها هو علم التجويد، الذي هدفه القراءة الصحيحة لكل حرف كما نزل. قال محمد تقي الدين: «قبل بضع سنين كنت مقيماً في باريس عند أحد الإخوان من الموحدين، وكنت قد سمعت بأن الطبيب الجراح الشهير الدكتور "موريس بوكاي" ألف كتاباً بين فيه أن القرآن العظيم هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع المثقف ثقافة علمية عصرية أن يعتقد أنه حق منزل من الله تعالى ليس فيه حرف زائد ولا ناقص.»² وقال: «فأنت تجد القرآن في جميع أنحاء العالم على اختلاف أديان أهل تلك البلدان لا يستطيع أحد أن يزيد حرفاً ولا نقطة ولا أن يغير منه حركة، وحتى صفات الحروف كالتفخيم والترقيق مثلاً محفوظة.»³

تجويد القرآن:

تعريفه:

قال الهلالي: «قال ابن الجزري في المجلد الأول من كتابه "النشر في القراءات العشر" (ص 210) ما نصه: التجويد مصدر من جود تجويداً، والاسم منه الجودة ضد الرداءة يقال: جود فلان في كذا إذا فعل ذلك جيداً؛ فهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق، ومعناه: انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين.»⁴ وقال: «ثم مضى إلى أن قال: «فالتجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد.»⁵ يعني: عبد الله ابن مسعود، وكان قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيبه كما أنزله الله تعالى.

وناهيك برجل أحب النبي ﷺ أن يسمع القرآن منه، ولما قرأ أبكى رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين 6.»⁷

حكمه:

قال ابن الجزري: «اعلم أن تجويد القرآن فرض على كل قارئ، وتعليمه فرض كفاية على أهل كل بلد، فإن تركوه وأهملوه أثموا جميعاً، وقد نص العلماء على ذلك، وحرروه أتم التحرير، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده،

1 سيبويه: الكتاب. 4/ 431، وقال: «تكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف من فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يُؤخذ بها وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بينَ بَيْنَ، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة.» 4/ 432

2 الهلالي: منتبة للملك فيصل قدس الله روحه. مجلة البحوث الإسلامية. العدد 11. ذو القعدة، ذو الحجة 1404هـ، محرم، صفر 1405م. ص 313

3 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 196

4 الهلالي: مباحث في القرآن. مجلة دعوة الحق. السنة الحادية عشر. العدد الثالث. شوال 1387هـ/ جانفي 1968م. ص 92، عن النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت: 833 هـ). ت: علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت. 1/ 237

5 الألباني: الصحيحة. حديث رقم 2301. 5/ 379

6 عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ. قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل. قال: نعم. فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُوْلَةٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] قال: حَسْبُكَ الآن، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ إِذَا عَيْنَاهُ تَذَرَفَانِ. رواه البخاري 5050، ومسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. ت: أبو قتيبة نظر محمد الفارابي. دار طيبة. الرياض. السعودية. ط 1. 1427 هـ/ 2006 م. حديث رقم 247-248

7 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 93، عن النشر في القراءات العشر لابن الجزري. 1/ 239

متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها.

والناس في ذلك بين محسن مأجور ومسيء آثم أو معذور؛ فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي أو النبطي القبيح، استغناء بنفسه واستبدادا برأيه وحده، واتكالا على ما ألف من حفظه واستكبارا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه فإنه مقصر بلا شك وآثم بلا ريب وغاش بلا مرية فقد قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». 1

أما من كان لا يطاوعه لسانه أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه، فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارئ خلف أمي، وهو من لا يحسن القراءة، واختلفوا في صلاة من يبدل حرفا بغيره، سواء تجانسينا 2 تجانسينا 2 أو تقاربا 3، وأصح القولين عدم الصحة. 4

قال الهلالي: «ثم نقل الشيخ أبي عبد الله نصر بن علي بن محمد الشيرازي في كتابه "الموضح في وجوه القراءات" في فصل التجويد منه ما نصه: «فإن حسن الأداء فرض في القراءة، ويجب على القارئ أن يتلوا القرآن حق تلاوته صيانة للقرآن على أن يجد اللحن والتغير إليه سبيلا». 5

وخلص الهلالي إلى قوله: «تجويد القرآن فرض، قال ابن الجزري في أرجوزته:

والأخذ بالتجويد حتم لازم	ومن لم يجود القرآن آثم
لأنه به الإله أنزل	وهكذا منه إلينا وصل
وهو أيضا حلية التلاوة	وزينة الأداء والقراءة 6
فواجب عليهم محتم	قبل الشروع أولا أن يعلموا
مخارج الحروف والصفات	لينطقوا بأفصح اللغات 7

... ونحن في زمان بلغت فيه عناية الأمم المتقدمة بتجويد منطق لغاتها إلى حد أنها تدرس هذا الفن "فونتك" بالتصوير؛ فتؤخذ صور الفم عند النطق بكل حرف، وتسجل ألوف الكتب الناطقة بقراءة الفصحاء للمكفوفين وغيرهم. 8

اللحن في حروف المباني:

تلزم معرفة مخارج الحروف وصفاتها لاجتناب اللحن 9 في النطق بحروف المباني؛

1 الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته. المكتب الإسلامي. دمشق. ط 3. 1408 هـ / 1988. حديث رقم 1610. ص 333

2 التجانس: هو اتفاق الحرفين مخرجا واختلافهما صفة، أو اتفاقهما صفة واختلافهما مخرجا.

3 التقارب: هو تقارب الحرفين مخرجا، أو صفة، أو مخرجا وصفة.

4 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 92-93، عن النشر في القراءات العشر لابن الجزري. 1 / 237-238

5 المصدر نفسه. ص 93

6 شمس الدين محمد بن الجزري: متن الجزرية في التجويد. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط 1. 1423 هـ / 2002 م. ص 6، وبعدها:

وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حَقَّهَا مِنْ صِفَةٍ لَهَا وَمُسْتَحَقَّهَا

وحق كل حرف: هو صفاته الثابتة له حال الانفراد كالهمس أو الجهر، والاستعلاء أو الاستفال، والشدة أو الرخاوة أو التوسط..

ومستحق كل حرف: هو ما ينشأ من صفات حال التركيب مع غيره، كالإدغام، والإخفاء، والقلب..

7 المرجع نفسه. ص 3

8 الهلالي: القرآن والثقافة العربية. مجلة دعوة الحق المغربية. العدد الأول. السنة الخامسة. ربيع الثاني 1381 أكتوبر 1961. ص 4

9 قال ابن منظور: «اللَّحْنُ: من الأصوات المصوغة الموضوعة، وجمعه ألحان ولحون، ولحن في قراءته إذا غرَّدَ وطربَّ فيها بالحن، واللحنُ واللحانُ واللحانية:

ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك؛ لحن يَلْحَنُ لَحْنًا وَلَحْنًا وَلِحُونًا، واللحنُ بفتح الحاء الفطنة.» لسان العرب. ص 4013، وقال: «قال ابن بري وغيره: للحن

وهذه أمثلة ذكرها الهلالي لبعض الأخطاء في النطق بالأصوات، ربما تعتاد عليها ألسنة مرتكبيها، فينطقون بها عند قراءة القرآن الكريم؛

قال الهلالي: «عجل السيد" الجيم ينطق بها «كافا» معقودة [ك] في الوجه البحري أي الشمال، وجيما عربية في الوجه القبلي أي الجنوب، وهذا عيب في عامة القراء والخطباء والمذيعين من المصريين، قل من يهتم به منهم، يغيرون نطق هذا الحرف بحرف عجمي، لا وجود له في اللغة العربية الفصحى، حاشا قراء القرآن، فإنهم ينطقون بها نطقا صحيحا.»¹

وقال: «عندي معجم "جبير"، هكذا ينطق بلفظ كبير في العراق ونجد [و] بلدان الخليج العربي، وهذا الحرف لا يوجد في الحروف العربية ولكنه يوجد في اللغة الهندية، وفي اللغة الانكليزية وكثير من اللغات، مثاله في الهندية "أجا"؛ ومعناه طيب، ومثاله في الانكليزية *Chance*، والفرنسيون ينطقون به شيئا ومعناها الحظ.»²

وقال: «مع أن أهل المغرب أحق الناس بالعناية بإصلاح اللسان لاختلاطهم مع الأعاجم، وإبدال كثير منهم بعض الحروف، كالجيم يبدلونها زايا والتاء يبدلونها بحرف ألماني بين التاء والسين، والتاء ينطقون بها مثل ذلك والذال يبدلونها دالا مهملة، والطاء يبدلونها ضادا، والشين يبدلونها سينا، وقد يبدل هؤلاء السين شيئا، يرتكب ذلك من يُنسب إلى العلم منهم من غير نكير.

وقد أشار إلى ذلك المحقق ابن عبد السلام الفاسي في كتابه الذي ألفه في القرآن وعلومه وآدابه في المجلد الأول، قال: «اللحن لحنان: جلي وخفي:

فالجلي: لحن الإعراب.

والخفي: لحن ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه، وذلك:

إما بالنسبة إلى مخارجها بأن لا تعطى حقا الواجب لها،

وإما بالنسبة إلى صفاتها التي تحقق ذاتها وتفصلها عما يشار إليها أو يقارنها،

وإما بالنسبة إلى تبديلها بغيرها، كجعل الطاء المعجمة مكان الضاد، وكجعل السين المهملة مكان الشين المعجمة، وكجعل الزاي مكان الجيم، وكجعل الغين المعجمة مكان الراء، وكجعل الهمزة مكان الكاف، وكجعل همزة مفخمة بعض التفخيم مكان القاف، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه مما نسمة في ألسنة الناس»

وقد سمعت بأذني قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُورٍ﴾ ﴿١٠٨﴾ [هود: 108] بإبدال الشين سينا، والجيم زايا، والذالين مهملتين، وهذا من اللحن الذي يغير المعنى.»³

إلا أنه «لم يندم التجويد بالمرّة في المغرب في أي زمان، ولكنه كما قلت سابقا نادر، وأكثر القراء على خلافه، ومما يدلنا على ذلك ما جاء في نصوص الشيخ التهامي بن الطيب السجلماسي ثم الغرني في إنكار تبديل التاء بما تقدمت الإشارة إليه، وهذه الأبيات بعضها مختل الوزن، فأنا أنقلها على علاتها، قال:

على مخرج التاحين تتلو بلا عسر
ولا تنحون نحو الثنايات نل شكري
فذلك فعل الجاهلين ذوي السكر
يخص صفي القوم كلهم فادر
وليس لحرف التاء فيهن من ذكر

تحفظ رعاك الله في السر والجهر
إلى الحنك اصعد عند إخراجك لها
ولا تحدثن فيها صفيرا ورخوة
فبالسين واليزاد الجهير وصددها
كما خصصوا رخوا بجملته أحرف

سنة معان: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفتنة، والتعريض، والمعنى.» ص 4014، والمراد هنا: الخطأ، وانظر مخارج الحروف وصفاتها في: شمس الدين محمد بن

الجزري: متن الجزرية في التجويد. ص 4-6

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 315

2 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 39

3 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 93

وقد كان علماء المغرب إلى عهد قريب جدا معنيين بتجويد كتاب الله أحسن عناية قلما يجاريهم في ذلك علماء قطر آخر من الأقطار الإسلامية حتى أن الملك فؤاد ملك مصر أراد أن يطبع المصحف على الرسم العثماني وكلف بذلك جماعة من علماء مصر المحققين، لم يجدوا من الكتب ما يعتمدون عليه مثل كتاب "موارد الظمآن" بشرح العالم المقرئ عبد الواحد ابن عاشر.¹

أما سبب هذه اللحن، فيقول فيها الهلالي: «سبب هذا النقص في منطق كثير من المغاربة كثرة المخالطة للأعاجم، فقد استولى المغرب على إسبانيا وبقي مختلطاً معها ثمانمائة سنة، ثم هاجر كثير من مسلمي الأندلس إلى المغرب واختلطوا بأهله. وقبل ذلك كان ملوك الدول المغربية تأتي بآلاف الجنود العجم من إسبانيا إلى المغرب فيندمجون في المغاربة مع مرور الزمن، وأهل الأندلس وإن كانوا قد بلغوا الغاية في الفصحى فإن لغاتهم العامية كانت منحرفة ومعوجة وبعيدة من اللغة العربية الفصحى. ثم جاء الاستعمار فزاد في الطين بلة وفي الطنبور نغمة، فاستعجم الشعب المغربي، واستعمرت اللغة الفرنسية والإسبانية اللغة العربية.»²

ومن الأبحاث الصوتية التي بحثها الهلالي: الإبدال:

وهو لغة: العوض، واصطلاحاً: جعل حرف مكان آخر مطلقاً، وعلامة صحة البدلية الرجوع في بعض التصارييف إلى المبدل منه لزوماً أو غلبة.³

وأحرفه مجموعة في قولنا: «هَدَأْتُ مُوطِيًا»⁴.

• الهمزة؛

قال محمد تقى الدين: «من أشهر المنظومات التي عم نفعها، وقل في التحقيق والبلاغة نظيرها منظومة "الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع" لأبي الحسن علي بن محمد الرباطي المشهور بابن بري، قال في المنظومة المذكورة:

القول في التحقيق والتسهيل	للهمز والإسقاط والتبديل
والهمز في النطق به تكلف	فسهلوه تارة وحذفوا
وأبدلوه حرف مد محضاً	ونقلوه للسكون رفضاً
فنافع سهل آخرى الهمزتين	بكلمة فهي بذلك بين بين

قال شارحه إبراهيم المارغني شيخ القراء بالجامع الأعظم بتونس المتوفي سنة (1349 هـ) في [نظم] ابن بري المسمى "النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع" ما نصه: «التسهيل: في اصطلاح القراء إذا أطلق اختصاص بالتسهيل بين بين، أي: فالهمزة الثانية بسبب ذلك التسهيل تكون بين بين، أي بينها وبين الحرف المجانس لحركتها، فتكون المفتوحة بين الهمزة والألف، والمضمومة بين الهمزة والواو، والمكسورة بين الهمزة والياء، هذا هو المأخوذ به عندنا في كيفية التسهيل بين بين.

قال أبو شامة: وكان بعض أهل الأداء يقرب الهمزة المسهلة من مخرج الهاء، قال: وسمعت أنا منهم من ينطق بذلك وليس بشيء. لكن جوز الداني وجماعة إبدالها هاء خالصة في الأنواع الثلاثة.

قال العلامة سيدي عبد الرحمن بن القاضي في بعض تأليفه: جرى الأخذ عندنا بفاس والمغرب في المسهل بالهاء خالصة مطلقاً، وبه قال الداني.

وجوزه بعضهم في المفتوحة دون المضمومة والمكسورة، والأكثر على المنع مطلقاً، وعليه جرى عملنا بتونس.⁵

1 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 93-94

2 الهلالي: القرآن والثقافة العربية. ص 4

3 أحمد بن محمد المامي اليعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. 1427 هـ/2006 م. 769 /2

4 ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 1. 1423 هـ/2002 م. ص 119، وفي شرح ابن عقيل عليها: «أما غير هذه الحروف فأبدالها من غيرها شاذ أو قليل.» شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (ت: 672 هـ) ومعه: كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ويلي: تكملة في تعريف الأفعال لمحمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى. مطبعة السعادة. مصر. ط 11. 1960 م. 179 /4

5 إبراهيم المارغني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع. دار الفكر. بيروت. لبنان. 1415 هـ/1995 م. ص 53

قال محمد تقي الدين: «الصواب هو تسهيل الهمزة الثانية بين بين كما قاله أبو الحسن ابن بري، وقرره شارحه، ولا حق للداني أن يتصرف في كتاب الله، فيبدل حرفا بحرف، لأن القرآن سنة متبعة، لا مجال فيه للاجتهاد، ولا تصح الرواية بإبدال أخرى الهمزتين هاء البتة، وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» 1. 2 وقال: «ومن أسوء ما يرتكبه المغاربة من تبديل الحروف نطقهم بالتسهيل في قراءة ورش هاء خالصة، فيقرؤون الهمزة الثانية في ﴿الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ و﴿أَوْذَا﴾ وما أشبه ذلك هاء، وليس معنى التسهيل، فالتسهيل تليين الهمزة الثانية حتى تكون بين الألف والهمزة، أو بين الواو والهمزة، أو بين الياء والهمزة، ويقابله التحقيق بهما همزتين خالصتين» 3

• الهاء:

قال الهلالي: «إذا وقف المتكلم على كلمة مختومة بهاء التأنيث لا بُدَّ أن ينطقَ بهاء ساكنة، ولا يقف إلا حين يحسن الوقف» 4، فتاء التأنيث الساكنة «عند الوقف: تبدل هاء» 5

• الواو:

قال في "اللسان": «أكد العهد والعقد لُغَةً في وَكَّه، وقيل هو بدل، والتأكيد لغة في التوكيد.»
قال الهلالي: «قول صاحب "اللسان": «أكد العهد والعقد لُغَةً في وكده» نفهم منه أن التوكيد أصله بالواو، والتأكيد بالهمزة لغة فيه، وقال بعضهم: ليس هو لغة، وإنما أبدلت الواو همزة؛ فعلى القولين: يُقال: أكَّدتُ العهد واليمين ووَكَّدتُها توكيِّداً وتأكيِّداً فهما مُوَكَّدان ومُؤَكَّدان....»

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: 91] دليل على أن التوكيد بالواو أفصح من التأكيد بالهمزة سواء أقلنا قلب الواو همزة أم قلنا إنها بدل منه» 7
وذكر ابن بونا أنه إن لم تثبت صحة البدلية بالرجوع إلى المبدل منه في بعض التصاريف فهما لغتان، ومثل له بأرّخ وورّخ، وأكّد ووكد 8.

• الياء:

قال محمد تقي الدين: «النِّيَّةُ فِعْلَةٌ بكسر فسكون، وعينها واو بدليل: نوى ينوي، فأصلها نَوْيَةٌ حكمت عليها القاعدة الصرفية الشهيرة بقلب الواو ياءً وإدغامها في مثلها.
والقاعدة هي قولهم: اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء، وقد شبه علماء الصرف هذين الحرفين عند اجتماعهما وسبقت أحدهما بالسكون بالحجر والصحفة من الخزف، أو الصيني والحجر، فالصحفة هي الواو، والحجر هو الياء؛
فمتى وقعت الصحفة على الحجر؛ وهي الواو الساكنة انكسرت الصحفة كما في "نِيَّة"،

1 رواه مسلم 1718

2 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 94

3 المصدر نفسه. ص 93

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 141

5 المصدر نفسه والصفحة.

6 ابن منظور: لسان العرب. ص 100

7 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 131-132

8 أحمد بن محمد المامي البعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. 2 / 769

ومتى وقع الحجر على الصّحفة، أي سبقت الياء الواو، وهي ساكنة انكسرت الصّحفة؛ وهي الواو، فالانكسار خاصّ بالواو سواءً أتقدّمت أم تأخّرت، ومثال تقدّم الياء على الواو "سَيِّد" فَإِنَّ أَصْلَهُ سَيُود، بدليل الفعل يَسُود، حكمت عليه القاعدة المذكورة بإبدال الواو ياءً وإدغام الياء فيها. 1

قال الهلالي: «الهمزة في فائض منقلبة عن واو». 2

ثانيا: الحركات:

الحركات في اللغة العربية ثلاثة؛ الضمة، والفتحة، والكسرة، والسكون ضد الحركة. وذكر الهلالي أن الشعوب السامية لا تختلف في اسم الله تعالى إلا في تغيير الحركات. 3

تغير المعنى لتغير الحركة:

لكل لفظ معناه الخاص به، وقد يتغير المعنى ليس لتغير حروف اللفظ بل لتغير حركاته، ومنه:

• قال الهلالي: «النّعمة - بفتح النون - سعة العيش ورغده، والتمتع بزهرة الحياة الدنيا، والنّعمة - بكسر النون - أعم من ذلك، فكل واحد من الناس قد أنعم الله عليه بنعم - بكسر النون - منها نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، فهاتان النعمتان لا يخلو منها أحد من الناس، وأما النّعمة - بالفتح - فهي خاصة بأهل الجاه والمال. 4

• وقال في قول الله ﷻ: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ [١٣٨] وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٩﴾ [الشعراء: 136 - 138]: «قرئ ﴿ خَلَقَ الْأَوَّلِينَ ﴾ بفتح فسكون، بمعنى: كذب الأولين لأن الخلق والاختلاق في اللغة هو الكذب، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوتُنَاتَا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت: 17] أي: يكذبون كذبا، وقرئ بضم الخاء واللام، بمعنى: العادة والطبيعة، فعلى القراءة الأولى يكون المعنى: هذا الذي تدعوننا إليه يا هود إنما هو كذب الأمم السابقة وأساطيرهم وليس من الله كما تدعي، وعلى القراءة الثانية يكون المعنى على أحد وجهين: الأول: هذا الذي تقوله يا هود ليس من الله، وإنما هو من عادة الأولين.

الثاني معناه: نحن على عادة الأولين ودينهم، لا نتقل عن ذلك إلى ما تدعوننا إليه، وهذا أضعف الأقوال وأقواها أولها. 5

• مثلثات العرب:

عرفها الهلالي عند كلامه في كلمة "جدة"، قال: «هذه الكلمة من مثلثات اللغة العربية التي هي بحر زاخر بالألفاظ والمعاني والمراد بالكلمة المثلثة: هي التي يتغير معناها بتغير حركة الحرف الأول منها، فيكون لها إذا فتح الحرف الأول منها معنى، وإذا ضمّ يكون لها معنًى ثان، وإذا كُسر يكون لها معنًى ثالث، ف "الجِدَّة" بفتح الجيم أمُّ الأب، و "الجُدَّة" بضمّ الجيم ساحل البحر بقرب مكة، و "الجِدَّة" بكسر الجيم ضدّ البلى والقِدَم، وفي لغة القرآن من هذه المثلثات شيء كثير خصّه بالتأليف إمام النحو قطرب، فنظم قصيدة ضمّنها كثيرا من المثلثات، منها قوله:

وَالْغَمُّ رِحَّةٌ دُسُّتِرَا

الْغَمُّ رَمَاءٌ غَزَرَا

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 73-74

2 المصدر نفسه. ص 165

3 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 23

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 360

5 المصدر نفسه. 2 / 166، وانظر: الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. طبع المكتب الإسلامي. دمشق. سوريا. ص 44

وَالْعُمْرُ ذُو الْجَهْلِ هَلِ سَرَى
مِنْ عَجَمٍ أَوْ عَرَبٍ 1
أفاد بذلك أن "العمر" بفتح الغين هو الماء الكثير، و"العمر" بكسرها هو الحقد الكامن في الصدر، و"العمر" بضم الغين هو الجاهل الذي لا يميز بين الحق والباطل والحالي والعاطل، وهكذا كل أبيات هذه القصيدة، ويوجد كتاب أوسع من ذلك وأشمل للمثلثات؛ وهو "مثلثات العرب" لبعض المتأخرين؛ واسمه حسن قويدر 2. 3
قال حسن قويدر:

أُمُّ أَبٍ وَأُمُّ أُمَّ جَدَّة
وَمَصْدَرُ الشَّيْءِ الْجَدِيدِ جِدَّة
مَدِينَةٌ أَيْ بِالْحِجَازِ جُدَّة
وَالضَّمُّ وَالْكَسْرُ لِشَطِّ النَّهْرِ
وقال: «الجدَّة بفتح الجيم: أم الأب أو أم الأم، كما أنها الفعلة الواحدة من الجد وهو القطع، والجدة بالكسر: مصدر الشيء الجديد، وجدة الرجل: شبابه، قال الهذلي:

يا لهف نفسي كأن جدة خالد
وبالكسر والضم: شاطئ النهر، وبالضم فقط: مدينة بالحجاز، كما أنها طريقة في الجبل تحالف لونه؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ﴾ [فاطر: 27] 5
وقال في الغمر:

مَاءٌ كَثِيرٌ وَالْكَرِيمُ غَمْرٌ
وَالزَّعْفَرَانُ قِيْلَ فِيهِ غَمْرٌ
إِنْ سَبَقَ الْخَيْلَ جَوَادٌ غَمْرًا
وَقَوْلُهُمْ إِنْ فَلَانًا غَمْرًا
عَدَاوَةٌ وَالْحَقُّ دُكُلٌ غَمْرٌ
وَتَلَّثَنَ جَاهِلٌ أَمْرٍ الدَّهْرُ
أَوْ حَقَّ الشَّخْصُ يُقَالُ غَمْرًا
أَي لَمْ يُجِرِّبِ الأُمُورَ فَادْرَا 6

هذا في الكلمات مفردة، أما في التراكيب فالحركات علامات إعرابية، وقد سبق بحث الإعراب، فينظر في موضعه، ومن أمثلته؛ في قول الله ﷻ: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: 4] قال محمد تقى الدين: «هذه الكلمة ترفع وتنصب ورفعها ونصبها قراءتان سبعيتان، أما الرفع فواضح وأما النصب فبفعل محذوف وجوبا تقديره أدم» 7

1 إبراهيم بن عمر الجعبري: شرح نظم مثلثات قطرب، ويليهِ: تدميث التذكير في التأنيث والتذكير. ت: الشيخ ابن أبي شنب. منشورات ثالثة. الجزائر. 2011 م. ص 11-12

2 الشيخ حسن بن علي قويدر الشافعي الخليلي نسبة إلى مدينة الخليل عليه السلام، أديب مصر، وأصوله من المغرب، ولد حوالي سنة 1204هـ في القاهرة، قرأ على الشيخ الشيخ حسن الأبطح، والشيخ حسن العطار، والشيخ إبراهيم البيجوري، والشيخ إبراهيم السقا، وغيرهم. من تأليفه شرحه على منظومة شيخه حسن العطار في النحو، ورسالة "الأغلال والسلاسل في مجنون اسمه عاقل"، و"زهر النبات في الإنشاء والمراسلات"، وكتابه الذي ذكره محمد تقى الدين الهلالي: "نيل الإرب في مثلثات العرب"، وعدد أبياته ألفان ومائتان وعشرة، توفي حسن قويدر سنة 1262هـ. انظر: نيل الإرب في مثلثات العرب. المطبعة الكبرى الميرية ببولاق. مصر. ط1. 1301هـ. ص 2-7

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 118-119

4 البيت من الكامل، وهو لأبي كبير الهذلي في ديوان الهذليين. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة. مصر. 1385هـ/1965م. 2/ 101

5 حسن قويدر: نيل الإرب في مثلثات العرب. ص 16

6 المرجع نفسه. ص 69

7 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 185

السكون:

السكون ضد الحركة؛ قال محمد تقي الدين: « من الشائع الذائع في كتب النحاة وعلى ألسنتهم: العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف 1 على متحرك. » 2

وقال بروكلمان: « لا يمكن بحسب قوانين المقاطع في اللغات السامية أن يلتقي صوتان صامتان في أول الكلمة، ولذلك فإنه إذا وجد مثل هذين الصوتين، في صيغة ما، نشأت حركة جديدة، قبل الصوت الأول ونادرا بعده. » 3

وقد انتقد الهلاي الجمع بين الوقف والوصل؛ حيث يتنفس القارئ في المد المتصل مثل ﴿جَاءَ﴾ و﴿شَاءَ﴾ و﴿أَيْبَاءَ﴾ و﴿أَمْثُوا﴾ وما أشبه ذلك، فيقطع الكلمة الواحدة نصفين، ولا شك في أن ذلك محرم وخارج عن آداب القراءة 4، قال: «الجمع بين الوقف والوصل لا يجوز كما هو مقرر في كتب علم التجويد، وحد الوقف عند علماء التجويد أن يسكت القارئ بقدر ما يتنفس سواء تنفس أم لم يتنفس. » 5، وهو قطع النطق عند إخراج آخر اللفظ. 6

فالبحث في الأصوات اللغوية عند الهلاي كان ضمن دراساته في القراءات والصرف والنحو واللهجات.

ثالثا: الحروف المتقطعات التي ابتدئت بها أوائل السور:

ابتدأت بعض سور القرآن الكريم بحروف هجاء تكلم فيها العلماء اعتناء بشأنها، ولكنهم اختلفوا، ولم يأتوا بما يقطع به ويضمن به القلب 7.

قال محمد تقي الدين: «اختلف العلماء في الحروف التي بدئت بها بعض السور نحو: ﴿الر﴾، ﴿الر﴾، فاختر بعضهم تفويض معناها إلى الله تعالى، إذ لم رد في تفسيرها شيء عن النبي ﷺ ولا تتعلق بها أحكام.

وبعضهم اعتبرها تحديا للمشركين المكذابين، فكأنه يقول لهم: إن زعمتم أن محمدا جاء بهذا القرآن من عنده فكلماته من حروف المعجم كالألّف واللام والميم والراء والصاد والحاء والقاف، فركبوا أنتم كلمات وجلا وسورا تشبه القرآن في لفظه ومعناه، فأنتم عرب فصحاء، فكيف عجزتم أن تأتوا بأقصر سورة مثله؟، واستدلوا لهذا الرأي بأن القرآن يذكر بعد تلك الحروف في أكثر الفواتح، كالبقرة، وآل عمران، والأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، إلى آخرها وهو رأي معقول. » 8

وقد ذهب عبد الحميد الفراهي 9 إلى أنها أسماء للسور 10. وهو رأي وجيه يستحق الدراسة والتحليل.

1 هذا في اللغة، أما في القرآن؛ فمنه الواجب ومنه الجائز ومنه القبيح، ولا بد من معرفته لقارئ القرآن. انظر: الإتقان في علوم القرآن. ص 539، ومثال القبيح ما نقله الهلاي عن عبد القادر الجيلاني: «وقف جماعة من منكري استواء الرب ﷻ على قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [طه: 5] وابتدؤوا بقوله: ﴿أَسْتَوَى﴾ له. مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [طه: 5-6] يريدون بذلك نفي الاستواء الذي وصف به نفسه، وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته. » سبيل الرشاد. 5/ 226

2 الهلاي: تقويم اللسانين. ص 182

3 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 73

4 الهلاي: الحسام الماحق لكل مشرك ومناق. دار الفتاح. الشارقة. ط 1. 1415 هـ/ 1994 م. ص 100-101

5 الهلاي: تقويم اللسانين. ص 141،

6 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ت: المتولي رمضان أحمد الدميري. مكتبة وهبة. القاهرة. مصر. ط 2. 1414 هـ/ 1993 م. ص 308

7 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 117-118

8 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 533

9 قال محمد تقي الدين الهلاي في عبد الحميد الفراهي: «الرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلا عن علماء الهند... سمعت منه خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عيناى لفصاحتها وحقيتها، وهو عارف بمسألة الخلافة محقق لها، لا يلتبس عليه شيء من أمرها خلافا لأهل الهند، مجتهد في العقائد والعمليات، لا ينتمي لمذهب لكنه يتبع على مذهب الحنفية لأنه نشأ عليه ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل، ماهر في الانكليزية والعربية والفارسية والأردية، وبالجملة فهو أعلم من لقيته قبل هذا الحين، وهو 17 رمضان 1342هـ.» مفردات القرآن. ص 41

10 انظر: الفراهي: مفردات القرآن. ص 117-120

المطلب الثاني: أبنية الأسماء والأفعال

أقل ما تبني عليه الكلمة في العربية ثلاثة أحرف، وأكثره سبعة أحرف، وسنرى تفصيل ذلك؛ قال الهلالي: «من المعلوم أن أكثر الكلمات في اللغات السامية سواء أكانت فعلاً أم اسماً لا يقل عددها في الكلمة الواحدة عن ثلاثة أحرف، وما جاء ناقصاً؛ كَيْدٍ وَدَمٍ فالحرف الثالث فيه مقدر يظهر في الجمع نحو: اغسلوا أيديكم، وسالت دماء الأعداء، فهمزة دماء منقلبة عن ياء والأصل دماي وعلما اللغات السامية متفقون على هذا»¹

أولاً: أبنية الفعل:

قال بروكلمان: «تستخدم اللغات السامية أبنية فعلية مختلفة، مأخوذة من الأصل الذي يكون الأساس المشترك للاسم والفعل»² والفعل.³

ولتسهيل حفظ موازين الأفعال الصرفية نظمها الهلالي في هذه الأبيات:

نُصِرْتُ بِضَرْبِ الْفَتْحِ فَافْرَحُ بِحُسْنِهِ	وَرِثُهُ وَآمِنُ ثُمَّ قَاتِلُ وَبَشِيرُ
تَفْتَحُ الْآمَالَ وَاخْضَلْ نُورَهَا	تَوَالِي ابْتِسَامُ الْبَرْقِ يَا صَاحِ فَانْتِيرُ
أَلَا إِنَّ الْإِخْشِيَّانَ يَسْتَنْهَضُ الْقَوَى	كَذَلِكَ بِالْإِخْضِرَارِ يَجْلُوذُ السَّرِي
وَحَوَّقْتُ لَمَّا بَيَّطَرَ الْقُرْأَمْحَصِي	وَجَهْوَزْتُ بِالْقُرْآنِ إِذْ لَمْ أُعْثِرِ
وَجَلَبَبَ زَيْدٌ بِنْتَهُ سَايَرًا لَهَا	وَسَلَقَى مِنَ الْإِعْيَاءِ وَهُوَ بِدَا حَرِي
تَزْحَرْحُ عَنِ الْأَثَامِ يَفْرُقُعُ الْهَوَى	تَزْحَرْحُ عَنِ النَّارِ اطْمَئِنَّ وَأَبْشِرِ ³

ثم قال: «تضمنت هذه الأبيات سبعا وعشرين وزناً:

(1) الستة الأولى منها: لضبط "عين" مضارع الثلاثي، وقد جمعها بعضهم بقوله:

فَتَحُّ ضَمُّ فَتَحُ كَسْرٌ فَتَحَتَانِ كَسْرُ فَتَحٍ ضَمُّ ضَمُّ كَسْرَتَانِ

وهي:

1- (نُصِرَ يَنْصُرُ)، بفتح (الصاد) في الأول وضمها في الثاني.

2- (ضَرَبَ يَضْرِبُ)، بفتح (الراء) في الأول كسرهما في الثاني.

3- (فَتَحَ يَفْتَحُ)، بفتح (التاء) فيها.

4- (فَرِحَ يَفْرَحُ)، بكسر (الراء) في الأول وفتحها في الثاني.

5- (حَسَنَ يَحْسُنُ)، بضم (السين) فيها.

1 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 27

2 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 109

3 الهلالي: منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار الهلالي. ت: مشهور بن حسن آل سلمان. الدار الأثرية. عمان. الأردن ودار الجيل. الدار البيضاء. المغرب. ص 404 - 405

6- (وَرِثَ يَرِثُ)، بكسر (الراء) فيهما.

(2) مزيد الثلاثي بحرف واحد، وهو ثلاثة: وأشرت إليها بـ(أَمَرَ) لـ(أَفْعَلَ) كـ(أَكْرَمَ)، وبـ(قَاتَلَ) لـ(فَاعَلَ) كـ(قَاتَلَ)، و(بَشَرَ) لـ(فَعَّلَ) كـ(بَشَرَ).

(3) مزيد الثلاثي بحرفين، وهو خمسة: (تَفَعَّلَ) كـ(تَبَسَّمَ)، و(أَفْعَلَ) كـ(خَضَلَ)، و(تَفَاعَلَ) كـ(تَوَالَى) و(تَوَاعَدَ)، و(أَفْتَعَلَ) كـ(ابْتَسَمَ) وإليه أشرت بـ(ابتسام البرق)، و(انْفَعَلَ) كـ(أَنْبَرَى) و(انْقَطَعَ).

(4) مزيد الثلاثي بثلاثة أحرف، وهو أربعة: (أَفْعُوَعَلَ) كـ(أَحْشَوْشَنَ)، و(اسْتَفْعَلَ) كـ(اسْتَهَضَّ) و(اسْتَخْرَجَ)، و(أَفْعَالَ) بـتشديد اللام- كـ(أَخْضَارًا) و(أَحْمَارًا)، وإليه أشرت بـ(الأخضرار)، و(أَفْعُوَلَّ)- بـتشديد الواو- كـ(أَجْلُوذًا).

(5) مزيد الثلاثي بحرف واحد أيضًا، وهو ستة أفعال: (فَوَعَلَ) كـ(حَوَقَلَ)، و(فَيْعَلَ) كـ(بَيْطَرَ)، و(فَعُوَلَّ) كـ(جَوْهَرَ)، و(فَيْعِلَ) كـ(عَشِيرَ)، وإليه أشرت بـ(إذ لم أعثر)، و(فَعَلَّلَ) كـ(جَلَبَبَ)، و(فَعَلَّى) كـ(سَلَّقَى).

(6) مزيد الرباعي بحرف واحد كـ(تَزَحَّجَ)، ومزيد بحرفين كـ(أَفْرَنْفَعَ)، ومزيد بحرفين على شكر آخر كـ(أَطْمَأَنَّ).¹ وهذه فوائد في معاني الأبنية:

أبنية الثلاثي:

• الثلاثي المجرد:

قال بروكلمان: «الوزن الأصلي في العربية: fakada [فَقَدَا]، وهذا الوزن معناه متعد، وهناك إلى جواره وزنان آخران لازمان، أحدهما للدلالة على الخصائص الثابتة المستمرة؛ مثال ذلك في العربية: "حَسَنٌ"، والوزن الثاني للدلالة على الأعراس المتغيرة، مثال ذلك في العربية: "يَبَسٌ".²

قال محمد تقي الدين: «من ضعف اللغة العربية في هذا الزمن أن أكثر المدرسين والطلبة لا يعرفون الأبواب الستة؛ التي: أولها: فَعَلَ يَفْعُلُ بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع.

وثانيها: فَعَلَ يَفْعُلُ بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، كضربَ يَضْرِبُ، وكَسَبَ يَكْسِبُ.

وثالثها: فَعَلَ يَفْعُلُ بفتح العين في الماضي والمضارع، كَنَصَحَ يَنْصَحُ وَقَطَعَ يَقْطَعُ، وهذا الباب لا بُدَّ أن يكون عينه، أي الحرف الثاني منه، أو لامه؛ الحرف الثالث منه حرف حلق، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا فعل واحد، وهو: "أَبَى يَأْبَى" فَإِنَّ عينه وهي الباء مفتوحة في الماضي والمضارع مع أن عينه ولامه ليستا من حروف الحلق، فهذا الباب محصور في كون عينه أو لامه حرف حلق إلا ما استثني.

غير أن الأفعال التي عينها أو لامها من أحرف الحلق لا تنحصر في هذا الباب بل تكون فيه وفي غيره كدَخَلَ يَدْخُلُ فَإِنَّه من باب نَصَرَ يَنْصُرُ، وَصَحَبَ يَصْحَبُ فَإِنَّه من الباب الرابع الذي سنذكره بعد...

الرابع: فَعَلَ يَفْعُلُ بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وهذا قياس مطرد سواء أكان مُتَعَدِّيًا كَعَلِمَ يَعْلَمُ أو لازِمًا كَفَرَحَ يَفْرَحُ.

الخامس: فَعَلَ يَفْعُلُ بضم العين في الماضي والمضارع معًا كحَسَنَ يَحْسُنُ وَعَظَّمَ يَعْظُمُ وَكَرَّمَ يَكْرُمُ.

السادس: فَعَلَ يَفْعُلُ بكسر العين في الماضي والمضارع معًا كـ: وَرِثَ يَرِثُ، وَوَلِيَ يَلِي، وعدد هذا القسم لا يزيد على ستة أفعال. وهي على هذا الترتيب في الكثرة والقلة في كلام العرب.

1 الهلاي: منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار الهلاي. ص 405 - 406

2 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 109 باختصار

والباب الأول والثاني سماعيان لا ينضبطان إلا بالحفظ، والثالث كثير في كلام العرب يقرب أن يكون قياسيا، أمّا الرابع والخامس فهما قياسيان، والسادس قليل عدده، سهل حفظه. 1

وقال الهلالي في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 87]: «هو من "قَدَرَ" بمعنى "قَدَّرَ" المشدد الدال، يقال: قَدَرَ الله عليه كذا وكذا يقدره على وزن "صَرَبَ".» 2

• الثلاثي المزيد فيه:

- مزيد الثلاثي بحرف واحد:

1- أَفَعَلَ:

قال الهلالي: «يقال: أَحصد الزرع إذا حان وقت حصاده.» 3

وهذا ما قرره سيبويه؛ قال: «تقول: أَجْرَبَ الرجلُ وَأَنْحَزَ وأَحَالَ، أي صار صاحب جرب، وحيال، ونحاز في ماله، وتقول لما أصابه: هذا نَجْرٌ، وَجَرِبٌ، وَحَائِلٌ للناقة.» 4، ثم قال: «ومثل هذا أَصْرَمَ النَّخْلُ، وَأَخْصَدَ الزَّرْعُ، وَأَجَزَّ النَّخْلُ وَأَقْطَعَ، أي قد استحق أن تُفعل به هذه الأشياء.» 5

ومن معاني هذه الصيغة أيضا، قال سيبويه: «تقول: دَخَلَ وَخَرَجَ وَجَلَسَ، فإذا أَخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قُلْتَ: أَخْرَجَهُ، وَأَدْخَلَهُ، وَأَجْلَسَهُ.» 6

وقال: وتجيء أَفَعَلْتُهُ على أن تُعرضه لأمر، وذلك كقولك: قَتَلْتُهُ أي عَرَضْتُهُ للقتل، ويجيء مثل قَبْرْتُهُ وَأَقْبَرْتُهُ، فَقَبْرْتُهُ: دَفَنْتُهُ، وَأَقْبَرْتُهُ: جَعَلْتُهُ قَبْرًا.» 7

وقد يتغير معنى الفعل الثلاثي إذا زيد فيه الألف، ومثاله قول محمد تقي الدين الهلالي: «قرأ الجمهور ﴿يَتَوَتَّنَ مَا آتَوْا﴾ [المؤمنون: 60] من "أتى" الرباعي، بمعنى: أعطى، وقرئ: ﴿يَأْتُونَ مَا آتَوْا﴾ من "أتى" الثلاثي، أي: يفعلون ما فعلوا، وهي قراءة عائشة روتها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك التبس عليها الأمر، فسألت عن الأفعال التي يفعلونها أهي المعاصي؟ فأخبرها النبي ﷺ أنها الأعمال الصالحة، وهم مع ذلك خائفون أن لا تقبل منهم، لأن محبطات الأعمال كثيرة، والحازم يغلب الخوف على الرجاء إلا في الاحتضار حين تنقطع الأعمال أو تكاد، ولو قرأت عائشة بقراءة الجمهور ما وقع لها التباس.» 8

2- فَاعَلَ:

قال بروكلمان: «تبني السامية الجنوبية وزنا ثالثا يسمى: وزن الهدف وذلك بمد حركة فاء الفعل؛ مثال ذلك في العربية: "فَاتَلَّ" من "قَتَلَ".» 9

قال سيبويه: «اعلم أنك إذا قلتَ: فَاعَلْتُهُ، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إلى حين قلتَ فَاعَلْتُهُ.» 10 «وقد تجيء فاعلتُ لا تريد بها عمل اثنين.» 11

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 127-128-129

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 72

3 الهلالي: الزمان. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الخامسة. العدد الخامس. رمضان 1381 هـ/ فيفري 1962م. ص 16

4 سيبويه: الكتاب. 4 / 59

5 المرجع نفسه. 4 / 60

6 المرجع نفسه. 4 / 55

7 المرجع نفسه. 4 / 59

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 95

9 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. 109

10 سيبويه: الكتاب. 4 / 68

11 المرجع نفسه. 4 / 68

3- فَعَّلَ:

قال سيبويه: «قد يجيء الشيء على فَعَّلْتُ فيشرك أفعَلْتُ، كما أنهما قد يشتركان في غير هذا؛ وذلك قولك: فَرِحَ وفَرَحْتُهُ، وإن شئت قلت أفرَحْتُهُ.»¹

وقال: «وقد جاء فَعَّلْتُهُ إذا أردت أن تجعله مُفْعِلاً، وذلك: فَطَرْتُهُ فأفطر، وبشرفته فأبشر، وهذا النحو قليل. فأما خَطَّأْتُهُ، فإنها أردت: وسميته مُحْطِئاً، كما أنك حيث قلت: فسقته وزنيته؛ أي: سميته بالزنا والفسق، كما تقول: حيَّيته أي استقبلته بحياك الله، كقولك: سقيته ورعيت، أي: قلت له: سقاك الله ورعاك الله، كما قلت له: يا فاسق، وخطأته قلت له يا مخطئ، ومثل هذا لَحَنْتُهُ.»²

قال الهلالي في قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء: 87]: «هو من "قَدَرَ" بمعنى "قَدَّرَ" المشدد الدال، يقال: قَدَرَ الله عليه كذا وكذا يقدره على وزن "ضَرَبَ".»³

واقصر الهلالي على ذكر معنى التكثير في معنى هذه البنية فيما وجدته له، قال: «"فَعَّلَ" المضاعف إذا اشترك مع الثلاثي في معنى واحد دلّ الرباعي على الكثرة 4 والمبالغة في اللغة العربية، وفي أختيها العبرانية والآرامية.»⁵
- مزيد الثلاثي بحر فين 6:

1 - انْفَعَلَ:

قال محيي الدين عبد الحميد: «يجيء بناء "انْفَعَلَ" للدلالة على المطاوعة، وأكثر ما تكون مطاوعة هذا البناء للثلاثي المتعدي لواحد، نحو كَسَّرْتُهُ فانكسر، وقُدُّتُهُ فانقاد، وقد يأتي لمطاوعة صيغة "أفعل"؛ أَغْلَقْتُ الباب فانغلق، وَأَزْعَجْتُ علياً فانزعج.»⁷
2 - اِفْتَعَلَ:

قال محيي الدين عبد الحميد: «يجيء بناء افتعل للدلالة على المطاوعة، ويطاوع الثلاثي، نحو جمعته فاجتمع، وغمته فاغتم، ويطاوع بناء "أفعل"، نحو أنصفته فانصف، ويطاوع بناء "فعل"، نحو عدلت الرمح فاعتدل.»⁸ «ويأتي للدلالة على الاتخاذ، أو أو للدلالة على التشارك، أو للدلالة على التصرف باجتهد ومبالغة، أو للدلالة على الاختيار، أو لغير ذلك من المعاني.»⁹
3 - افْعَلَّ:

قال بروكلمان: «في بعض اللغات السامية وزن: "افعل"، في العربية مثل: "احمر".»¹⁰
4 - تَفَعَّلَ:

قال بروكلمان: «الانعكاسية من وزن الشدة، فهو موجود في صورته الأصلية، في العربية والحشية: takattala [تَقَتَّلَ].»¹¹
قال سيبويه: «فَعَّلْتُهُ فتَفَعَّلَ، نحو كَسَّرْتُهُ فتكسَّر، وعَشَّيْتُهُ فتعشَّى.»¹²

1 سيبويه: الكتاب. 4 / 55

2 المرجع نفسه. 4 / 58

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 72

4 انظر: الكتاب، لسبويه. 4 / 64

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 34

6 محمد محيي الدين عبد الحميد: تكملة في تصريف الأفعال. ص 227-228

7 المرجع نفسه. ص 231، وانظر: الكتاب، لسبويه. 4 / 65

8 المرجع نفسه والصفحة، وانظر: الكتاب، لسبويه. 4 / 65

9 المرجع نفسه والصفحة باختصار. وانظر: الكتاب لسبويه. 4 / 73-74

10 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 111 باختصار.

11 المرجع نفسه. ص 110

12 سيبويه: الكتاب. 4 / 66

5 - تَفَاعَلَ:

قال بروكلمان: «تطرد في العربية والحبشية أيضا، الانعكاسية من وزن الهدف: takatala [تَفَاعَلَ]»¹ والانعكاسية هي المطاوعة في اصطلاح النحاة الهرب، قال سيبويه: «فَاعَلْتَهُ فَتَفَاعَلَ، وذلك نحو نَأَوَلْتُهُ فَتَنَأَوَلَ»².

- مزيد الثلاثي بثلاثة أحرف؛ استَفَعَلَ وافْعُوَعَلَ وافْعَالَ 4 وافْعُوَلَ 5:

كثيرا ما تستعمل صيغة "استفعل" للدلالة على الطلب، قال محمد تقي الدين: «الذين يستهدون الله تعالى»⁶، أي يطلبون الهداية منه.

قال سيبويه: «تقول: استعظيتُ أي طلبتُ العظيمة، واستعبتته أي طلبتُ إليه العُتبي، ومثل ذلك استفهمتُ واستخبرتُ، أي طلبتُ إليه أن يُخبرني، ومثله استشرته.

وتقول: استخرجته، أي لم أزل أطلب إليه حتى خرج»⁷.

ومن معانيها أيضا ما ذكره سيبويه، قال: «تقول: استجدته أي أصبته جيدا، واستكرمه أي أصبته كريها، واستعظمته أي أصبته عظيما».

وقال سيبويه في "افْعُوَعَلَ": «قالوا: خَشَنَ، وقالوا: اخْشَوْشَنَ. وسألتُ الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنه إذا قال: اعْشَوْشَبَتِ الأرض، فإنها يريد أن يجعل ذلك كثيرا عاما، قد بالغ»⁸.

أبنية الرباعي:

• للرباعي المجرد: وزن واحد وهو "فَعَّلَل".

وملحقات الرباعي المجرد ثمانية «أصلها من الثلاثي فزيد فيه حرف لغرض الإلحاق»⁹، هي: فَعَّلَلْ وفَوَعَلَ وفَعُوَلَ وفَيْعَلَ وفَعِيلَ وفَعَلَى وفَعُنَلْ وفَنَعَلَ.

• الرباعي المزيد فيه 10:

- مزيد الرباعي بحرف واحد: تَفَعَّلَل:

وملحقاته سبعة أصلها من الثلاثي فزيد فيه حرف للإلحاق ثم زيدت عليه التاء¹¹؛ هي: تَفَعَّلَلْ وتَفَعُوَلَ وتَفَيْعَلَ وتَفَعِيلَ وتَفَوَعَلَ وتَمَفَعَلَ وتَمَفَعَلَى.

- مزيد الرباعي بحرفين: افْعُنَلَلْ، وافْعَلَلْ.

وملحقاته ثلاثة أبنية أصلها من الثلاثي، فزيد فيه حرف الإلحاق، ثم زيد فيه حرفان¹²؛ وهي: افْعُنَلَلْ وافْعُنَلَى وافْتَعَلَى.

1 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 110

2 سيبويه: الكتاب. 4 / 66

3 محمد محيي الدين عبد الحميد: تكملة في تصريف الأفعال. ص 228-229

4 سيبويه: الكتاب. 4 / 76

5 المرجع نفسه والصفحة.

6 الهلاي: دواء الشاكين وقامع المشكين 6. مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة. العدد التاسع. ذو الحجة 1379 جوان 1960. ص 13

7 سيبويه: الكتاب. 4 / 70

8 المرجع نفسه. 4 / 75

9 محمد محيي الدين عبد الحميد: تكملة في تصريف الأفعال. ص 228

10 المرجع نفسه. ص 229

11 المرجع نفسه والصفحة.

12 المرجع نفسه والصفحة.

المبني للفاعل والمبني للمفعول:

من نصوص الهلالي في الفرق بين الفعل المبني للفاعل والفعل المبني للمفعول:

- «رُويّ» بصيغة الفعل المبني للنائب لا يستعملها أهل الحديث إلا إذا كان المرويّ ضعيفا. 1
- «الذي يُمدّ بفتح الميم لا يُمدّ بضم الياء وكسر الميم». 2
- «من دعا إليه» أي إلى تحكيمه والعمل به [أي: القرآن] «فقد هدى» بصيغة المجهول [هَدِيّ] والمعلوم [هَدَى]، وهما متلازمان لأن الهادي إلى الصراط المستقيم مهدي. 3

ثانيا: أبنية الاسم:

قال بروكلمان: «تؤيد مقارنة معظم اللغات، القول بأن معنى الفعل، ليس إلا اشتقاقا من معنى الاسم، ويؤيد ذلك في اللغات السامية كذلك، أن الأوزان الاسمية، تطورت تطورا أكبر من تطور الأوزان الفعلية». 4

وينقسم الاسم إلى مجرد ومزيد.

المجرد:

عرفه ابن عقيل بقوله: «ما بعض حروفه ليس ساقطا في أصل الوضع، وهو إما ثلاثي كِفْلَس، وإما رباعي كَجَعْفَر، وإما خماسي وهو غايته كَسَفْرَجَل». 5

- أبنية الاسم الثلاثي المجرد:

قال ابن عقيل: «

واكسر، وزد تسكين ثانيه تعم

وغَيْرِ آخِرِ الثلاثي افتح وضم

العبرة في وزن الكلمة بما عد الحرف الأخير منها، وحيثذ فالاسم الثلاثي إما أن يكون مضموم الأول، أو مكسوره، أو مفتوحه؛ وعلى كل من هذه التقادير؛ إما أن يكون مضموم الثاني، أو مكسوره، أو مفتوحه، أو ساكنه؛ فيخرج من هذه اثنا عشر بناء. 6

- أبنية الاسم الرباعي المجرد 7: ستة؛ وهي: فَعَلَّل: نحو جعفر، وفَعَلَّل مثل زَبْرَج، وفَعَلَّل، وفَعَلَّل، وفَعَلَّل مثل هَزْبَر، وفَعَلَّل وفَعَلَّل نحو دِرْهَم.
- أبنية الاسم الخماسي المجرد 8: أربعة؛ وهي: فَعَلَّل: مثل سَفْرَجَل وفَعَلَّل: مثل جَحْمَرِش وفَعَلَّل: مثل قِرْطَعْب وفَعَلَّل: مثل قُدْعَمِل.

الجنس والعدد:

- المذكر والمؤنث:

قال محمد تقي الدين: «لا يوجد شعب عربي لا يميز في كلامه العام بين المذكر والمؤنث ويا للأسف إلا الشعب المغربي إلا قليلا من بواديه وقراه». 9

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 25

2 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. ص 42

3 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 92

4 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 93

5 ابن عقيل: شرح ابن عقيل. 4 / 163

6 المرجع نفسه. 4 / 163-164

7 انظر: المرجع نفسه. 4 / 167

8 انظر: المرجع نفسه. 4 / 167-168

9 الهلالي: القرآن والثقافة العربية. ص 4

قال بروكلمان: «تُفَرَّق اللغات السامية بين نوعي ما يسمى بالجنس، وهما المذكر والمؤنث، ويعبر عن الأول عادة بالكلمة الأصلية المجردة، كما يفترق الثاني عن الأول في معظم الأحوال بنهاية تتصل به، غير أنه يرجح أن هذه التفرقة ليست لها علاقة في الأصل بالتذكير والتأنيث الحقيقي.»⁷

وقال: «تستغني عن علامة التأنيث مطلقا في اللغة العربية تلك الصيغ التي تعبر عن الأحوال الخاصة بالمؤنث، والناجئة عن خصائص ذلك الجنس، مثل: "عاقِر"، و"حامل"، و"مرضع"، وغير ذلك.

وفي كل اللغات السامية، كلمات كثيرة مؤنثة، بلا علامة للتأنيث.»² «ومن ناحية أخرى، غالبا ما تحمل الأسماء المذكورة، الخاصة بالمهن، نهاية التأنيث، مثال ذلك في العربية: "خليفة"، و"علامة".»³

ومؤنث "أفعل": "فُعِلَ"؛ قال محمد تقي الدين: «المراد بالذنيا: القُرْبَى؛ فُعِلَ: من الدنوّ.»⁴ وهما يدلان على التفضيل.⁵

• ثنائية الأسماء وجمعها:

- الثنائية:

هي ضم اسم إلى آخر، بشرط اتفاق اللفظ والمعنى، أو المعنى الموجب للثنائية، كالقمرين في ثنائية الشمس والقمر، والمثنى هو الاسم الدال على اثنين بزيادة في آخره.⁶

قال بروكلمان: «قام المثنى في اللغات السامية، أصلا للدلالة على الأزواج الطبيعية، كالأعضاء المزدوجة، غير أنه أصبح فيما بعد، يعبر كذلك عن الثنائية مطلقا، وهو ينتهي بالنهاية (a)[L]، (ay) [ي]؛ وهما في العربية لحالة الإضافة من ناحية، ومن ناحية أخرى للتفرقة بين حالات الإعراب، أما حالة الإطلاق، ففيها يتصل بهما، كما يتصل بالجمع النهائية (na) [ن]، التي تخالف بعد (a) [L]، إلى: (ni) [ن].»⁷

- الجمع:

ذكر الهلالي أن أقل الجمع ثلاثة⁸، والذي يظهر لي أن هذا في اصطلاح النحاة، أما في اللغة فإذا ضمنت شيئا إلى آخر فقد جمعتها، والجمع هو الاسم الموضوع للأحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرر الواحد بالعطف.⁹

أ- جمعا التصحيح:

1- جمع المذَّكَّرِ السَّالِمِ:

هذا الجمع يسلم فيه مفرده من التغيير، ومن أمثلته:

• قال محمد تقي الدين: «الألماني يجب أن يجمع على ألمانيّين، وكذلك الإسباني يجب أن يجمع على إسبانيّين، وكأنهم شَبَّهوه بجمع

رومي على روم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي أَرْضِنَا يُؤْتُونَ مِنْهَا رِزْقًا غَيْرًا مِمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ الآية [الروم: 1-3]، وهذا مما لا يُقاس عليه بل يقتصر فيه على السَّاعِ.»¹⁰

1 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 95

2 المرجع نفسه والصفحة.

3 المرجع نفسه والصفحة.

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 108

5 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 96

6 ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ت: المتولي بن رمضان أحمد الدميري. مكتبة الشروق. مصر. 1413 هـ / 1993 م. ص 87-88

7 المرجع نفسه. ص 99، وقال: «ويكاد المثنى أن يندثر في الآرامية، على حين يوجد في آرامية العهد القديم.»

8 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل. ومعه: شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل. 2/ 771

9 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 110

10 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 143

وقال: «وقد توسَّع الكُتَّاب في هذا الزَّمان فقالوا: يوناني ويونان، فكأْتهم قاسوه على رومي وروم، وزنجيٌّ وزنج، والذي في القاموس هو: «واليونانيُّون جيل انقرضوا.»¹

والذي يهمننا هنا هو أنه لا يُقال: يوناني ويونان، وإنَّما يُقال: يونانيُّ ويونانيُّون.

ومن ذلك قولهم: ألماني وألمان، والصَّواب: جرمانى وجرمانيُّون، فإذا أردنا أن نتساهل ونترك اللفظ العربي، ونستعير اللفظ الفرنسي وجب علينا أن نقول: ألماني وألمانيُّون، والأفضل لنا أن نستعمل اللفظ العربي ونُحيِّيه ونستغني به.²

• وقال: «من الأخطاء الشائعة التي يأسف لها من كان عنده أدنى شيء من محبة اللغة العربية والغيرة عليها جمعهم المدير وهو الذي يدير شؤون مصلحة من مصالح الدولة على مدراء توهمها منهم أنه من باب "فَعِيل" بفتح الفاء وكسر العين الذي يجمع على "فُعلاء" بضم الفاء وفتح العين، كحكيم وحكماء وكريم وكرماء وبخيل وبخلاء، وبينهما بون شاسع، لا يلتبس أحدهما بالآخر إلا على من ليس له من علم اللغة العربية أدنى نصيب، فإنَّ "المدير" وزنه "مُفَعِل" من "أدار يُدير الرباعي"، فالصَّواب جمعه جمع مذكر سالماً على "مديرين"، كمُقيم من أقام يُجمع على مُقيمين، قال الله تعالى في سورة الحج [رقم 35] وبعد قوله تعالى: ﴿وَيَتَرِ الْمَخْسِتِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 34]: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج: 35]»³

2- ما يجمع بألف و تاء زائدتين:

ويسلم فيه مفردة من التغيير أيضاً،

قال محمد تقي الدين: «جمعها بعضهم بقوله:

وَدِرْهُمُ مُصَغَّرًا وَصَحْرًا

وَقَسَّه فِي ذِي التَّاءِ وَنَحْوِ ذِكْرِي

وَغَيْرُ ذَا مُسَلِّمٍ لِلنَّاقِلِ 4

وَزَيْتِبٍ وَوَصْفٍ غَيْرِ الْعَاقِلِ

فالأول: ذو التَّاءِ يعني تاء التَّائِثِ كعُرْفَةٍ وغرفات، وصَلَاةٍ وَصَلَوَاتٍ، وكَاتِبَةٍ وَكَاتِبَاتٍ، وفَاطِمَةٍ وَفَاطِمَاتٍ، ولو كان مُدَكَّرًا كطَلْحَةٍ وَطَلْحَاتٍ.

والثاني: ما كان آخره ألف التَّائِثِ المقصورة نحو ذُكْرِي وَذُكْرِيَّاتٍ، وَبُشْرِي وَبُشْرِيَّاتٍ، وَحُبْلِي وَحُبْلِيَّاتٍ.

والثالث: الاسم إذا صُغِّرَ وكان لِمُدَكَّرٍ ممَّا لا يَعْقِلُ، كدُرَيْمِهِمْ وَدُرَيْمَاتٍ، وَغُرَيْلٍ وَغُرَيْلَاتٍ.

والرابع: ألف التَّائِثِ الممدودة، كحَمْرَاءٍ وَحَمْرَاوَاتٍ، وَصَفْرَاءٍ وَصَفْرَاوَاتٍ.

الخامس: كل اسم علم مؤنَّثٍ وإن لم تكن فيه التَّاءُ كزَيْتِبٍ وَزَيْتِبَاتٍ، وَهِنْدٍ وَهِنْدَاتٍ.

السادس: وصف غير العاقل كقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: 197]، ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ

مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: 203]؛ فَإِنَّ مَعْلُومَاتٍ جَمْعُ مَعْلُومٍ، وَمَعْدُودَاتٍ جَمْعُ مَعْدُودٍ.

هذه سِتَّةٌ يُقَاسُ فِيهَا الْجَمْعُ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ.

1 محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط. ت: محمد نعيم العرقسوسي وآخرين. مؤسسة الرسالة. ط8. 1426هـ/2005م. ص 1241، قال الهلالي: «قول الفيروزآبادي: "انقرضوا"، له في ذلك عذر، لأن بلاد اليونانيين في زمانه كانت ولاية من ولايات الدول العثمانية، ووجود الشعوب مرتبط باستقلال دولها.» تقويم اللسانين. ص 21

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 21-23 باختصار

3 المصدر نفسه. ص 122

4 النظم للشاطبي في حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني. ت: طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة التوفيقية. مصر. 1/ 162

وقد سُمع عن العرب جمع الحَمَام على الحَمَامَات، وجمع السَرَادِق على سَرَادِقَات. قال صاحب "اللسان": «السَّرَادِق ما أحاط بالبناء والجمع سَرَادِقَات، قال سيويوه: جمعه بالتاء وإن كان مُذَكَّرًا حين لم يُكَسَّر، وفي التَّنْزِيل: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 29] في صفة النَّار أعاذنا الله منها» 1. 2

وجمع الهلالي الحياة على "الحَيَوَات" 3

وجمع سُنَّة على "سُنَّات" 4

وذكر أن جمع المقرَّر هو «المُقَرَّرَات» وهو داخل في القسم السادس مما تقدم. 5 لأنه وصف لمقدَّر غير عاقل.

ولبعض ما جمع بألف وتاء أوجه؛ قال محمد تقي الدين: «جمع خِدْمَة جمع تصحيح، أي جمع مؤنث سالم، ففيه ثلاثة أوجه: الأول: كسر الدال والخاء فتقول خِدِمَات بكسرتين.

والثاني: كسر الخاء وفتح الدال للتخفيف فتقول: خِدَمَات، بكسر ففتح.

والثالث: كسر الخاء وسكون الدال فتقول: خِدَمَات بكسر فسكون.

قال ابن مالك في الألفية:

وَالسَّالِمِ الْعَيْنِ الثَّلَاثِيَّ اسْمًا أَنْزَلَ
إِنْ سَاكِنِ الْعَيْنِ مُؤَنَّثًا بَدَا
وَسَكَّنِ التَّالِيَّ غَيْرَ الْفَتْحِ أَوْ
إِذَا جَمَعَ الْأِسْمَ الثَّلَاثِيَّ الصَّحِيحَ الْعَيْنِ السَّاكِنِ الْمُوَثَّنِ الْمَخْتومِ بِالتَّاءِ أَوْ الْمَجْرُودِ عَنْهَا بِأَلْفٍ وَتَاءٍ أَتَبَعَتْ عَيْنَهُ فَتَاءٌ فِي الْحَرَكَةِ مُطْلَقًا، فَتَقُولُ فِي دَعْدٍ «دَعْدَات»، وَفِي جَفْنَةٍ «جَفْنَات»، وَفِي جَمَلٍ وَبِرَةٍ «جَمَلَات» وَ«بُرَات» بِضَمِّ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ، وَفِي هِنْدٍ وَكِسْرَةٍ «هِنْدَات» وَ«كِسْرَات» بِكَسْرِ الْفَاءِ وَالْعَيْنِ، وَيَجُوزُ فِي الْعَيْنِ بَعْدَ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ التَّسْكِينُ وَالْفَتْحُ، فَتَقُولُ: جَمَلَات وَجَمَلَات وَبُرَات وَبُرَات وَهِنْدَات وَهِنْدَات وَكِسْرَات وَكِسْرَات، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ بَعْدَ الْفَتْحِ بَلْ يَجِبُ الْإِتْبَاعُ، وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَمَجَّلتُ زَفَرَاتِ الضَّحَى فَأَطَقْتُهَا
وَمَالِي بِزَفَرَاتِ الْعَشِيِّ يَدَانِ 7
فضرورة، يعني أَنَّ الشَّاعِرَ سَكَّنَ الْفَاءَ لضرورةِ الْوِزْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَالَ «زَفَرَات» بِفَتْحِ الزَّايِ وَالْفَاءِ. 8
وقال: «فِعْلَةٌ بِكَسْرِ فَسَكُونِ كحِكْمَةٍ، وَقُرْبَةٌ وَهِيَ السَّقَاءُ، إِنَّمَا تُجْمَعُ جَمْعُ تَصْحِيحٍ عَلَى «فِعْلَات» كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» 9 «10

ب- جموع التكسير:

جموع التكسير كثيرة، منها أبنية للقلة، وأخرى للكثرة، ولا يسلم فيها واحدا من التغيير بالنقص أو بالزيادة.

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 1988

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 109-110

3 الهلالي: الدين والسنن الكونية. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة الرابعة. العدد الثالث. محرم 1392 هـ / فبراير 1972 م. ص 19

4 الهلالي: أتوعد سنن الرسول بمحوها؟! مجلة الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. السنة الخامسة. العدد الثاني، شوال 1392 هـ / نوفمبر 1972 م. ص 23

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 110

6 ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 100

7 البيت من الطويل، وهو لعروة بن حزام في ديوانه. ت: أنطوان محسن القوال. دار الجليل. بيروت. لبنان. ط1. 1416 هـ / 1995 م. ص 45

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 145-146

9 رواه البخاري 1

10 المصدر السابق. ص 74

• جموع القلّة:

قال محمد تقي الدين: «قال الأزهري في التصريح ج 2 / ص 300 ما نصه: «جمع التكسير الذي يتغير فيه بناء مفرد لفظا سبعة وعشرون بناء؛ منها أربعة موضوعة للعدد القليل، وهو الثلاثة والعشرة وما بينهما، وهي: "أفعل" بضم العين كأكلب جمع كلب، و"أفعال" كأجمال بالجيم جمع جمل، و"أفعلّة" بكسر العين كأحمرة، جمع حمار، و"فعلّة" بكسر الفاء وسكون العين، كصبيّة جمع صبي، وخصت هذه الأوزان الأربعة بالقلّة لأنها تُصغّر على لفظها، نحو: أكيلب، وأجيال، وأحيمرة، وصبيّة، بخلاف غيرها من الجموع فإنها تُرد إلى واحدتها في التصغير، وتصغير الجمع يدل على التقليل، وإليها أشار الناظم بقوله:

أفعلّة أفعل ثم فعلّة تمت أفعال جموع قلّة 1

وليس من جموع القلة "فعل" بضم الفاء وفتح العين، كغرف، ولا "فعل" بكسر الفاء وفتح العين، كنعيم، ولا "فعلّة" بكسر الفاء وفتح العين، كقرّة خلافا للفراء. 2»
ودونك بعض أمثلة جمع القلة:

1 - أفعل:

ذكر الهلالي أن جمع "فلس" : «"أفلس" في جمع القلّة.» 3»

2 - أفعال:

قال الهلالي: «الأزواج جمع زوج وهي امرأة الرجل، والأفصح فيها زوج بدون تاء التأنيث. 4»
وقال: «الند: وجمعه الأنداد.» 5»

3 - أفعلّة:

قال محمد تقي الدين: «البيان فيجمع على أبنية لأنّ "فعالا" يُجمع على "أفعلّة"...

أمّا جواز السّفَر فيُجمع على أجوَرَة.» 6»

4 - فعلّة:

قال الحملاوي: «لم يطرّد في شيء، بل سمع في ألفاظ، منها شيخّة جمع شيخ، وثيرة جمع ثور، وفتية جمع فتى، وصبيّة جمع صبيّ وصبيّة، وغلّمة جمع غلام، وثنية جمع ثني بضم الأول أو كسره... ولعدم اطراده قيل أنه اسم جمع لا جمع.» 7»
• جموع الكثرة:

قال الهلالي عن خالد الأزهري: «وثلاثة وعشرون موضوعة للعدد الكثير، وهو ما تجاوز العشر.» 8»

1 - فُعل:

قال ابن مالك: «فُعل لِنَحْوِ أَحْمَرٍ وَحَمْرًا» 9»

1 ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 101

2 خالد بن عبد الله الأزهري: شرح التصريح على التوضيح. ت: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1421هـ/2000م. 2 / 520-521، و: الهلالي: تقويم اللسانين. ص 156-157، بتصرف يسير.

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 117

4 الهلالي: كيف نعظم النبي ﷺ ونقيم البرهان على محبته التي بها سعادتنا؟ مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة عشر. العدد الخامس والسادس. 1390 هـ / 1970 م. ص 14

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 190

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 110

7 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. الشركة الجزائرية اللبنانية. الجزائر العاصمة. ط1. 1428هـ/2007م. ص 120-121

8 خالد بن عبد الله الأزهري: شرح التصريح على التوضيح. 2 / 521

9 ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 102

قال ابن عقيل: «من أمثلة جمع الكثرة: فُعَل، وهو مُطْرَدٌ في [كل] وصف يكون المُدَكَّر منه على "أفعل"، والمؤنث منه على "فعلاء"، نحو: أَحْمَرٌ وَحُمْرٌ، وَحُمْرَاءٌ وَحُمْرٌ.»¹

وقال الخضري: «قوله: «فُعَلٌ لِتَحْوٍ...» الخ. أي بضم فسكون، لكن يجب كسر فائه في جمع ما عينه ياء، كـ "بِيض" في أبيض وبيضاء»².

2 - فُعَل:

قال محمد تقي الدين: «والزُّبُر جمع زُبُور، تقول العرب: زبرت الكتاب إذا كتبته.»⁴، و«القطر: جمع قطار.»⁵، و«السُّدُم جمع جمع سديم.»⁶

3 - فُعَل:

قال الحملاوي: «يطرد في اسم على فُعَلَة، وفي فُعَلَى أنثى أفعل.»⁷

4 - فِعَل:

قال الهلالي: «"فِعَلَة" بكسر فسكون كحِكْمَة، وقربة وهي السِّقَاء؛ تجمع جمع تكسير على "فِعَل" بكسر ففتح كحِكْمَة وحِكَم، وقربة وقرب، وشيمة وشيم، وذلك كثير، ولا تجمع البتة على فِعَائِل، لأنها لفظ ثلاثي.»⁸

5 - فُعَلَة:

قال الحملاوي: «يطرد في وصف عاقل على وزن فاعل معتل اللام.»⁹

6 - فُعَلَة:

قال الحملاوي: «يطرد في وصف مذكر عاقل صحيح اللام.»¹⁰

7 - فَعَلَى:

قال أحمد الحملاوي: «ويطرد في وصف دال على هلاك، أو توجع، أو تشتت بزنة "فَعِيل"، أو زنة "فَعِل"، أو زنة "فاعل"، أو زنة "فَعِيل"، أو زنة "أفعل"، أو زنة "فَعْلان".»¹¹

قال محمد تقي الدين: «قال ابن منظور في لسان العرب في مادة "ف و ض" ما نصه: «وقومٌ فَوْضَى مختلطون، وقيل هم الذين لا أمير لهم ولا من يجمعهم، قال الأفوه الأودي:

وَلَا يَصْلُحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سِرَاءَ لَهُمْ

وَلَا سِرَاءَ إِذَا جِهَالُهُمْ سَادُوا¹²

1 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 4 / 98

2 حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. دار الفكر. بيروت. لبنان. 2 / 155

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 50

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 246

5 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 86

6 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 21. مجلة دعوة الحق. السنة الخامسة. العدد الثامن والتاسع. ذوالحجة 1381، محرم 1382 هـ/ ماي، جوان 1962م. ص 26

1962م. ص 26

7 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 122 باختصار.

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 74

9 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 123

10 المرجع نفسه والصفحة.

11 المرجع نفسه والصفحة باختصار.

12 البيت من البسيط، وهو للأفوه الأودي في ديوانه. ت: محمد التونجي. دار صادر. بيروت. لبنان. ط 1. 1998م. ص 66

- وصار الناس فوضى أي متفرقين، وهو جماعة الفائض، ولا يفرد كما يفرد الواحد من المتفرقين، والوحش فوضى متفرقة تتردد. 1
تتردد. 1
- ومثله في القاموس للفيروز أبادي في مادة "ف و ض" 2.
- فالفوضى من مادة "ف و ض"، ومفردها فائض كما تقدم من كلام لسان العرب ومن المعلوم أنّ الهمزة في فائض منقلبة عن واو. 3
- 8 - فَعَلَّة: قال الحملاوي: «هو كثير في فَعْل اسما صحيح اللام، وقل في اسم صحيح اللام على فَعْل». 4
- 9 - فُعَلَّ: قال الحملاوي: «يطرد في وصف على وزن فاعل وفاعلة صحيح اللام». 5
- 10 - فُعَّال: قال الحملاوي: «يطرد كسابقه في وصف على فاعل». 6
- 11 - فَعَّال: ويطرد في ثمانية أنواع: فَعْل وفَعْلَة، وفَعْل وفَعْلَة، وفِعْل، وفُعْل، وفُعِل، وفَعِيلَة: ومن الأمثلة التي ذكرها الهلالي له: "جِنَان" جمع "جَنَّة" 7.
- 12 - فُعُول: ويطرد في: فَعِل، وفَعَل، وفُعَل، وفِعْل. ومن أمثله التي ذكرها الهلالي: قال: «"أَمْس" إذا كان نكرة يُجمع على "أَمُوس" في جمع الكثرة». 8 وقال: «الدُّثور: جمع دثر وهو المال الكثير. والأجور جمع أجر وهو الثواب». 9
- وقال: «﴿وَلِلَّهِ جُثُوْدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جمع جند». 10
- 13 - فِعْلَان: ويطرد في: فُعَال، وفُعَل، وفُعْل. 14
- 14 - فُعْلَان:

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 3485
2 الفيروز أبادي: القاموس المحيط. ص 651
3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 164-165
4 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. 123 باختصار.
5 المرجع نفسه والصفحة.
6 المرجع نفسه والصفحة.
7 دواء الشاكين وقامع المشككين. 21 / 26، قال بروكلمان: «يمكن للجمع أن يشتق من المفرد، بتغيير طفيف في حركاته، وهكذا نجد جمع كلمة «حَمَار» في العربية "حَمِير".» فقه اللغات السامية. ص 96
8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 117
9 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 108
10 المصدر نفسه. ص 35

ويكثر في: فَعَلٌ، فَعِلٌ، فَعِيلٌ؛

ومن أمثله: قال محمد تقي الدين: «عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب، وليأتين قوم يفتخرون بأبائهم، وليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان.»¹ قال تقي الدين: "الجعلان" جمع "جعل" بضم فتح نوع من الخنافس التي تطير، يعيش بالنجاسات.²

15-16: فَعَلَاءٌ وَأَفْعَلَاءٌ:

قال الهلالي: «باب "فَعِيلٌ" بفتح الفاء وكسر العين الذي يُجمع على فَعَلَاءٍ بضم الفاء وفتح العين، كحكيم وحكيم وكرماء وكرماء وبخيل وبخلاء،»³
قال ابن مالك في الألفية: 3

وَلِكْرِيمٍ وَبَخِيلٍ فُعَلَاءٌ
وَنَابٍ عَنْهُ أَفْعَلَاءٌ فِي الْمُعَلِّ

قال ابن عقيل في شرح هذين البيتين: «من أمثلة جمع الكثرة "فَعَلَاءٌ" هو مَقِيسٌ فِي "فَعِيلٌ" بمعنى فَاعِلٍ صِفَةً لِمَذْكَرٍ عَاقِلٍ غَيْرِ مُضَاعَفٍ وَلَا مُعْتَلٍ نَحْوِ ظَرِيفٍ وَظَرَفَاءٍ، وَكَرِيمٍ وَكُرْمَاءٍ، وَبَخِيلٍ وَبُخَلَاءٍ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ: «لِمَا ضَاهَاهُمَا» إِلَى "مَا شَابَهُ فَعِيلًا" فِي كَوْنِهِ دَالًا عَلَى مَعْنَى وَهُوَ كَالغَرِيزَةِ يُجْمَعُ عَلَى فَعَلَاءٍ، نَحْوِ عَاقِلٍ وَعُقَلَاءٍ، وَصَالِحٍ وَصَلَحَاءٍ وَشَاعِرٍ وَشُعْرَاءٍ،

وَيَنُوبُ عَنِ فَعَلَاءٍ فِي الْمَضَاعَفِ وَالْمُعْتَلِ "أَفْعَلَاءٌ" نَحْوِ شَدِيدٍ وَأَشْدَاءٍ، وَوَلِيٍّ وَأَوْلِيَاءٍ،

وَقَدْ يَجِيءُ أَفْعَلَاءٌ جَمْعًا لِغَيْرِ مَا ذُكِرَ، نَحْوِ نَصِيبٍ وَأَنْصِبَاءٍ، وَهَيْئٍ وَأَهْوِيَاءٍ، وَالْقِيَاسِ: نُصَبَاءٌ وَهَوْنَاءٌ.»⁵

وضحه الهلالي بقوله: «أقول في توضيحه: فيه مسائل:

الأولى: إِنَّ هَذَا الْجَمْعَ وَهُوَ "فَعَلَاءٌ" وَأَخُوهُ "أَفْعَلَاءٌ" مِنْ جَمْعِ الْكَثْرَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ جَمْعِ الْقِلَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَالِكٍ وَشَرَحَهُ لَابْنِ عَقِيلٍ وَهِيَ أَرْبَعَةٌ.

الثانية: قوله: "كل فعيل بمعنى فاعل" احترز به من فَعِيلٍ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، كَقَتِيلٍ بِمَعْنَى مَقْتُولٍ، وَجَرِيحٍ بِمَعْنَى مَجْرُوحٍ، وَكَحِيلٍ بِمَعْنَى مَكْحُولٍ، وَكَسِيرٍ بِمَعْنَى مَكْسُورٍ، فَبَخِيلٍ إِذَا وُصِفَ بِهِ شَخْصٌ فَهُوَ فَاعِلُ الْبَخْلِ وَهُوَ الْمَتَّصِفُ بِهِ، وَكَرِيمٍ وَهُوَ فَاعِلُ الْكَرَمِ الْمَتَّصِفُ بِهِ، وَهَكَذَا يُقَالُ فِي ظَرِيفٍ وَشَرِيفٍ وَعَظِيمٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الثالث: احترز بقوله "صفة" من فَعِيلٍ اسْمًا كَقَضِيبٍ فَلَا يُجْمَعُ عَلَى فَعَلَاءٍ،

وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ "مَذْكَرٌ" كَشَرِيفَةِ الْمُؤَنَّثِ، فَإِنَّهُ يُجْمَعُ عَلَى شَرَائِفٍ وَشَرِيفَاتٍ.

وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ "عَاقِلٌ" مِنْ فَعِيلٍ صِفَةً لِغَيْرِ الْعَاقِلِ، كَمَا كَانَ فَسِيحٌ أَيْ مُتَّسِعٌ فَلَا يُجْمَعُ عَلَى فَعَلَاءٍ، بَلْ يُجْمَعُ عَلَى فَسُوحٍ بِضَمَّتَيْنِ.

وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ: "بِمَعْنَى فَاعِلٍ" مِنْ فَعِيلٍ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَقَتِيلٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ: "غَيْرُ مُضَاعَفٍ" مِنَ الْمَضَاعَفِ كَشَدِيدٍ وَخَلِيلٍ فَإِنَّهُمَا يُجْمَعَانِ عَلَى "أَفْعَلَاءٍ" كَمَا سَيَأْتِي قَرِيبًا.

وَاحْتَرَزَ بِقَوْلِهِ: "غَيْرُ مُعْتَلٍ اللَّامِ" مِنْ مُعْتَلٍ الْآخِرِ كَوَلِيٍّ وَصَفِيٍّ فَإِنَّهُمَا يُجْمَعَانِ عَلَى "أَفْعَلَاءٍ".

1 الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته. حديث رقم 4568. ص 838

2 حقوق آل البيت ما لهم وما عليهم 1. جريدة الميثاق. العدد الأول. شوال 1382 هـ/ فيفري 1963 م.

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 122

4 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 104

5 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 4 / 108-109، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 122-123

الرابعة: إنَّ "ما شابه فعِيلاً" المذكور في معناه، وإن خالفه في لفظه، يُجمع كذلك على "فُعلاء" إذا كان دالاً على معنى هو كالغريزة أي لازم لمن اتَّصف به لا ينفك عنه، كعاقِل وعُقلاء وصالح وصلحاء وما أشبه ذلك، فعاقِل وصالح يُشبهان بخيلاً وكريماً في المعنى لأنَّهما يدلان على صفة لازمة للموصوف بخلاف آكل وضارب فإنَّهما صفتان لا تلازمان الموصوف وإنَّها يتَّصف بهما في بعض الأحيان.

الخامسة: إذا كان فعِيل مُضاعفاً، أعني أنَّ عينه ولامه حرف واحد متكرر كشديد وجليل، فإنَّه ينوب عن "فُعلاء" أخوه "أفُعلاء" فتقول أخلاءً وأشداءً وأجلاءً، وكذلك إذا كان مُعتل اللام كوليٍّ وغنيٍّ وسخيٍّ فإنَّه يُجمع على "أفُعلاء" كأولياءً وأغنياءً وأسخياءً.

السادس: جاء جمع فعِيل على أفُعلاء لغير ما ذكر بقلة فيما لم توجد فيه الشروط المتقدمة كنصيب وأنصباء، فإنَّ نصيباً اسم وليس بصفة، وهينٌ وأهوناءٌ فإنَّه ليس فعِيلاً وهو صفة ليست خاصّة بالعُقلاء. 1
17- فواعل:

قال الله ﷻ: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ [النور: 60]

قال محمد تقي الدين: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ المراد بهن العجائز اللاتي قعدن عن الحيض أو عن الاستمتاع أو عن الولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن، واحدها "قَاعِدٌ" بلا هاء ليدل حذفها على أنه تعود الكبر كما قالوا: "امرأة حامل" ليدل حذف الهاء على أنه حمل حبل، ويقال: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها، قال الزجاج: «هن اللاتي قعدن عن التزويج» 2 وهو معنى قوله: ﴿ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾ أي: لا يطمعن فيه لكبرهن، وقال [أبو] عبيدة: «اللاتي قعدن عن الولد.» 3 وليس هذا بمستقيم، لأن المرأة تقعد عن الولد وفيها مستمتع، وقيل: هن العجائز اللواتي إذا رأهن الرجال استقذروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهي محل الشهوة، فلا تدخل في حكم هذه الآية ثم ذكر سبحانه حكم القواعد فقال: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ 4. أما جمع قاعدة فهو قاعدات.

18-19-20-21-22-23: فعائل، وفَعَالِي، وفَعَالِي، وفَعَالِي، وفَعَالِل، وشبه فعائل.

ومن أمثلتها:

قال الهلالي: «الذي يُجمع على "فَعَائِلٌ" هي الكلمات الرباعية، كبرية وبرايا، وضحية وضحايا، وفضيلة وفضائل.» 5
وقال: «البوابي جمع بابا» 6، وقال: «أناسي جمع إنسان» 7

جمع مفعول:

قال شكيب أرسلان في رشيد رضا: «كان رحمه الله يؤثر جمع "مكتوب" بالألف والتاء أخذاً بقاعدة أن "مفعولاً" لا يجمع على "مفاعيل" إلا في ألفاظ معلومة.» 8

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 123-124

2 انظر: لسان العرب. ص 3689، ونص الزجاج فيه: «هن اللواتي قعدن عن الأزواج.»

3 أبو عبيدة: مجاز القرآن. 2/ 69 وفيه: «هن اللواتي قد قعدن عن الولد ولا يحضن.»

4 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 16

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 74

6 الهلالي: التقدم والرجعية 1. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة الثانية. العدد الاول. رجب 1389 هـ. 1/ 10

7 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين. 6/ 11

8 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ت: مدحت يوسف السبع. دار الفضيلة. القاهرة. 2006 م. ص 204

منها ما ذكره الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء: 87] قال: « هو من "قَدَرَ" بمعنى "قَدَّر" المشدد الدال، يقال: قَدَّرَ اللهُ عليه كذا وكذا يقدره على وزن ضرب، وهذا الأمر مقدور، ويجمع على مقادير، قال الشاعر:

ولا تبيتن إلا خالي البال
يغير الأمر من حال إلى حال 1

دع المقادير تجري في أعتتها
ما بين غمضة عين وانتباهتها

والمعنى: ﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ عقابا لما بارح قومه بلا إذن. 2

أما حجة رشيد رضا، فذكرها شكيب أرسلان؛ قال: «كان الأستاذ المترجم [يعني: رشيد رضا] يجمع مكتوبا على مكتوبات بحجة أن "مفعولا" لا يجمع على "مفاعيل" إلا في ألفاظ معدودة، ولقد خالف هذه القاعدة كثيرون من كتّاب العرب، وتساحوا في هذا الجمع، ولا تزال المسألة تحت البحث، وقد سألت بعض من أتق بعلمهم في العربية عن آرائهم في هذه المسألة فأجابني منهم السيد تقي الدين الهلالي المغربي بما يلي: «الوصف المضاهي لـ "مكتوب" في الوزن إن كان لعاقل وجب جمعه على "مفعولين" قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ [الصفات: 172]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ رُحَمَاءُ ﴾ [النازعات: 10] وهو في القرآن كثير.

فإن كان لما لا يعقل جمع بـ "الألف والناء" كقوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة: 203]، وقال تعالى: ﴿ الْحَقُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ ﴾ [البقرة: 197]؛ وعلى هذا يتبين أن الصواب ما قاله السيد رشيد من جمع الـ "مكتوب" على "مكتوبات"، وأصاب الشنقيطي في اعتراضه على من جمع "مشهورا" على "مشاهير"، ولكن العرب قد جمعت "مشؤوما" على "مشائيم"، ووردت ألفاظ أخرى مثله، وذلك نادر لا يقاس عليه.

وأما السيد مصطفى جواد العراقي 3 فأجاب بما يأتي: جمع مفعول على مفاعيل لما لا يعقل جائز مطلقا - كما ذكرتم حفظكم الله - وجائز عندي لكل من غير استثناء، وما انتحله المانعون له لا أصل له ولا علة، فإن كان صورة الجمع هي المانع فلماذا قالوا للإنسان: «مساميح ومحاييج ومذاييع ومساعير ومساكير»؟ وأذكر أن بعضهم كان إذا احتج لمنعه ذكر كلام الشيخ إبراهيم اليازجي في مجلتيه من أن "مفاعيل" جمع تكسير وجمع التفسير لا يعمل بل العمل لجمع التصحيح، وهذا من أوهام الشيخ فإن جمع التفسير يعمل كالجمع الصحيح أبدا، ومنه قول الجاهلي:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ 4

فإن "وقوفا" جمع "واقف" اسم فاعل من "وقفه يقفه" و"مطي" مفعول به له. وقد نص على إعمال جمع التفسير الزمخشري في المفصل والشواهد على ذلك كثيرة. ولم يتصد أحد لليازجي ويأخذ عليه هذه الغلظة الكبيرة - فيما أعلم - حتى بقى النقاد حتى يومنا هذا يعيدون كلامه تمزنا اقتداء به، وكل إنسان يخطأ.

وعلى هذا يكون جمع مكتوب على مكاتيب جائزا. 5

1 البيت من البسيط، وهو لجمال الدين بن نباتة المصري في ديوانه. مطبعة التمدن. عابدين. مصر. ط. 1905م. ص 388، والرواية فيه: "وخلّ بال برجوى الطير مشغلا" بدل "دع المقادير تجري لأعتتها"، و"يقلب المهجر" بدل "يغير الأمر".

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 72 / 2

3 قال شكيب أرسلان: «ومن نحاة هذا العصر الراسخين الشباب العلامة السيد مصطفى جواد العراقي». شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 31

4 البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس في معلقته. انظر: شرح المعلقات العشر لأحمد الأمين الشنقيطي. دار الشرق العربي. حلب. سوريا، و: بيروت. لبنان. 1424هـ/ 2003م. ص 55

5 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 94-95

وأجاز مصطفى جواد أيضا جمع المُعجم جمع تكسير، قال: «بشرط أن نطبق عليه قاعدة الأسماء المضمومة الميم، كالمُفطر والموسر والمنكر والمطفل، فيكون المعاجيم كالمفاطير والمياسير والمناكير والمطافيل.»¹
 قال: «ويجوز حذف يائه لوزن الشعر حسب أو لخوف الالتباس.»²
 قال محمد رشيد رضا: «وأما جمع مكتوب على مكاتيب فلا يثبت إلا بالسماح، ولا أعرف فيه سماعا، فأجمعه على مكتوبات لأنه قياسي، وكان الشنقيطي الكبير انتقد على رفيق بك العظم تسمية تاريخه "أشهر مشاهير الإسلام" بهذه العلة، وهي أن مفعولا لا يجمع على مفاعيل قياسا، ولكن لفظ مشاهير استعمله المتقدمون ومنهم صاحب "القاموس" في غير مادته 3.»⁴
 قال شكيب أرسلان: «تقدم لنا هذا البحث واختلاف الناس فيه، والذي يظهر لي أن أكبر علماء اللغة أجازوه، فالشنقيطي الكبير كان يخطئ جمع "مشهور" على "مشاهير"، ولكن ابن سيده الأندلسي المرسي صاحب "المخصص" أعظم كتاب في اللغة جمع "مشهورا" على "مشاهير" مرارا، ففي الجزء السادس الصفحة 193 من "المخصص" طبعة بولاق الأميرية عنوان فصل هو هذا: "مشاهير فحول الخيل في الجاهلية والإسلام" 5، وفي الصفحة 28 من الجزء نفسه 6 "أسماء مشاهير سيوف العرب" وهلم جرا. جرا.

وقد روى السيد رشيد عن الفيروزآبادي صاحب "القاموس" أنه جمع مشهورا على مشاهير 7.»⁸

تحليل الآراء في جمع "مفعول":

- مصطفى جواد، وشكيب أرسلان: يجوز جمع مفعول على مفاعيل مطلقا.
- رشيد رضا، ومحمد تقي الدين الهلالي: لا يجوز جمع الوصف الذي وزنه "مفعول" على "مفاعيل" إلا فيما سمع، فإذا كان صفة لعاقل يجمع على "مفعولين"، وإذا كان صفة لغير عاقل يجمع على "مفعولات".

القاعدة النحوية:

قال سيبويه: «و"المَفْعُولُ" نحو مضروب، تقول: مضروبون، غير أنهم قد قالوا: مكسورٌ ومكاسير، وملعونٌ وملاعين، ومشؤمٌ ومشائم، ومسلوخةٌ ومسالخ، شبهوها بما يكون من الأسماء على هذا الوزن.
 فأما مجرى الكلام الأكثر فإن يجمع بالواو والنون، والمؤنث بالتاء.
 وكذلك "مُفْعَلٌ" و"مُفْعِلٌ" إلا إنهم قد قالوا: مُنَكَّرٌ وَمَنَّاكِرٌ، وَمُفَطِّرٌ وَمَفَاطِيرٌ، وَمُوسِرٌ وَمِيَّاسِيرٌ.»⁹
 وقال: «وأما "مُفْعَلٌ" الذي يكون للمؤنث ولا تدخله الهاء فإنه يكسر، وذلك مُطْفَلٌ وَمَطَافِلٌ، ومشدنٌ ومشادن، وقد قالوا على غير القياس: مَشَادِينٌ وَمَطَافِيلٌ.»¹⁰
 وقال ابن بونا:

1 مصطفى جواد: قل ولا نقل. دار المدى للثقافة والنشر. دمشق. سوريا. 2001م. 2 / 144

2 المرجع نفسه والصفحة.

3 قال الفيروزآبادي: «وَجَذَلُ الطِّعَانِ بالكسر: لَقَبُ عَلْقَمَةَ بنِ فِرَاسٍ من مَشَاهِيرِ العَرَبِ.» القاموس المحيط. ص 976

4 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخوان أربعين سنة. ص 431

5 علي بن إسحاق ابن سيده: المخصص. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 6 / 193

6 المرجع نفسه. 6 / 28 وهي: ذو الفقار سيف النبي ﷺ، والصمصامة سيف عمرو بن معد يكرب، غلب عليه وكل سيف قاطع صمصامة، والولول سيف عبد الرحمن الرحمن بن عتاب بن أسيد، وسيف آخر سباه ابن سيده وابن دريد المجد تبعا لابن الكلبي. قال محمد محمود الشنقيطي: «والصواب اللج وهو سيف سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه.»

7 الفيروزآبادي: القاموس المحيط. ص 976

8 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخوان أربعين سنة. ص 431

9 سيبويه: الكتاب. 3 / 641

10 المرجع نفسه. 3 / 642

وما بِمِيمٍ ضُمِّمَ مَفْعُولٌ عَدَا
عَيْنًا مِنَ الصِّفَاتِ أَوْ مَا جُرِّدَا
مِمَّا مَضَى لَمْ يُرْضَ إِلَّا مَا سُمِعَ

واستغن عن تكسير ما بتا بَدَا
مُكَعَّبًا وَمُطْفِلًا أَوْ شُدَّدَا
خَمَاسِيًّا وَمَا مُكَسَّرًا جُمِعَ

«واستغن عن تكسير ما» أي واحد «بتا بَدَا» بتجريد في الكثرة وتصحيحه في القلة كتمر وتمرات ﴿وَسَمِعَ سُبُلَكَ﴾ [يوسف: 46]، وهو الصواب في المخلوقات، وأما المصنوعات فمقيس كعمامة وعمائم وجرة وجرائر، «و» استغن عن تكسير «ما» صدر «بميم ضُمِّمَ» تصحيحه كمكرم ومكرمين ومنطلق ومنطلقين.

«مفعول» كمضروب «عدا» مُفْعَلًا أَوْ مُفْعِلًا مخصوص بالمؤنث نحو «مُكَعَّبًا» بمعنى «كاعب» يقال فيه «مكاعب»، و«مُطْفِلًا» بمعنى ذات طفل، وهي الظبية معها طفلها أي حديثة النتاج كقوله:

جَنَى النَّحْلِ فِي أَلْبَانِ عُوذٍ مَطَافِلِ
يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ 1

وَإِنَّ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَدَّلِيْنَهُ
مَطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ تَنَاجُهَا

«أو شدد عينا من الصفات» كضَّرَابٍ وطَوَّافٍ وقوامٍ وشَرَّابٍ، «أو ما جُرِّدَا» من الزوائد حال كونه «خماسيا» كفرزدق، «وما مُكَسَّرًا جُمِعَ مما مضى لَمْ يُرْضَ إِلَّا مَا سُمِعَ» منه؛ كرطبة وأرطاب وشجرة وأشجار وطلحة وطلوح، وملعون وملاعين ومسلوخ ومساليخ ومشؤوم ومشائم، ودجال ودجاجلة. 2»

وقال ابن مالك:

لَمْ يَكْ لَيْنًا إِثْرَهُ اللَّذْ خَتَا 3

وَزَائِدَ الْعَادِي الرَّبَاعِي احْدَفَهُ مَا

قال الأشموني: «خرج نحو: مُخْتَارٌ وَمُنْقَادٌ، فإنه لا يُقال فيها مخاتير ومناقيد بقلب الألف ياء لأنها ليست زائدة بل منقلبة عن أصل؛ فيقال: مخاتر ومناقد. 4»

قال الصبان: «قوله: «وخرج أيضا نحو: مُخْتَارٌ وَمُنْقَادٌ» نظر فيه مَمُّ بأنه يقتضي أن نحو مختار ومنقاد داخل في قوله العادي الرباعي، وليس كذلك لأنه من الثلاثي المزيد لا من العادي الرباعي الذي الكلام فيه وهو ما زاد على أربعة أحرف وكان رباعي الأصول أو خماسيها. 5»

قال الصبان: «لا يُجمع جمع تكسير نحو: مَضْرُوبٌ وَمُكْرَمٌ، وشذ ملاعين جمع ملعون، ويُسْتَثْنَى مُفْعِلٌ للمؤنث نحو مُرْضِعٌ ومَرَاضِعٌ، ذكره ابن هشام في شرح "بانث سعاد".

ومثل مضروب: مختار ومُنْقَادٌ؛ فيقال: مُخْتَارُونَ وَمُنْقَادُونَ ولا يُجمع مكسرا، ذكره الشيخ في العمدة. فارضي، وفيه مخالفة لما أسلفه الشارح أنه يُقال مختار ومناقد. 6»

ما سُمِعَ:

• مشؤوم ومشائم:

جمعه على مشائم، وقالوا: نادر.

1 البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في لسان العرب (فصل) ص 3423، والمراد بـ "جنى النحل" عسلها، و"العوذ" حديثات العهد بالنتاج، وهي أطيب الإبل الإبل ألبانا، و"مطافل": جمع مُطْفِلٌ وهو من الجموع النادرة؛ لأن قياسه الاستغناء بالتصحيح عن التكسير. أحمد بن الأمين الشنقيطي: الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع. ت: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط. 1419هـ/1999م. 2/ 136

2 أحمد بن محمد المامي اليعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. 2/ 706

3 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 105

4 حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعينبي. 4/ 209

5 المرجع نفسه والصفحة باختصار.

6 المرجع نفسه. 4/ 212-213

قال في "اللسان": «الشُّؤْمُ خلاف اليُؤْمِنِ، ورجُلٌ مشؤومٌ على قومه، والجمع مشائيمٌ نادر، وحكمه السلامة؛ أنشد سيبويه للأحوص اليربوعي:

مَشَائِمٌ لَيْسُوا مُضْلِحِينَ عَشِيرَةً
وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بِشُؤْمٍ غُرَابَهَا 2

• مشهور ومشاهير:

مما جرت به أرقام الثقات ما استعمله ابن سيده: «وَعُورَانُ الْعَرَبِ: مَشَاهِيرُ عُورِهِمْ كَالشَّمَاخِ بْنِ ضَرَّارٍ وَغَيْرِهِ. 3» وهذا يعدل السماع.

• كلمات أخرى:

ومن الألفاظ التي سمع جمعها هذا الجمع؛

قال الخليل: «رَجُلٌ سَمُحٌ وَرَجَالٌ سَمَحَاءٌ، وَقَدْ سَمَحَ سَمَاحَةً وَجَادَ بِهَا، وَرَجُلٌ مَسْمُوحٌ مَسَامِيحٌ؛ قَالَ:

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً
وَكَفَى قُرَيْشَ الْمَعْضَلَاتِ وَسَادَهَا 4

وَسَمَحَ لِي بِذَلِكَ يَسْمَحُ سَمَاحَةً وَهُوَ الْمَوَافَقَةُ فِيهَا طَلَبٌ. 5»

وقال في "اللسان": «وَرَجُلٌ سَمِيحٌ وَمَسْمُوحٌ وَمَسْمُوحٌ: سَمُوحٌ، وَرَجَالٌ مَسَامِيحٌ، وَنِسَاءٌ مَسَامِيحٌ. 6»

وقال: «وَالْحَوْجُ الطَّلَبُ وَالْحَوْجُ الْفَقْرُ وَأَحْوَجَهُ اللَّهُ، وَالْمُحْوَجُ: الْمُعْدِمُ مِنْ قَوْمٍ مُحَاوِجٍ. قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَعِنْدِي أَنْ مُحَاوِجٍ إِنَّمَا هُوَ جَمْعٌ مُحْوَجٍ إِنْ كَانَ قَيْلًا، وَإِلَّا فَلَا وَجْهَ لِلْوَاوِ. 7»

وقال الخليل بن أحمد: «وَرَجُلٌ مَذْيَاعٌ مَشِياعٌ لَا يَسْتَطِيعُ كِتَابَةَ شَيْءٍ وَقَوْمٌ مَذْيَاعٌ 8»

وقال في "اللسان": «وَالْمَذْيَاعُ الَّذِي لَا يَكْتُمُ السِّرَّ وَقَوْمٌ مَذْيَاعٌ. 9»

وقال: «وَيُقَالُ لِمَا تَحْرُكُ بِهِ النَّارُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَشَبٍ مِسْعَرٌ وَمِسْعَارٌ وَيَجْمَعَانِ عَلَى مَسَاعِيرٍ وَمَسَاعِرٍ.

وَمِسْعَرُ الْحَرْبِ مُوقِدُهَا يُقَالُ رَجُلٌ مِسْعَرٌ حَرْبٍ إِذَا كَانَ يُؤَرِّثُهَا أَيُّ تَحْمَى بِهِ الْحَرْبُ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي بَصِيرٍ: «وَيْلٌ أُمَّهُ مِسْعَرٌ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَصْحَابٌ. 10» يصفه بالمبالغة في الحرب والنجدة. 11

ويُقَالُ: سِعِرَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَسْعُورٌ إِذَا اشْتَدَّ جَوْعُهُ وَعَطَشُهُ. 12

نتيجة:

يجب التفريق هنا بين الاسم والوصف، والتفريق في الوصف بين ما بقي على وصفيته تابعا لموصوف مذكور أو مقدر، وما استعمل كالاسم منقطعاً عن موصوفه؛ فالصفة المبدوءة بالميم من اسمي الفاعل والمفعول، إذا أتت على أصلها فاعتمدت على موصوف

1 البيت من الطويل، وهو للأحوص اليربوعي في لسان العرب (شأم) ص 2177

2 المرجع نفسه. ص 2177

3 ابن سيده: المخصص. 1/ 103

4 البيت من الكامل، وهو لعدي بن الرقاع في ديوانه ت: نوري القيسي، وحاتم الضامن. مطبعة المجمع العلمي العراقي. 1407هـ/ 1987 م. ص 93

5 الفراهيدي: العين. 3/ 155

6 ابن منظور: لسان العرب. ص 2088

7 المرجع نفسه. ص 1038

8 الخليل بن أحمد: العين. 2/ 230

9 ابن منظور: لسان العرب. ص 1529

10 رواه البخاري. 3

11 ابن منظور: لسان العرب. ص 2015

12 المرجع نفسه. ص 2016

مذكور أو مقدر فبابها التصحيح، وإذا ضارعت الأسماء أو خرجت إلى بابها فاشتجرت في الاستعمال مفردة عن موصوفها منقطعة عنه، جاز فيها التكسير كما تكسر الأسماء.

فهذا باب السماع ولا يسقط قاعدة اشتقاق الصفة، فلا يجوز مراديد في جمع مردود، **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاوِرَةِ ﴿١٠﴾﴾﴾** [النازعات: 10]، ولا يجوز معالم في جمع معلوم؛ **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَيِّجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ﴿١٩٧﴾﴾﴾** [البقرة: 197].

استعمال جمع القلة في موضع جمع الكثرة:

في مباحثة بين الهلالي ومصطفى جواد؛ قال جواد منتقدا للهلالي: «وقال: «وستأتي في هذه المقالات إن شاء الله أمثلة عديدة توضح ذلك.» أراد بـ "عديدة" كثيرة مع أن العديدة هي المعدودة، قليلة كانت أو كثيرة، واستعمل "أمثلة" جمع القلة مع إرادته الكثرة، فالصواب: مثل كثيرة.» الخ. 1

فقال الهلالي: «أقول: صدق المعترض في قوله: إن العديدة يراد به المعدودة، سواء أكانت قليلة أم كثيرة، إلا أن القرينة التي فهم بها هو الكثرة كافية لجعل القارئ يفهم الكثرة، واستعمال اللفظ في أحد مدلوله 2 مع القرينة الصارفة عن إرادة مدلول الآخر شائع في كلام البلغاء جار على الأصول، لا سبيل إلى إنكاره؛ فلا يعد عيباً ولا خطأ.» 3

وقال الهلالي عن خالد الأزهرى: «وقد يُستغنى ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة وضعا أو استعمالاً، اتكالا على القرينة، قاله في التسهيل.

قال الشاطبي: «وحقيقة الوضع أن تكون العرب لم تضع أحد البناءين استغناء عنه بالآخر، والاستعمال أن تكون وضعتهما معاً، ولكنها استغنت في بعض المواضع عن أحدهما بالآخر.»

فالأول: كَأَرْجُلٍ جَمْعِ رِجْلٍ بِسُكُونِ الْجِيمِ، وَأَعْنَاقٍ جَمْعِ عُنُقٍ، وَأَفْئِدَةٍ جَمْعِ فُؤَادٍ. قال الله تعالى: **﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴿٦٠﴾﴾** [المائدة: 6]، **﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴿١٢﴾﴾** [الأنفال: 12]، **﴿وَأَفْتِدْتُمُ هَوَاءَ ﴿١٣﴾﴾** [إبراهيم: 43] فاستغنى فيها ببناء القلة عن بناء الكثرة، لأنها لم يُستعمل لها بناء كثرة.

والثاني: كَأَقْلَامٍ جَمْعِ قَلَمٍ، قال الله تعالى: **﴿مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴿٢٧﴾﴾** [لقمان: 27]، والمقام مقام مبالغة وتكثير قطعاً، وقد استعمل فيه وزن القلة، مع أنه سُمع له وزن كثرة وهو قَلَامٌ، وقد يعكس فيستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بناء القلة وضعا أو استعمالاً اتكالا على القرينة.

فالأول كَرِجَالٍ جَمْعِ رَجُلٍ، بضم الجيم، وَقُلُوبٍ جَمْعِ قَلْبٍ، وَصُرْدَانَ بِكسر-الصاد جمع صُرْدٍ، بضمها وفتح الراء، اسماً لطائر، تقول: خمسة رجال بخمسة قلوب معهم خمسة صردان، فيُستغنى بجمع الكثرة عن جمع القلة لعدم وضعه وليس منه، أي من هذا القسم، وهو ما لم تضع له العرب بناء قلة ما مثل به الناظم وأنبه من قولهم في جمع صفاة، وهي الصخرة الملساء، صُفْيٌ، بضم الصاد وكسر الفاء وتشديد الياء، لقولهم في جمع قلتها أصفَاء، حكاة الجوهري وغيره، بل هو من القسم الثاني، وهو ما وضعت له العرب بناء قلة، ولكنها استغنت ببناء الكثرة عنه كقوله تعالى: **﴿يَتَرَبَّصُّكَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴿٢٢٨﴾﴾** [البقرة: 228] ففسر ثلاثة بجمع الكثرة، مع وجود جمع القلة كقوله ﷺ: «دَعِيَ الصَّلَاةَ أَيَّامَ إِقْرَانِكَ.» 4 وعلى ذلك يُحْمَلُ قول الناظم:

وَبَعْضُ ذِي بَكْثَرَةٍ وَضَعًا يَفِي كَأَرْجُلٍ وَالْعَكْسُ جَاءَ كَالصُّفْيِ 5» 6

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 185-186

2 لعل الصواب: مدلوليه.

3 المصدر نفسه. ص 186

4 الألباني: صحيح سنن أبي داود. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1 الجديدة. 1419/1998م. حديث رقم 281. 1/81 وحديث رقم 285. 1/83-84

كالصَّفْرِ _____ ي 1 «2

قال الهلالي: «وقد طالعت ما عندي من شرح الألفية كالأشموني بحاشية الصبان، وابن عقيل وبحاشية الخضرى، وألفية ابن بونا بحاشيته، فوجدتهم لا يختلفون فيما نقلته عن التصريح، واخترت كلامه لأنه أوسع وأوضح.»³
وقال أيضا: «جمع القلة المنكر قد استعمل في موضع جمع الكثرة في أفصح الكلام وأبلغه، وهو كتاب الله، قال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [4 لقمان: 27] والمقام يقتضي استعمال جمع الكثرة، ومع ذلك عدل عنه إلى التعبير بجمع القلة، اكتفاء بالقرينة، هذا مع أن للقلم جمع كثرة على "قلام".
قال ابن منظور في لسان العرب: «القلم الذي يُكتب به، والجمع أقلام وقلام، قال ابن بري: وجمع أقلام أقاليم، وأنشد ابن الأعرابي:

كَأَنِّي حِينَ آتَيْتُهَا لَتُخْبِرَنِي
وَمَا تُبَيِّنُ لِي شَيْئًا بِتَكْلِيمِ
صَحِيفَةً كَتَبْتُ سِرًّا إِلَى رَجُلٍ
لَمْ يَدْرِ مَا خُطَّ فِيهَا بِالْأَقَالِيمِ»⁵ 6

ويضيف: «وقال أيضا في مادة "ط ل ح": «(وطلحة الطلحات؛ طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي.»⁷ ثم نقل عن ابن الأعرابي الأعرابي في طلحة هذا أنه «إنما سمي طلحة الطلحات بسبب أمه، وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة، زاد الأزهرى: بن عبد مناف، قال: وأخوها أيضا طلحة بن الحارث، فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى، وقبره بسجستان، وفيه قال ابن قيس الرقيات:

رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا
بِسَجِسْتَانَ طَلْحَةَ الطَّلِحَاتِ»⁸ 9

قوله: «أعظما دفنوها» يريد عظام طلحة الطلحات المذكور، وهو من استعمال جمع القلة في موضع جمع الكثرة، لأن عظام الجسم كثيرة، وجمع القلة يدل على تسعة أو عشرة، فأين ما زعمه المعترض من أن جمع القلة إذا كان نكرة لا يستعمل في موضع جمع الكثرة.»¹⁰

وقال: «وقال تعالى في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ [3] القيامة: فعبّر بجمع الكثرة، لأن عظام الإنسان كثيرة، وعبر الشاعر بجمع القلة لوجود القرينة الدالة على أنه يريد الكثرة.»¹¹
وهذا يعني أن جمع القلة موضوع للدلالة على الثلاثة والعشرة وما بينهما، إلا إذا دلت قرينة على إرادة الكثرة.
استعمال "فَعِيل" للمذكر والمؤنث والواحد والجمع:
قال طرفة:

فَلَمَّا شَطَّتْ نَوَاهَا مَرَّةً
لَعَلَى عَهْدِ حَيْبٍ مُعْتَشِرًا»¹

1 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 101

2 خالد بن عبد الله الأزهرى: شرح التصريح على التوضيح. 2 / 521-522 و: الهلالي: تقويم اللسانين. ص 156-157

3 الهلالي: تقويم اللسانين. 157-158

4 تمام الآية: ﴿مَا قَدَدْتَ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: 27]

5 البيتان من البسيط، وهما بلا نسبة في لسان العرب (قلم) ص 3729

6 ابن منظور: لسان العرب. ص 3729، و: الهلالي: تقويم اللسانين. ص 158

7 المرجع نفسه. ص 2687

8 البيت من الخفيف، وهو لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه. ت: محمد يوسف نجم. دار صادر. بيروت. لبنان. ص 20.

9 ابن منظور: لسان العرب. ص 2687

10 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 158-159

11 المصدر نفسه. ص 159

قال الهلالي: «قول طرفة: فلئن شطت النخ... النوى: البعد، وشطت: بعدت، والمعتشر: الحَسَنُ المعاشرة. يقول: لئن بعدت ديار الحبيبة، وتعسرت زيارتها فإنها باقية على العهد والمحبة، لم يبدل البعد عهدها ولم يغير مودتها. واستعمال "فَعِيل" للمذكر والمؤنث والواحد والجمع وارد في كلام العرب بل في كتاب الله ﷺ، قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56] وقال تعالى: ﴿وَأَلْمَلَيْتُكُمْ بِعَدُوِّكُمْ فَطَمَّهْرُكُمْ﴾ [التحریم: 4]» 2

أبنية المصادر 3:

مصادر الفعل الثلاثي:

- 1) فَعَلَ و فَعِلَ المتعديان: قياس مصدرهما: فَعَلَ. 4 ك: ردّ رداً، وفهم فهماً، إلا أن دل الأول على حرفة، فقياسه: فِعَالَةٌ. 5 قال محمد تقي الدين: «قال الفراء: ضربته ضرباً كثيراً.» 6
- 2) فَعِلَ اللّازم: مصدره القياسي: فَعَلَ. 7 ك: فَرِحَ فرحاً، إلا إن دل على حرفة أو ولاية، فقياسه: فِعَالَةٌ، أو دل على لون، فقياسه: فُعْلَةٌ، أو كان علاجاً ووصفه على فاعل، فقياسه: فُعُولٌ 8
- 3) فَعَلَ اللّازم:

قال ابن مالك:

وَفَعَلَ اللّازمُ مِثْلُ قَعَدَا لَهُ فُعُولٌ بَاطِرٌ كَقَعَدَا 9

قال محمد تقي الدين: «قال الفراء: قعدتُ قعوداً طويلاً.» 10، ما لم تعتل عينه وإلا فيكون على فَعَلَ، أو فِعَالٌ، أو فِعَالَةٌ ك: قال قولا، وصام صياماً، «وما لم يدل على امتناع وإلا فقياس مصدره: فِعَالٌ، أو على تقلب فقياس مصدره: فَعْلَانٌ، أو على داء فقياسه: فُعَالٌ، مثل: أبي إِبَاءٍ، وجال جولان، وسُعَالٌ. أو على سير فقياسه: فَعِيلٌ. أو على صوت فقياسه: فُعَالٌ وفَعِيلٌ. أو على حرفة أو ولاية فقياس مصدره: فِعَالَةٌ 11. وقال ابن عقيل: «إذا كان الفعل على فَعَلَ يكون مصدره على فُعُولَةٌ، أو على فِعَالَةٌ.» 12، وما جاء مخالفاً لما تقدم فليس بقياسي؛ وإنما هو سماعي، يحفظ ولا يقاس عليه 13، قال محمد تقي الدين: «قال الشهاب: ... والقربى مصدر كالتقربة.» 14

1 البيت من الرمل، وهو لطفة بن العبد في ديوانه. ت: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 3. 1423هـ/ 2002م. ص 40 وفيه: مُعْتَكِرٌ بدل معتشر. والهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 40-41
2 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 40-41
3 المصدر هو الاسم الدال على الحدث. انظر: ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 157
4 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. 83 باختصار
5 المرجع نفسه والصفحة باختصار
6 ابن منظور: لسان العرب. ص 469، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 49
7 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. 83 بتصرف
8 المرجع نفسه والصفحة باختصار
9 محمد بن عبد الله بن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 58
10 ابن منظور: لسان العرب. ص 469، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 49
11 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 84 باختصار وتصرف.
12 انظر: شرح ابن عقيل. 3/ 104
13 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 84 باختصار

مصادر غير الثلاثي:

(1) فَعَّلَ:

إذا كان الفعل صحيح اللام، مصدره تفعيل. 2.

قال الله ﷻ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ١٦٤ ﴾ [النساء: 164]

قال محمد تقي الدين: «التبسيط هو التوسيع فهو بمعنى البَسْط، إلا أن التبسيط فيه مُبالغة كالتثقيل بمعنى القتل؛ أي كثرته. و"فَعَّلَ" المضاعف إذا اشترك مع الثلاثي في معنى واحد دلّ الرباعي على الكثرة والمبالغة في اللغة العربية، وفي أختيها العبرانية والآرامية». 3.

وقال: «قال صاحب "القاموس المحيط": بَسَطَهُ نَشَرَهُ كَبَسَطَهُ بِالتَّشْدِيدِ، فَالبَسَطُ وَالتَّبْسِيطُ معنهما التَّوسِيعُ وَالتَّشْرِيرُ. قال الله

تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُرِيدُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ٢٧ ﴾ [الشورى: 27]». 4.

وإذا كان الفعل معتل اللام "تَفَعَّلَ" بحذف ياء التفعيل وتعويضها بتاء في الآخر، وندر مجيء الصحيح على تفعلة، كجَرَّبَ تَجْرِبَةً، وقد يعامل مهموز اللام معاملة معتلها في المصدر، كَبَرَّأ تَبَرُّة. 5.

قال ابن عقيل: «ويأتي أيضا على "فَعَّال" كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ٢٨ ﴾ [النبا: 28]، وعلى "فَعَّال" بتخفيف

العين، وقد قرئ: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ٢٨ ﴾». 6.

(2) أَفَعَّلَ:

إذا كان صحيح العين: "إِفَعَّال"، وإذا كان معتل العين: تنقل حركتها إلى الفاء، وتقلب ألفا، ثم تحذف الألف الثانية لالتقاء

الساكنين، وتعوض عنها التاء كأقام إقامة، وقد تحذف التاء إذا كان مضافا، نحو: إقام الصلاة. 7.

قال محمد تقي الدين: «الطاقة اسم مصدر من أطاق يُطِيقُ إِطَاقَةً، كالعون من الإعانة، والطاعة من الإِطَاعَةِ». 8.

قال محيي الدين عبد الحميد: «أصل إقامة مثلا "إقوام" كإكرام، نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها، ثم يقال: تحركت

الواو بحسب أصلها وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت هذه الواو ألفا، فاجتمع ألفان، فحذفت إحداهما وعوض منها التاء فصار إقامة،

وقد ذهب سيبويه إلى أن المحذوفة من الألفين هي الألف الزائدة، وذهب الفراء والأخفش إلى أن المحذوفة هي المنقلبة عن العين». 9.

قال الحملاوي: «وقد يجيء على فَعَّال، ويسمى حينئذ اسم مصدر». 10.

(3) فَاعَلَ:

1 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومناق. ص 116

2 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 85

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 34

4 المصدر نفسه. ص 125

5 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 85

6 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 3 / 106

7 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 85

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 142

9 محيي الدين عبد الحميد: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل. 3 / 107

10 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 85 باختصار

قال الهلالي: « العِيَانُ بكسر العين مصدر عَايَنَ، ومثله الْمُعَايِنَةُ، كَقَاتَلَ قِتَالاً وَمُقَاتَلَةً، وَجَادَلَ جِدَالاً وَمُجَادَلَةً، وَحَاسَبَهُ حِسَابًا وَمُحَاسَبَةً، قال ابن مالك في الألفية:»

وَعَايَرَ مَا مَرَّ السَّمْعُ عَادِلَهُ 2

لِفَاعِلِ الْفِعَالِ وَالْمَفَاعِلِ هـ

قال الشيخ الحملاوي: «ما كانت فاءه ياء من هذا الوزن يمتنع فيه الفِعال». 3

(4) انْفَعَلَ، وَافْتَعَلَ، وَاسْتَفْعَلَ:

مصدر انطلق واقتدر واصطفى واستغفر: أن يكسر ثالث حرف منه، ويزاد قبل آخره ألف، كانطلاق، واقتدار واصطفاء واستغفار. 4، ومعنى الاستفعال هو طلب الفعل؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «الاستغاثة هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون». 5

قال ابن عقيل: «إن كان اسْتَفْعَلَ معتل العين نقلت حركة عينه إلى فاء الكلمة، وحذفت، وعُوض عنها تاء التأنيث لزوماً، نحو: استعاذ استعاذة، والأصل «استعواذا»؛ فنقلت حركة الواو إلى العين وهي فاء الكلمة، وحذفت، وعوض عنها التاء فصار استعاذة». 6 استعاذة. 6

قال الحملاوي: «فخرج نحو: اطَّيَّرَ واطَّيَّرَ، فمصدرهما التَّفَاعُلُ، والتَّفَعُّلُ، لعدم قياسية الهمزة». 7 (5) تَفَعَّلَ:

قياس مصدر ما بدئ بقاء زائدة: أن يضم رابعه، نحو: تدرج تدرجاً، لكن إذا كانت اللام ياء كسر الحرف المضموم ليناسب الياء، كتوانى توانياً وتغالى تغالياً. 8 (6) فَعَلَّلَ:

قال الحملاوي: «قياس مصدر فَعَلَّلَ وما ألحق به: فَعَلَّلَهُ، وإن كان مضاعفاً: فَعَلَّلَ، وهو في غير المضعف سماعي.

• فَعَلَّوْتُ:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «فَعَلَّوْتُ» مصدر يستعمل كثيراً في السريانية كالجبروت "كبوروثا" جاءت من "جبر" وهو الرجل ومنه جبرائيل "كفرائيل" فمعناه بالسريانية: رجل الله، أي: الرجل الذي يبعثه الله لتبليغ رسالته، فالجبروت هو الرجولة الكاملة و"كبور" جبار رجل عظيم، ومن ذلك جاء لفظ "لاهورت" من اسم الله تعالى. 9 وقال: «تَعَاظَمُ أَوْ عَظَّمُوْتُ، كما يسمى ذلك الأمير شكيب أرسلان رحمه الله». 10 وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة». 11

1 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 59

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 126

3 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 86

4 المرجع نفسه. ص 85

5 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك و منافق. 11

6 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 3 / 108

7 أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف. ص 85

8 المرجع نفسه. ص 86

9 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 208

10 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 14. مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة. العدد الثامن. ذو الحجة 1380 هـ/ ماي 1961 م. ص 4

11 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 873. 1 / 247

والعرب تقول: "رَهْبُوتٌ خَيْرٌ مِنْ رَحْمَتٍ"، أي: أن تُرهب خير من أن تُرحم¹.

مصدر المرة:

هو مصدر يدل على وقوع الفعل مرة واحدة. يُصاغ من الفعل الثلاثي على وزن فَعَلَّة، ومن غير الثلاثي على وزن مصدر فعله مختوما بتاء التأنيث، نحو انطلقت انطلاقة، وسُمِعَ: حُجَّة، ورؤية تخالفان القياس².

مصدر الهيئة:

هو مصدر يدل على هيئة الفعل. يُصاغ من الفعل الثلاثي على وزن فَعَلَّة، ومن غير الثلاثي على شكل اسم المرة، مع زيادة لفظ يدل على الوصف³. عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبْحَةَ، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته.»⁴ قال محمد تقي الدين في معنى الحديث العام: «إذا قتلتم إنسانا قصاصا لأنه قتل نفسا بغير حق فأحسنوا هيئة قتله ولا تعذبوه في القتل، وذلك بأن تكون آلة القتل حادة لا يتألم المقتول بها كثيرا عند القتل، وإذا ذبحتم حيوانا للأكل فأحسنوا هيئة ذبحه بأن تكون السكين حادة لا تعذبه.»⁵

اسم الزمان والمكان:

هما اسمان مُشتقان يدلان على زمان الفعل ومكانه.

ومن أمثلتهما:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «ما رواه البخاري ومسلم من حيث عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا.»⁶ وعن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما أنهما وصفتا لرسول الله ﷺ كنيسة بأرض الحبشة، وذكرت ما من حسنهما وما بها من تصاوير فقال النبي ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله.»⁷ فلَعَنُ النبي ﷺ اليهود والنصارى إنما وقع لتحذير أمتهم أن يعملوا مثل عملهم، ومن صلى عند قبر فقد اتخذ ذلك المكان مسجدا، أي موضع سجود سواء أكان عليه بناء أم لا.»⁸

وقال: «قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: 28، المزل: 9] يدل على توحيد الربوبية، فرب المشرق والمغرب هو رب الشمس التي تطلع من المشرق وتغرب في المغرب بالنسبة إلى جميع أهل الأرض، حتى الأراضي القطبية التي يستمر فيها النهار ثلاثة أشهر عجمية والليل مثل ذلك، لها مشرق ومغرب، هذا في الإجمال، وفي التفصيل لها مشارق ومغارب، كما قال: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ﴾

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 1748

2 انظر: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك. لمحمد المامي يعقوبي. ص 451-452، وشرح ابن عقيل. 3/ 109-110

3 انظر: المراجع نفسها. ص 451-452، و 3/ 109-110

4 رواه مسلم 1955

5 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 94

6 رواه البخاري 1265 ومسلم 1212.

7 رواه البخاري 427

8 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. دون معلومات نشر. طبع سنة 1399 هـ/ 1979 م. ص 10-11

الْمَشْرِيقِ وَالْمَغْرِبِ ﴿ [المعارج: 40] في سورة المعارج، فإن الشمس تطلع في كل يوم من مكان ولكنها لا تخرج عن المشرق وتغرب كل يوم في مكان، ولكنها لا تخرج عن المغرب، فباستبار التزامها لجهة واحدة في طلوعها وغروبها نقول: لها مشرق ومغرب. 1»

أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين:

• اسم الفاعل:

- من الثلاثي: أبنيته: فاعِل، فَعَلَ، فَعِيل، أَفْعَل، فَعَلَ. 2

قال بروكلمان: «يبني اسم الفاعل من الوزن الأصلي، في كل اللغات السامية، على وزن: *katil* [قَاتِل].» 3

- من غير الثلاثي: مُفْعَل ومُسْتَفْعَل:

قال بروكلمان: «أما الأوزان الباقية فيبنى منها اسم الفاعل بزيادة "ميم" في أوله وتحرك بالضممة في العربية والآشورية دائماً.» 4

قال محمد تقي الدين: «المُوَلِّي اسم فاعل من: آلَى يُوَلِّي إِبْلَاءً، قال تعالى في سورة البقرة 226-227: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرِيصٌ

أَرْبَعَةٌ أَشْهُرٌ فَإِن تَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَإِن عَزَّوْا أَطَّلَقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: 226 - 227]» 5

و"فَعِيل بمعنى مُفْعَل" 6: بَدِيع بمعنى مُبْدِع، وَحَكِيم بمعنى مُحَكِّم

وَيُطْلَق اسم المصدر العَوْتُ (فَعَلَ) على المغيث مُفْعَل (من باب إطلاق المصدر على اسم الفاعل) 7.

• اسم المفعول:

- من الفعل الثلاثي: مفعول:

قال بروكلمان: «أما اسم المفعول من الوزن الأصلي، فهو في العبرية: *katul* [قاتول] الذي يزداد عليه "الميم" في العربية: *maktul*

[مَقْتُول].» 8

- من الفعل غير الثلاثي: مُفْعَل ومُسْتَفْعَل:

قال بروكلمان: «ويبنى اسم المفعول من الأوزان الباقية، بزيادة "الميم" في أوله، ويصلح لحركتها هنا ما سبق أن قيل في حركتها،

مع اسم الفاعل، أما عين اسم المفعول، فإنها تتحرك بالفتحة.» 9

وتأتي: "فَعِيل بمعنى مفعول" 10، و"فَعِيل بمعنى مُفْعَل" 11، و"فَعُول بمعنى مفعول وفاعل" 12

و"فِعَال بمعنى مفعول":

1 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 360

2 انظر: شرح ابن عقيل. 3 / 111-112-113

3 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 120

4 المرجع نفسه والصفحة باختصار

5 الهلائي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 20؛ قال الهلائي: «الإيلاء أن يحلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة من الزمن، فإن كانت أربعة أشهر، أو دونها جاز ذلك، وإن كانت أكثر من أربعة أشهر لم يجز، وللمرأة أن تطالبه بعد أربعة أشهر بأن يجامع أو يطلق، فإن أبى طلق عليه الحاكم، وعن عائشة: «أن النبي ﷺ آلَى من نسائه شهراً» رواه

البخاري [378]، ومسلم [1084]»

6 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 190 و: 5 / 315

7 الهلائي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 80، وانظر: غور بمعنى غائر في "سبيل الرشاد في هدي خير العباد". 6 / 16

8 كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية. ص 120

9 المرجع نفسه والصفحة

10 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 271

11 المصدر نفسه. 6 / 266

12 المصدر نفسه. 6 / 269

قال محمد تقي الدين: «معنى أله يأله إلهة، أي: عبد يعبد عبادة، [ف] كلمة "إله" فعّال بمعنى مفعول أي: معبود، فقائل لا إله إلا الله، العالم بمعناها، يشهد على نفسه أنه لا يعبد إلا الله، وأنه بريء مما يعبد من دونه.»¹

وقال: «قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ [الزخرف: 84]، أي: هو معبود أهل السماء وأهل الأرض بحق.»² و"فَعَّلَ" بمعنى مفعول:

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.»³ قال محمد تقي الدين: «المراد بالأمر هنا: الدين.»⁴ «ورد: أي مردود.»⁵

أبنية صيغ المبالغة:
"فَعَّالٌ"

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 64]

قال محمد تقي الدين: «دلت الآية على أنّ من تكررت منه المعصية والتوبة صحت توبته، لقوله تعالى: ﴿تَوَّابًا﴾ وذلك ينبى عن التكرار، كذا في بعض التفاسير.»⁶ و"مَفْعَالٌ"، و"فَعُولٌ" 7، و"فَعِيلٌ" 8 و"فَعِلٌ":

قال الهلالي: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] قرئ في السبع بألف بعد الميم وبدونها.

فالأول: من المَلِكِ بكسر الميم، كما قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الأنفطار: 19] والثاني: من المَلِكِ بضم الميم، وكلاهما ثابت لله تعالى.⁹ و"فَعُولٌ":

نقل الهلالي عن ابن الأثير: «"فَعُولٌ" من أبنية المبالغة، وقد تفتح القاف¹⁰، وليس بالكثير، ولم يجئ منه إلا قدوس، وسبوح، ودروح»¹¹ و"فَعِيلٌ":

قال الهلالي: «العَيْنُ عَلَى وَزْنِ سَكَّيت.»¹²

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 206

2 المصدر نفسه. 2 / 276

3 رواه مسلم 1718

4 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 80

5 المصدر نفسه والصفحة

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 47

7 المصدر نفسه. 6 / 262، 269

8 المصدر نفسه. 5 / 315

9 المصدر نفسه. 6 / 149-150

10 في "قدوس"، أي: الفاء في "فَعُولٌ"

11 المصدر نفسه. 6 / 260

12 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. 20

التصغير:

الاسم المصغر هو المزيد فيه ياء ساكنة، ليدل على تقليل أو تحقير أو تقريب أو تعطف، أو تعظيم، ومن أمثله التي ذكرها الهلالي: قال في تصغير تأليف: «تؤليف» 7، وفي تصغير غرفة: «غُرَيْفَة حقيرة» 2 فالمثال الأول في تصغير ما يتوهم كبره، والثاني للتحقير. أما أبنيته؛ فالثلاثي مثل لفظ "غرفة": ضُم أوله وفتح ثانيه، وزيد بعد ثانيه ياء ساكنة، أما الرباعي وأكثر مثل لفظ "تأليف" ففُعِلَ به ذلك وكُسِرَ ما بعد الياء، فأمثلة التصغير ثلاثة: فُعِيلَ، فُعِيْعِلَ، وفُعِيْعِيْعِلَ 3.

النسب:

الاسم المنسوب هو الملحق آخره ياء مشددة، ليدل على نسبته إلى المجرّد عنها، والغرض من النسبة أن يجعل المنسوب من آل المنسوب إليه أو من أهل تلك البلدة أو الصنعة. 4. قال محمد تقي الدين الهلالي: «النسبة إلى العلم: علمي». قال ابن هشام في كتابه "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" ما نصّه: «باب النسب» إذا أردت النسب إلى شيء فلا بُدَّ لك من عمليّن في آخره: أحدهما: أن تزيد عليه ياءً مُشدّدة تصير حرف إعرابه، والثاني: أن تكسره فتقول في النسب إلى دِمَشق: دِمَشقيّ». وهكذا فعلنا في النسب إلى العلم؛ فقد كسرنا آخر الكلمة ليناسب الياء، وزدناه ياءً مُشدّدة. فزيادة الألف والتون في قولهم علماني لا وجه لها، وإنّما جاءت من الجهل بقاعدة النسب، ولا يمكنهم أن يقولوا: إنّ هذه نسبة على غير قياس، لأنّ ما جاء من ذلك يُقتصر فيه على السماع ولا يُقاس عليه.

قال ابن مالك في آخر النسب من ألفيته:

عَلَى الَّذِي يُنْقَلُ مِنْهُ اقْتَصَرَ 51

وَعَايِرَ مَا أَسْلَفْتَهُ مَقَرَّرَا

قال الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك: «يعني أنّ ما جاء من النسب مُحالفا لما تقدّم شاذة، يُحفظ ولا يُقاس عليه، وبعضه أشدّ أشدّ من بعض؛ فمن ذلك قولهم في النسب إلى البصرة: بصري بكسر الباء، وإلى الدهر: دُهري بضمّ الدال، وإلى مرو: مروزي، وإلى الريّ: رازي، وإلى خُرَاسان: خُرَسي وخُرَسي، وإلى جلولاء وحروراء موضعين: جلولي وحروري، وإلى البحرين: بحراني، وإلى أمّية: أموي بفتح الهمزة، وإلى السهل: سُهلي بضمّ السين، وإلى بني الحُبليّ وهم حيّ من الأنصار منهم عبد الله بن أبي سلول المنافق، وسُمّي أبوهم الحُبلي لعظم بطنه: حُبليّ بضمّ الحاء وفتح الباء، ومنه قولهم: قَباني، وشعراني، وجماني، ولحياني، للتعظيم الرقبة، والشعر، والجمّة، واللّحية. وقولهم في النسب إلى الشّام واليمن وتُهامة: رجلٌ شامٌ ويّانٌ وتّهام، وكلّها مفتوحة الأوّل» 7. 8

1 الهلالي: التقدّم والرجعية. 1 / 10، وانظر: الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 301

2 الهلالي: الإسلام والمذاهب الاشتراكية. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة الثالثة. العدد الثاني. 1390 هـ/ 1970 م. ص 12-13

3 انظر: شرح ابن عقيل، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل. 3 / 117

4 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 304

5 ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 111

6 قد تكلمت به العرب، فالأولى وصفه بالندرة.

7 حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. 4 / 284-285

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 58-59

ومن أمثلة النسب، قول الهلالي في الشعب الياباني: «إنه اقتبس الحضارة الأوروبية وبلغ فيها شأوى يفوق أساتذته أو فاقهم مع المحافظة على مقوماته ومعنوياته ولا يتنازل عن شيء منها فإذا نقول في هذا الشعب أهو تقدمي أم رجعي؟»¹ والعرب تنسب إلى المفرد لا إلى الجمع؛ قال الهلالي: «الصحفي من يأخذ العلوم عن الصحف بدون تلق عن العلماء، وهو بالتحريك نسبة إلى الصحيفة، لأن العرب تنسب إلى المفرد لا إلى الجمع، والمصحفي من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء الحفاظ، وكل منهما يكون كثير الغلط والخطأ.»²

النسبة إلى الحياة:

قال الهلالي: «يجب حذف التاء وقلب الألف واوًا ثم الإتيان بياء النسب، فيقال الحَيَوِي والحَيَوِيَّة،

قال ابن مالك:

يَاءٌ كَيْاءُ الْكُرْسِيِّ زَادُوا لِلنَّسَبِ وَكُلُّ مَا تَلِيهِ كَسْرُهُ وَجَبَ
وَمِثْلُهُ مِمَّا حَوَاهُ اخْذِفْ، وَتَاءُ تَأْنِيثٍ أَوْ مَدَّتْهُ، لَا تُثْبِتَانِ³

قال ابن عقيل: يعني أنه إذا كان في آخر الاسم ياء كياء الكرسي في كونها مشددة واقعة بعد ثلاثة أحرف فصاعدًا وجب حذفها وجعل ياء النسب موضعها، فيقال في النسب إلى الشافعي: شَافِعِيٌّ... وكذلك إذا كان آخر الاسم تاء التأنيث وجب حذفها للنسب، فيقال في النسب إلى مكة: مَكِّيٌّ.⁴

1 الهلالي: التقدم والرجعية. 1 / 17-18

2 الهلالي: مأساة أميرة شرقية. مجلة المنار. 29 رمضان 1353 هـ / 5 يناير 1935 م. 34 / 536

3 ابن مالك: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 108

4 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 4 / 127-128، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 143-144

المطلب الثالث:

حروف المعاني وأسماء الكناية

قال سيبويه: «الكلم: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.»⁷

1- حروف المعاني:

هي أدوات تربط الأسماء بالأفعال، والأسماء بالأسماء، والجمل بالجمل، ولا تدل على معنى في نفسها، بل في غيرها.

أولاً: أحرف النداء: وهي: الهمزة-آ-يا-أي-أيا-هيا-وا.

والمنادى هو المدعو بـ "يا" أو إحدى أخواتها²

ومن أمثلة النداء قول الهلالي: يا رحيمًا، يا سلامًا، قُدّوسٌ،...³

ثانيًا: أحرف العطف: وهي: الواو-الفاء-ثمّ-أو-أم-لا-بل-حتى-لكن.

قال الخليل: «عَطَفْتُ الشَّيْءَ: أَمَلْتُهُ، وَاِنْعَظِفُ الشَّيْءَ اِنْعَاجًا، وَعَطَفْتُ عَلَيْهِ: اِنصَرَفْتُ، وَعَطَفْتُ رَأْسَ الْخَشَبَةِ أَي: لَوَيْتُ،

وقوله: ﴿ثَانِيًا عِطْفِيهِ﴾ [الحج: 9]، أي: لاوي عُنُقِهِ.»⁴

ثم قال: «وِطْبِي عَاطِفٌ: تَعَطَّفُ عُنُقَهَا إِذَا رِبَضَتْ وَرَبَمَا كَانَ الذَّبُّ عَاطِفًا فِي عَدْوِهِ وَخَتَلِهِ، وَعَطَفْتُ دَابَّتِي وَرَأْسَ الدَّابَّةِ إِلَى وَجْهِ

آخِر.»⁵

فعطف الكلمة على الكلمة ثنيها عليها وحملها عليها في الإعراب.

الواو:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قواعد اللغة الأوروبية كالفرنسية والإنكليزية والجرمانية والإسبانية تقضي في المتعاطفات أن لا

يذكر حرف العطف إلا في آخرها فإذا أرادوا مثلًا أن يقولوا: جاء زيد وعمرو وبكر وخالد، يقولون: جاء زيد وعمرو وبكر وخالد،

ومن تفتن إلى لغة القرودة من كتاب العرب ومذيعيهم يجدهم يستعملون هذه القاعدة في اللغة العربية.»⁶

وقال: «العطف يقتضي المغايرة.»⁷

وهذا قول عام يفصله قول ابن تيمية فيما يلي؛ قال ابن تيمية: «العطف؛ قد يكون للتغاير في الذوات، وقد يكون للتغاير في الأسماء

والصفات، كقوله: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) الَّذِي حَقَّ فَسْوَى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أخرجَ الْمَرْعَى (٤)﴾ [الأعلى: 1-4]، وهو سبحانه

واحد وإنما تعددت أسماؤه وصفاته.»⁸

ويجوز عطف الجزئي على الكلي، وإن كان داخلا فيه؛ قال الهلالي: «عن ابن عباس رضي الله عنها قال: تلا هذه الآية: ﴿وَلَا

تَبَرَّحْ بِتَبْرَحِ الْجَبْهَيْتَةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33] وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

7 سيبويه: الكتاب. 2 / 1

2 ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 114

3 الهلالي: أسماء الله الحسنى.

4 الخليل: العين. 2 / 17

5 المرجع نفسه. 2 / 18

6 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 246

7 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 51

8 ابن تيمية: شرح العمدة. ت: خالد بن علي بن محمد المشيقح. دار العاصمة. الرياض. السعودية. ط1. 1418 هـ / 1997 م. 2 / 157

[الأحزاب: 33] نهان أولاً عن الشر، ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين ﴿وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهذا من باب عطف العام على الخاص. 1
ولا يفيد العطف بالواو الترتيب ولا يتفيه؛ قال الهلالي: «من المعلوم عند جميع العرب والنحاة أن الواو لمطلق الجمع لا تفيد تعقيباً ولا ترتيباً، قال تعالى في سورة الأحزاب (الآية 7): ﴿وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: 7] الخطاب في ﴿مِنكَ﴾ لمحمد ﷺ، فمن توهم أن الواو تفيد تعقيباً يلزمه أن يقول: إن الله أخذ الميثاق من محمد ﷺ قبل أن يأخذه من نوح، وكفى بقول يفضي إلى هذا إسفافاً وبطلاناً. 2

وفي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَكَانَ يُكْفَرُ عَنْهُمْ سَرِيحًا وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 4-6] قال محمد تقي الدين الهلالي: «﴿وَيُكْفَرُ عَنْهُمْ سَرِيحًا﴾ أي يغفر لهم ذنوبهم، والواو لا تفيد تعقيباً ولا ترتيباً، وإنما هي للجمع؛ وتكفير الذنوب في الحقيقية سابق لدخول الجنة. 3
وهذا ما قرره سيبويه بقوله: «قولك: مررتُ برجلٍ وحمارٍ قبلُ. فالواو أشركتُ بينهما في الباء فجرىا عليه، ولم تجعل للرجل منزلةً بتقديمها إياه يكون بها أوّلَى من الحمار، كأنك قلت: مررتُ بهما، فالنفي في هذا أن تقول: ما مررتُ برجلٍ وحمارٍ، أي ما مررتُ بهما، وليس في هذا دليلٌ على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء مع شيء؛ لأنه يجوز أن تقول: مررتُ بزيدٍ وعمرو، والمبدوء به في المرور عمرو، [ويجوز أن يكون زيدياً]، ويجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة.
فالواو تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني، فإذا سمعت المتكلم يتكلم بهذا أحبته على أيها شئت؛ لأنها قد جمعت هذه الأشياء.
وقد تقول: مررتُ بزيدٍ وعمرو، على أنك مررتُ بهما مُرورين، وليس في ذلك دليل على المرور المبدوء به، كأنه يقول: ومررتُ بعمرو أيضاً، فنفي هذا: ما مررتُ بزيدٍ، وما مررتُ بعمرو. 4

وإذا وردت قرينة تدل على الأول وجب المصير إليها، ومن الشواهد على ذلك: عن جابر قال: «خرج رسول الله إلى الصفا، وقال: (نبدأ بما بدأ الله به)، ثم قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158] 5
قال محمد تقي الدين: «الواو لا تفيد تعقيباً ولا ترتيباً إلا إذا كانت معها قرينة كقول النبي ﷺ: «أبدأ بما بدأ الله به» 6. 7
فالقريئة وهي قول الرسول ﷺ هي التي دلت على الترتيب، لا الواو في الآية.

الفاء:

من المعاني الملازمة للفاء في مختلف حالاتها الإلتباع؛ فهي تدل في العطف على الجمع والترتيب والتعقيب من غير مهلة.
عن جابر بن سمرة قال: شكوا أهل الكوفة سعداً 8 إلى عمر رضي الله عنه - فعزله 7 واستعمل عليهم عمّاراً 2-، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسنُ يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسنُ تصلي؟ قال أبو إسحاق: أمّا أنا والله، فإني

1 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. 14-15

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 44/5

3 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 35

4 سيبويه: الكتاب. 1/ 438-439

5 الألباني: صحيح سنن النسائي. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1 الجديدة. 1419 هـ/1998م. حديث رقم 2970. 2/ 333

6 رواه مسلم 1218

7 محمد بن موسى الموسى ومحمد بن إبراهيم الحمد: الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء. دار ابن خزيمة. الرياض. ط 2. 1428 هـ/ 2007 م. ص 329

8 قال الهلالي: «هو ابن أبي وقاص وهو خال ابن سمرة الراوي عنه.» إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. دار الكتاب والسنة. القاهرة. مصر. ط

1. 2007م. ص 14

كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، ما أخرج عنها 3، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين، وأخف في الآخرين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. 4

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله: «فشكوا» ليست هذه الفاء عاطفة على قوله: «فعرله» بل هي تفسيرية عاطفة على قوله شكوا، عطف تفسير، وقوله: «فعرله واستعمل» اعتراض؛ إذ الشكوى كانت سابقة على العزل. 5
وتدل أيضا على السببية؛ قالت الأستاذة فاطمة الحمياني: «كما تفيد بالإضافة إلى الترتيب والتعقيب الدلالة السببية بحيث يكون ما قبلها علة لما بعدها نحو قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: 15] ونحو: أعطيته فشكر وضربته فبكى، فالإعطاء سبب الشكر والضرب سبب البكاء، والمسبب يقع ثاني السبب وبعده متصلا به، وهو ما يعبر عنه الضابط الآتي:
إذا كان ما قبل الفاء علة لما بعدها، دلت أيضا على السببية. 6

قال محمد تقي الدين: «كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه 7، فالكاف للتعليل، و"ما" زائدة، والمصدر المؤول من "أن" وما بعدها فاعل لفعل محذوف تقديره: ثبت. هكذا أعربه الأمير في حاشيته على المغني، والتقدير: لثبوت عدم علمه سامحه الله فتجاوز عنه، والذي حملة على هذا التكلف أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، ولو اعتبرنا الفاء زائدة لم نحتاج إلى هذا التقدير كله، فيكون الجار والمجرور متعلق بما بعده، وهو: تجاوز. 8

ومثله قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151 - 152]، قال الأخفش: «أي لأجل إرسالي فيكم رسولا منكم فاذكروني. 9
قال محمد تقي الدين: «فيه إعمال ما بعد الفاء فيما قبلها، وقد سكت عنه الأمير، وهذا يدل على ما رجحته أنا في إعراب المثال المتقدم. 10

ثم:

تفيد "ثم" الجمع والترتيب والمهلة مع التراخي.

ويفرق العرب بين الواو وثم، وقد ورد في السنة هذا التفریق؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «أخرج ابن سعد عن قتيبة بنت صيفي قالت: «جاء خبر من الأخبار إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لو لا أنكم تشركون! قال: «كيف؟» قال: يقول أحدكم: لا، والكعبة، فقال النبي ﷺ: «من حلف فليحلف برب الكعبة»، فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لو لا أنكم تجعلون لله ندا! قال: «وكيف ذلك؟» قال: يقول أحدكم: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: «فمن قال منكم: ما شاء الله، فليقل: ثم شئت» 11. 12

1 قال الهلالي: «كان عمر بن الخطاب أمر سعد بن أبي وقاص على قتال الفرس في سنة أربع عشرة ففتح الله العراق على يديه، ثم اختط الكوفة سنة سبع عشرة، واستمر عليها أميرا إلى سنة إحدى وعشرين في قول خليفة بن خياط، وعند الطبري سنة عشرين. المصدر نفسه والصفحة
2 قال محمد تقي الدين الهلالي: «هو ابن ياسر، قال خليفة: «استعمل عمارا على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض.» وكان تخصيص عمار بالذكر لوقوع التصريح بالصلاة دون غيرها مما وقعت فيه الشكوى. المصدر نفسه والصفحة
3 في «إعلام الخاص العام» للهلالي: منها، والمثبت هو الصواب.

4 رواه البخاري 755

5 الهلالي: إعلام الخاص العام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. 14

6 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطقة والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 176

7 سيبويه: الكتاب. 3 / 140

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 188

9 الأخفش: معاني القرآن. ت: محمد أمين الورد. عالم الكتب. بيروت. ط 1. 1405 هـ / 1985 م. 1 / 120، وفيه: «أي كما فعلت هذا فاذكروني.»

10 المصدر السابق. ص 188

11 الألباني: الصحيحة. حديث رقم 1166. 3 / 154

12 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 145

ونقل الهلالي عن أبي بكر محمد بن موهب المالكي شارح "رسالة ابن أبي زيد القيرواني" قوله: «عُلُوّه في استوائه على عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل أن يستوي على العرش؛ لأنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: 4] و"ثُمَّ" أبداً لا يكون إلا لاستئناف فعل يصير بينه وبين ما قبله فسحة». 1، ولهذا قال الهلالي في قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: 29]: «خلق الأرض متقدماً على السماء». 2

أو:

يجب التفريق في استعمال "أو" بين الخبر والأمر؛

• في الخبر:

قال ابن تيمية: «في الخبر هي لإثبات أحدهما [المعطوف أو المعطوف عليه]:

1- إما مع عدم علم المخاطب؛ وهو الشك.

2- أو مع علمه؛ وهو الإبهام، كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ زَيْدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ [الصفات: 147] 3

أما الهلالي، فيرى أن معنى "أو" في الآية الإضراب؛ ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ زَيْدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ [الصفات: 147] أي: بل

يزيدون على مائة ألف، فأمنوا بالله ورسوله يونس، ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ ﴿١٤٨﴾ [الصفات: 148]. 4

ويذهب الزجاج إلى أن الناس خوطبوا في هذه الآية حسب عادتهم في الخطاب؛ قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿٩﴾ [النجم: 9]: «المعنى: كان ما بينه وبين رسول الله مقدار قوسين من القسي العربية أو أقرب.

وهذا الموضوع يحتاج إلى شرح؛ لأن القائل قد يقول: ليس تخلو "أو" من أن تكون للشك أو لغير الشك؛

فإن كانت للشك، فمحال أن يكون موضع شك.

وإن كان معناها: "بل أدنى"، "بل أقرب"، فما كانت الحاجة إلى أن يقول: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ ، كان ينبغي أن يكون: كان أدنى

من قاب قوسين؟

والجواب في هذا والله أعلم: أن العباد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم، وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يجرُّ، فالمعنى: فكان على

ما تقدرونه أنتم، قدر قوسين أو أقل من ذلك، كما تقول في الذي تقدره: هذا قدر رحين أو أنقص من رحين أو أرجح، وقد مر مثل

هذا في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ زَيْدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ [الصفات: 147]. 5

3- التفصيل: إذا لم تشك ولم تقصد الإبهام نحو قوله تعالى: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 135]. ف"أو" فصلت ما

قالت اليهود بما قالت النصارى. 6

قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [البقرة: 111] 7، يعني سبحانه أن

اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، والنصارى قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وقد اتبعهم بعض هذه الأمة

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 179

2 المصدر نفسه. 5 / 8-9

3 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 21 / 382

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 72

5 الزجاج: معاني القرآن وإعرابه. ت: عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب. ط. 1408هـ. 5 / 71

6 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 181

7 قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ آمَاتُهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ

وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٣﴾ [البقرة: 111 - 112]

كما أخبر النبي ﷺ بذلك في "الصحيح" بقوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.» قيل: من يا رسول الله؟ اليهود والنصارى وفارس؟ قال: «ومن القوم إلا أولئك.»¹

• في الأمر:

لـ "أو" معنيان في الأمر: الإباحة والتخيير.

قال ابن تيمية: »

1- قد يكون ذلك مع إباحة الآخر، كقوله: جالس الحسن أو ابن سيرين، وتعلم الفقه أو النحو، ومنه خصال الكفارة يُخبر بينها، ولو فعل الجميع جاز.

2- وقد يكون مع الحصر؛ يُقال للمريض: كل هذا أو هذا³ «وهذا المعنى واضح في المثال الآتي: تزوج هنداً أو أختها.

وهذه المعاني تستفاد كلها من سياق الكلام وقصد المتكلم.»⁴

• في الاستفهام:

قالت الأستاذة فاطمة الحمياني: «في الاستفهام تقول: أزيد عندك أو عمرو؟ والمراد: أحدهما عندك؟ والسائل لا يعلم إن كان أحدهما عنده.

والجواب يكون في حالة النفي: لا! أي: ليس واحد منهما عنده، وفي حالة الإيجاب: نعم! أي أن أحدهما عنده.

أما الجواب بالتعيين هنا فلا يكون مطابقاً للسؤال.»⁵

بل:

معناها الإضراب عن الأول وإثبات الحكم للثاني، نحو: مررت برجل راعٍ بل ساجد.

قال محمد تقي الدين: ﴿وَأَرْسَلْتُهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ﴾ [الصفات: 147] أي: بل يزيدون على مائة ألف،

﴿فَقَامُوا﴾ بالله ورسوله يونس، ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الصفات: 148] أي: دفع الله عنهم العذاب بعد ما شاهدوه.»⁶

لكن:

قالت الأستاذة فاطمة الحمياني: «نضبط الفرق بين "بل" و"لكن" بما يلي: العطف بـ "بل" فيه إخبار واحد وهو بما بعدها لا

غير، وما يقابلها مضرب عنه، والعطف بـ "لكن" فيه إخباران: بما قبلها وهو نفي، وبما بعدها وهو إيجاب أو العكس.»⁷

ثالثاً: حروف الجر:

وتسميتها بحروف الجر نظراً لعملها في مدخولها، ويسميتها الخليل بن أحمد الفراهيدي حروف الإضافة؛ قال سيبويه في "باب

حروف الإضافة إلى المحلوف به وسقوطها": «قال الخليل: إنها تحيء بهذه الحروف، لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف به كما تضيف

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 187 - 188

2 في حين أن الواو توجبه.

3 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 21/ 382، وانظر: 7/ 276

4 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 181

5 المرجع نفسه. ص 182

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 72

7 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 190

مررتُ به بالباء»¹، ويسمى بها نحاة الكوفة حروف الصفات؛ قال ابن تيمية: «النحاة إنما سموا حروف الجر حروف الصفات، لأن الجار والمجرور يصير في المعنى صفة لما تعلق به.»²

وهي ثلاثة أضرب: ضرب لازم للحرفية، وضرب كائن اسماً وحرفاً، وضرب كائن حرفاً وفعلاً. فالأول تسعة أحرف وهي: من، وإلى، وحتى، وفي، والباء، واللام، ورب، وواو القسم، وتاؤه؛ والثاني خمسة أحرف وهي: على، وعن، والكاف، ومد، ومنذ؛ والثالث ثلاثة أحرف وهي: حاشا، وخلا، وعدا. في المجموع سبعة عشر حرفاً.³ وجمعها ابن مالك في قوله:

حتى، خلا، حاشا، عدا، في، عن، على
والكاف والباء ولعل، ومتى⁴

هاك حروف الجر وهي: من، إلى
مد، منذ، رب، اللام، كي، واو، وتا
من:

نقل الهلالي قول الطيبي: «من إما ابتدائية أو تبعيضية.»⁵ فابتداء الغاية، مثل: من فلان إلى فلان، والتبعيضية، مثل: هذا منهم⁶. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [النساء: 171]

قال محمد تقي الدين: «قوله: ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ كقوله: ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [الجاثية: 13] أي من خلقه، ومن عنده، وليست ﴿ مَنْ ﴾ للتبعيضية كما تقوله النصارى، بل هي لابتداء الغاية، كما في الآية الأخرى.»⁷ ويوضح ذلك ابن تيمية، فيقول: «"من" هي لابتداء الغاية؛ فإن كان المجرور بها:

1 - عينا يقوم بنفسه: لم يكن صفة لله، كقوله: ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾، وقوله في المسيح: ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾.

2 - وكذلك ما يقوم بالأعيان، كقوله: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّرٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: 53]

3 - وأما إذا كان المجرور بها صفة، ولم يذكر لها محل: كان صفة لله، كقوله: ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكِن حَتَّى الْقَوْلِ مِنِّي ﴾ [السجدة: 13]»⁸

8 [13]

ومن معاني "من" أيضا:

• التوكيد:

قال محمد تقي الدين: «تُرَادُ "مِنْ" للتوكيد كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [المائدة: 19] فـ "مِنْ" هنا زِيدَتْ لتوكيد النَّفْيِ، ولو حُذِفَتْ لكان الكلام تامًّا.»⁹

1 سيبويه: الكتاب. 2 / 497

2 ابن تيمية. مجموع الفتاوى. 35 / 267

3 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 57

4 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 48-49

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد 1 / 180

6 سيبويه: الكتاب. 4 / 224-225

7 المصدر السابق. 1 / 290 عن تفسير ابن كثير. 2 / 479

8 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 12 / 518-519

9 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 12

الخامس: موافقة "في"، نحو: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: 87]، وقوله:

فَلَا تَرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي

السادس: موافقة "من"، كقوله:

تَقُولُ وَقَدْ عَالَيْتُ بِالْكُورِ فَوْقَهَا

السابع: موافقة "عند"، كقوله:

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشُّبَابِ وَذِكْرِهِ

الثامن: التوكيد، وهي الزائدة: أثبت ذلك الفراء مستدلاً بقراءة بعضهم: ﴿أَفْعِدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: 37] بفتح

الواو، وخرجت على تضمين ﴿تَهْوَى﴾ معنى تميل. 4

ونقل عن ابن منظور: «وتكون "إلى" بمعنى "مع" كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: 2]، معناه: مع

أموالكم، وكقولهم: الذود إلى الذود إيل، وقال الله عز وجل: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52، الصف: 14] أي: مع الله،

وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ [البقرة: 14] 5، 6

وعن ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 29، فصلت: 11] أي: قصد إلى السماء، والاستواء ههنا مضمن

معنى القصد والإقبال، لأنه عُدِّي بـ "إلى". 7

في:

قال سيبويه: «وأما "في" فهي للوعاء، تقول: هو في الجراب، وفي الكيس، وهو في بطن أمه، وكذلك: هو في الغلّ، لأنه جعله إذا

أدخله فيه كالوعاء له، وكذلك في القبة، وفي الدار، وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا. 8

ونقل الهلالي عن أبي بكر محمد بن موهب المالكي شارح "رسالة ابن أبي زيد" قوله: «قد تأتي "في" في لغة العرب بمعنى "فوق"،

وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَازِلِهَا﴾ [الملك: 15] يُريدُ فوقها، وعليه كذلك قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ

الْأَرْضَ﴾ [الملك: 16] الآيات.

قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب: يُريدُ فوقها، وهو قول مالك بما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين مما فهموه عن

الصحابة، مما فهموه عن النبي ﷺ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى فَوْقَهَا وَعَلَيْهَا. 9

قال محمد تقي الدين: «أما قوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: 16] فمعناه من على السماء؛ يعني العرش، وقد تكون "في"

بمعنى "على"، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: 2] أي على الأرض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي

جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه: 71] 10

1 البيت من الطويل، وهو للناطقة الذبياني في ديوانه. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط 2. 1985م. ص 73

2 البيت من الطويل، وهو لابن أحرر في ديوانه. ت: حسين عطوان. طبع مجمع اللغة العربية بدمشق. سوريا. ص 84

3 البيت من الكامل، وهو لأبي كبير في ديوان الهذليين. 2/ 89

4 حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. 2/ 317-318

5 ابن منظور: لسان العرب. ص 120

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 180-181

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 9 عن تفسير ابن كثير. 1/ 213

8 سيبويه: الكتاب. 4/ 226

9 المصدر السابق. 5/ 179

10 الهلالي: تجديد الدعوة إلى عقيدة السلف. دون معلومات نشر. ص 69

وذكر الهلالي أن "في" تكون للسببية، بمعنى "اللام" لتقارب السبب والعلة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْتَلِكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23] 1
عن:

تدل على المجاوزة والتعدية.

قال سيبويه: «وأما "عن" فإِذَا عَدَا الشَّيْءُ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: أَطْعَمَهُ عَنِ جُوعٍ، جَعَلَ الْجُوعَ مُنْصَرَفًا تَارِكًا لَهُ قَدْ جَاوَزَهُ، وَرَمِيَتْ عَنِ الْقَوْسِ، لِأَنَّهُ بِهَا كَذَفَ سَهْمِهِ عَنْهَا وَعَدَّاهَا، وَتَقُولُ: جَلَسَ عَنِ يَمِينِهِ، فَجَعَلَهُ مُتْرَاخِيًا عَنِ بَدَنِهِ وَجَعَلَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي بِحِيَالِ يَمِينِهِ، وَتَقُولُ: أَخَذْتُ عَنْهُ حَدِيثًا، أَيَّ عَدَا مِنْهُ إِلَيَّ حَدِيثًا.» 2

ولما كان القول يجاوز قائله؛ قال محمد تقي الدين: «أين تستعمل "قال عنه"؟

فالجواب: يستعملها المُحَدِّثُونَ فِي الرَّوَايَةِ، وَقَدْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِنْ صَحِيحِهِ: وَقَالَ شَقِيقٌ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

فمعنى "قال" هنا: روى وحديث. 3

وأما التزام إدخالها بعد أما فلا معنى له، لأنه لا تجاوز وتعدية يحمل على إدخالها، قال محمد تقي الدين: «أما هؤلاء الكتاب المخطوون فإنهم جعلوا كل كلمة تأتي بعد مجرورة بـ "عَنْ"، مثلاً: أَمَا عَنْ فُلَانٍ فَقَدْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقْحَمُونَ "عَنْ" بِدُونِ مَعْنَى لِمُؤَافَقَةِ جِهَلَةِ الْمُتَرْجِمِينَ.» 4
على:

نقل الهلالي عن أبي بكر محمد بن موهب المالكي شارح "رسالة ابن أبي زيد القيرواني" قوله: «إن معنى "فوق" و"على" عند جميع العرب واحد.» 5
ومن معانيها:

• قال الهلالي: «وتجيء "على" بمعنى "عن"، قال القحيف:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُوقُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا 6

قال ابن هشام في "المغني" بعد إيراد هذا البيت شاهدا على مجيء "على" بمعنى "عن": «ويُحْتَمَلُ أَنَّ رِضَى صُمِّنَ مَعْنَى عَطَفَ، وَقَالَ الْكَسَائِيُّ: حَمَلَ عَلَى نَقِيضِهِ وَهُوَ سَخَطٌ.»

وقال العيني والصبان 7 مثل ما قال ابن هشام في تضمين "رضي" معنى "عطف"، أي فلذلك عُدِّيَ بـ "على". 8

• وعن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُحَدِّثَكُمْ شَفْرَتَهُ فليرح ذبيحته.» 9

1 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك و منافق. ص 116

2 سيبويه: الكتاب. 4 / 226-227 باختصار

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 87

4 المصدر نفسه. ص 104

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 179

6 البيت من الوافر، وهو للقحيف العقيلي في لسان العرب (رضي) ص 1663

7 انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. 2 / 333

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 45-46

9 رواه مسلم 1955

قال محمد تقي الدين: «إن الله كتب الإحسان أي: فرضه على كل شيء أي في كل حال فـ "على" هنا بمعنى "في"». 1
• وقال الهلالي:

«وُتَّعَمَلُ "عَلَى" فِي مَوْضِعِ "مَعَ"، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: 177] أَي: أَعْطَى الْمَالَ مَعَ حُبِّهِ لَهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو
مَعْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: 6]، وَقَدْ اسْتَشْهَدَ ابْنُ هِشَامٍ فِي "الْمَغْنِيِّ" بِآيَةِ الْبَقْرَةِ وَآيَةِ الرَّعْدِ عَلَى أَنَّ "عَلَى" فِيهَا
لِلْمَصَاحِبَةِ بِمَعْنَى "مَعَ"، وَمِثْلُ آيَةِ الْبَقْرَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيئًا وَبَيْئًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:
8] أَي مَعَ حُبِّهِمْ لَهُ. 2
الباء:

هي للسببية وللمقابلة؛ قال ابن تيمية: «ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب، ولهذا قال النبي ﷺ أنه: لن يدخل
أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل. 3»، وقد قال: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32]؛ فهذه باء السبب، أي بسبب أعمالكم.
والذي نفاه النبي ﷺ بقاء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا، أي: ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة، بل لا بد من عفو
الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات. 4
وتأتي في موضع "في" و"من" و"مع":

• قال محمد تقي الدين الهلالي: «استعمال "باء الجر" في موضع "في"، وهو جائز في العربية؛ قال تعالى في سورة الصافات [137]-

138]: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَيُنْفَذْنَ فِيهَا فِي يَوْمٍ يُصْعَقُونَ﴾ [الصافات: 137] وَبِأَيْلُهَا أَفَلَا تَعْقَلُونَ﴾ [الأنعام: 138] 5

• واستشهد الهلالي على أن "الباء" تأتي بمعنى "من"، بقول الشاعر:

شَرِبْنَا بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ
مَتْنٌ لَجَجَ خَضِرٌ لَهْنٌ تَرِيحٌ 6

وقال: قال الخضري في حاشيته على شرح الألفية لابن عقيل ما نصه: «قوله: شربن الخ... ضمَّنه معنى "رَوَيْنَ" فعدها بـ
"الباء"، أو هي بمعنى "من" التبعية. 7»

• وعن جابر بن سمرة قال: شكوا أهل الكوفة سعداً إلى عمري رضي الله عنه - فعزله، واستعمل عليهم عمَّاراً، فشكوا حتى ذكروا
أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسنُ تصلي؟ قال أبو إسحاق: أما أنا والله، فإني
كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، ما أحرَمَ عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركدُ في الأوليين، وأخفُّ في الآخرين، قال: ذاك
الظن بك يا أبا إسحاق.

فأرسل معه رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا حتى دخل مسجداً
لبنِي عَبْسٍ، فقام رجل منهم يُقال له أسامة بن قتادة، يُكنى أبا سعدة، قال: أما إذا نشدتنا فإن سعداً كان لا يسيرُ بالسرية. 8»

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 94

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 94-95 باختصار.

3 رواه البخاري 5673

4 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 70 / 8

5 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 29

6 البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين. 1 / 52

7 حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك. 1 / 226، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 98

8 رواه البخاري 755

قال محمد تقي الدين: «قوله: «لا يسير بالسرية»: "الباء" بمعنى "مع"، أي: لا يسير مع السرية، وهي قطعة من الجيش.»¹ الكاف:

قال ابن مالك:

شَبَّهُ بِكَافٍ وَبِهَا التَّعْلِيلُ قَدْ
يَعْنَى وَزَائِدًا لِتَوْكِيدٍ وَرَدَّ
وَاسْتَعْمِلَ اسْمًا 2

قال محمد تقي الدين الهلالي: «تأتي الكاف في كلام العرب لأربعة أمور:

1- التشبيه: كقول المتنبي في ممدوحه:

كالبحر يَنْقُذُ لِلْقَرِيبِ جِوَاهِرًا
كالشَّمْسِ فِي كِبَادِ السَّمَاءِ وَضَوْوَهَا
جُودًا، وَيَبْعَثُ لِلْبُعِيدِ سَحَابًا
يَغْشَى السَّيْلَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا 3

2- هو التعليل 4: تجيء الكاف للتعليل، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الطَّالِقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾، أي: واذكروا الله لأنه هداكم.

3- أن تكون زائدة إذا دخلت على كلمة بمعناها، وجعل منه قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: 11]

فإن قلت: إن كانت زائدة لا فائدة في ذكرها، فلماذا جاءت في القرآن؟ فالجواب: أن فائدتها التوكيد، وإنما سُميت زائدة لأن الكلام يتم بدونها؛ كما تزداد "من" للتوكيد كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: 19] ف "من" هنا زيدة لتوكيد النبي، ولو حذفت لكان الكلام تامًا.

4- أن تكون اسمًا بمعنى "مثل": كقول الشاعر:

أَنْتَهُنَّ وَنَ لَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ
كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفَتْلُ 5

الاستفهام هنا إنكاري.

يقول الشاعر لأعدائه: كيف تنتهون عن ظلمكم وبغيتكم، ولن ينهى ذوي الظلم شيء مثل الطعن المبيد المهلك الذي لا يترك لهم شيئًا؛ لأنفسًا ولا أموالًا، فإن ذهب السيف والفتيلة كناية عن الهلاك التام.⁶

ودونك تفصيل ذلك من كلام ابن هشام: «"الكاف المفردة" جارة وغيرها، والجارّة: حرف واسم، والحرف له خمسة معان:

أحدها: التشبيه، نحو: زيد كالأسد،

والثاني: التعليل، أثبت ذلك قوم ونفاه الأكترون، وقيد بعضهم جوازه بأن تكون الكاف مكفوفة بها، كحكاية سيبويه: «كما أنه لا

يعلم [ذلك] فتجاوز الله عنه»⁷، والحق جوازه في المجردة من ما نحو: ﴿وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص: 82]: أي أعجب

1 الهلالي: إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 15

2 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 50

3 البيت من الكامل، وهو للمتنبي في ديوانه. ص 111

4 قال الهلالي: «قولنا: فلان كوزير لا يجوز له أن يتعاطى التجارة، لا يفهم منه أحد أن الكاف للتعليل إلا إذا كان فهمه عليلًا.» تقويم اللسانين. ص 187

5 البيت من البسيط، وهو للأعشى في ديوانه ص 63

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 11-12

أعجب لعدم فلاحهم، وفي المقرونة بـ "ما الزائدة" كما في المثال، وبـ "ما المصدرية" نحو: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ [البقرة: 151] قال الأخفش: «أي لأجل إرسالي فيكم رسولا منكم فاذكروني، وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 198] وأجاب بعضهم بأنه من وضع الخاص موضع العام؛ الذكر والهداية يشتركان في أمر واحد، وهو الإحسان؛ فهذا في الأصل بمنزلة: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77] والكاف للتشبيه، ثم عدل عن ذلك للإعلام بخصوصية المطلوب. وما ذكرناه في الآية من أن "ما" مصدرية، قاله جماعة وهو الظاهر، وزعم الزمخشري وابن عطية وغيرهما أنها كافة، وفيه إخراج الكاف عما ثبت لها من عمل الجر بغير مقتض، واختلف في نحو قوله:

وَطَرَفُكَ إِمَّا جِئْتَنَا فَأَحْسِنْتَهُ كَمَا يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ²

فقال الفارسي: «الأصل كيما فحذف الياء»، وقال ابن مالك: «هذا تكلف، بل هي كاف التعليل، وما الكافة، ونصب الفعل بها لشبهها بـ "كي" في المعنى»، وزعم أبو محمد الأسود في كتابه المسمى بـ "نزهة الأديب" أن أبا علي حرّف هذا البيت، وأن الصواب فيه:

إذا جئت فامنح طرف عينك غيرنا لكي يحسبوا... البيت. 3

قال محمد تقي الدين الهلالي: «شرح الغامض على بعض القراء من كلام المغني»
 • قوله: «جارة وغيرها» أي الكاف المفردة، منها كاف جارة، ومنها كاف غير جارة.
 • قوله: «كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه» المعنى: تجاوز الله عنه لأنه لا يعلم، أي غفر له لعدم علمه أن ما فعله ذنب.
 • قوله: «كما في المثال» يعني المتقدم من حكاية سيبويه، وهو "كما أنه لا يعلم فتجاوز الله عنه"، فالكاف للتعليل، و"ما" زائدة، والمصدر المؤول من "أن" وما بعدها فاعل لفعل محذوف تقديره: ثبت. هكذا أعربه الأمير في حاشيته على المغني، والتقدير: لثبوت عدم علمه سامحه الله فتجاوز عنه، والذي حمله على هذا التكلف أن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، ولو اعتبرنا الفاء زائدة لم نحتاج إلى هذا التقدير كله، فيكون الجار والمجرور متعلق بما بعده، وهو: تجاوز
 • قوله: «قال الأخفش: أي لأجل إرسالي». الخ، فيه إعمال ما بعد الفاء فيما قبلها، وقد سكت عنه الأمير، وهذا يدل على ما رجحته أنا في إعراب المثال المتقدم. 4

• قوله: «وقال بعضهم». الخ، يعني أن بعضهم جعل الكاف في ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ [البقرة: 151] للتشبيه، وفي ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77] لا للتعليل، ومراده بالخاص إرسال الله الرسول، وذكر الناس لله وشكرهم له يشملهم الإحسان، فالإرسال إحسان من الله إلى عباده، والذكر والشكر إحسان منهم في طاعته وعبادته، وبذلك يشبه قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. 5

1 قال سيبويه: «وسألته [يقصد الخليل] عن قوله: "كما أنه لا يعلم ذلك فتجاوز الله عنه"، و"هذا حق كما أنك هاهنا"، فزعم أن العاملة في أن الكاف وما لغو، إلا أن ما لأحذف من هاهنا كراهية أن يبيء لفظها مثل لفظ كأن، ويدل على أن الكاف هي العاملة قولهم: هذا حق مثل ما أنك هاهنا، وبعض العرب يرفع فيما حدثنا يونس، وزعم أنه يقول أيضا: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ نَطِقُونَ﴾ [الذاريات: 23]، فلولا أن ما لغو لم يرتفع ﴿مِثْلٍ﴾، وإن نصبت ﴿مِثْلٍ﴾ فما أيضا لغو، لأنك تقول: مثل أنك هاهنا. الكتاب. 3/ 140 باختصار

2 البيت من الطويل، وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه. ت. د. فايز محمد. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط. 2. 1416هـ / 1996م. ص 127

3 ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب. ت. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دار الفكر. بيروت. لبنان. ط. 6. 1985م. ص 234-235، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 187-188

4 المصدر نفسه. ص 188

5 المصدر نفسه. ص 188-189

• «قوله: «طرفك» النخ، هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة، قاله السيوطي في حاشيته على المغني، والمعنى أن المحبوبة قالت للشاعر بزعمه: إن جئتنا فاحبس طرفك عني، وانظر إلى غيري ليظن الناس أنني لست محببتك، وأن محببتك حيث تنظر، وبذلك يبقى حُبنا مستورا،

فهكذا تستعمل كاف التعليل.»¹

وقد نقل بكر أبو زيد أن الهلالي يرى أن الكاف في قولهم: «أنا كمسلم» مصدرها استعماري؛ أي ترجمة as الانكليزية و *comme* الفرنسية²، لا قصد التشبيه بها ولا التعليل؛ قال: «كمسلم؟» في «معجم الأخطاء الشائعة» ص 268: أن الكاف هنا للتمثيل بما لا لا مثيل له، وتسمى كاف الاستقصاء.

والمعنى: بصفته مسلما، أو: بكونه مسلما، والعدناني صاحب هذا المعجم يتابع داغرا في كتابه: «تذكرة الكاتب» ص / 33 وقد أجاز مجمع اللغة العربية بمصر هذا الأسلوب، لكنه اضطرب في شأن هذه الكاف: هل هي للتشبيه، أو للتعليل، أو زائدة؟ لكن المحققين من أهل اللغة لا يرتضون هذا الأسلوب، ويرونه مولدا حادثا عن الأسلوب الإفرنجي فهو تقليد له، وأنه لا يوجد لدى النحاة ما يسمى بكاف الاستقصاء، ولا في الأدب العربي القديم، قرر ذلك جماعات منهم: الأستاذ النجار في: «محاضرات عن الأخطاء الشائعة» 2 / 43، والأستاذ رمضان عبد التواب في كتابه: «لحن العامة» ص 344، والشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى يسمى هذه الكاف: «الكاف الاستعمارية.»³

متى:

احتج الهلالي بشاهد شعري؛ وهو قول أبي ذؤيب يصف سحابا:

شربن بـماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهـن نـيـج 4

وأورد شرح العيني له؛ وهو: «قاله أبو ذؤيب يصف به السحاب من قصيدة من الطويل، الضمير في شربن يرجع إلى السحب، وضمن معنى روبن، فلذلك وصلت بالباء، وقيل شاذ، وترفعت أي توسعت. والشاهد في: «متى لجج»، فإنها حرف جر هاهنا بمعنى "من"، وهي لغة هذيل.

ولجج جمع لجة، وهي معظم الماء.»⁵

ثم قال: «يعني: شربت السحاب من ماء البحر، ثم ارتفعت من معظم ماء البحر وهي لججه يسمع لمر الريح فيها صوت، وهذا يثبت أن العرب كانت تعرف أن أصل المطر من البحر.»⁶

ومما يتصل بعلاقة وثيقة بالبحث في حروف المعاني مبحث الإضافة؛

الإضافة: عرفت الأستاذة فاطمة الحمياني؛ فقالت: «الإضافة في الاصطلاح نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر وتصح بأدنى ملابسة، وهي النسبة العارضة للشيء بالقياس إلى نسبة أخرى كالأبوة والبنوة، وهي تعرف الاسم بالملك والاستحقاق. وهذه النسبة والعلاقة تكون في الأصل والقياس بين اسمين فتوجب انجرار الثاني؛ ويسمى الأول مضافا ويسمى الثاني مضافا إليه، وهما ينزلان بمنزلة الاسم الواحد لأنه يعرفه ويفصله من غيره ويخصصه من بين سائر جنسه، فنزلت الإضافة لذلك منزلة الألف واللام.»⁷

1 تقويم اللسانين. ص 189

2 المصدر نفسه ص 10

3 بكر بن عبد الله أبو زيد: معجم المناهي اللفظية. دار العاصمة. الرياض. السعودية. ص 466

4 البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين. 1 / 52

5 حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني. 2 / 305

6 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 3. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد الرابع شوال 1384 هـ/ فيفري 1965 م. ص 45

7 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 45

1- الإضافة المعنوية:

لنهم مبحث الإضافة في النحو العربي، يكفي فهم معاني حروف الجر التي تكلمنا فيها فيما مضى، يبين ذلك ما قالته الأستاذة فاطمة الحمياني:

- أ- «يتعين تقدير "من" إذا كان المضاف إليه جنسا للمضاف، أو بتعبير آخر إذا كان المضاف بعض المضاف إليه نحو: خاتم حديد، ثوب خز، ومنها إضافة العدد إلى المعدود من ثلاثة إلى عشرة نحو: خمسة أكلب.
- ب- يتعين تقدير "في" إذا كان المضاف ظرفا واقعا في المضاف إليه، نحو: سمر الليل، ركوب الدابة.
- ت- يتعين تقدير "اللام" في كل موضع لا يتعين فيه تقدير "من" أو "في"، وذلك إذا دلت على الملكية أو شبه الملكية نحو: كتاب محمد، سرج الدابة، ويكون فيها المضاف غير المضاف إليه.»¹
- ث- ونقدر الكاف في مثل قولنا: لؤلؤ الدمع، أي دمع كاللؤلؤ.
- ومن أمثلة تقدير حرف الجر بين المضاف والمضاف إليه ما أورده الهلالي:
- نَحْوُ كَذَا وَنَحْوُ مِنْ كَذَا:

قال محمد رشيد رضا يخاطب شكيب أرسلان: «وأذكر أن مما تكرر وهو لا يرضيك الآن مثل: «نحو ثلاثمائة» بإضافة "نحو" إلى "العدد"، والمنقول عن الفصحاء: «نحو من كذا»، فإن وجد نقل للأول فلا أذكره ولا أجد وقتا للمراجعة الطويلة، وحسبي من القصيرة اقتصار "أساس البلاغة" على قوله: وعنده نحو من مائة رجل.»²

فأجابه الأمير شكيب؛ فقال: «متفق على أن الأفضح أن يقال: «نحو من كذا»، ولكن ليس بغلط إن قيل: «نحو كذا»، وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيبويه، وليس مرة واحدة، فقد جاء في الجزء الثاني صفحة 235 من طبعة الكتاب في باريس ما يلي: «وقالوا: نضير، كما قالوا: وسيم، فبنوه بناء ما هو نحوه في المعنى.»³، وجاء في صفحة 236 من الجزء الثاني: «وما كان من الصغر والكبر فهو فهو نحو من هذا.»⁴، وجاء في صفحة 235: «وقالوا: ضخم ولم يقولوا ضخيم، كما قالوا: عظيم»⁵، ثم قال في الصفحة التي تليها: تليها: «وقد يبنون الاسم على "فعل" وذلك نحو ضخم وفخم وعبل وجهم.»⁶، ثم يقول: «فهذا يدل على أنه نحو الطويل والقصير.»⁷

إذا يجوز الوجهان ووضع "من" بعد "نحو" هو أولى.

وسألت صاحبنا السيد الهلالي، وهو الغاية البعيدة في النحو واللغة عن هذه المسألة فقال لي: «نعم الأفضح العربي الخالص «نحو من ثلاثمائة»، وأما المؤلفون من عهد سيبويه إلى الآن والشعراء فإنهم أكثروا من ذلك، والنحو من معانيه "المثل" كما هنا فلا إشكال في جوازه.»⁸

• وفي قوله تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] قال محمد تقي الدين: والإضافة هنا بمعنى "في" كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ أَيْلٍ﴾ [سبأ: 33]»⁹

1 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 50

2 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. 311

3 سيبويه: الكتاب. 4 / 29

4 المرجع نفسه. 4 / 30

5 المرجع نفسه. 4 / 29

6 المرجع نفسه. 4 / 30

7 المرجع نفسه. 4 / 31

8 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. 311

9 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 150

• وقال الإمام القرطبي في قوله الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: 35]: «المراد: إن خفتم شقاقاً بينهما، فأضيف المصدر إلى الظرف كقولك: يعجبني سير الليلة المقمرة، وصوم يوم عرفة، وفي التنزيل: ﴿بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: 33] وقيل: إن "بين" أُجْرِي مجرى الأسماء وأزيل عنه الظرفية، إذ هو بمعنى: حالهما وعشرتها، أي: إن خفتم تباعد عشرتها وصحبتها»¹ وصحبتها»¹

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله: فأضيف المصدر إلى الظرف. يعني ظرف المكان أما الأمثلة التي ذكرها فإن الإضافة فيها لظرف الزمن، وكان ينبغي له أن يمثل بمصدر مضاف إلى ظرف مكان لتتم المطابقة نحو: سير فرسخ، وإذا أضيف المصدر إلى الظرف تكون الإضافة بمعنى في. فقوله سبحانه: بل مكر الليل والنهار. أي: مكر في الليل والنهار، يمكر الذين استكبروا بالذين استضعفوا، ليقعوا في الكفر بالله وعبادة الأنداد معه. انظر سورة سبأ رقم 32.»²
وقال: «وقوله: سير الليلة، أي: سير في الليلة، وصوم يوم عرفة، أي: صوم في يوم عرفة.»³

وهذه بعض المباحث في الإضافة:

• إضافة البعض إلى الكل:

قال الهلالي: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: 51] أضاف الحق إلى اليقين وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه، لأن الحق هو غير اليقين إنما هو خالصه [و] واضحه، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكل.»⁴
• إضافة التشريف:

لماذا سمي عيسى كلمة الله وروح الله؟

قال محمد تقي الدين: «أما كونه كلمة الله، فلأنه خلقه بكلمة ﴿كُنْ﴾ فهو من تسمية المسبب باسم السبب. وأما كونه روح الله، فالإضافة هنا إضافة تشريف وتكريم، كقولنا: رسول الله، وولي الله، وناقة الله، فإن الله تعالى جل وتقدس أن يحل في خلقه، أو يحل فيه شيء من خلقه، فهو مستو على عرشه، مباين لخلقه.»⁵

وقال: «وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: 171] أضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله في قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: 73] وفي قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: 26].»⁶
فقولنا عيسى ابن مريم عليه السلام "روح الله"، و"روح من الله" بمعنى واحد، فالحرف المقدر في الإضافة هو "من"، ومن معانيها ابتداء الغاية كما سبق بيانه.

• إضافة الظرف "حيث":

فَشَدَّ وَلَمْ يُفْزِعْ بِيُوتًا كَثِيرَةً
لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمَّ قَشْعَمِ
قال محمد تقي الدين: «هنا جرت "حيث" بإضافة لدى إليها، وهي مبنية على الضم في اللغة الفصحى، وبعض العرب يفتحونها، وبعضهم يكسرون ثاءها.»

1 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 13-14

2 المصدر نفسه. ص 13

3 المصدر نفسه والصفحة

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 133

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 294

6 المصدر نفسه. 1/ 290 عن تفسير ابن كثير. 2/ 479

7 البيت من الطويل، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه بشرح علي حسن فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط. 1408 هـ/ 1988م. ص 108

ولا تضاف إلا إلى:

جملة فعلية: نحو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] ويزوقه من حيث لا يحسب [الطلاق: 2 - 3] أي من الجهة التي يظن أن الرزق [لا] يأتيه منها.

أو إلى الجملة الاسمية: نحو: أقم حيث المقام طيب، واضعن حيث الظعن سهل.

و"حيث" في ذلك مضافة إلى الجملة الفعلية أو الاسمية

وقد تضاف "حيث" إلى مفرد شذوذا كقول الشاعر:

نَجْمٌ يُضِيءُ كَالشَّهَابِ لَمِعًا 1

أَمَا تَرَى حَيْثُ سُهَيْلٍ طَالِعًا

بجر سهيل. 2

• إذا أُضيفَ العدد إلى الظرف اكتسب الظرفية منه:

أورد الهلالي هذه الأمثلة:

• في مائة سنة وألف سنة.

• قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [سورة العنكبوت 14]

• أقيمت في البلد سبعة أيام.

ثم قال: «فأنت ترى أن العدد لما أُضيف إلى الظرف اكتسب الظرفية منه» 3

• ما لا ينفصل عن الإضافة:

• "بعض":

قال الهلالي: «قال ابن منظور في لسان العرب: بَعْضُ الشَّيْءِ طَائِفَةٌ مِنْهُ، وَالْجَمْعُ أِبْعَاضٌ، قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: حَكَاهُ ابْنُ جَنِّي، فَلَا أُدْرِي أَهوَ تَسْمُحٌ أَمْ هُوَ شَيْءٌ رَوَاهُ، وَاسْتَعْمَلَ الرَّجَّاجِيُّ بَعْضًا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ فَقَالَ: وَإِنَّمَا قَلْنَا الْبَعْضَ وَالْكُلَّ مَجَازًا، وَعَلَى اسْتِعْمَالِ الْجَمَاعَةِ لَهُ مَسَاحَةٌ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ جَائِزٍ. يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْاسْمَ لَا يَنْفَصِلُ عَنِ الْإِضَافَةِ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قُلْتُ لِلْأَصْمَعِيِّ: رَأَيْتَ فِي كِتَابِ ابْنِ الْمَقْفَعِ: الْعِلْمُ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ أَخَذَ الْبَعْضُ خَيْرَ مَنْ تَرَكَ الْكُلَّ. فَأَنْكَرَهُ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَقَالَ: الْأَلْفُ وَاللَّامُ لَا يَدْخُلَانِ فِي بَعْضٍ وَكُلٍّ. 5»

ومضى إلى أن قال: «وقوله تعالى: ﴿تَلَقَّطْنَاهُ بِبَعْضِ السِّيَّارَةِ﴾ [يوسف: 10] بالتأنيث في قراءة من قرأ به، فإنه أنث لأن بعض السيارة سيارة، كقولهم: ذهب بعض أصابعه، لأن بعض الأصابع يكون أضعفًا وأضعفًا وأصابع. 6»

وأما قراءة ﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السِّيَّارَةِ﴾ [يوسف: 10] فقال فيها الهلالي: «لأن لفظ ﴿بَعْضٌ﴾ مذكّر ومفرد، والضمير يعود عليه مفردًا حسب لفظه، لأننا نقول كما قال ابن منظور: إِنَّ بَعْضًا إِذَا أُضِيفَ إِلَى جَمْعٍ، يَدُلُّ عَلَى وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ. 7»

1 انظر: لسان العرب، لابن منظور (حيث). ص 1064-1065

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 56

3 المصدر نفسه. ص 134

4 لعل هذا من أثر الترجمة الحرفية.

5 ابن منظور: لسان العرب. ص 312، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 173

6 المرجع نفسه والصفحة، والمصدر نفسه والصفحة

7 المصدر نفسه. ص 174

• "أي": قال محمد تقي الدين الهلالي: «إن "أيا" إذا أضيفت إلى مؤنث أو مذكر أو جمع، كيفما كان، تبقى على حالها، قال الله

تعالى في سورة الانفطار: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٨)، وقال تعالى في سورة المؤمن: ﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾ (٨١) ﴿

[غافر: 81]، وقال تعالى في سورة الرحمان: ﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُكْذِبُونَ ﴾ (١٣) ﴿

قال الخضري في "حاشيته على ابن عقيل" في الكلام على الحكاية بعد تقرير حكم "أي" المحكي بها، وبيان أنها تتبع اللفظ الذي حكي بها في الإعراب والتذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ما نصه: «خرج المسؤول بها ابتداءً فلا يحكى بها شيء، بل تكون بحسب العوامل، ومفردة مذكرة لا غير مثل "من" وشد قوله:

بِأَيِّ كِتَابٍ أُمُّ بِيَأَيِّ سُنَّةٍ
تَرَى حُبَّهُمْ عَارَا عَلِيٍّ وَتَحْسِبُ 1» 2
وقال الصَّبَّان في حاشيته على الأشموني مثل ذلك 3.

وقول الخضري: «ابتداءً» احترز بذلك من المسؤول بها حكاية، فإنها تُذَكَّر وتؤنث، فإذا قال لك قائل: جاءني رجل. تقول: أي؟ وإذا قال: جاءني امرأة. تقول: آية؟ ف"أي" مسؤول بها في الحالين، إلا أنك إذا سألت بها ابتداءً تلزم الإفراد والتذكير، وإذا سألت بها حكاية تجيء على حسب المحكي 4.

2- الإضافة اللفظية:

وهي ثلاثة أنواع:

أ- إضافة اسم الفاعل إلى المفعول، نحو: ﴿ مَلِكٍ يَمُورُ الدِّينَ ﴾ [الفاحة: 4]

قال البيضاوي: «أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع، كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار، ومعناه: ملك الأمور يوم الدين، أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار.» 5

قال محمد تقي الدين: والإضافة هنا بمعنى "في" كما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرٌ آلِيلٌ ﴾ [سبأ: 33]. 6
ومنه صيغ المبالغة، نحو: تَرَكَ أَمَكْتَةً.

ب- إضافة اسم المفعول إلى نائب فاعله، نحو: هذا مسروق البيت.

ت- إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها، نحو: أنت كريم الأصل 7.

رابعاً: الأحرف الجوازيم: وهي لم ولما ولام الأمر ولا الناهية 8، وأدوات الشرط الجازمة:

وحروف الجزم لا تجزم إلا الأفعال المضارعة للأسماء.

لَمْ:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «"لم" حرف نفى وجزم وقلب.» 9

وقال منتقداً: «"لم" ينهى... كذا، ويا عجباً من جاهل باللغة العربية إلى حد أنه لا يعرف الفعل المجزوم، كيف يجزم.» 10

1 البيت من الطويل، وهو للكميت بن زيد الأسدي في ديوانه. ت: محمد نبيل طريفي. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. 2000م. ص 516

2 حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 2/ 143

3 المرجع نفسه. 4/ 125

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 29-30

5 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي. 1/ 73-74-75 باختصار.

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 150

7 انظر: ابن قاسم المالكي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 161

8 سيبويه: الكتاب. 3/ 8

9 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 40

10 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 131

لا:

قال الهلالي منتقدا: « وقال: «ولا تخاف في الله لومة لائم.» فأثبت الألف مع التقاء الساكنين، ولو كان يحفظ القرآن لاستحضر قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [طه: 68] إذا كان جاهلا بعلم الصراف.»¹

• الشرط والجزاء 2:

إن وظيفة أدوات الشرط نحويا هي الجزم، والشرط يتعلق بما يجوز وقوعه، وبما لا يجوز؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88]

قال محمد تقى الدين الهلالي: «المذكورون من قبل بعضهم أنبياء، ويستحيل عليهم أن يشركوا، والشرط يتعلق بما لا يجوز وقوعه.»³

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65] قال: «إجباط العمل مشروط بشيء مستحيل وجوده، وإذا استحال وجود الشرط استحال وجود المشروط.»⁴

أ- أدوات شرط الجزاء:

إن: وهي أم حروف الجزاء

قال ابن تيمية: «لما كان الشك يصحبها كثيرا لعدم علم الإنسان بالعواقب ظن الظان أن الشك داخل في معناها وليس كذلك، فقوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: 27] لا يُتصور فيه شك من الله، ولا من رسوله المخاطب للمؤمنين، ولهذا قال ثعلب: هذا استثناء من الله وقد علمه، والخلق يستثنون فيما لا يعلمون.»⁵

لو:

يتحقق بـ "لو" امتناع وجود الثاني لعدم وجود الأول، ولا تجزم إلا في ضرورة الشعر.⁶

أما:

وهي لا تجزم لأنها قائمة مقام فعل الشرط وأداته؛

قال محمد تقى الدين: «يقال: أمّا، ويأتي بالكلمة المقصودة مرفوعة إن كانت عارية عن العوامل التي توجب نسبها نحو:

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ؛ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلُوٌّ، وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَوِيْلٌ⁷

و"أمّا" إن كانت في مُتناول عامل ينصبها فيؤتى بها منصوبة كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرِ ۙ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرِ ۙ﴾

[الضحى: 9 - 10]

وأما إن كانت الكلمة جارا ومجرورا فيؤتى بها بعد "أمّا" نحو: ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11].⁸

1 المصدر نفسه والصفحة

2 الشرط هو تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون أخرى. الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 274

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 354

4 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة النيجانية. ص 220 - 221

5 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 7/ 454

6 الهلالي: فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 259

7 البيت من الطويل، وهو لأبي العيّن، أولهذيل بن ميسر الفزاري، أو لمبشر بن هذيل في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 6/ 352

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 103 - 104

أما معناها؛ فوضحه سيبويه بقوله: «فيها معنى الجزاء، كأنه يقول: عبد الله مهما يكن من أمره فمَنْطَلِقُ، ألا ترى أن الفاء لازمة لها أبدا.»¹

ونظمه ابن مالك في قوله:

أَمَّا كَمَهْمَا يَكُ مِنْ شَيْءٍ، وَفَا لِيَلُو تَلُوها وَجُوبًا أَلْفَا 2

قال ابن عقيل: أمّا: حرف تفصيل، وهي قائمة مقام [أداة] الشرط، وفعل الشرط، ولهذا فسرها سيبويه بـ «مهما يكُ من شيء»³، والمذكور بعدها جواب الشرط، فلذلك لزمته الفاء، نحو: «أَمَّا زَيْدٌ فَمَنْطَلِقُ»، والأصل: مهما يكُ من شيء فزيد منطلق، فأنيبت «أَمَّا» مُنَابَ «مهما يكُ من شيء» فصار أَمَّا فزَيْدٌ مَنْطَلِقُ، ثم أَخْرَتِ الفاء إلى الخبر، فصار: أَمَّا زَيْدٌ فَمَنْطَلِقُ، ولهذا قال: وَفَا لِيَلُو تَلُوها وَجُوبًا أَلْفَا.»⁴

مَنْ:

قال سيبويه: «قد يجوز في الشعر: آتِي مَنْ يَأْتِينِي، وقال الهذلي:

فَقُلْتُ تَحْمَلُ فَوْقَ طَوْقِكَ إِيَّاهَا مُطَبَّعَةٌ مَنْ يَأْتِيهَا لَا يَضُرُّهَا 5

هكذا أنشدناه يونس، كأنه قال: لا يضرها من يأتيها.»⁶

وتقول: «آتِي من يأتيني.»⁷

ما:

قال محمد تقي الدين: «"ما" تكون شرطية فتجب لها "الفاء" في جوابها، وتكون موصولة فتأتي الفاء قبل خبرها أيضا لما بقي فيها من راتحة الشرط.»⁸

متى:

قال الأستاذة فاطمة الحمياني: «تكون شرطا واستفهاما، وتكون حرفا بمعنى "من" أو "في"، واسما مرادفا للوسط، والمشهور فيها أنها تأتي اسما في الشرط والاستفهام والظرفية.»⁹

قال طرفة:

وَلَسْتُ بِحَالَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدُ 10

فمعنى متى هنا "أي حين"»¹¹.

لَمَّا:

قال محمد تقي الدين: «"لما" إذا دخلت على المضارع لا تكون إلا حرف نفي ونفيها يستمر إلى وقت التكلم، وأما التي بمعنى "حين" فلا تدخل إلا على الفعل الماضي.»¹

1 سيبويه: الكتاب. 4/ 235

2 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 91

3 المرجع السابق. 3/ 137، وفيه: «مهما يكن.»

4 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 4/ 42

5 البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين. 1/ 154

6 سيبويه: الكتاب. 3/ 70-71

7 المرجع نفسه. 3/ 70

8 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 403

9 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 262

10 البيت من الطويل، وهو لطفرة بن العبد في ديوانه ص 24

11 سيبويه: الكتاب. 3/ 78

وقال سيبويه: « هي للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره، وإنما نجيء بمنزلة "لو" لما ذكرنا، فإنما هما لا ابتداء وجواب. » 2
لوما ولولا:

قال سيبويه: « هما لا ابتداء وجواب، فالأول سبب ما وقع وما لم يقع. » 3

قال محمد تقي الدين الهلالي: « قال تعالى: ﴿ وَكَوَلَّا رِجَالًا مُّؤْمِنُونَ رِسَالَةَ رَسُولِنَا لَمَّا تَعْلَمُوهُمْ ﴾ أي لم تعرفوهم لأنهم كانوا مستضعفين متخفين خوفا على أنفسهم من طغاة كفار مكة ﴿ أَنْ تَقْتُلُوهُمْ ﴾ الوطأ هنا كناية عن القتل والأذى ﴿ فَتَضَيَّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَءًا ﴾ أي عار وعيب تعابون به ﴿ بِعَبْرٍ عَظِيمٍ ﴾ أي غير عالمين ولا متعمدين، وجواب "لولا" محذوف تقديره: «لما كف الله أيديكم عنهم بل سلطكم عليهم» وإنما كف أيديكم عنهم ﴿ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهم المستضعفون المذكورون أدخلهم الله في رحمته فحفظهم من الأذى وأتم عليهم نعمته بالإسلام إلى أن انتصر الإسلام وفتحت مكة وأناس آخرون دخلوا في الإسلام بسبب الهدنة فنالتهم رحمة الله ونعمته. » 4

إذما:

أداة شرط تجزم فعلين، وهي حرف عند سيبويه بمنزلة "إن" الشرطية... وهي مكونة من "إذ" و"ما" 5
حيثا:

مكونة من "حيث" و"ما" الكافة، تتضمن معنى الشرط وتجزم الفعلين. 6

ب- أدوات جزاء الشرط:

الجزء لا يتقدم على أداة الشرط، ولا يكون جواب الجزاء إلا كائنا بـ "فعل" أو بـ "الفاء" فأما الجواب بالفعل فنحو: إن تأتني أتك، وإن تضرب أضرب، وأما الجواب بالفاء 7 فنحو: إن تأتني فأنا صاحبك.
الفاء:

تفيد الإتيان وتؤذن بأن ما بعدها مسبب عما قبلها؛

قال محمد رشيد رضا: «قولهم: «وعليه فيجب أن نقول أو نعمل كذا.» استعمال مولد ما أظن أن له أصلا من كلام العرب، والفاء فيه زائدة لا معنى لها؛ إذ المتبادر أن يقال: وعليه يجب أو فعليه يجب... إلخ، ومثله: «وبالجملة فالواجب كذا.» وما انفرد به قدماء المولدين من أساطين علماء اللغة وأدبائها لا يحتج به إذا خالف القواعد القياسية، فإما القول في المتأخرين من أهل القرون الوسطى إلى اليوم، وإني لأجد من الغلط في كلام الفخر الرازي الذي ينصرف إليه لقب الإمام إذا أطلق في كتب الكلام والأصول والفلسفة ما أعجب من كثرته، ولم أهدت إلى سببه، كما أعلم أن سبب أغلاط بعض المدققين وواسعي الاطلاع في العربية من أهل عصرنا هو كثرة قراءتهم للجرائد والكتب التي ألفها أو ترجمها الضعفاء في النحو والصرف ومتن اللغة وكذا علم المعاني والبيان. » 8

قال شكيب أرسلان: «تقدم لنا الكلام على هذه الفاء وورودها في مثل هذا الموقع مرارا في كلام سيبويه إمام النحاة، وحسبنا به شاهدا، وقد ذكرنا عدة عبارات له من هذا النمط، وعينا الصفحات التي جاءت فيها، وليس سيبويه بالذي لا يؤبه له، بل: "القول ما قالت حذام"، وكذلك ابن هشام صاحب "مغنى اللبيب" ولو تأخر في الزمن كان من أئمة اللغة الذين يستشهد بأرائهم في

1 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 62-63

2 سيبويه: الكتاب. 4/ 234

3 المرجع نفسه. 4/ 235

4 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 48

5 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 263

6 المرجع نفسه والصفحة

7 لا يكون الجواب في هذا الموضع بـ "الواو" ولا بـ "ثم"

8 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 432-433

النحو، ولقد استطلعت رأي الأستاذ تقي الدين الهلالي في قضية هذه "الفاء" في هذا الموضوع، وذكرت له الجمل التي جاءت فيه من كلام سيبويه، فكتب إلى ما يلي: «ما ذكرتم في مسألة عمل "الفاء" فيما قبلها ونقلتم فهو الصواب، والعرب تتساهل وتتوسع في مثل هذه "الفاء"، وقد قال بعض النحاة بمثل قول السيد (أي السيد رشيد) وأما استشهادكم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ [محمد: 8] على أن ما بعد "الفاء" قد عمل فيما قبلها فلم يتبين لي، لأن المشهور أن المبتدأ مرفوع بالابتداء والخبر مرفوع بالابتداء، ف﴿أَلَيْسَ﴾ مبتدأ وما بعد "الفاء" خبر، نعم هناك قول بأن المبتدأ والخبر يترافعان؛ أي كل منهما يرفع صاحبه، وعلى هذا الوجه الدقيق يكون ما بعد الفاء قد عمل فيما قبلها.

وأنا أظن أن الفاء هنا آتية في جواب الشرط المفهوم من ﴿أَلَيْسَ﴾ على حد قولهم: «الذي يأتيني فله كذا وكذا درهما.» وهو صحيح واضح 1، وقد بدا لي أن الفاء واقعة في جواب "أما" مقدر، أي ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ [محمد: 8] لأنه ذكر حال الذين آمنوا قبل ذلك، وهذا خطر لي الآن فقط،

ووجه دخول "الفاء" على خبر "الذي" هو أن "ما" تكون شرطية فتجب لها "الفاء" في جوابها، وتكون موصولة فتأتي الفاء قبل خبرها أيضا لما بقي فيها من رائحة الشرط، ثم أدخلوا "الفاء" على خبر "الذي" لأنه بمعنى "ما" الموصولة ولأن فيه عموما أشبه الشرط.

أقول بعد رجوع النظر إن الفاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ [محمد: 8] هي في جواب ﴿أَلَيْسَ﴾، فكما أن الفاء تأتي في جواب "ما" الموصولة فهي تأتي في جواب "الذي" لأن معناها واحد. 2 فالفاء لازمة للاسم في جواب الشرط، كما أن الجزم لازم للفعل.

ولم أجد للهلالي كلاما في أدوات جزاء الشرط الأخرى غير الفاء؛ وهي:

- إذا: قد تستعمل للشرط وقد تستعمل للجزاء.

ففي الشرط تكون لما لا بد من وقوعه، نحو المثال: إذا احمر البسر فأتنا.

وأما في الجزاء، فتكون للمفاجأة. 3

- لام الشرط: تأتي في جواب "لو" و"لولا"، ولا تدخل إلا على الماضي دون المستقبل شأنها في ذلك شأن "لو"، ويجوز حذفها، كما يجوز حذف الجواب أيضا إذا كان في اللفظ ما يدل عليه. 4

- إذن: تنفيذ جوابا وجزاء. 5

خامسا: أحرف النصب: وهي: أن- لن- إذن- كي.

لن:

جعل اللغويون والنحاة من المعتزلة "لن" لنفي التأييد انتصارا لمذهبهم.

قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى وحصل له التكليم من الله، سأل الله تعالى أن ينظر إليه

فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي ﴿[الأعراف: 143] وقد أشكل حرف "لن" ههنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة

1 هذا يسميه ابن هشام: "شبه الشرط وشبه الجواب"؛ قال: «كما تربط الفاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط، وذلك في نحو: «الذي يأتيني فله

درهم»، ويدخولها فهم ما أراده المتكلم من ترتب لزوم الدرهم على الإتيان. «مغني اللبيب. 1/ 219

2 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 403

3 فاطمة الحمياني: حروف المعاني بين المناطق والنحاة من القرن الثالث إلى القرن التاسع للهجرة. ص 264-265

4 المرجع نفسه. 265

5 المرجع نفسه والصفحة

لنفي التأييد، فاستدلَّ به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وهذا أضعفُ الأقوال؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، ...

وقيل أنَّها لنفي التأييد في الدنيا جمعاً بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحَّة الرؤية في الدار الآخرة. 1
وانتقد الهلالي المعتزلة بقوله: «المصيبة كُلُّ المصيبة هي أنَّ قومًا قرؤوا القرآن ودرسوا علوم العربيَّة وأهمَّلوا السُّنَّة، فالتبس عليهم الأمر.» 2

أما دلالة "لن" فيبينها الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان؛ قال: «دعوى المعتزلة أنَّ "لن" تفيد تأكيد التَّفي وتأييده، واستدلالهم بذلك على نفي الرؤية وإنكار وقوعها، دعوى فاسدة من وجهين:

الأول: إنَّها لو كانت للتأييد المطلق لما جاز تحديدُ الفعل بعدها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ [يوسف: 80] قال الشيخ جمال الدِّين ابن مالك رحمه الله:

ومِن رَأْيِ النَّفْيِ بِـ "لَنْ" مُؤَبِّدًا فَقَوْلُهُ ارْجُوهُ وَبِـ "لَنْ" فَاعْضُودًا

الثاني: إنَّها لو قيِّدت بالتأييد لم يدل ذلك على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أُطِّقت؟! ودليل هذا الوجه قوله تعالى في 3
المُشْرِكِينَ فِي كُرْهُهِمْ لِلْمَوْتِ وَعَدَمِ تَمَنِّيهِمْ لَهُ: ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [البقرة: 95] لكنَّهم في النَّارِ يَتَمَنَّوْنَهُ وَيَدْعُونَ بِهِ، قال تعالى في بيان حالهم هذا: ﴿ وَتَادُوا بِمَكْرِكُمْ لِإِقْضَىٰ عَلَيْنَا رَيْكُ ﴾ [الزخرف: 77]

فثبت بهذا أنَّ "لَنْ" لا تقتضي التَّفي المؤبِّد، وبطل بذلك استدلال المعتزلة بها على نفي الرؤية. 4

سادساً: الأحراف المشبهة بالفعل: وهي: إنَّ - أنَّ - كأنَّ - لكنَّ - لَيْتَ - لَعَلَّ .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ﴾ [البقرة: 21]

قال محمد تقي الدين: «"لعل" أصلها للترجِّي وهو محال على الله تعالى. فمعناها هنا أن الله يقول لعباده: وحدوا ربكم بعبادته ولا تشركوا به شيئاً وبذلك تصلون إلى التَّقوى وهي سبب سعادتكم، وتنجون من الشرك الذي هو سبب شقاء وهلاك.

وقيل: إنَّ العرب استعملت "لعل" مجردةً من الشكِّ بمعنى "لام كَي"، والمعنى هنا لیتقوا. قال الشاعر:

نَكُفَّ وَوَثَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ

كَشِبَهُ سَرَابٍ فِي الْفَلَا مُتَأَلِّقِ 5

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْحُرُوبَ لَعَلَّنَا

فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عَهْوِدُكُمْ

1 تفسير ابن كثير. 3/ 468-469، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 60

2 المصدر نفسه. 5/ 63

3 في الأصل: "عن".

4 المصدر نفسه. 5/ 60

5 البيتان من الطويل، وهما بلا نسبة في تفسير الطبري. 1/ 364

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد 1/ 144

سابعاً: أحرف النفي: وهي: لَمْ - لَمَّا - لَنْ - مَا - لَا - لَا تَ - إِنَّ.
لما:

قال محمد تقي الدين: «لما» إذا دخلت على المضارع لا تكون إلا حرف نفي ونفيها يستمر إلى وقت التكلم، وأما التي بمعنى "حين" فلا تدخل إلا على الفعل الماضي.¹

وقال ابن تيمية: «لَمَّا» إنما ينفي بها ما ينتظر، ويكون حصوله مترقبا، كقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 214] 2
ما النافية:

ما النافية هي غير ما الموصولة؛ قال الهلالي في شرح قوله: «وهذا قصدي وما أنا مستجد»: «أعني: أن غرضي بالاجتماع بك المذاكرة العلمية، فهي غاية قصدي، وإن اعتبرنا "ما" موصولة يكون المعنى: والذي أستجديه أي أطلب، وإن اعتبرنا نافية تيمية يكون المعنى: ولست مستجدياً أي طالبا مالا.»³

وقال الهلالي في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (١٧) ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٨) [الفصص: 67-68]: «قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ نفي على أصح القولين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36] وقد اختار ابن جرير أن "ما" ههنا بمعنى: "الذي"، تقديره: ويختار الذي لهم الخيرة، وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح، والصحيح أنها نافية، كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضا، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق، والتقدير، والاختيار، إنه لا نظير له في ذلك.»⁴
لا النافية:

قال محمد تقي الدين: «أقول: من الشائع الذائع في كتب النحاة و على ألسنتهم: العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك: المراد أنه ليس من عاداتها ولا من شأنها أن تفعل ذلك، ولو قلنا: لم تبدأ ولم تقف، لم يحصل المراد.»⁵
فهي لنفي الماضي والحاضر والمستقبل.

وقال: «(لا يفعل غداً) لا يدل على أن "لا" هي التي عينت الفعل للاستقبال، بل القرينة غداً هي التي عينته له.
قال ابن بونا في ألفيته:

وَأَجْعَلِ فِي الْأَسْتِقْبَالِ الْأَمْرَ وَاقِعًا وَقُلْ بِهِ وَالْحَالُ فِيهَا ضَارِعًا

قال الناطم نفسه في شرح هذا البيت أي المضارع: «ولو نفي بـ "لا" خلافا لمن خصصها بالمستقبل، ومن وروده مع "لا" للحال قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: 78]»⁷ فهذه حكاية حال ماضية، وهي تحكى بالمضارع بالمضارع كما رأيت شاهده في كتاب الله.»⁸

1 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 62-63

2 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 7/ 252

3 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطائفة النيجانية. ص 20

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 144-145 عن تفسير بن كثير. 6/ 251

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 182 باختصار

6 أحمد بن محمد المامي اليعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. 1/ 11

7 المرجع نفسه. 1/ 11

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 182

ثامناً: أحرف التمني:

لو:

قال محمد تقي الدين: «قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ الآية [البقرة: 96] يعني: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ﴾ أي اليهود، مع زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، أحرص الناس على طول حياة، وأحرص من الذين أشركوا؛ وهم المجوس، فإن أحدهم يُهنئُ صاحبه بقوله: «هزار نوروز ومهرجان» يعني تعيش ألف سنة، وتشهد ألف عيد واحتفال، و"لو" هنا للتمني، قاله البيضاوي 1، وهذا من المستحيل. 2»

تاسعاً: أحرف التحضيض والتنديم: وهي: هلاً- ألا- ألأ- لولا- لوما.

"ألا" الاستفتاحية البسيطة، و"ألا" المركبة من همزة الإستفهام ولا النافية:

قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 12] ومثلها قوله بعد ذلك: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13] ترجمها 3 بما معناه: أليسوا سفهاء... الخ، ووضع علامة الاستفهام في آخر الجملة، وكذلك صنع بالنبي بعدها، فلم يميز بين "ألا" المركبة التي هي همزة الاستفهام ولا النافية كقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]، وقول الشاعر:

وَأَذْنَتْ بِمَشِيْبٍ بَعْدَهُ هَرْمٌ 4

أَلَا أَضْطَبَّارَ لِمَنْ وَلَسْتُ شَيْبَتُهُ

وبين "ألا" الاستفتاحية البسيطة كما في الآية، وفي قول امرئ القيس:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ 5» 6

وقال في موضع آخر: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13] فإنها ترجمها 7 بما معناه: أليسوا سفهاء؟ وسبب وقوعها في هذا الخطأ عدم التمييز بين "ألا" الاستفتاحية البسيطة، و"ألا" المركبة من همزة الإستفهام ولا النافية، فإن "ألا" في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ﴾ استفتاحية خالية من النفي، يجب أن تُترجم بلفظ انكليزي يدل على التوكيد، ومثال المركبة قوله تعالى في سورة (الملك 14): ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ 8»

ولم أجد للهالي فيما بين يدي من مؤلفاته كلاماً في أحرف العرض والتحضيض 9؛ فمن أمثلة العرض: "لولا" في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْكُفَّ أَعْيُنُكُمْ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 10]، ومن أمثلة التحضيض "لولا" في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْفَعُكُمْ لِيَمَّ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ لَمَلَأَكُمْ تَرْحُوتَ﴾ [النمل: 46]، و"لوما" في قوله: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الحجر: 7]

1 قال البيضاوي: «ولو بمعنى ليت». انظر: حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 172 / 2

2 المصدر السابق. ص 63

3 مار ماديوك باكتول: أول مسلم ترجم القرآن إلى اللغة الانكليزية.

4 البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 170 / 7

5 صدر بيت من الطويل، وهو لامرئ القيس في معلقته، وعجزه: بصبح وما الإصباح فيك بأمثل

انظر: شرح المعلقات العشر، لأحمد الأمين الشنقيطي. ص 60

6 الهلالي: مأساة أميرة شرقية. مجلة المنار. 537 / 34

7 مار ماديوك باكتول، وجورج سيل؛ وهذا الأخير هو أول من ترجم القرآن إلى اللغة الانكليزية.

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 13

9 العرض: طلب بلبن وأدب، والتحضيض طلب بحث وإزعاج. ابن قاسم المالكي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 55

2- أسماء الكناية؛ وهي: كم - كائِن - كَأَيَّ - كائِن - كذا - كيت - زيت:

اسم الكناية: اسم غير متصرف يُعبر عن مُعيّن بلفظ غير صريح 1.
كم:

قال محمد تقى الدين: «ويحسن هنا أن أتكلم باختصار في الاستعمال الصحيح لـ "كَمْ"، وإنما أترك الإطناب لأنه يستلزم ذكر اختلاف النحويين، وذلك يُشوِّش على كثير من القراء، ويعسر عليهم الاستفادة، وأسهل العبارات في ذلك وأجملها عبارة أبي محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله في "الملحة": «باب "كَمْ" الخبرية:

وَأَجْرَبُ "كَمْ" مَا كُنْتَ عَنْهُ مُحْبِرًا
تَقُولُ كَمْ مَالٍ أَفَادَتْهُ يَدِي
مُعْظَمًا لِقَدْرِهِ مُكْتَبِرًا
وَكَمْ إِمَاءٍ مَلَكَتُ وَأَعْبُدُ 2

قال الحريري في الشرح: «اعلم أن "كَمْ" اسم موضوع للعدد المُبهم جنسًا ومقدارًا، ولها موضعان: الاستفهام والخبر المقترن بالتكثير،

ولما كان العدد نوعين: أحدهما مجرور، والآخر منصوب، شُبّه كُلُّ واحدٍ من موضعيهما بأحد من نوعي العدد، فنصبوا ما بعدها على التَّمييز في الاستفهام، على ما نبَّهت في شرح نوع التَّمييز، وجروا ما بعدها بالإضافة في الإخبار.

ويجوز أن يقع الاسم الذي بعد "كَمْ" الخبرية واحداً وجمعاً، كقولك: كم عبيد ملكت، وكم عبيد ملكت، كما أن العدد المجرور قد يكون واحداً في مثل قولك: مائة ثوب، ويكون جمعاً في مثل قولك: ثلاثة أثواب، إلا أن من شرط جرّها الاسم أن يكون الاسم يليها، فإن فصل بينهما فاصل انتصب على التَّمييز كما ينتصب في الاستفهام، فتقول في الخبر: كم لي عبداً، كما تقول في الاستخبار: كم عبداً لك؟» 3

وقال في المنصوبات: «باب "كَمْ" الاستفهامية:

وَكَمْ إِذَا جِئْتَ بِهَا مُسْتَفْهِمًا
فَأَنْصِبَ وَقُلْ: كَمْ كَوَكْبًا تَحْوِي السَّمَا 4

قد ذكرنا في شرح باب الإضافة أن "كَمْ" الخبرية يُجر ما بعدها، و"كَمْ" الاستفهامية يُنصب ما بعدها على التَّمييز، تشبيهاً لها بالعدد المنصوب على التَّمييز، ولهذا جاء مُفسرها واحداً، ولم يجيء جمعاً، كما أن المنصوب بعد العدد الذي هو أحد عشر إلى تسعة و تسعين لا يكون إلا واحداً، و"كَمْ" الاستفهامية قد تقع موقع المبتدأ في مثل قولك: كم عبداً لك؟ ف: "كم" مبتدأ، و"لك": الخبر، ونُصبت "عبداً" على التَّمييز، وقد تقع موقع المفعول به في مثل قولك: كم رجلاً رأيت؟. وتقع موقع الجار والمجرور تارة بحرف الجر في مثل قولك: بكم درهم بعت؟، وتارة بالإضافة في مثل قولك: ابن كَمْ سنّة أنت؟» 5. 6

1 أنطوان الدحداح: معجم قواعد العربية العالمية. ص 69

2 أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري: ملححة الإعراب. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط. 1. 1423هـ/ 2002م. ص 18

3 أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري: شرح ملححة الإعراب. ت: د. فائز فارس. دار الأمل للنشر والتوزيع. إربد. الأردن. ط. 1. 412 هـ/ 1991 م. ص 74

4 المرجع السابق. ص 27

5 المرجع السابق. ص 117

6 الهلاي: تقويم اللسانين. ص 61-62

المطلب الرابع: مباني النحو

قال محمد تقي الدين الهلالي: «إن من كان عالماً بالنحو 7 في أي لغة كانت، يتخذه مصباحاً يُضيء له طريق إنشائه سواءً أكان كاتباً أم مُتكلِّماً فلا يضع قدمه إلا بعد أن يُبصر موطئها، أما الجاهل بالنحو فإنه يمشي كالأعمى يضع قدمه دون أن يرى موطئها فتزل به القدمُ ويسْقُط في حُفر الأخطاء.»²

وسأتناول مباني النحو في النقاط التالية:

المسند والمسند إليه:

لا بد في الكلام من مسند يسند إليه خبر أو فعل؛

وقد يكون المسند أو المسند إليه ضميراً؛

الضمائر:

الضمير يكون في موضع الاسم الظاهر؛ وهو ما دل وضعاً على متكلم أو مخاطب أو غائب 3، وتفرق اللغة العربية بين نوعين من الضمائر؛ ضمائر الرفع وضمائر النصب؛ وينقسمان بدورهما إلى ضمائر متصلة وضمائر منفصلة؛ يبين ذلك هذه القصة بين سيبويه والكسائي، والتي أوردها الهلالي؛ قال: «الزبور حشرة صغيرة تشبه النحلة له لسع شديد، ومن ذلك المسألة الزبورية وهي مسألة يقال أن سيبويه اختلف مع الكسائي؛

فقال الكسائي بحضرة هارون الرشيد: كنت أحسب أن العقرب أشد لسعا من الزبور فإذا هو إياها،

فقال سيبويه: أخطأت، الصواب أن تقول: فإذا هو هي.

فقال الكسائي: لم أخطئ.

فقال سيبويه: هؤلاء العرب بالباب يعني فصحاء البادية الذين لم يختلطوا بالعجم ولم تفسد لغتهم.

فرضي بذلك الكسائي وبعث إلى العرب وأمرهم أن يُصوِّبوا رأيه إذا سئلوا فاستجابوا له لعلو منزلته عند الرشيد وأولاده، فدعي العرب فجاءوا، وخاف الكسائي أن يطلب منهم النطق بهذه الجملة فينطقوا بها على ما قال سيبويه وهو الصواب، فقال لهم اسمعوا كلامي وكلام سيبويه واحكموا فقال الكسائي: كنت أحسب أن العقرب أشد لسعا من الزبور فإذا هو إياها، وقال سيبويه: فإذا هو هي، فقال العرب: الحق مع الكسائي، فحزن سيبويه ومات غماً، والدليل على أن الحق مع سيبويه إن ضمير إياها من ضمائر النصب، والموضع يتطلب ضمير رفع لأنه موضع خبر المبتدأ.⁴

وقال الهلالي: «﴿إِيَّاكَ تَبُّدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيثُ﴾ [الفاتحة: 5] ﴿إِيَّاكَ﴾ ضمير مفعول به مقدم للفعل بعده.»⁵

أ- المبتدأ والخبر:

المبتدأ: هو الاسم المرفوع العاري عن العوامل اللفظية غير الزائدة حالة كونه مخبراً عنه، أو وصفاً رافعاً لمكتفى به معتمداً على نفي أو استفهام.⁶

1 سبب تسمية قواعد تأليف الكلام "علم النحو" قول سيدنا علي رضي الله عنه لأبي الأسود الدؤلي: انح هذا النحو. الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 52

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 17-18

3 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 139، والضمير والمضمر اصطلاح البصريين، ويسميه الكوفيون الكناية. انظر: الأشموني. 1/ 109

4 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 12. مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة. العدد السادس. شوال 1380 مارس 1961. ص 12

5 الهلالي: الحسام المالحق لكل مشرك و منافق. ص 8

6 ابن قاسم المالكي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 116، ومثال المخبر عنه: الطالب فاهم، والوصف الرافع لمكتفى به: ما فاهم الطالبان، وأ فاهم الطالبان؟

والخبر: هو ما يحصل به الفائدة مع مبتدأ¹.

قال محمد تقي الدين: « ذكر اسم الجلالة ﴿الله﴾ كلمة واحدة دون أن تتألف منها جملة بدعة ضلالة، وليس بكلام في أي لغة، لأن السنة جاءت أن يذكر الله تعالى بكلام له معنى، والكلمة الواحدة لا معنى لها، ف "الحمد لله" ذكر له معنى لأنه مؤلف من مبتدأ وخبر،²»

أما حكمهما الإعرابي، فيبينه الهلالي بقوله: «المشهور أن المبتدأ مرفوع بالابتداء والخبر مرفوع بالمبتدأ، [و] هناك قول بأن المبتدأ والخبر يترافعان؛ أي كل منهما يرفع صاحبه.³»

وقد يفصل بين المبتدأ والخبر ضمير؛

ضمير الفصل:

جرت مباحثة بين رشيد رضا وشكيب أرسلان في هذا الضمير أنقلها للفائدة؛ قال رشيد رضا منتقدا شكيب أرسلان: «مثل: «وما هو ذلك القصر»، وهذا مما يكثر في كلام المعاصرين، وهو مأخوذ من اصطلاح المناطقة في السؤال عن ماهية الشيء، وكلمة "الماهية" مشتقة منه، هو من اصطلاحهم، وقلدهم كثيرون، والضمير فيه "هو" لا حاجة إليه ولا مرجع له، والمدققون من الكتاب ومصححي الإنشاء في وزارة المعارف يتحامونه ويرمجون الضمير مما يصححون، وفي الكتاب العزيز: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ

﴿الشعراء: 23﴾.⁴

أما حجج شكيب أرسلان فيوردها فيما يلي: «لا شك أن القاعدة هي ما قال، ولكن ليس بخطأ أن يقال: «ما هو ذلك القصر» وما في ضربه؛ وقد ورد كثيرا في كلامهم، وذكر سيبويه أن هذه الضمائر: «أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم وهن وأنتن وهما وأنتما وأنتم» تأتي وصفا للمضمرة المجرور والمنصوب والمرفوع، وذلك قولك مررت بك أنت ورأيتك أنت وانطلقت أنت، وليس وصفا بمنزلة "الطويل" إذا قلت: «مررت بزيد الطويل»، ولكنه بمنزلة "نفسه" إذا قلت: «مررت به نفسه، وأتاني هو نفسه، ورأيته هو نفسه»، وإنما تريد بهن ما تريد بالنفس إذا قلت مررت به هو.»

إلى أن يقول: «واعلم أن هذا المضمرة يجوز أن يكون بدلا من المظهر، وليس بمنزلة في أن يكون وصفا له لأن الوصف تابع للاسم مثل قولك: «رأيت عبد الله أبا زيد»، فأما البدل فمفرد كأنك قلت: «زيدا رأيت أو رأيت زيدا ثم قلت إياه رأيت»، وكذا أنت وهو وأخواتها في الرفع.

وأورد سيبويه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْصِبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَاطُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ [آل عمران: 180] وقال: «صارت ﴿هُوَ﴾ ههنا بمنزلة ما إذا كانت لغوا في أنها لا تغير ما بعدها عن حاله قبل أن تذكر، واعلم أنها تكون في "إن" وأخواتها فصلا وفي الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لأنه مرفوع قبل أن تذكر الفصل.

قال: «واعلم أن "هو" لا يحسن أن تكون فصلا حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام. قال: «وقد جعل ناس كثير من العرب "هو" وأخواتها في هذا الباب اسما مبتدأ وما بعده مبني عليه، فمن ذلك أنه بلغنا أن رؤبة كان يقول: «أظن زيدا هو خير منك»، وناس كثير من العرب يقولون: «وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون»، وكان أبو عمرو يقول: «إن كان هو العاقل»

1 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 198

2 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 54

3 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 403، ومذهب البصريين أن العامل في المبتدأ معنوي هو الابتداء، والمشهور عن الكوفيين أن العامل فيه لفظي هو الخبر.

4 المرجع نفسه. ص 307

ثم يقول سيويه: إن "هو وأخواته" يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك قولك: «ما أظن أحد خير منك وما أجعل رجلا هو أكرم منك»، فلم يجعلوه فصلا وقبله نكرة كما أنه لا يكون وصفا ولا بدلا لنكرة، وكما أن "كلهم" و"أجمعين" لا يكرران على نكرة فاستثقلوا أن يجعلوها فصلا في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة فلم تصر فصلا إذا المعرفة كما لم تكن وصفا ولا بدلا إلا لمعرفة.

وقد جاء في "مغنى اللبيب" (2/ 296-300) لابن هشام أن "ما" نكرة متضمنة معنى الحرف وأن "ما" الاستفهامية معناها: أي شيء؟ نحو: ما هي؟ ما لونها؟ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَتْمُوسَىٰ ۗ﴾ [طه: 17] قال موسى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾ [يونس: 81] وذلك على قراءة أبي عمرو ﴿السِّحْرُ﴾ بمد الألف، ف ﴿مَا﴾ مبتدأ والجملة بعدها خبر، و ﴿السِّحْرُ﴾ إما بدل من ﴿مَا﴾ ولهذا قرن بالاستفهام، وكأنه قيل: «السحر جئتم به؟»، وإما تقدير: «أهو السحر أو السحر هو»، ويقويه قراءة عبد الله: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ سِحْرًا﴾. إذا لو قيل: ما هو السحر، مثلا ف "ما" مبتدأ والجملة بعدها خبر و"السحر" بدل من "ما".¹

وهذا ما قرره الهلالي؛ قال شكيب أرسلان: «وقد سألت عن هذا الاعتراض العلامة السيد تقي الدين الهلالي السجلماسي، فاستغرب، وقال: «لا أظن أن السيد رشيدا يمنع جوازه، كما أنه لم يتبين لي أن الجملة منافية للبلغة». وقال: «ما هو ذلك القصر؟» الضمير يعود على القصر، وإن كان متقدما لفظا فهو متأخر رتبة؛ لأن "ذلك" مبتدأ و"القصر" بدل، وجملة "ما هو" خبر، ووجب تقديمها من أجل "ما" الاستفهامية.²

وضمير الفصل من المؤكدات؛ قال الهلالي في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تِلْكَ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۙ﴾ [المنافقون: 9]: «قد أكد الله تعالى خسرتهم بالتعريف بالألف واللام، وبالجملة الاسمية، وصيغة الحصر، وضمير الفصل وهو ﴿هُمُ﴾، فتم لهم الخسران المطلق، ولا يتم إلا للكافرين.³

وقد يحذف المبتدأ:

قال مصطفي جواد: «وقال: «ورنقت صفو زلاله المعين مما يسوء كل طالب علم» ف "من" هنا للبيان والتفسير، فكيف يكون الزلال المعين مما يسيء كل طالب علم؟ وإذا عددناها للتعليل يكون ترنيق الصفو بسبب ما يسوء كل طالب علم، وهو غير مراد الكاتب، فالصواب: وذلك مما يسوء كل طالب علم على الابتداء والإخبار.⁴

فأجاب الهلالي: «لم أقصد ب "من" بيانا ولا تعليلا، وإنما قصدت أن ترنيق الصفو مما يسوء كل طالب علم، الخ، فهي هنا للتبعيض، والمبتدأ محذوف؛ التقدير: وهو - أي الترنيق - مما يسوء الخ، وهكذا يفهم أولو الأبواب أجمعون.⁵ قال ابن عقيل: «يحذف كل من المبتدأ والخبر إذا دل عليه دليل: جوازا أو وجوبا»⁶

وينسخ ب "إن وأخواتها": قَالَ قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَبِيبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۙ﴾ [الأعراف: 54] قال محمد تقي الدين: «أكد القرآن بلفظ "إن" والجملة الاسمية: كون الله، وهو علم على الباري، ربا لجميع العالمين.⁷

1 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخواه أربعين سنة. ص 307

2 المرجع نفسه. ص 307-308

3 الهلالي: حكم تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها. دون معلومات نشر. طبع سنة 1402 هـ/ 1982 م. ص 11

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 181

5 المصدر نفسه. ص 182

6 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 1/ 220، وانظر: مواضع حذف المبتدأ وجوبا في شرح ابن عقيل. 1/ 229

التوافق الإعرابي بين المبتدأ والخبر:

يجب أن يتوافق المبتدأ والخبر في النوع والعدد، إلا إذا كان الخبر يراد به المفرد والمثنى والجمع، نحو قوله تعالى: ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرَهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [المنافقون: 4] قال في "اللسان": «والعدو: ضد الصديق، يكون للواحد والاثنتين والجمع والأثنى والذكر بلفظ واحد.»²، فالتوافق وإن كان لا يوجد في اللفظ فهو موجود في المعنى.

ب- الفعل والفاعل:

الفاعل هو ما أسند إليه فعل تام مقدم عليه غير مصوغ للمفعول³.

وكما يكون المسند والمسند إليه مبتدأ وخبراً يكونان فاعلاً وفعلًا؛ فيتقدم الفعل على فاعله؛ قال الهلالي: «العربية والعبرانية كلتاها تبدأ الجملة الفعلية فيهما بالفعل ولا يلزم أن نذكر اسمًا قبل الفعل لا ضميراً ولا ظاهراً، فتقول طلعت الشمسُ وظهر الحق، ولو ذكرنا ضمير "أنا" قبل الفعل الماضي لم يصح إسناد الفعل إليه بل تتصل به وجوباً تاء متكلم فنقول في العربية: أنا تعلمتُ، وفي العبرانية: أني لامدت.»⁴

وإذا تقدم الفعل المضارع حرفاً ناصباً أو جازماً عمل فيه؛ قال محمد تقي الدين: «كما تدينوا تدانوا.» حذف النون بغير ناصب ولا جازم، كما في قول النبي ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: افشوا السلام بينكم.»⁵

وقال الشاعر:

أبيت أسري وتبتي تدلكي
شعرك بالعنبر والمسك الذكي⁶
فحذف النون من تبتي وتدلكي بغير ناصب ولا جازم وهو قليل.⁷

أزمة الفعل:

الزمان ماضٍ وحال (حاضر) ومستقبل؛ وليست البنية الصرفية وحدها هي التي تعين زمان الفعل في العربية⁸، بل لابد من النظر في السياق اللغوي الذي ورد فيه الفعل؛ وهذا بعض ما ذكره الهلالي في ذلك؛

• قال أحمد الحمزاوي تلميذ الهلالي: «علامة الفعل الماضي قبول تاء التأنيث وتاء الفاعل.»⁹ وقال: «علامة فعل الأمر الدلالة على الطلب وقبول ياء المخاطبة.»¹، فيكون زمانه بعد زمان التلفظ به.

1 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 4. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد الخامس. ذو القعدة 1384 هـ / مارس 1963 م. ص 20، ثم قال: «ولم ذلك؟ لأنه خلق السموات والأرض في ستة أوقات ثم استوى على العرش، وتصرف في خلقه تصرف الصانع في مصنوعاته، وعلى قدر كمال الصنعة يكون كمال الصانع، ثم أخبرهم بتصرفه في مصنوعاته واحتياجها إليه بقوله: ﴿يُعْشَى آلِيلَ النَّهَارِ﴾ أي يغطيه به فيتعاقبان متصلان، وهو الذي يسخر الشمس والقمر والنجوم ويدبرها في أفلاكها بغاية الإتقان، ثم عقب ذلك بالنتيجة المطلوبة، وهي قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فله وحده الصنعة والإبداع، والتربية والتسيير، وله وحده الأمر القدري الكوني والشرعي، تبارك وتعالى رب العالمين.»

2 ابن منظور: لسان العرب. 2848

3 ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 105

4 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 20

5 الألباني: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. مكتبة الدليل. الجليل الصناعية. السعودية. ط 4. 1418 هـ / 1997 م. حديث رقم 751. ص 377 وفيه: «ألا أدلكم على ما تحابون به؟ قالوا: بلى يا رسول الله..»

6 البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في الخصائص. 1 / 388

7 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 6

8 الفعل كل كلمة دلت على معنى في نفسها، وتعرضت بينيتها للزمان. ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 38

9 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 41

• وقال محمد تقي الدين: «قوله تعالى في آخر سورة فصلت: ﴿سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: 53] هذه سورة مكية نزلت على النبي ﷺ وهو وأصحابه يلاقون الأمرين من أذى المشركين. والسين للتنفيس تدل على حدوث الفعل في المستقبل، أي سيرى الله أولي الأبواب أهل العلم والمعرفة من الآيات الدالة على وجوده وتديره للعالم بأسره في آفاق الأرض والسموات على مرور الزمان ما لا يبقى ريباً ولا شكاً في نفس أي طالب للحق، وسيرى الله أهل العلم والمعرفة في أسرار خلق الإنسان آيات واضحات تكشف لهم الحق ولا تبقى عندهم لبساً.» 2

• وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح: 1-3]

قال الهلالي: «اختلف المفسرون في الفتح هنا ما المراد به؟ فأكثرهم قالوا: إنه صلح الحديبية، لأنه كان سبباً في انتشار الإسلام وتقلص ظل الشرك بسبب اختلاط المسلمين بأعدائهم المشركين بعد معاهدة الهدنة، وقيل هو فتح مكة الذي وقع بعد ذلك فيكون التعبير بالفعل الماضي عما سيقع في المستقبل دليلاً على تحققه، وقيل هو فتح خير والأحسن أن يكون إشارة إلى هذه الفتوح كلها وغيرها.» 3

• وفي قولنا: "لا يفعل غداً" قال الهلالي: «ليست "لا" هي التي عينت الفعل للاستقبال، بل القرينة غداً هي التي عينته له. قال ابن بونا في ألفيته:

وَأَجْعَلُ فِي الْأَسْتِقْبَالِ الْأَمْرَ وَأَقْعَا وَقُلُّ بِهٖ وَالْحَالُ فِيمَا ضَارَعَا 4

قال الناظم نفسه في شرح هذا البيت أي المضارع: ولو نفى بـ "لا" خلافاً لمن خصصها بالمستقبل، ومن وروده مع "لا" للحال قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: 78] فهذه حكاية حال ماضية، وهي تحكى بالمضارع كما رأيت شاهده في كتاب الله.» 5

وقال الهلالي أيضاً: «قد جاء الفعل الماضي في كلام العرب منفياً بـ "لا" غير متكررة، قال الشاعر:

رِدُّوَا فَوَ اللَّهِ لَا دُذْنَآكُمْ أَبَدَا مَا دَامَ فِي مَائِنَا وَرِدُّ لَوَارِدِ 6

قال العلامة المحقق أحمد بن أمين الشنقيطي العلوي في "الدرر اللوامع شرح شواهد همع الهوامع" للسيوطي بعد إيراد البيت المتقدم: استشهد به على تعيين الماضي المنفي بـ "لا" للاستقبال، ذنانكم: كففناكم وهو بالذال لا بالزاي، ولم أعر على قائله. واستشهد به أيضاً على ذلك ابن بونا في "حاشية ألفيته"، واعلم أيها القارئ الكريم أن المضارع في كلام العرب يأتي بمعنى الماضي في مواضع، وأن الماضي يأتي للحال والاستقبال بشروط وقرائن ذكرها السيوطي في "همع الهوامع شرح جمع الجوامع" له، وذكرها ابن بونا في "ألفيته." 7

1 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 41

2 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للخطيب 5. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد السادس والسابع. ذو الحجة 1384 هـ، محرم 1385 هـ/ أفريل، ماي 1965 م. ص 16

3 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 33

4 أحمد بن محمد المامي البعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. 1/ 11

5 المرجع نفسه والصفحة، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 182

6 البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 2/ 329، وفيه: لُوْرَادِ بدل: لوَارِدِ.

7 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 184، وانظر: أحمد بن محمد المامي البعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. 1/ 11-16

قال الفراء (ت: 207 هـ): «قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: 91] يقول القائل: إنما ﴿تَقْتُلُونَ﴾ للمستقبل، فكيف قال: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾، ونحن لا نجيز في الكلام: أنا أضربك أمس؟

وذلك جائز إذا أردت بـ "تفعلون" الماضي، ألا ترى أنك تعنف الرجل بما سلف من فعله، فتقول: ويحك لِمَ تكذب؟ لم تُبغض نفسك إلى الناس؟! ومثله قول الله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ [البقرة: 102]، ولم يقل: «ما تلت الشياطين» وذلك عربي كثير في الكلام، أنشدني بعض العرب:

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لِمِثْلِي لثِيْمَةً
ولم تجدي مِن أن تُقَرِّي بها بُدًّا¹

فالجزء للمستقبل، والولادة كلها قد مضت، وذلك أن المعنى معروف.

ومثله في الكلام: إذا نظرت في سير عمر رحمه الله لم يسىء، والمعنى: لم تجده أساء، فلما كان أمر عمر لا يشك في مضيه، لم يقع في الوهم أنه مستقبل، فلذلك صلحت ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ مع قوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا، فتولاهم على ذلك ورضوا به فنسب القتل إليهم.² فيجب النظر في السياق اللغوي للخطاب؛ ففيه قرائن تعين أزمنة الأفعال.

التوافق الإعرابي بين الفعل والفاعل:

لا يعرب من الأفعال إلا المضارع بشرط أن لا يتصل بنون التوكيد المباشرة له وبنون الإنانث، أما الماضي والأمر فهما مبنيان³؛ وإذا وإذا سبق بحرف جازم أو ناصب عمل فيه؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «قول عمر رضي الله عنه لمعاوية: «ولم آلك جهدا في النصيحة» أي: لم أقصر في نصيحتك؛ فـ "لم" حرف نفي وجزم وقلب. وـ "آل" فعل مضارع مجزوم بـ "لم" وعلامة جزمه حذف آخره وهو الواو.»⁴

والفاعل مرفوع دائما، ويتوافق مع فعله في النوع فقط، فإذا كان الفاعل مذكرا، ذكر الفعل، وإن كان الفاعل مؤنثا أنث الفعل. قال الهلالي: «قال ابن منظور في "لسان العرب": «وقوله تعالى: ﴿تَلَمَّطَهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: 10] بالتأنيث في قراءة من قرأ به، فإنه أنث لأن بعض السيارة سيارة، كقولهم: ذهبت بعض أصابعه، لأن بعض الأصابع يكون أضعفاً وأضعين وأصابع.»⁵ وأما قراءة ﴿يَلْتَفِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: 10] فقال فيها الهلالي: «لأن لفظ ﴿بَعْضُ﴾ مذكّر ومفرد، والضمير يعود عليه مفرداً حسب لفظه، لأننا نقول كما قال ابن منظور: إِنَّ بَعْضًا إِذَا أُضِيفَ إِلَى جَمْعٍ، يَدُلُّ عَلَى وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ.»⁶

وقد ورد ترك التأنيث في قول لبيد بن ربيعة:

تمنى ابتتاي أن يعييش أبوهمما
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر⁷

وفي القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ زَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكُمْ أَلْبِنْتُمْ﴾ [البقرة: 209]، وقال: ﴿وَجَاءَهُمْ أَلْبِنْتُمْ﴾ [آل عمران: 86]

1 البيت من الطويل، وهو لزائد بن صعصعة الفقعسي في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 2/ 175
2 الفراء: معاني القرآن. ت: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي. عالم الكتب. بيروت. ط. 3. 1401 هـ. 1/ 60-61
3 البناء: لزوم آخر الكلمة حركة أو حرفا أو سكونا أو حذفاً لغير عامل ولا اعتلال. ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 66
4 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 40
5 ابن منظور: لسان العرب. ص 312-313، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 173
6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 174
7 البيت من الطويل، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه. اعتنى به: حمدو طماس. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط. 1. 1425 هـ/ 2004 م. ص 50

أما التوافق في العدد فلا يشترط؛

ففي قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة: 24-25] قال الهلالي: ﴿ تَنْظُنُّ ﴾ تستعمل للمُخاطَب وللغائبة، ففاعلها في الأول مستتر وجوبا تقديره "أنت"، وفي الثاني مستتر جوازا تقديره "هي".

وهذا الثاني هو المراد في الآية فإن الضمير المستكن في ﴿ تَنْظُنُّ ﴾ عائد على الوجوه. 1

وقال: «احتجاج وفد نجران على التثليث، بأن الله تعالى يقول: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، دليل على جهلهم بلغتهم العربية أو تجاهلهم، فإن الضمير في: فعلنا ونفعل لا ينحصر في المتكلم ومعه غيره، بل يستعمل كذلك في كلام المعظم نفسه، والله تعالى عظيم يعظم نفسه ويُعظمه الصالحون من خلقه، إلا أنهم لا يعظمونه بخطاب الجمع مراعاة لجانب التوحيد، وهذا واضح.» 2

الحالات التي يكون فيها الفاعل ضميرا مستترا وجوبا:

يأتي الفاعل ضميرا مستترا جوازا، كما في قول الهلالي: «إن من كان عالما بالنحو في أي لغة كانت، يتخذه مصباحا.» 3
فقد أعرب كلامه، فقال: «قولي: في أي لغة كانت: جار ومجرور في محل نصب متعلق بمحذوف حال من النحو، وكانت: فعل تام، وفاعله ضمير مستتر جوازا تقديره "هي" يعود على اللغة، وهذه الجملة في محل جر صفة للغة.» 4

كما يكون ضميرا مستترا وجوبا في هذه الحالات:

قال محمد تقي الدين: «سألني ابن الطيب عن معنى البيتين التاليين، وقال: إن الشيوخ الذين كان يتعلم عندهم النحو في سجلهاسة عجزوا عن شرحها له؛ فشرحتها له واستخرجت منها إحدى عشرة مسألة؛ يكون الفاعل في كل منها ضميرا مستترا وجوبا، ثم ذيلتها بأبيات أوردت فيها الأمثلة لتلك المسائل، و البيتان هما:

ودون يا مضارع واسـ وهما
وأفعل التفصيل صبرا نـصب
ضممته النظم الذي تقدمما
أغرب فلسفت أقبل الملاما
ليس كلام الله ذي الجلال
أكرم به قد جاءنا بالحق
أعظم به شهما نبلا سيـدا
صبرا على حوادث الأيام

وسـتر مرفوع حـتمـا
وفعل الاسـثناء والتعجب
وهذه أمثلة لكل ما
أواه صـه لا تكـثر الكلاما
فنحن نعصي جملة الأقوال
ولا يكون قول خير الخلق
أفضل من دعا إلى دين الهدى
وذا زمان غريبة الإسلام

وتفصيل ذلك: أن ستر المرفوع؛ وهو ضمير الفاعل على المستتر وجوبا، يكون في مواضع:

أولها: فعل الأمر المخاطب؛ نحو: اذكر ربك.

ثانيا: يكون في الفعل المضارع غير المبدوء بياء غائب، ولا تاء غائبة، ويتضمن ذلك ثلاثة أمثلة أشرت إليها بقولي: «تكثر» و «أقبل» و «نعصي».

ثالثا: يكون في اسم فعل الأمر، وأشرت إليه بـ «صه».

1 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضا. ص 5

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 261

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 17-18

4 المصدر نفسه. 179

رابعا: يكون في اسم فعل المضارع، وأشرت إليه بـ «أواه» ؛ بمعنى أتوجع.
 خامسا: يكون في فعل الاستثناء، و مثلت له: بـ «ليس» و «لا يكون»، وتركت التمثيل بـ «ماعدا» و «ما خلا» وهما مشهوران
 وداخلان في فعل الاستثناء، وكذلك «ما حاشا» على رأي من أثبت أنه فعل.
 سادسا: يكون في فعل التعجب؛ نحو: ما أكرمه ! وأكرم به! و أشرت إلى هذا الموضع بمثال واحد هو «أعظم به!»
 سابعا: يكون في المصدر الذي ينوب عن فعله، ولم يصرح به ناظم البيتين، وأنا أظن أنه أشار إليه بقوله: «صبرا تصب»، وأشرت
 إليه أنا بقولي: «صبرا على حوادث الأيام»
 وكل هذه المسائل لها شواهد من كلام العرب، لم نذكرها تجنباً للإطالة. 1

التعدي واللزوم:

قال ابن تيمية: «إن أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن، بل وغيرها من اللغات متفقون على أن الإنسان إذا قال: قام فلان وقعد،
 وقال: أكل فلان الطعام، وشرب الشراب، فإنه لا بد أن يكون في الفعل المتعدي إلى المفعول به ما في الفعل اللازم 2 وزيادة، إذ كلتا
 الجملتين فعلية، أو كلاهما فيه فعل وفاعل، والثانية امتازت بزيادة المفعول، فكما أنه في الفعل اللازم معنا فعل وفاعل، ففي الجملة
 المتعدية معنا أيضا فعل وفاعل وزيادة مفعول به. 3»

وفي اللغة العربية:

• أفعال لازمة:

قال الهلالي: «عاش فعل لازم. 4»

• أفعال تأتي لازمة ومتعدية:

قال محمد تقي الدين: «أسلم في اللغة إذا كان لازماً، معناه: انقاد واستسلم، وأما في اصطلاح الشريعة فمعناه: انقاد إلى ما جاء به
 رسول الله ﷺ وقبله كله في الظاهر. 5»

«وإن كان الفعل متعدياً فمن معانيه: إخلاص التوجه إلى الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

مُحْسِنٌ وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: 125] 6»

وقال: «الرجعية نسبة إلى الرجوع وهو مصدر رجع يرجع رجعا، أي: عاد إلى مكانه الذي كان فيه أو إلى حال كان فيها وفعله
 بهذا المعنى اللازم. قال ابن منظور في لسان العرب: ومصدره لازما الرجوع ومصدره واقعا الرجوع يقال رجعت رجعا فرجع
 رجوعا. 7»

• أفعال متعدية إلى مفعول:

قال محمد تقي الدين في الفعل "سَبَّحَ": «هذا الفعل في العبرانية متعد بنفسه وكذلك في العربية؛ قال تعالى في سورة (ق 40):

﴿٢٨﴾ فَأَصْبِرْ فَسَيِّعُهُ وَأَدْبَرَ أَلسُنُودَ ﴿٤٠﴾ 8»

1 الهلالي: منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار تقي الدين الهلالي. ص 547، 549

2 الفعل اللازم هو الذي يكتفي بفاعله ولا يتعداه إلى مفعول به.

3 ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1417هـ/ 1997 م. 2 / 3

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 134

5 المصدر نفسه. ص 31

6 المصدر نفسه. ص 31-32

7 الهلالي: التقدم والرجعية. 1 / 8

8 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 28-29

وقال: «قاتل» في اللغة العربية فعل متعدد بنفسه لا يحتاج إلى حرف، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: 190].¹
وقال الكرمانى: «خاف من الله». ²

قال محمد تقي الدين الهلالي: «هذه زلة نحوية عظيمة؛ لأن خاف يتعدى بنفسه، فلا حاجة إلى تقدير الحذف قال تعالى: ﴿وَتَخَافُونَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]، وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50]، وقال تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الروم: 28] ومن ذلك تعلم أن العالم وإن عظم شأنه في العلم يقع في أخطاء، فإياك والتقليد، فالكمال لله تعالى. ³

وقال: «سَوَى» يتعدى بنفسه، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ﴾ [السجدة: 9].⁴
• أفعال تتعدى إلى مفعول وإلى مفعولين:

قال الهلالي: «أما استدلال المعتزلة بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: 3] فما أفسده من استدلال فإن "جعل" إذا كانت بمعنى "خلق" يتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1]، وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق؛ قال تعالى: ﴿وَلَا نَنْقُضُهَا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: 91].⁵

فمعنى المتعدي إلى مفعول غير معنى المتعدي إلى مفعولين.
• أفعال تتعدى إلى مفعولين:

قال ابن منظور: «الحديث: (إِنِّي وَهَبْتُ لِحَالَتِي غُلَامًا فَقُلْتُ: لَا تُسَلِّمِيهِ حَجَّامًا وَلَا صَائِغًا وَلَا قَصَّابًا)»⁶، أي: لا تعطيه لمن يعلمه يُعلمه إحدى هذه الصناعات ⁷

قال محمد تقي الدين: «أقول: والعجب من ابن منظور كيف وقع في خطأ عامي؛ وهو تعديته "أعطى" إلى المفعول الثاني باللام، وهو مُتَعَدِّ بنفسه إلى مفعولين، يُقال: أعطاه الله علماً، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، ولكن لكل سيف نبوة، ولكل جواد كبوة، والكمال لله. ⁸
ويصح الاقتصار على مفعول، لأن أصل المفعولين ليس مبتدأ وخبراً.

أما جعل بمعنى اعتقد فيتعدى إلى مفعولين مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا نَنْقُضُهَا الْآيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: 91]، ولا يصح الاقتصار بعده على مفعول واحد لأن أصل المفعولين مبتدأ وخبر، وهو من أخوات ظن وأخواتها؛

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 19

2 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 86-87

3 المصدر نفسه. ص 89-90

4 الهلالي: تقويم اللسانين. 142 باختصار.

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 295

6 الألباني: ضعيف سنن أبي داود. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1 الجديدة. 1419 هـ/ 1998م. حديث رقم 3430. ص 277

7 ابن منظور: لسان العرب. ص 2080

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 32

9 سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 295

وأخواتها؛ وتنقسم إلى: أفعال القلوب؛ مثل: رأى، وعلم، وجد، درى، تعلم، خال، ظن، حسب، زعم، عد، حجا، هب، وأفعال التحويل؛ وهي: صير، وجعل بمعنى صير، ووهب، وتخذ، واتخذ، وترك، ورد¹.
• أفعال تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل: وهي: نبأ، أنبأ، خبر، أخبر، أرى، أعلم².

• التعدي بحرف جر:

تتعدى الأفعال اللازمة بحرف، ومثلها المتعدية إذا أردنا معنى لا يتأدى بالفعل وحده؛ ومن الأمثلة على ذلك:

• تعدية الفعل قال بـ "في":

قال محمد تقي الدين: «الصواب أن يُقال: قال فيه، والأدلة على هذا أكثر من أن تُحصى أقتصر على قليل منها:
قال ابن منظور في مادة "ق و ل": «وفي حديث سعيد بن المسيب حين قيل له: ما تقول في عثمان وعلي؟ فقال: أقول فيها ما قولني الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية [الحشر: 10]، وفي حديث علي عليه السلام: سمع امرأة تندب عمر، فقال: أما والله ما قالته، ولكن قولته، أي لقتته وعلمته وألقي على لسانها، يعني من جانب الإلهام، أي: أنه حقيق بما قالت فيه.

الشاهد هنا في ثلاثة مواضع في قول سعيد بن المسيب:

أولها: قوله: أقول فيها ما قولني الله تعالى

والثاني في سؤال من سأله: ما تقول في عثمان وعلي؟

والثالث في خبر علي مع المرأة.

وقد فسره صاحب "اللسان" بقوله: إنه حقيق بما قالت فيه.³

ويضيف الهلالي: «قال الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في كتابه "ميزان الاعتدال في نقد الرجال": «ونقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت فيه منكر الحديث فلا تلح الرواية عنه.»⁴، ثم قال: «اعلم أن كل من أقول فيه مجهول، ولا أسنده إلى قائل، فإن ذلك قول أبي حاتم فيه.»⁵

فقوله: «أقول فيه مجهول.»، وقوله: «فإن ذلك قول أبي حاتم فيه.» مطابقتان للاستعمال العربي السليم...

وإذا سأل سائل: ماذا يقول النصارى في عيسى بن مريم؟ يكون الجواب: يقولون فيه: إنه ابن الله، وإنه ثالث ثلاثة، وإنه الأقوم

الثاني تعالى الله عن ذلك...

والقول يُعدى بـ "في" في المسائل كذلك: يُقال: ما تقول في مسألة كذا وكذا؟، وقال عبد الله بن مسعود في مسألة سُئل عنها: أقول

فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان.⁶

• تعدية الفعل قال بـ "عن":

كيف تستعمل قال عنه؟

قال الهلالي: فإن قلت: قد فهمنا من كلامك أن تعبير عامة الكتاب "يقال عنه" في موضوع "قال فيه" خطأ، فأين تستعمل "قال عنه"؟ فالجواب: يستعملها المحدثون في الرواية، وقد أكثر من ذلك البخاري رحمه الله؛ فمن ذلك قوله في كتاب العلم من صحيحه:

1 انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 2 / 22 وما بعدها

2 انظر: المرجع نفسه. 2 / 53-60

3 محمد تقي الدين الهلالي: تقويم اللسانين. ص 79

4 الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ت: محمد علي البجاوي. دار المعرفة. بيروت. لبنان. 1 / 6

5 المرجع نفسه والصفحة.

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 86-87

«وقال شقيق عن عبد الله سمعت النبي ﷺ»، و«قال أبو العالية عن ابن عباس عن النبي ﷺ»، و«قال أنس عن النبي ﷺ»، و«قال أبو هريرة عن النبي ﷺ»؛ فمعنى قال هنا: روى وحدث، فهذا هو الفرق بين قال فيه وقال عنه، يجب علينا أن نميز بينهما، وأن نستعمل كلا منهما فيما يناسبه، والله الموفق. 1

• تعدية الفعل جهل بـ "على":

قال محمد تقي الدين: «يجهلونه ويجهلون عليه». 2

• تعدية الفعل رضخ باللام:

قال الهلالي: «إن الرضخ إذا تعدى بنفسه فمعناه الكسر، وإذا تعدى باللام فمعناه العطاء القليل». 3

• تعدية الفعل ينبغي باللام:

قال محمد تقي الدين: «الخطأ الذي نحن الآن بصدد إصلاحه لا يقع ويشيع إلا في أمة أهملت القرآن، لأن هذا الفعل تكرر استعماله في القرآن فجاء في ستة مواضع أحدها قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ شَاؤُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الفرقان: 17 - 18] ففعل "ينبغي" لا ينبغي أن يتعدى بـ "على"، وإنما ينبغي أن يتعدى بـ "اللام". 4

وتابع الهلالي قول نحاة الكوفة في جعلهم بعض الحروف يقوم مقام بعض؛ ومن الأمثلة على ذلك تفسيره "الباء" أنها في موضع "في" و"من" و"مع" فيما يلي:

• قال محمد تقي الدين الهلالي: «استعمال "باء الجر" في موضع "في"، وهو جائز في العربية؛ قال تعالى في سورة الصافات [137]-

138]: ﴿وَلْيَكْفُرْ كُفْرَهُمْ عَلَيْهِمْ مُصِيبَاتٌ ﴿١٣٧﴾ وَيَأْتِلُ أَفَالًا تَقْلُوبًا ﴿١٣٨﴾﴾ 5

• واستشهد الهلالي على أن "الباء" تأتي بمعنى "من"، بقول الشاعر:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ
متن لجـج خضـر لهـن نـيـج 6

وقال: قال الخضري في حاشيته على شرح الألفية لابن عقيل ما نصه: «قوله: شربن الخ... ضمّنه معنى "رؤين" فعدها بـ

"الباء"، أو هي بمعنى "من" التبعية». 7

• قال محمد تقي الدين: «قوله: «لا يسير بالسرية»: "الباء" بمعنى "مع"، أي: لا يسير مع السرية، وهي قطعة من الجيش». 8

أما نحاة البصرة فيجعلون سبب التعدية بهذه الحروف أن الفعل المُعدى بالحرف ضمن معنى فعل آخر؛ قال ابن تيمية: «والعرب تضمن الفعل معنى الفعل وتعديه تعديته، ومن هنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ لِيَكْ تَعَاوَمَهُ﴾ [ص: 24] أي: مع نعاجه، و﴿مَنْ أَنْصَارِيَّةَ إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 52] أي: مع الله، ونحو ذلك.

والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمن، فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه. 9

1 الهلالي: تقويم اللسانين.. ص 87-88

2 الهلالي: أخلاق الشباب المسلم. ص 22

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 104

4 المصدر نفسه. ص 70-71

5 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 29

6 البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين. 1/ 52

7 حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك. 1/ 226، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 98

8 الهلالي: إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 15

9 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 13/ 342

المفاعيل:

• المفعول به:

وهو ما وقع عليه فعل الفاعل، ومنه المنصوب على الاشتغال، أو التنازع¹، أو الاختصاص، أو الإغراء، أو التحذير².
كتب الهلالي في إعراب قوله تعالى: ﴿وَمِيعَ كُرْسِيِّهٖ السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: 255]: «﴿كُرْسِيُّهُ﴾ فاعل، و﴿السَّمَوَاتِ﴾ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة النائية عن الفتحة.»³

وفي إعراب ﴿إِيَّاكَ تَبَّئْتُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيثُ﴾ [الفاتحة: 5]: «﴿إِيَّاكَ﴾ ضمير مفعول به مقدم للفعل بعده.»⁴
ومن أمثلة الاختصاص قول الهلالي: «"السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" 5، أي: أخصك بالسلام أيها النبي، فهذا من باب الاختصاص لا من باب النداء.»⁶

قال ابن مالك:

الاختصاصُ كَنَدَاءٍ دُونَ يَأَا
وَقَدْ يُرَى ذَا دُونَ أَيِّ تَلُوَ أَلْ
كَأَيْهَهَا فَتَّى بِإِثْرٍ اَرْجُونِيَأَا
كَمَثَلِ نَحْنُ الْعُرْبِ أَسْحَى مَنْ بَدَلْ 7

قال ابن عقيل: «الاختصاص يشبه النداء لفظاً، ويخالفه من ثلاثة أوجه:
أحدها: أنه لا يستعمل معه حرف نداء.

والثاني: أنه لا بد أن يسبقه شيء.

والثالث: أن تصاحبه الألف واللام.

وذلك كقوله: أنا أفعل كذا أيها الرجل، ونحنُ العُربُ أسخى الناس، وقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نُورث، ما تركناه صدقة.»⁸

وهو منصوب بفعل مضمر، والتقدير: أخصَّ العُربَ، وأخصَّ معاشر الأنبياء.»⁹

• المفعول المطلق:

وهو المصدر الفضلة المؤكد لعامله أو المبين لنوعه أو عدده، وهو الفعل الواقع نفسه¹⁰، وسمي مطلقاً لأنه مفعول الفاعل حقيقة، فلم يقيد بحرف جر كغيره من المفاعيل، وتسمية كل منها مفعولاً إنما هو باعتبار إصاق الفعل به أو وقوعه لأجله أو فيه أو معه¹¹.

في قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق: 12] قال محمد تقي الدين الهلالي: «انتصاب علماً على المصدرية أو صفة لمصدر محذوف.»¹

1 التنازع أن يتقدم عاملان مذكوران فأكثر على معمول واحد فأكثر. الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 202

2 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 200

3 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 41-42

4 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومتناقف. ص 8

5 رواه البخاري 831

6 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 27

7 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 80

8 رواه مسلم 1757

9 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 3/ 245-246

10 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 214-215، 200

11 حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. 2/ 161

قال الهلالي: « "سبحان الله" ذكر له معنى، لأنه مؤلف من فعل مقدر وفاعله ومفعول مطلق، وهو "سبحان"، ومعناه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله، وسبحان مضافة إلى اسم الجلالة. »²

قال الهلالي: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: 164] يعني: خاطبه مخاطبة من غير واسطة، لأن تأكيد ﴿ كَلَّمَ ﴾ بالمصدر يدل على تحقيق الكلام، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك، لأن أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر، فلا يقال: أراد الحائط إرادة... فدل قوله تعالى ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة. »³

• المفعول فيه:

هو ما فعل فيه فعل مذكور لفظاً أو تقديراً من زمان أو مكان.⁴
قال الهلالي في بيان خطأ استعمال "حيث" للتعليل: «بيان ذلك أن "حيث" ظرف مكان، يقال: اجلس حيث يليق بك أن تجلس، أي: في الموضع الذي يليق بك أن تجلس فيه.

قال الراغب: «"حيث" عبارة عن مكان مُبْهَم يُشْرَحُ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي بَعْدَهُ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ ﴾ [البقرة: 144]،

﴿ وَمَنْ حَيْثُ حَرَجْتَ ﴾ [البقرة: 149]. »⁵

قال الهلالي: «وتجيء "حيث" مجرورة بالباء فلا تخرج عن سُنتها، وهي الدلالة على ظرف المكان.

قال شاعر يحث بني العباس على الفتك ببني أمية بعد أن أظفرهم الله عليهم:

أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بِدَارِ الْهَيَّوَانِ وَالْإِنْفِلاسِ⁶

والضمير في "أنزلوها" يعود على "أمية" بمعنى القبيلة، أي: أنزلوا بني أمية بالمكان الذي أنزلهم الله به من الدُّلِّ.

وتجيء أيضاً مجرورة بـ "إلى" كذلك، كقول الأديب إذا سمعوا بهلاك إنسان يكرهونه: «إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم»، وذلك إشارة إلى قول زهير بن أبي سلمى في المعلقة:

فَشَدَّ وَلَمْ يُفْرغْ بِيوتًا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْتِ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ⁷

«وجزم ابن هشام في المغني أن "حيث" قد تدل على الزمان، واحتج على ذلك بقول الشاعر:

حَيْثُ مَا تَسْتَقِمُّ يُقَدِّرُ لَكَ اللَّهُ نَجَاحًا فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ⁹

أما أئمة اللغة جعلوا استعمالها للزمان خطأ، وخصصوها بالمكان، قال في القاموس: «"حيث" كلمة دالة على المكان كـ "حين"»

في الزمان، ويثالث آخره»¹⁰. 11

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 309

2 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 54

3 المصدر السابق. 5/ 250 عن محاسن التأويل للقاسمي. ص 1723

4 ابن القاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 122

5 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. 177، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 54

6 البيت من، وهو لشبل بن عبد الله في الكامل في اللغة والأدب للمبرد. مؤسسة المعارف. بيروت. لبنان. 1423هـ/ 2002م. 2/ 206

7 البيت من الطويل، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه. ص 108

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 55-56

9 البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 8/ 188

10 الفيروزآبادي: القاموس المحيط. ص 168

11 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 57

ولما كان المفعول فيه لا يكون إلا ظرف زمان أو مكان خطأ الهلالي قول بعضهم: «عاش الأحداث»؛ قال الهلالي: «مما شاع في هذا الزمن استعماله قولهم: عاش أحداثها، أي أحداث الأيام، أو أحداث الحرب، وهذا استعمال غير صحيح، لأنَّ الأحداث ليست ظرف مكان ولا زمان حتى تنصب بتقدير "في"، يُقال: عاش مائة سنة، فمائة منصوب على أنه ظرف زمان.

قال الحريري في "ملحة الإعراب":

الظرفُ مَنْصُوبٌ عَلَى إِضْمَارٍ فِي تَقْوِيلِ صَامٍ خَالَ دُ أَيَّامًا
فَاعْتَبِرِ الظَّرْفَ بِذَلِكَ وَاكْتَفِ وَعَاقِبَ ظُفْرًا وَأَقَامَ عَامًا 1

فهذه ظروف زمان منصوبة بتقدير "في" أما الأحداث فليست ظرف زمان ولا مكان، فلا يصحُّ أن تكون منصوبة بإضمار حرف الجر، ولا يصحُّ أن تكون مفعولاً به لـ "عاش" لأنه فعل لازم. 2

ومن المنصوبات أيضاً؛ الحال والاستثناء:

• الحال:

هي الوصف الفضلة المنصوب المسوق لبيان هيئة صاحبه 3، ومن أمثلتها:

• في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ [المؤمنون: 117 - 118]

قال ابن كثير: «يقول تعالى متوعدا من أشرك به غيره، وعبد معه سواه ومخبراً أن من أشرك بالله ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ ﴾ أي: لا دليل على قوله فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ وهذه جملة معترضة وجواب الشرط في قوله: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ أي: الله يحاسبه على ذلك، ثم أخبر ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ أي: لديه يوم القيامة فلا فلاح لهم ولا نجاة.

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ هذا إرشاد من الله تعالى إلى هذا الدعاء، فالغفر إذا أطلق معناه: محو الذنب وستره عن الناس، والرحمة معناه: أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال. 4

وعلق الهلالي بما يلي: «هاتان الآيتان معناهما واضح، وقد أجاد الحافظ ابن كثير في تفسيرهما، وتقدم البرهان على أن من دعا غير الله لقضاء حاجته أو تفريج كربته، فقد اتخذ ذلك المدعو إلهاً، وكفر بالله، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾، ومن تبرك بشجرة أو حجر فقد اتخذها، وقد تقدم بسط ذلك في سورة الأعراف، وقول الإمام ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ ﴾ أنها جملة معترضة عندي فيه نظر، والظاهر أنها صفة لـ ﴿ إِلَهًا ﴾ وهي صفة لازمة، كقول النحاة: خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها، فأطول حال لازمة، والحال أصلها صفة، ويجوز أن تكون هذه الجملة حالاً من ﴿ إِلَهًا ﴾، لأن النكرة إذا وصفت تجيء الحال بعدها،

1 أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري: ملحة الإعراب. ص 27

ويوجد بيت بين البيتين، هو:

وَالكُلُّ مَنْصُوبٌ عَلَى إِضْمَارٍ فِي فَاعْتَبِرِ الظَّرْفَ بِهَذَا وَاكْتَفِ

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 133-134

3 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 223

4 تفسير ابن كثير. 5/ 502 باختصار، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 98

قال الشاعر:

نَجَّيْتَ يَا رَبُّ نُوحًا وَاسْتَجَبْتَ لَهُ
فِي فُلِّكَ مَا خَيْرٌ فِي الْيَمِّ مَشْحُونًا¹

ف "مشحونا": حال من الفلك، لأنها وصفت بماخر، وهي أيضا حال لازمة.²

• قَالَ تَعَالَى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَدَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ﴾ [الفتح: 25]

قال محمد تقى الدين: «﴿وَالْمَدَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ﴾ أي: ومنعوا المهدي حال كونه محبوسا، منعه عن بلوغ محله وهو الموضع الذي يحل نحره فيه وهو مكة»³.

• فضلا عن كذا:

قال محمد رشيد رضا لشكيب أرسلان: «قد تكرر في كلامكم [فضلا عن كذا] لأنه صار من الاستعمال المألوف عند العلماء منذ قرون، ولكن المتقدمين قلما كانوا يستعملونه إلا بعد النفي لما لهم من التخريج النحوي له مع تصريح بعضهم بأنه ليس من كلام العرب؛ فتقدير الكلام في: «فلان لا يملك درهما فضلا عن دينار.» أنه فَقَدَ مَلِكًا درهم فقدنا فضلا وزائدا عن فقد ملك دينار... إلخ، ولا بد أن تكونوا قد اطلعتم على هذا ونسبتموه ولا سيما عند الاستعمال، فجربتم فيه على ما تقرؤون دائما في الكتب والجرائد، وكم وقعت أنا وغيري في مثل هذا.

ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصرارى إلى الماء، «لأنه فضلا عن الشراب يلزمهم لأجل الوضوء.»، فيم تنصب كلمة "فضلا" هنا؟ واستعمال "يلزمهم" هنا بمعنى يحتاجون إليه مما لا أعرف له أصلا في اللغة، وإنما هو عصري حديث، ولكن لا أدري متى كان استعماله، ولعلكم تعرفون له أصلا، فإنني لم أراجع عنه باستقصاء.

ومنه قولكم في وصف غناء أدماء: «وتجود بكل نغمة يترنح لها الجلمود فضلا عن كون الموسيقى الإسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا وكذا تفعل كذا وكذا.» فيجوز أن تكونوا اطلعتم على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال، ويجوز أيضا أن تكونوا قد اطلعتم على نص فيه لم نطلع عليه نحن ولا مثل أبي حيان الأندلسي الذي بحث ما لم نبحت، ولكن ما أظن أنه يسخطكم تغيير هذا الاستعمال أنا وأمثالي بما لا تنكرونه بدليل أنكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ، على أنني لا أتذكر أي غيرت هذا الاستعمال في كل مكان، وإنما عرفت هذين الموضوعين لأنهما مما كنت وضعت عليه علامات الاستنكار.⁴

فأجابه شكيب أرسلان بقوله: «إن استعمال "فضلا عن كذا" بمعنى "زيادة عن كذا" مستفيض في كلام المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تتبع كلام القوم، وإن كنا لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال؟ وقول أبي حيان الأندلسي إنه ليس من كلام العرب لا يدل على عدم جوازه لأننا لو رفضنا كلام المؤلفين من بعد الإسلام إلى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن يعرفها العرب ليس في الأمور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في الأمور المعتادة الاجتماعية أيضا؛ فقد استعمل العرب بعد الإسلام جملا وألفاظا لا يأخذها الإحصاء، لو نشر عرب الجاهلية وألقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا عرفوا المراد منها، حتى إنهم قالوا: إن بدويا سئل عن القلم، فلم يفهم معناه، فقيل له: ماذا تتصور من كلمة القلم، فقال: أتصور أنه شيء يقطع أو يقلم ولا أقدر أن أفهم شيئا وراء ذلك. وبقي العرب بعد الإسلام بكثير يتحامون (تحاماه: تجنبه) كثيرا من الاصطلاحات، قال سيبويه في باب الجموع: «اعلم أنه ليس كل مصدر يجمع كالأشغال والعقول والحلوم والألباب ألا ترى أنك لا تجمع الفكر والعلم

1 البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 8 / 45

2 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 98

3 الهلائي: قبسة من أنوار الوحي. ص 47

4 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 308-309

والنظر.¹ فتأمل الآن لغة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر... والحال أنه لا يكاد الكاتب ينمق بضعة أسطر حتى يضطر إلى ذكر العلوم والأفكار والأنظار، وهي مستفيضة في النظم والنثر، فقولهم "فضلا عن هذا": زيادة على هذا لأن الفضل هو زيادة، وقد رأيت في بعض كتب المتقدمين قوله: فضلا عن كذا وزائدا على كذا، نعم إن أكثر استعمال "فضلا عن كذا" يجيء بعد نفي، ولكن قولهم إن ذلك في الأكثر صريح بأنه قد يجيء أيضا بعد إيجاب.

والسيد رشيد رحمه الله قبل أن يكتب إلينا هذا الاعتراض قرأ ما جاء في "المصباح" فإنه يقول: «لا يملك درهما فضلا عن دينار وشبهه، معناه: لا يملك درهما ولا دينارا، وعدم ملكه للدينار أولى بالانتفاء، وكأنه قال لا يملك درهما فكيف يملك دينارا، وانتصابه على المصدر، والتقدير: فقد ملك درهم فقدا يفضل عن فقد دينار. وقال قطب الدين الشيرازي في شرح المفتاح: اعلم أن فضلا يستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى ويراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى، وأكثر استعماله أن يجيء بعد نفي. وقال شيخنا أبو حيان الأندلسي نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى: ولم أظفر بنص على أن هذا التركيب من كلام العرب، وبسط القول في هذه المسألة، وهو قريب مما تقدم»

وقد نقل الزبيدي في "شرح القاموس" ما ورد في "المصباح" عن قضية "فضلا عنه".

أما سؤال الأستاذ عن إعراب "فضلا" في قولي: «لأنه فضلا عن الشراب يلزمهم لأجل الوضوء»، فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم: «لا يملك درهما فضلا عن دينار»، وتخريجه أن الماء يلزم المسلمين لأجل الوضوء لزوما فاضلا عن لزومه للشرب.

أما استعمال "يلزمه" و"يلزم له" فهو أيضا مستفيض أكثر من استفاضة الأول، ومعنى لزم ثبت ودام، وكأنهم لخطوا أن ما يحتاج إليه الإنسان بصورة دائمة يعد من الأمور اللازمة، أي التي يحتاج إليها الإنسان لزاما، فصار هذا الاصطلاح يفيد معنى الاحتياج ولو لم يكن كذلك في الأصل.

وقد سألت العلامة السيد تقي الدين الهلالي المتقدم الذكر عن جملة: «لأنه فضلا عن الشراب يلزمهم لأجل الوضوء»، فأجاب: «الذي يظهر لي أن هذا جائز، وأن نصبه على المفعولية المطلقة كما ذكرتم سائغ». قال: «وبدائي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالا بمعنى فاضلا من فاعل "يلزم" وتقديم الحال جائز.

قال ابن مالك:

أَوْ صِفَاةً أَشْبَهَتْ الْمُصْرَفَا

وَالْحَالُ إِنْ يُنْصَبُ بِفِعْلِ صُرْفَا

فجائز تقديمه 2.

وهو هنا كذلك فإن «يلزم» فعل متصرف، وأما كون المصدر حالا فكثير.

قال ابن مالك:

بِكَثْرَةِ كَبَغْتَةٍ زَيْدٌ طَلَعُ

وَمَصْدَرٌ مُنْكَرٌ حَالًا يَقَعُ

وفي ذلك خلاف معروف.⁴

1 سبويه: الكتاب. 3/ 619

2 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 46

3 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 45

4 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 309-310

• الاستثناء:

المستثنى هو المخرج بـ "إلا" أو إحدى أخواتها؛ وهي: غير، وسوى، وحاشا، وخلا، وعدا، وليس، ولا يكون¹. قال الهلالي: «من المعلوم أن الاستثناء يكون من مثبت ومنفي؛

مثال المثبت: حضر الطلبة إلا سعيداً، فالاستثناء مُتَّصِلٌ والمستثنى مِنْ مُثَبَّت، فإذا قلنا: حضر الطلبة إجمالاً، فالمستثنى منه مُثَبَّت والاستثناء مُنْقَطِعٌ، لأنَّ الجمل غير داخل في الطلبة. 2،
ومثال الاستثناء من منفي: ما جاء أحد إلا عبد الله. 3
وعلى هذا وجه الهلالي الآيات التالية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23]

قال الهلالي: «والاستثناء منقطع ومعناه نفي الأجر أصلاً.» 4

وقال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86] ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطور: 40]

وقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سبأ: 47] ولكن الاستثناء هنا منقطع، كما قال: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 57] 5

• صيغتا التعجب:

قال محمد تقي الدين: «إن الذي تستعمله العرب في هذا المعنى هو: مَا أَجْمَلَهُ وَأَجْمَلِ بِهِ، وهما صيغتي التعجب.» 6

فـ "ما" مبتدأ، وهي نكرة تامة عند سيبويه، و"أجمل" فعل ماضٍ، فاعله ضمير مستتر عائد على ما، و"الهاء" مفعول أجمل؛ والجملة خبر عن ما 7.

أما "أجمل" فالمشهور عند البصريين أنها فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر، والمجرور بالباء الزائدة وجوبا هو فاعله، وأصل الكلام: أجمل هو، أي صار ذو جمال، ثم أرادوا أن يدلوا به على إنشاء التعجب، فحولوا الفعل إلى صورة الأمر، وزادوا الباء في المسند إليه 8.

ولهذا خطأ قولهم: "كم هو جميل وكم أنا مسرور وما أشبه ذلك"؛ فمصدرها الترجمة الحرفية؛ قال: «وقد راجعت الترجمة

الانكليزية لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175]، وترجمة قوله تعالى في سورة مريم: ﴿أَسْمِعْ

بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: 38]، وترجمة قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ

1 ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 158

2 الاستثناء المتصل: ما يكون المستثنى بعض المستثنى منه، والمنقطع ما لا يكون المستثنى بعض المستثنى منه. الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 242-243

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 211

4 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 116

5 المصدر نفسه. ص 120

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 60

7 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 3/ 123

8 محمد محيي الدين عبد الحميد: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل. مطبوع مع شرح ابن عقيل. 3/ 123

مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴿ [الكهف: 26]؛ وهذه صيغة تعجب، وهي من الله تعالى للتعجب، فوجدت المترجم ترجمها كلها بأدوات الاستفهام، إذ لا يوجد في الانكليزية صيغة تعجب، ومن هنا جاء معظم البلاء. 1 أي من ترجمة الجملة حرفياً.

• اسم التفضيل:

قال ابن عقيل: «يصاغ من الأفعال التي يجوز التعجب منها للدلالة على التفضيل وصف على "أفعل"، فتقول: زيد أفضل من عمرو، وأكرم من خالد، كما تقول: ما أفضل زيدا، وما أكرم خالدا، وما امتنع بناء فعل التعجب منه امتنع بناء أفعل التفضيل منه. 2»

قال الهلالي في معرض حديثه عن خطأ قولهم "والأدهى من ذلك": «قال ابن مالك في الألفية:

وَأَفْعَلُ التَّفْضِيلِ صِلُهُ أَبَدًا تَقْدِيرًا أَوْ لَفْظًا بِمِنْ إِنْ جُرْدًا 3

قال ابن عقيل في شرحه لألفية ابن مالك: «لا يخلوا أفعل التفضيل عن أحد ثلاثة أحوال:

الأول: أن يكون مجرّداً.

الثاني: أن يكون مضافاً.

الثالث: أن يكون بالألف واللام.

فإن كان مجرّداً فلا بد أن تتصل به "مِنْ" لفظاً أو تقديراً، جارة للمفضّل عليه، نحو: زيد أفضل من عمرو، ومررتُ برجل أفضل

من عمرو، وقد تحذف "مِنْ" ومجرورها "للدلالة عليها كقوله تعالى: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: 34] أي وأعزّ نفرا منك 4.

وفهم من كلامه أن أفعل التفضيل إذا كان بـ "ال" أو مضافاً لا تصحبه "مِنْ" فلا تقل: زيد الأفضل من عمرو، ولا زيد أفضل الناس من عمرو. 5»

فتبين أن قولهم: والأدهى من ذلك خطأ، لأن أفعل التفضيل إذا دخلت عليه "ال" لا تلحقه "مِنْ"، ومن العجيب أن أفعل التفضيل في الانكليزية والألمانية جار على هذا المنوال. 6»

ت-التوابع:

التوابع 7 خمسة: عطف بيان، وعطف بحرف، وتأکید، وصفة، وبدل.

1- عطف البيان:

عطف البيان: تابع موضح أو مخصص جامد غير مؤول، ومن أمثلته: أقسم بالله أبو حفص عمر، وقوله تعالى: ﴿ مِنْ شَجَرَةٍ

مُبْرَكَةٍ ذِيئُونَةٍ ﴾ [النور: 35] 8

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 62

2 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 3/ 144

3 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 65

4 في شرح ابن عقيل: «وأعزّ منك [نفرا].» 3/ 146

5 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في النحو والصرف. 3/ 145-146

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 18

7 التابع: هو اللفظ المشارك لما قبله في إعرابه وعامله مطلقا وليس خبرا. الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 245

8 انظر: الفاكهي: شرح كتاب الحدود النحوية. ص 254، وشرح ابن عقيل. 3/ 179

ومنه: قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ زُجُلًا يَنْتَلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ [الطلاق: 10 - 11] قال الهلالي: «وقوله تعالى: ﴿ زُجُلًا يَنْتَلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾، قال بعضهم: ﴿ زُجُلًا ﴾ منصوب على أنه بدل اشتغال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر، وقال بن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيره، ولهذا قال: ﴿ زُجُلًا يَنْتَلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ أي: في حال كونها بينة واضحة جلية.»¹

2- عطف النسق:

قال في اللسان: «النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد.»²، وقال: «النحويون يسمون حروف العطف حروف النسق، لأن الشيء إذا عطف عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحدا.»³، فعطف النسق: تابع يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف 4 مثاله: قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة: 255]

كتب الهلالي: «﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ فاعل، و﴿ السَّمَاوَاتِ ﴾ مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة النائية عن الفتحة، ﴿ وَالْأَرْضَ ﴾ معطوف عليها منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره.»⁵

وقد يأتي عطف النسق للتفسير، ومن أمثله التي ذكرها الهلالي:

• قَالَ تَمَّالِي: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِدِ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: 15 - 16]

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قال بعض المفسرين: إن المذكور في أول الآية هو الرسول ﷺ؛ وقال بعضهم: هو القرآن؛ عطف الكتاب عطف تفسير كقول الشاعر:

ألا جذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعْدُ 6»

• وقال: «إن الله سبحانه أخبرهم بأنه قد جاءهم منه نور وبرهان كما جاء إلى غيرهم، وهذا النور والبرهان هو كتاب الله القرآن، فالعطف عطف تفسير، كما في قول الشاعر:

ألا جذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأي والبعْدُ فالنأي هو البعد،

وقال عنتره:

حِيَّتْ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَنْهُدُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمَّ الْهَيْثَمِ 8

فالإقواء هو الإفقار،

وقال عدي بن زيد:

1 الهلالي: التقديم والرجعية. 1 / 148

2 ابن منظور: لسان العرب. ص 4412

3 المرجع نفسه والصفحة.

4 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 272

5 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 41-42

6 البيت من الطويل، وهو للحطيئة في ديوانه برواية وشرح ابن السكيت (246 هـ). ت: نعمان محمد أمين طه. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر. ط 1. 1407 هـ/1987 م. ص 39

7 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة النيجانية. ص 131-132

8 البيت من الكامل، وهو لعنتره في معلقته، انظر: شرح المعلقات العشر، لأحمد الأمين الشنقيطي. ص 100

فَقَدْتُ الْأَدِيمَ لِرَاهِشٍ يَهُ
وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا 1

والمين هو الكذب، ومثله قوله تعالى في سورة البقرة (53): ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْقُرْآنَ لَمَلِكُمْ نَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾، فالفرقان هو الكتاب. 2

• عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم من تراب.» 3
قال محمد تقي الدين: «قول النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية) العيبة 4 بكسر العين المهملة وكسر الموحدة التحتية مشددة، فياء مثناة من تحت، معناه: ما عطف عليه: التعظيم والتكبر والفخر بالآباء، وفي ذلك برهان على أن الفخر بالآباء من خصال أهل الكفر والجهل، فلا ينبغي للمسلم أن يتصف به.» 5

ويتعين تقدير فعل إذا كان العامل لا يصلح للدخول على المتعاطفين؛ مثاله:
ثبت في الصحيح عن حنظلة أنه لقي أبا بكر الصديق، فسلم عليه أبو بكر فرد عليه السلام ثم قال: كيف حالك يا حنظلة؟ فقال: نافق حنظلة. قال: وما ذاك؟ قال: نكون عند رسول الله يذكرنا بالجنة والنار حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأموال فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: وأنا أيضا أجد مثل ذلك فانطلقا إلى النبي ﷺ فسلم عليه حنظلة فرد النبي السلام عليه ثم قال: كيف حالك يا حنظلة؟ فقال حنظلة: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله: وكيف ذلك؟ فقال: نكون عندك عافسنا الأزواج والأموال فنسينا كثيرا. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم 6، ولكن ساعة وساعة.» 7
قال محمد تقي الدين: «قوله: «عافسنا الأزواج»؛ المعافسة: المصارعة، والمراد الاستمتاع بهن، وعطف الأموال على الأزواج من باب:

عَلَفْتُهُا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا
حَتَّى شَتَّتْ هَمًّا لَّ عَيْنَاهَا 8

أي: علفتها تبنا وسقيتها ماء، وكذلك يقدر فعل في الحديث أي: عافسنا الأزواج وخالطنا الأموال. 9

1 البيت من الوافر، وهو لعدي بن زيد في ديوانه. ت: محمد جبار المعبيد. شركة دار الجمهورية. بغداد. العراق. 1965م. ص 183

2 الهلائي: مباحث في القرآن. ص 89-90

3 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 3955 / 3 / 598

4 قال في اللسان: «عَبِيَّةٌ وَعَبِيَّةٌ أَي كِبْرٌ وَفَخْرٌ، وَعَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ نَخْوَتُهَا وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْكُمْ عُبْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَزَّمَهَا بِأَبَائِهَا» يَعْنِي الْكِبْرَ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَتُكْسَرُ، وَهِيَ فُعُولَةٌ أَوْ فُعَيْلَةٌ؛ فَإِنْ كَانَ فُعُولَةٌ فَهِيَ مِنَ التَّعَبُّبِ لِأَنَّ التَّكْبَرَ ذُو تَكْلَفٍ وَتَعَبُّبٌ خِلَافُ الْمُسْتَرْسِلِ عَلَى سَجِيَّتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ فُعَيْلَةٌ فَهِيَ مِنْ عُبَابِ الْمَاءِ وَهُوَ أَوَّلُهُ وَارْتِفَاعُهُ وَقِيلَ إِنَّ الْبَاءَ قُلِبَتْ يَاءٌ.» لسان العرب لابن منظور. ص 2775

5 الهلائي: التعصب للجنس أو الدين. دون معلومات نشر. ص 4

6 قال محمد تقي الدين: «قوله: «لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم»؛ معناه أن المؤمن إذا ذكر الله خشع قلبه ولان، وصعدت نفسه بالمراقبة إلى الملأ الأعلى حتى حتى كأنه يشاهده كما جاء في الحديث الآخر الذي رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.» وهذه الحالة من المراقبة لا تدوم لأنها لو دامت لعطلت مصالح الجسم وحاجاته، ولذلك قال النبي ﷺ: «ساعة وساعة»: أي ساعة لأداء حقوق الجسد وساعة لأداء حقوق الروح، وليس الاشتغال بحقوق الجسد من النفاق كما توهم حنظلة. «دواء الشاكين وقامع المشككين 5. مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة. العدد الثامن. ذو القعدة 1379 مايو 1960. ص 13

7 رواه مسلم 2750

8 البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في لسان العرب ص 3070

9 الهلائي: دواء الشاكين وقامع المشككين. 13 / 5

3 - البدل:

هو تابع مقصود بالحكم بلا واسطة، وهو أربعة أقسام: بدل كل، وبعض، واشتغال، ومباين وبدل الاشتغال ما كان بينه وبين متبوعه ملابسة غير الكلية والجزئية 7.

قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الذِّكْرَ ذِكْرًا ۝١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ ﴾ [الطلاق: 10 - 11] قال الهلالي: «وقوله تعالى: ﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ ﴾

قال بعضهم: ﴿ رَسُولًا ﴾ منصوب على أنه بدل اشتغال وملابسة لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر.

وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسيره له، ولهذا قال: ﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ ﴾ أي: في حال كونها بينة واضحة جلية. 2»

4 - النعت:

هو التابع لما قبله المشعر بعلامة فيه (أي صفة من صفاته) إن كان حقيقيا، أو فيما تعلق به إن كان سببيا، وهو موضح للمنعوت إن كان معرفة، ومخصص له إن كان نكرة 3، ويسمى الصفة أيضا؛ قال الهلالي: «الصفة في اللغة العربية وفي غيرها تدل على أمرين، على عين متصفة بصفة. 4»، ومن أمثله قول الهلالي في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرَاتُهُمْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ ﴾ [المسد: 4]: «يجوز في ﴿ حَمَالَةَ ﴾ الرفع على النعت، والنصب على الذم بفعل مضمر، وبها قرئ في السبع. 5»

وقد يحذف المنعوت ويبقى النعت؛ ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: 9] قال الهلالي: «اختلف المفسرون في تقدير الموصوف بالتي هي أقوم، هل يكون الطريقة أو الحال أو الملة أو الكلمة؟ والخطب في ذلك سهل لأن هذه الكلمات معناها واحد، فالقرآن والسنة التي هي بيانه يهديان كل أمة تمسكت بهما إلى الطريقة أو الحالة التي هي أكثر استقامة. 6» ويقال: «عمت الفوضى» مثلا؛ قال الهلالي: «قال ابن منظور في لسان العرب في مادة "ف و ض" ما نصه: «وقومٌ فوضى مختلطون، وقيل هم الذين لا أمير لهم ولا من يجمعهم، قال الأفوه الأودي:

لَا يَصْلُحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سِرَاءَ لَهُمْ وَلَا سِرَاءَ إِذَا جَاهَهُمْ سَادُوا 7

وصار الناس فوضى أي متفرقين، وهو جماعة الفائض، ولا يفرد كما يفرد الواحد من المتفرقين، والوحش فوضى متفرقة تتردد. 8»

ومثله في القاموس للفيروز أبادي في مادة "ف و ض" 9.

1 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 261-265

2 الهلالي: التقديم والرجعية. 1 / 148

3 ابن قاسم المالكي النحوي: شرح كتاب الحدود للأبدي. ص 131-132

4 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للخطيب 2. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد الثالث. رمضان 1384 هـ/ جانفي 1965 م. ص 24-25

5 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 23. مجلة دعوة الحق. السنة السادسة. العدد الثاني. جمادى الثانية 1382 هـ/ نوفمبر 1962 م. ص 24

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد 3 / 255

7 البيت من البسيط، وهو للأفوه الأودي في ديوانه. ص 66

8 ابن منظور: لسان العرب. ص 3485

9 الفيروزآبادي: القاموس المحيط. ص 651

فالفوضى من مادة "ف و ض"، ومفردها فائض كما تقدم من كلام "لسان العرب" ومن المعلوم أن الهمزة في فائض منقلبة عن واو. 7

يقول ابن مالك:

وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عَقِلُ يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلُّ 2

قال ابن عقيل في شرحه: «يجوز حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه إذا دل عليه دليل، نحو قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ ﴾ [سبأ: 11] أي دُرُوعًا سابغات، وكذلك يُحذف النعت إذا دل عليه دليل، لكنه قليل، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَتْنِ جِنَّتٌ وَالْحَقُّ ﴾ [البقرة: 71] أي البَيْنِ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: 46] أي النَّاجِينَ. 3

وقال الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك - الشرح ممزوج بالمتن - ما نصه: «وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عَقِلُ» أي عِلِمٌ "يَجُوزُ حَذْفُهُ" ويكثر ذلك في المنعوت "وَفِي النَّعْتِ يَقِلُّ" فالأول شرطه، أما كون النعت صالحاً لمباشرة العامل نحو: ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ ﴾ [سبأ: 11] أي دُرُوعًا سابغات، أو كون المنعوت بعض اسم مخفوض بـ "مِنْ" أو "فِي" كقولهم: "مِنَّا ظَعَنَ وَمِنَّا أَقَامَ"، أي: منا فريق ظعن ومنا فريق أقام، وقوله:

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْشَمِ يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسَمِ 4

أصله: لو قلت ما في قومها أحد يفضلها لم تأثم، فحذف الموصوف وهو أحد، وكسر حرف المضارعة من تأثم، وأبدل الهمزة ياءً، وقدم جواب "لَوْ" فاصلاً بين الخبر المقدم؛ وهو الجار والمجرور، والمبتدأ المؤخر وهو أحد المحذوف، فإن لم يصلح ولم يكن المنعوت بعض ما قبله من مجرور بـ "مِنْ" أو "فِي" امتنع ذلك؛ أي إقامة الجملة وشبهها مقامه الأصلي إلا في الضرورة كقوله:

لَكُمْ قِيصُهُ مِنْ بَيْنِ أَثَرِي وَأَفْتَرَا 5

وقوله:

تَرْمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ 6

وقوله:

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقْيِشِ يُفَعِّعُ بَيْنَ رَجُلَيْهِ بِشْنٌ 7 8

فظهر مما نقلته من كلام النحويين أنه يجوز حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه بكثرة، بشرط أن تصلح الصفة التي حذف موصوفها لمباشرة العامل، بأن لا تكون جملة ولا شبه جملة، مع كون الموصوف فاعلاً أو مفعولاً أو مجروراً أو مبتدأً، لأن الجملة لا تصلح لذلك، قاله الخضري 9 في حاشيته على ابن عقيل. 10

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 164-165

2 ألفية ابن مالك في النحو والصرف. ص 67

3 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في النحو والصرف. 3/ 169

4 البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في لسان العرب (قعم) ص 3695

5 البيت من الطويل، وهو للكاتب بن زيد في ديوانه ص 155

6 ابن منظور: لسان العرب. (كون) ص 3960

7 البيت من الوافر، وهو للناطقة الذبياني في ديوانه. ص 126

8 حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. 3/ 102-103-104

9 حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 2/ 56

10 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 165-166

ثم شرح الهلالي الشواهد، فقال: «قوله: لكم قِبْصَةٌ... البيت، وصدرة: لكم مسجداً الله المزوران والحصى، والحصى: العدد الكثير، وقِبْصَةٌ بكسر القاف أيضاً العدد الكثير من الناس، والشاهد في قوله: "من بين أثنى"، والتقدير: من بين رجل أثنى أي كثر ماله، ورجل "أقتر" أي قَلَّ ماله، فحذف الموصوف، وأقام الصفة مقامه، مع أن الموصوف ليس بعض اسم مجرور بـ «من» أو «في» لضرورة الشعر.

وقوله: ترمي بكفِّي... البيت، التقدير: ترمي بكفِّي رجل كان من أرمي البشر، فحذف الموصوف وهو رجل وأقام الصِّفَة مقامه، وهي جملة كان، وإنما فعل ذلك للضرورة كالذي قبله.
قوله: كأنك من جمال بني أُقَيْش... البيت،

بنو أُقَيْش بصيغة التصغير حي من العرب، وزعم بعضهم أنهم حيٌّ من الجن، وإبلهم وحشية شديدة النَّفُور، وزعموا أنها كانت هي أيضاً من الجن، والشَّنَّ القربة اليابسة، ويقعقع يُصَوِّت، وجمال هذه القبيلة تنفر بدون سبب، فكيف إذا صَوَّتَ مَصَوَّتَ بين أرجلها بضربه قربة يابسة، وأراد الشاعر ذم المهجو ووصفه بسرعة الغضب، والشاهد في حذف الموصوف للضرورة، والتقدير: كأنك جملٌ من جمال بني أُقَيْش، فإن قلت: وما الذي يضطرنا إلى تقدير هذا الموصوف، مع أن الكلام يتم بدونه؟ أقول: لو لم نقدره لم يكن في البيت ما يعود عليه ضمير رجله، ولا بد له من شيء يعود عليه. 1

وقال: «نقول: عَمَّتِ الْفَوْضَى؛ أي الأحوال الفوضى لا الحال، لأن الحال مفرد والفوضى صفة للجمع كما تقدم في كلام لسان العرب، وهو كقوله تعالى في سورة سبأ (10-11): ﴿وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٥﴾ أَن أَعْمَلْ سَكَيْتَ﴾ الآية، يخبر الله تعالى أنه ألان الحديد، أي جعله ليناً لداود قائلاً له: اعمل دروعاً واسعات، ففي كلامي حذف الأحوال وهي فاعل وأقيمت صفتها مقامها، وفي كلام العلي العظيم حذف دروعاً وهي مفعول به، وأقيمت سابغات مقامها،

قال الله تعالى في سورة المائدة (38): ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ الآية، أي الرجل السارق والمرأة السارقة، وقال تعالى في أول سورة النور: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: 3] أي الرجل الزاني لا ينكح إلا امرأة زانية، أو امرأة مشركة، وقال تعالى في سورة البقرة (280): ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، أي: إن وُجد شخص مدين ذو عسرة لا يجد ما يؤدي به دينه، فلا تُضَيِّقُوا عليه و أمهلوه إلى أن يتيسر له قضاؤه. 2

• الصفة جملة أو شبه جملة:

قال الهلالي: «أما إذا كانت الصفة جملة أو شبه جملة، فيشترط لحذف الموصوف بها أن يكون بعض اسم مجرور بـ "من" أو "في"؛ مثال المجرور بـ "من" قول العرب: "منا أقام ومنا ظعن"، أي: منا فريق ظعن أي سافر ومنا فريق أقام، فـ "فريق" الذي هو موصوف محذوف وهو بعض ما يدل عليه الضمير "نا" المجرور بـ "من"، ومثال المجرور بـ "في" قولهم: "فينا سلم وفينا هلك"، أي فينا فريق سلم وفينا فريق هلك، وفيما سوى ذلك لا يجوز الحذف.

1 المصدر نفسه. ص 168-169

2 المصدر نفسه. ص 166-167 باختصار

قوله: لو قلت ما في قومها... البيت، قاله أبو الأسود الحماني يصف المرأة بالحسب والجمال، والموصوف المحذوف هنا تقديره: "أحد"، أي: لو قلت أيها المعجب بجمالها وكماها: ما في قومها أحد من النساء في الحسب وهو مفاخر الآباء، والميسم وهو الجمال لم تأثم، لأنك صادق في قولك، والمحذوف هنا وهو "أحد" بعض اسم مجرور بـ "في" 1.

• اعتراض على ابن عقيل:

قال تقي الدين الهلالي: «إنَّ تمثيل الإمام ابن عقيل لحذف النعت أي الصِّفة بقوله تعالى في سورة البقرة 71: ﴿قَالُوا لَئِن جِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: 71] أي البين، فحذفت الصفة وهي "البين" تمثيل غير صحيح، لأن موسى قال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بقرَةً قَالُوا أَنَّنَجِدُنَا هَزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67] فلم يكن بنو إسرائيل يعتقدون أن موسى أجابهم في أول الأمر بالحق المبهم، وفي آخر الأمر بالحق البين، بل ظنوا أنه يتخذهم هزؤًا، وفهم موسى ذلك من كلامهم، فاستعاذ بالله منه، وعده من الجهل وهو السَّفه.

وكذلك تمثيله بقوله تعالى في سورة هود (46): ﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي النَّاجين، لا حاجة إلى تقدير هذا النعت، لأن نوحًا عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45] لم يُرد بذلك أن يُخبر أن الابن الهالك من ذريته، وإنما أراد أن يقول: إنه من أهله الذين يستحقون الرحمة والعفو لقربه من رسول الله نوح أحد أولي العزم، فأخبره الله أن ذلك الابن ليس من المؤمنين بما جاء به أبوه، فلا يستحق النَّجاة ولا الرحمة بالقرابة المجردة، فإنَّها لا قيمة لها عند الله، قال تعالى في سورة الطور (21): ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللّٰهِ لَمْ يَلْعَنَّا لَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

والصواب ما مثل به الأشموني حيث قال: والثاني كقوله تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: 79] أي: كل سفينة صالحة،

وقوله:

فَلَمَّ أَغْطَ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعِ 2

أي شيئًا طائلاً،

وقوله:

مُهَفِّهَةً لَهَا فَرْعٌ وَجِيدٌ 3

وَرَبِّ أَسِيلَةَ الْخَيْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ 4

أي فرع فاحم، وجيد طويل.

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 167-168

2 عجز بيت من المتقارب، وهو للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه في لسان العرب (درأ) ص 1347

3 البيت من الوافر، وهو للمرقش الأكبر في ديوان المرقشين. ت: كرين صادر. دار صادر. بيروت. ط1. 1998م. ص 52

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 171-172

• وصف الجمع بالمفرد وبالجمع:

يرى الهلالي أن وصف الجمع بالمفرد خطأ؛ قال: «من الأخطاء اللغوية وصفهم الجمع بالمفرد، فيقولون: رايات بيضاء، وإبل حمراء، والكتب الصفراء، والصّواب: رايات بيض، وإبل حمر، وصحائف صفر، قال الله تعالى في سورة فاطر (27): ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّ سُودٌ﴾ [فاطر: 27]...»

وقال تعالى في سورة المرسلات (33): ﴿كَأَنَّهُمْ بِمَحَلَّتِمْ صَفَرٌ﴾ [المرسلات: 33] ولم يقل صفراء.¹

هذا في الألوان أما في غيرها فقد ورد وصف الجمع بالمفرد؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَرُّهُ يُشْمِنُ بِحَسَنِ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: 20]، وقال:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢٤﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِيَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الغاشية: 2 - 3]، وقال امرؤ القيس:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجج
2

5 - التوكيد:

هو تابع يقصد به كون المتبوع على ظاهره³؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «إطلاق التوكيد في كتب النحو على التابع مجاز من باب باب إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل؛ لأن التابع موكّد بكسر الكاف للمتبوع، فإذا قلنا: جاء زيدٌ نفسه أو عينه لدفع احتمال أن يكون المراد: جاء كتابه أو رسوله، فإنَّ النَّفْسَ والعين مؤكّدتان لمجيء زيدٍ حقيقة لا مجازاً.»⁴

وهو قسمان: معنوي، ولفظي:

• التوكيد المعنوي:

ومثاله قول الهلالي فيما سبق: «إذا قلنا: جاء زيدٌ نفسه أو عينه لدفع احتمال أن يكون المراد: جاء كتابه أو رسوله، فإنَّ النَّفْسَ والعين مؤكّدتان لمجيء زيدٍ حقيقة لا مجازاً.»⁵، فالتوكيد رفع توهم مضاف إلى المؤكّد، ومنه ما يرفع توهم عدم إرادة الشمول، والمستعمل والمستعمل لذلك: كل، وكلا، وكلتا، وجميع.⁶

وخطأ أن يقال "نفس الشيء" يقصد به التوكيد؛ قال محمد تقي الدين الهلالي منتقداً: «قال حسين أحمد: وهم يعتقدون أن نفس ذكر ولادة النبي ﷺ أمر قبيح وبدعة.»

قال محمد تقي الدين: قوله: «نفس ذكر» خطأ في اللغة ارتكبه كثير من المؤلفين العرب الذين هم أفضل منه فلا لوم عليه، وإنما يقال في الفصح أن ذكر ولادة النبي ﷺ نفسه على طريقة التوكيد لأن الذكر لا نفس له.»⁷

• التوكيد اللفظي:

عرفه ابن عقيل بقوله: «هو تكرار اللفظ الأول بعينه، اعتناء به.»⁸

ومثلاً في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل

عمران: 18] قال الهلالي: «إن الله سبحانه وتعالى كرر قوله مرتين في موضع واحد للتوكيد.»⁹

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 49-50

2 البيت من الطويل، وهو في معلقة امرئ القيس. ديوان امرئ القيس وملحقاته، بشرح: أبي سعيد السكري (275 هـ). ت: أنور عليان أبو سويلم، و: محمد علي الشوابكة. مركز زايد للتراث والتاريخ. العين. الإمارات العربية المتحدة. ط1. 1421 هـ/2000م. 1/ 214

3 الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 255

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 132

5 المصدر نفسه والصفحة.

6 انظر: شرح ابن عقيل. 3/ 170-171

7 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 34

8 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. 3/ 176

9 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 252

والخلاصة أن الجملة العربية تتكون من مسند ومسند إليه وفضلة وتابع، ومما يسهم في ارتباط جمل الخطاب عود الضمير.

• عود الضمير: مما يسهم في ترابط جمل النص عود الضمير، وله أثر في فهم الخطاب؛ ومن أمثلته:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ ءَأْتَيْتَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: 21 - 22]

قال ابن كثير: «يقول تعالى منكراً على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة: ﴿ أَمْ ءَأْتَيْتَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل شركهم ﴿ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: فيما هم فيه، أي: ليس الأمر كذلك.»¹
قال الهلالي: «قول الحافظ ابن كثير: «أي: من قبل شركهم.» تفسير لما يعود عليه الضمير، في قوله تعالى من قبله، وعندني فيه نظر، والذي يظهر أن يعود على القرآن وإن لم يتقدم له ذكر، فهو كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ [القدر: 1] وقد تقدم ذكر القرآن، إلا أنه بعيد، والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿ أَتَتُوبِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَبَّرْتِ عَلِيمَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقاف: 4] ثم نظرت في "البيضاوي" فوجدت كلامه مطابقاً لما رأيته²، والكمال لله.³

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أُسْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتُفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٧﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: 60 - 64]

قال ابن كثير: «﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ الآية؛ يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال: ﴿ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [النساء: 64].»⁴

قال محمد تقى الدين: «قول ابن كثير: «يرشد تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول.» إلى آخره، خطأ عظيم لأن الضمائر السبعة تعود على المتحاكمين إلى الطاغوت التاركين التحاكم إلى الله ورسوله، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: 65] فهذه ستة ضمائر تضاف إلى السبعة المتقدم ذكرها، فيصير المجموع ثلاثة عشر ضميراً كلها للمنافقين، وفي هذا حث لهم على التوبة من نفاقهم إلى الله تعالى، ومن كمال توبتهم أن يجيئوا إلى الرسول ﷺ ويسألوا العفو عن الصدود الذي وقع منهم والإعراض عن التحاكم إليه ويلتمسوا أن يستغفر الله لهم، وليس الكلام في عامة العصاة والمذنبين كما توهم الحافظ ابن كثير والكمال لله، لأن ذلك يقتضي أن كل من أذنب ذنباً في حياة النبي ﷺ مأمور أن يأتي إلى النبي ليستغفر له، وهذا غير صحيح.⁵

1 تفسير ابن كثير. 7 / 224، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 267

2 قال البيضاوي: «﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ من قبل القرآن أو ادعائهم.» حاشية محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 7 / 460

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 272

4 تفسير بن كثير. 2 / 347، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 42

5 المصدر نفسه. 3 / 44

المبحث الثالث:

التفسير اللغوي:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

التفسير الفبوي

المطلب الثاني:

التفسير عند السلف

المطلب الثالث:

التفسير عند تقي الدين الهلالي

المطلب الأول:

التفسير النبوي

إن أول من فسر القرآن الكريم هو رسول الله ﷺ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: 44]، والتفسير النبوي: ما نص فيه النبي ﷺ على التفسير صراحة، وما عدا ذلك فهو من التفسير بالسنة 1؛ أي أن التفسير بالسنة اجتهاد.

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

فسر النبي ﷺ القرآن بالقرآن؛ ومن أمثلته: في قول الله ﷻ: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: 82] «قال البخاري بسنده عن علقمة عن عبد الله قال: «لما نزلت: ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس للذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ يَبْتَغِي لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِبْرَأَتُ الشِّرْكَ لَظْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: 13] إنها هو الشرك.» 2

ثانياً: تفسير القرآن بالحديث:

وفسر النبي ﷺ القرآن الكريم بأقواله وأفعاله؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «السبع المثاني هي الفاتحة على الراجح من أقوال المفسرين، بل على ما فسره النبي ﷺ نفسه، كما في البخاري 3.» 4

وقال: «قال تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: 7] والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى 5.

وقد أخبر النبي ﷺ أن بعض هذه الأمة المحمدية يتبع سنن اليهود، وبعضهم يتبع سنن النصارى، وبعضهم يتبع سنن المجوس، وبعضهم يتبع سنن المشركين عبدة الأوثان، ولا ينجو من ذلك أحد إلا من اتبع الكتاب والسنة الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان، وكان في اعتقاده وأعماله الدينية كما كان أصحاب رسول الله ﷺ 6.

وقال الهلالي: «قال الله تعالى في سورة الأحزاب (33): ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [آية: 33]، أخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة قالت: «خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مُرَحَّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه، ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ الآية.» 7. 8

1 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 64

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 347، والحديث رواه البخاري 32

3 انظر البخاري 4474

4 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 116

5 قال رسول الله ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال.» صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 2954. 3/ 183

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 8

7 رواه مسلم 2424

8 الهلالي: أئمة الدولة العلوية وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم ﷺ. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الحادية عشر. العدد الرابع. ذو القعدة 1387هـ/ فيفري

1962م. ص 30

وقال: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٥٥ ﴾ [الكهف: 105] قال البخاري بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليأتين الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٥٥ ﴾ [الكهف: 105] 1 «2

ثالثا: التفسير اللغوي:

هل ورد عن النبي ﷺ تفسير لغوي؟

أجاب الأستاذ مساعد بن سليمان الطيار: «لقد استقرأت التفسير النبوي 3 للقرآن الكريم، ووجدت أنه ﷺ لم يفسر للصحابة من ألفاظ القرآن إلا ما احتاجوا إليه، وهو قليل، ومن ذلك: تفسيره معنى الوسط في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: 143] قال: «والوسط: العدل.» 4

ومنه تفسيره الخيط الأبيض والأسود في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187] عندما أشكل على عدي بن حاتم، ففسره له ﷺ بأنه بياض النهار وسواد الليل. 5

وهذا يعني أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتأولون القرآن على ما يفهمونه من لغتهم؛ لوضوح ذلك عندهم، فإذا أشكل عليهم منه شيء سألوا رسول الله ﷺ؛ كما حدث من عدي بن حاتم. 6

فالتفسير باللغة إذا لم يعارض التفسير النبوي منهج الصحابة؛ قال محمد تقي الدين الهلالي في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝٧ ﴾ [الغاشية: 17]: «تفسير ﴿ الْآيَاتِ ﴾ بالسحائب، إن صح لغة، ولم يصادم تفسيراً نبوياً صحيح الإسناد فهنالك مجال لتسليمه.» 7

وفي مناظرة مع شيعي يقول الهلالي: «قال لي شيخهم: أليس علي نفس النبي بنص القرآن؟!»

فقلت: وضع لي ما تقول كيف يكون علي نفس للنبي؟ فأخذ يتعنع ويكرر أنفسنا وأنفسكم، ولم يعرف أحد منهم آية المباهلة لا الشيخ ولا غيره فعلمت أنه لا يحفظ القرآن أحد منهم،

فقلت لهم: أنا أذكر لك الآية التي تريدون، قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١ ﴾

فقالوا جميعاً: هذه الآية التي نريد وهي حجة عليكم فإن قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾ المراد به علي بن أبي طالب.

فقلت لهم: إن نفس النبي ﷺ هي النبي ولا تتحمل الدلالة اللغوية غير ذلك فما هو دليلكم من جهة النقل أو اللغة على أن علياً هو نفس النبي ﷺ؟

فقالوا: هذا ثابت في التفاسير.

فقلت: أنا لا أسلم به إلا إذا ثبت عن النبي ﷺ بسند صحيح. 8

1 رواه البخاري 4729، ومسلم 2785

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 22 / 2

3 التفسير النبوي: ما نص فيه النبي ﷺ على التفسير صراحة؛ أما ما عدا ذلك فإنه يعد تفسيراً بالسنة، وهو يشمل كل إفادة يستفيد منها المفسر من السنة النبوية، سواء أكانت قولاً، أم فعلاً، أم تقريراً، ومثل ذلك ما يذكره بعض المفسرين من أحاديث تناسب معنى الآية، مع أن الحديث لم يرد تفسيراً صريحاً من النبي ﷺ للآية. منه

4 البخاري 3339

5 البخاري 1916

6 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 64-65

7 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضاً. ص 4

8 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 198

المطلب الثاني:

التفسير عند السلف

قال محمد تقي الدين الهلالي: « الصحابي هو من رأى النبي ﷺ مسلماً ومات على ذلك. »¹

وقد تصدى بعض الصحابة لعلم التفسير، وتبعهم التابعون وأتباعهم

وإذا أطلق مصطلح السلف في علم التفسير، فإن المراد به علماء هذه الطبقات الثلاث. 2

وسأل سائل الهلالي: ماذا يُقال في ترجمة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]؟

فأجاب: «يقال في ترجمتها ما يُقال في تفسيرها، وما تدل عليه في اللغة وتفسير السلف وهو معلوم، وقد خاطب الله العرب به. »³

• التفسير اللغوي عند السلف:

للسلف في التفسير اللغوي طريقتان: الأولى: أسلوب التفسير اللفظي، والثاني: أسلوب الوجوه والنظائر، ومنه:

قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًا﴾ [١] فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا [٢] فَالْتَلِيَاتِ ذِكْرًا [٣] إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ [٤] رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ [٥]﴾ [الصفات: 1- 5]

«الصفات» هم الملائكة الجماعات الصافات المصطفة صفوفاً، وروى مسلم وغيره عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: «ألا تُصَفُّون كما تصف الملائكة عند ربهم؟»، قلنا: كيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ: «يتمون الصفوف

المتقدمة، ويتراصون في الصفوف. »⁵

قال محمد تقي الدين: فسر السلف ﴿وَالصَّافَاتِ﴾ بجموع الملائكة، تصطف عند ربها و«الزاجرات» بالآيات القرآنية التي تزجر

الناس عن معصية الله، و«التاليات ذكراً» بالملائكة تتلو كلام الله على الأنبياء والأنبياء يتلونه على أممهم، أقسم الله سبحانه بهذه

الأقسام على أنه إله واحد، وأن كل إله اتخذ من دونه، فعبادته ضلال يفضي إلى الهلاك. »⁶

وتفسير «الصفات» بالملائكة يصلح مثالا لتفسير القرآن بالسنة.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ تَرَأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [٢٩]﴾ [لقمان: 29]

قال ابن كثير: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قيل: إلى غاية محددة، وقيل: إلى يوم القيامة، وكلا المعنيين

صحيحين، وقال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس أنه قال: «الشمس بمنزلة الساقية، تجري في السماء بالنهار في فلکها، فإذا غربت

جرت بالليل في فلکها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها، وكذلك القمر. » إسناده صحيح 7. 8

قال محمد تقي الدين الهلالي: «تفسير ابن عباس لجريان الشمس يعلم منه أن الشمس حين تغيب عن قوم تطلع على آخرين، فهي

تجري دائماً ليلاً ونهاراً حتى ينتهي عمرها، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]. »⁹

1 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 154

2 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. 57- 58 بتصرف، وانظر: الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 15. مجلة دعوة الحق المغربية.

السنة العاشرة. العدد الأول. رجب 1386 هـ/ نوفمبر 1966 م. ص 21

3 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضاً. ص 6

4مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 67

5 رواه مسلم 430

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 203

7 قال محقق "سبيل الرشاد" مشهور حسن: «إسناده رجاله ثقات، إلا أن أبا صالح كاتب الليث كثير الغلط، وكانت فيه غفلة.» سبيل الرشاد. 2/ 175

8 تفسير بن كثير. 6/ 350، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 175

9 المصدر نفسه. 2/ 177

المطلب الثالث:

التفسير عند تقي الدين الهلالي

أولاً: التفسير بالمأثور:

نقل ما سبق من أنواع التفسير يسمى تفسيراً بالمأثور، لأنه أثر عن المفسرين السابقين، وقد أكثر منه الهلالي في تفسيره "سبيل الرشاد في هدي خير العباد"؛ مثاله:

قال محمد تقي الدين: «قال علماء التوحيد: الطاغوت: مأخوذ من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد في الكفر والضلال والإضلال، ومنه الطاغوت، جاء في "لسان العرب": «قال الشعبي وعطاء ومجاهد: «الجب: السحر، والطاغوت: الشيطان والكاهن وكل رأس في الضلال، قد يكون واحداً، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: 60]، وقد يكون جمعاً» 7، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: 257].» 2 قال ابن كثير: كثير: «ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات لأن الحق واحد، والكفر أجناس كثيرة.» 3

ثانياً: تفسير القرآن بالقرآن:

قال الهلالي في قول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 6-7]: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١﴾ الفاتحة: 6 جاء في القرآن العظيم في مواضع كثيرة، وهو طريق ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ٦﴾ [النساء: 69]، وبالنسبة إلى هذه الأمة هو ما كان عليه رسول الله ﷺ في أمور الدين، أما أمور الدنيا فللمسلم أن يتصرف فيها كما يريد في الحرث والتجارة والزراعة، فقد قال النبي ﷺ في قضية تلقيح النخل، حين نهاهم عنه فتركوه، ففسد التمر وصار شيصاً، فأخبر النبي ﷺ: «إذا حدثتكم عن الله فخذوا به، فإني لا أكذب على الله، وأنتم أعلم بأمور دنياكم.» 4 «5 وقال: «قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَابْنًا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلُوبَ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَنْ أَسْرَبَ أَكْثَرُ أُولَئِكَ﴾ [الشورى: 6]، وقال تعالى فيها أيضاً: ﴿أَمْ أَلْمَزْتَهُم بِإِذْنِ اللَّهِ فَقَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ خَلْقًا وَمَا يَلْمِزُكَ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا رِجَالًا مَّوَدَّعِينَ﴾ [الشورى: 9] وأمثال هاتين الآيتين كثيرة جداً في القرآن.

والمراد بلفظ ﴿مِن دُونِهِ﴾ في آيتي الشورى هو بعينه المراد بـ ﴿غَيْرِ اللَّهِ﴾ في آية الأنعام فهذا تفسير القرآن بالقرآن. 6 وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِّلْمُتَّسِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٢﴾ [يونس: 12] قال محمد تقي الدين: «الذي يظهر لي أن المراد بالإنسان هنا الكافر كما

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 2678-2679

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 228

3 تفسير ابن كثير. 1/ 685، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 230

4 عن طلحة رضي الله عنه قال: «مرت مع رسول الله ﷺ يقوم على رؤوس النخل، فقال ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلحقونه؛ يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح. فقال رسول الله ﷺ: ما أظن يغني ذلك شيئاً. قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل.» رواه مسلم 2361

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 7

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 152-153

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ [الزمر: 8]. 1

ثالثا: تفسير القرآن بالسنة:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «لما كان القرآن يفسر بأقوال النبي ﷺ وأفعاله وجب علينا أن نفسر هذا الأمر بأقوال النبي ﷺ وأفعاله فإنه أعلم بما أنزل إليه، وقد قال الله تعالى في سورة النحل (44): ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴿٤٤﴾ ». 2

رابعا: تفسير السنة بالسنة:

قال محمد تقي الدين: «حديث النبي ﷺ لا ينقض بعضه بعضا، بل ينصر بعضه بعضا». 3
ومن أمثلة تفسير السنة بالسنة قول الهلالي: «جاء في الحديث الصحيح: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». 4 لأنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث: «فيعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس». 5. 6

خامسا: التفسير اللغوي عند الهلالي:

تفسير النبي ﷺ والسلف مقدم على التفسير اللغوي؛ قال الهلالي: «الأصل فيما وقع قبل الإسلام أن يأتينا من طريق النبي ﷺ، فإذا لم نجد خبرا مرفوعا إليه ونضاربت الآراء، توكلنا على الله وفسرنا القرآن بما يظهر لنا من اللفظ». 7
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَمَعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَعْطَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَإِنِّي أَعْلَمُ رِيكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ [الرحمن: 33 - 35]
قال البيضاوي: «﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ ﴾ هب ﴿ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ ﴾ ودخان، قال:

تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا 8» 9

قال محمد تقي الدين: «قوله: «تضيء كضوء سراج السليط.» السليط: هو الزيت، والنحاس: الدخان، وإذا لم يجرى في هذه الآيات تفسير عن النبي ﷺ، وقد اختلف المفسرون فيها، فلا حرج علينا أن نفسرها بما يوافق لغة العرب، وواقع علم الهيئة، ففيها تحد للجن والإنس أنهم مكبلون بقدرة الله في هذه الأرض، لا يستطيعون أن يخرجوا عن قضاء الله، وما لهم مهرب ولا محيص، فإن الله

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 511

2 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 29

3 المصدر السابق. 1 / 489

4 أخرجه البخاري 3332، ومسلم 2643

5 أخرجه البخاري 2898، ومسلم 112

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 195

7 المصدر نفسه. 1 / 405

8 البيت من المتقارب، وهو للناطقة الجعدي في ديوانه. ت: واضح الصمد. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. 1998م. ص 100

9 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 8 / 65

ربط حياتهم وسلامتهم بهذا الغلاف الجوي، لا يستطيعون اختراقه، والخروج عنه إلا بقوة من الله تعالى يمنحهم إياها متى شاء على القدر الذي يريده.

أما الأرض فقد سخرها لهم وجعلها واسعة مذللة، وأذن لهم أن يمشوا في مناكبها، وبأكلوا من رزقه في جميع أرجائها، برها وبحرها، لا حرج عليهم.

أما الخروج عنها فلا يمكنهم إلا بالقدر الذي يريده الله ويشاؤه، وبالسلطان الذي يمنحهم، مع بقائهم مرتبطين بالأرض، منها يتزودون غذاء وهواء وأخباراً وإليها يرجعون اضطراراً.

فكل سفينة تسعى لاختراق هذا الجو المحيط بالأرض الذي هو جو الحياة المحفوظ من الآفات الساوية، من الشهب والنيازك والإشعاع القاتل تعرض نفسها للاحتراق بالنار والنحاس، فإن شاء الله منحها سلطاناً تغلب به وتنتصر على الشواظ من النار والنحاس، وإن لم يشاء احترقت وتلاشت، فسبحان العزيز العليم. ¹

• الشواهد اللغوية:

قال الهلالي في انتقاد معترض عليه: «يا لله للعجب، من جهل هذا المعترض بقواعد النقد، كيف يحتج بكلام المؤلفين من الفقهاء، كأنّ كلامهم قرآن، أو حديث نبوي، أو شعر امرئ القيس أو النّابغة الذّبياني؟ ومن قال لك أن كلام الفقهاء حجة في اللّغة العربية؛ يُرجع إليه ويُعتمد في الحكم عليه؟

كان يجب عليك قبل أن تتصدى للاعتراض أن تعلم أن الحجّة إنّما هي فيما صحّ عن العرب في جاهليتهم، وفي دولة النبي ﷺ والخلفاء ودولة بني أمية قبل أن يختلط العرب بالأعاجم، وتفسد ألسنتهم، أمّا كلام المولدين ولو كانوا من فحول الأدباء والشعراء كابن الرومي والبحثري والتمنبي، بل بشار بن برد أيضاً لا يحتج بشعره مع قرينه من العصر الأموي.» ²

وقال: «المعصوم من الخطأ عند علماء هذا الشأن هو القرآن وما صحّ من كلام العرب الخالص إلى آخر عهد بني أمية قبل أن يفشو اللحن والخطأ، وتختل اللغة.» ³

فلا اختلاف في الاحتجاج بشواهد القرآن الكريم، وكلام العرب من شعر ونثر إلى آخر عهد بني أمية، واختلفوا في الاحتجاج بالحديث؛ قال الهلالي: «أما الحديث فقد اختلف علماء اللغة والقواعد في الاحتجاج به لأن بعض الرواة يرونه بالمعنى لعدم حفظهم الألفاظ التي سمعت من النبي، ولأن الحديث لم يكتب ويدون في كتب محفوظة إلا في العهد العباسي الذي لا يحتج بكلام أهله، وقد ذهب ابن مالك وجماعة إلى الاحتجاج به.» ⁴

والذي أميل إليه هو مذهب ابن مالك، لأن ما أورده المعترضون على الاحتجاج بالحديث وارد على الشعر العربي أيضاً؛ قال الهلالي: «أما الشعر العربي ففيه شك لأنه لم يكتب ويجمع إلا بعد انقراض العرب الذين يحتج بكلامهم، وأما ما قيل أن المعلقات السبع كانت مكتوبة ومعلقة في الكعبة فحديث خرافة.» ⁵

وخلص الهلالي إلى القول: «إن القرآن هو أصل الأدب العربي لبلوغه حد الإعجاز في البلاغة ولما يشتمل عليه من العلوم والحكم والأمثال التي لا ينبغي للأديب أن يجهلها، وقد اشتغل الأجانب بمباحث القرآن، فألفوا فيها كتباً كثيرة؛ إذا أردت الاطلاع عليها

1 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 87-88

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 150-151

3 المصدر نفسه. ص 104

4 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 28

5 المصدر نفسه والصفحة

فاقرأ ما كتب في الموسوعات عند لفظة "قرآن" فهو العار على أبناء العرب أن يكونوا أبعد عن هذا الكتاب وأجهل به من الأجانب.¹

فيفهم من كلامه أن الأصل في الاحتجاج هو القرآن، ويليه كلام العرب في عصر الاحتجاج، والحديث مثله؛ وإن لم يدونا إلا في العصر العباسي.

• التفسير اللفظي عند الهلالي:

لا يصح أن يستشهد على المعنى بما في المعاجم المتأخرة، خاصة إن كان أصحابها غير أمناء في النقل؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «بينما أنا أراجع في "المنجد" لفظة وقع بصري على لفظ الطلقاء فإذا بالأب الحنون على أولاده طلبة الأدب العربي يقول فيه ما نصه: «الطلاق الذين أدخلوا في الإسلام كرها»²، فاستغربتُ هذا التفسير وأخذ مني العجب مأخذه، ولم أشك قبل مراجعة كتب اللغة وشرح الحديث أنها دسيصة فضيعة من هذا الأب، وكنت إذ ذاك في المكتبة القيمة لأبناء المرحوم الشيخ شرف الدين، وحوالي نفر يطالعون جريدة "الفتح" الغراء ساعة وصولها، فنبهتهم إلى تفسير جناب الأب الشفوق، وأخبرتهم أنها دسيصة من جنابه، فطلبوا مني أن أكتب في ذلك مقالة لتنتشر في صحيفة "الفتح" الغراء، ليحذر المتأدبون وخصوصا النشء هذه الدسائس الفظيعة، فقلت لهم: لا حتى تراجع كتب اللغة ونظر ما قاله العلماء في هذه اللفظة غدا.

فزرتُ المكتبة في غد ذلك اليوم، فذكروني الوعد، فطلبت معاجم اللغة، فكان أول معجم جاؤوني به كتابا لم أره ولم أسمع به قبل يسمى "المُعْتَمَد" مؤلفه جرجي شاهين عطية، فقلت: هذا من حسن الاتفاق لأن إسم هذا المؤلف يدل على أنه مسيحي أيضا، فننظر بم يُفسر لفظ الطلقاء؛ أبتفسير يفند تفسير الأب، فيقال: وشهد شاهد من أهلها أم ماذا؟ فألقيت نظرة عجلى في مقدمته فوجدته عرّض بكتاب "المنجد" وانتقده دون أن يسميه، فنظرتُ لفظ "الطلاق" فيه فإذا فيه ما نصه: «الطلاق الأسير أطلق عنه أساره وخلي سبيله» ونظرتُ في "مختار الصحاح" فإذا فيه هذه العبارة بالحرف³، فأكبرتُ جرجي شاهين وشكرته على الأمانة العلمية في النقل، والمسلم منصف لا يبغض أحدا حقه.

ونظرتُ في "النهاية" فإذا فيها ما لفظه: «وفي حديث حنين: «ومعه الطلقاء»: هم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم وأحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الأسير إذا أطلق سبيله»⁴ ونظرتُ في كتب أخرى لا حاجة إلى نقل عباراتها لأنها تضاهي ما ذكر. فهذه نقطة من بحر تحقيق حضرات الآباء وأمانتهم نزفها لقراء الفتح.⁵ ودونك طرق التفسير اللغوي التي سلكها الهلالي:

أولا: التفسير اللفظي دون ذكر الشاهد:

مما فسر الهلالي باللغة ولم يذكر شاهدا عليه من كلام العرب ما يلي:

قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١٠٣)

[المائدة: 103]

عن سعيد بن المسيب قال: «البحيرة: التي يمنح درها للطواغيت فلا يجلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسبوننا لأهنتهم لا يحمل عليها شيء»⁶

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 28

2 لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم. المكتبة الكاثوليكية. بيروت. لبنان. 19. دون تاريخ. ص 470

3 الرازي: مختار الصحاح. مؤسسة الرسالة. 1421 هـ / 2001 م. ص 350

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 567

5 الهلالي: دسائس بعض اليسوعيين يدسونها حتى في اللغة. صحيفة الفتح. السنة الخامسة. العدد 218. الخميس 03 جمادى الأولى 1349 هـ. ص 11

6 البخاري 4623، ومسلم 2856

قال صاحب "اللسان": «ومنه [أي: البحر، بمعنى الشق] قيل للناقة التي كانوا يشقون في أذنها شقا بحيرة، وبَحَرْتُ أُذُنَ الناقة بَحْرًا: شققتها وخرقتها. ابن سيده: بَحَرَ الناقةَ والشاةَ يَبْحَرُهَا بَحْرًا: شَقَّ أُذُنَهَا بنصفين، وقيل: يَنْصِفُهَا طولًا، وهي البحيرة، وكانت العرب تفعل بهما ذلك إذا نُتِجَتَا عشرةَ أبطن، فلا يُنتفعُ منهما بلبن ولا ظهر، وتُتركُ البحيرةُ ترعى وتردُّ الماء، ويُحَرَّمُ لحمها على النساء، ويحلُّ للرجال، فنهى الله تعالى عن ذلك فقال: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾¹ ثم قال: «قال أبو إسحاق النحوي: أثبت ما روينا عن أهل اللغة في البحيرة، أنها الناقة كانت إذا نُتِجَت خمسةَ أبطن فكان آخرها ذكرًا، بَحَرُوا أُذُنَهَا، أي: شقوها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح، ولا تزداد عن ماء ترده، ولا تمنع من مرعى، وإذا لقيها لقيها المعنى المنقطعُ به لم يركبها، وجاء في الحديث 3: «إن أول من بَحَرَ الْبَحَائِرِ، وَحَمَى الْحَامِي، وَعَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ، عمرو بن لحي.» 4، 5

قال محمد تقي الدين: «وفيما نقله ابن منظور صاحب "اللسان" عن اللغويين هنا تناقض، فقد نقل عن بعضهم أن لحم البحيرة يجرم على النساء دون الرجال عند أهل الجاهلية، ونقل عن أبي إسحاق النحوي، أنهم لم يكونوا يذبحونها، يعني لم يكونوا ينحرونها، فإن الإبل لا تذبح وإنما تنحر.

وفيه تناقض آخر، وهو أن بعضهم قال: إذا نتجت عشرة أبطن، وأبو إسحاق قال: إذا نتجت خمسة أبطن، ثم قال ابن كثير: «قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب.» 6، 7 وقال: «و"الوصيلة": الناقة تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد أنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر.

و"الحام": فحل الإبل يضرب الضراب المعداد، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي.» 8

وقال: «وأما "السائبة"، فقال محمد بن إسحاق: هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر، سييت فلم تتركب، ولم يجز وبرها، ولم يجلب لبنها إلا لضييف.» 9 فنقل التفاسير اللغوية دون ذكر شواهد عليها من التفسير اللفظي دون ذكر الشاهد.

ثانيا: التفسير اللفظي مع ذكر الشاهد:

وهو إيراد التفسير اللغوي مع ذكر شاهد عليه من كلام العرب؛ ومن أمثلته:

• قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 21]

قال محمد تقي الدين: «ولعل أصلها للترجي وهو محال على الله تعالى.

فمعناها هنا أن الله يقول لعباده: وحدوا ربكم بعبادته ولا تشركوا به شيئاً وبذلك تصلون إلى التقوى وهي سبب سعادتكم، وتنجون من الشرك الذي هو سبب شقاء وهلاك.

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 216

2 في لسان العرب: «وَلَا تُكَلِّأُ»

3 قال الشيخ مشهور حسن: إسناده حسن.

4 المرجع نفسه والصفحة.

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 312-313

6 البخاري 3521، ومسلم 2856

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 313

8 المصدر نفسه. 1/ 313-314

9 المصدر نفسه. 1/ 314 عن تفسير ابن كثير. 3/ 210

وقيل: إن العرب استعملت "لَعَلَّ" مجردةً من الشك بمعنى "لام كي"، والمعنى هنا: لَتَتَّقُوا. قال الشاعر:

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الحُرُوبَ لَعَلَّنَا
فَلَمَّا كَفَفْنَا الحَرْبَ كَانَتْ عَهْودُكُمْ
نُكْفٌ وَوَتَّقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقٍ
كَثِيبُهُ سَرَابٍ فِي الفَلَا مُتَأَلِّقٍ 1» 2

• قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: 15]

قال الهلالي: «أحسن ما قيل في تفسيره: أريد أن أخفيها، و"كاد" بمعنى "أراد" موجود في لغة العرب، قال الشاعر: والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة فإِنْ تَجَمَّعَ أَوْ تَادَّ وَأَعْمَدَةٌ فـ "كادوا" هنا "أرادوا"، قاله صاحب "اللسان" 4. والقول الثاني: إنها صلة لا تدل على شيء، وهذا مرجوح.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ أي: بما تعمل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [التحريم: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ ﴿١٣﴾﴾ [طه: 13] الخطاب لموسى عليه السلام يعني: اخترت لكلامي ورسالتي، فهو كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ يٰمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَةٍ فُخِّدْتُهَا مَاءَ آتَيْنِكَ وَكُن مِمَّنَّ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: 144]. 5

5. [144]

ومن التفسير اللغوي النظر في السياق اللغوي الذي ورد فيه اللفظ؛

• السياق اللغوي عند الهلالي:

السياق لغة:

ذهب ابن فارس إلى أن «السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدُّ الشيء، يقال: ساقه يسوقه سواقا، والسَّيِّقَةُ: ما استيق من الدواب، ويقال: سقتُ إلى امرأتِي صدقَها، وأسقته، والسُّوقُ مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمع سُوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها». 6

السياق في التراث:

والمراد بالسياق اللغوي هنا هو ما يسبق أو يلحق الكلام؛ الذي يراد تفسيره؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الحُلُومَ ﴿٨٧﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ

نَنْظُرُونَ ﴿٨٨﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: 83 – 85]

قال محمد تقي الدين: «يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا﴾ أي: هلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ الحُلُومَ﴾ أي "الروح" المفهومة من السياق، ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أيها الحاضرون عند الميت ﴿نَنْظُرُونَ﴾ إليه ولا تدركون حقيقة أمره، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بعلمنا ﴿مِنْكُمْ﴾، ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، كما

1 البيتان من الطويل، وهما بلا نسبة في تفسير الطبري. 1 / 364

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. ص 314

3 البيتان من البسيط، وهما للأفوه الأودي في ديوانه ص 65-66

4 ابن منظور: لسان العرب. ص 3966

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 49-50

6 أحمد بن فارس: مقاييس اللغة. 3 / 117

قال تعالى في سورة الأنعام 103: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾ هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فإيراه المؤمنون في دار الكرامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر. 1 فيشمل السياق اللغوي ما يسبق أو يلحق اللفظ المراد فهمه من ألفاظ، وقد يكون الخطاب كله.

أولاً: السباق واللاحق:

من أمثله:

روى مالك في "الموطأ" عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.» 2

قال الهلالي: «يجب علينا أن ننظر في العلاقة التي بين أول الحديث وآخره، ما هي؟ فإن مقتضى ظاهر اللفظ أن يقال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم عبدوا قبور أنبيائهم واتخذوها أوثاناً، فلما قال النبي ﷺ بدلاً من ذلك: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.» علمنا أن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، أي: تحري الصلاة عندها والدعاء وبناء المساجد حولها أو إلى جانبها يفضي إلى اتخاذها أوثاناً، كما فعل قوم نوح.» 3

وفي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 257] قال الهلالي: «اعلم أن الجهال وأصحاب الأغراض الفاسدة من زنادقة المتصوفة وجهلهم حرفوا معنى "ولي الله"، فزعموا أن ولي الله هو الذي ينظر بعين بصيرته إلى الحقيقة، والحقيقة عندهم هي أصل الدين، والشريعة إنما هي ظواهر شرعت للعامة، أما الولي فلا يتقيد بها.» 4

ثم فسر الولي من الخطاب نفسه؛ فقال: «الله سبحانه وتعالى بين لنا معنى من هم أولياؤه بيانا شافيا وافيا، قال تعالى في سورة يونس: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٠٤﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: 62-64] فأخبر سبحانه أن الإيمان والتقوى شرط في ولايته.» 5

ثانياً: الوجوه والنظائر:

الوجوه: المعاني المختلفة للفظ القرآنية في مواضعها من القرآن.

والنظائر: المواضع القرآنية المتعددة للوجه الواحد التي اتفقت في معنى اللفظ، فيكون معنى اللفظ في هذه الآية نظير معنى اللفظ في الآية الأخرى.

وكتب الوجوه والنظائر لا تعتمد في معاني الوجوه على شواهد عربية من شعر أو نثر، بل يعتمد أصحابها إلى النص مباشرة لاستنباط المعنى من سياقه، ولذا كثرت الوجوه التي يذكرونها؛ لأنهم يريدون تفسير معنى اللفظة في هذا السياق الذي يفسرونه، دون النظر منهم إلى الأصل اللغوي للفظ. 6؛ قال محمد تقي الدين: «من عادة الحافظ ابن كثير رحمه الله أن يفسر القرآن بالقرآن، ويجمع النظائر.» 7

1 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 13 . مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة. العدد الثامن. صفر 1386 هـ/ جوان 1966 م. ص 22

2 الإمام مالك: الموطأ (برواياته). ت: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي. مجموعة الفرقان التجارية. دبي. الإمارات العربية المتحدة. 2 / 72-73 ، قال فيه محققه: صحيح لغيره. وانظر: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 395

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 350-351

4 المصدر نفسه. 1 / 237

5 المصدر نفسه. 1 / 243

6 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 94، 174

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 602

وقد سلك محمد تقي الدين الهلالي هذه السبيل في كتابه "سبيل الرشاد في هدي خير العباد"، قال الشيخ محمد بوخبزة: «وهو في هذا كله مستمد من القرآن الكريم يتتبع آياته المتعلقة بالأقسام المذكورة في المصحف الشريف كله ابتداء من الفاتحة إلى النهاية، ضاماً النظير إلى نظيره دون مراعاة ترتيب السور». 7، قال الهلالي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 159]: «لهذه الآية نظائر في الكتاب العزيز منها قوله تعالى في سورة الشورى رقم (13): ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13] فأخبر سبحانه وتعالى أن ما شرعه لأمة محمد ﷺ من الدين هو عين ما شرعه للأمم السابقة بواسطة رسلهم، فتوحيد الله واحد، وتصديق جميع الرسل واحد، وإقامة العدل والإحسان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم، والتعاون على البر، والجهاد في سبيل الله، والرحمة لخلق الله، فهذه الأصول لا يختلف فيها دين أي رسول مع دين غيره من الرسل». 2
ومن النظائر في الحديث قول الهلالي: «أخرج ابن خزيمة عن محمد بن الوليد القرشي عن سفيان حديث الباب بلفظ: «لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب» 3، فلا يمتنع أن يقال أن قوله: «لا صلاة» نفي بمعنى النهي؛ أي: لا تصلوا إلا بقراءة فاتحة الكتاب، ونظيره ما رواه مسلم من طريق القاسم عن عائشة مرفوعاً: «لا صلاة بحضرة الطعام» 4 فإنه في صحيح ابن حبان بلفظ: «لا يصل أحدكم بحضرة الطعام» 5. 6

ومن أمثلة الوجوه والنظائر التي ذكرها الهلالي:
• إمام:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله عليه الصلاة والسلام: «خير أئمتكم» 7 يعني: الخلفاء والأمرء». 8
وقال: «لا يرتاعن أحد من التعبير بالإمام والأئمة، فإنه إذا فتح بصره ونظر قليلاً إلى لغة العرب وسنة خير العرب وجد أن مدلول الإمام أوسع مما حصره فيه الاصطلاح التقليدي، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: 74] فندب جميع المؤمنين أن يسألوا إمامة المتقين، ولو علم الله أن الإمامة محدودة في تلك الحدود الضيقة لما ندب عباده لطلبها، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: 24] فأخبرنا أن كل من أيقن بآيات الله وصبر كان إماماً وكل من هدى الله على يده ولو شخصاً واحداً فهو إمام». 9

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 124

2 المصدر نفسه. 3/ 129

3 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 1.820/ 1. 231

4 رواه مسلم 560

5 قال ابن حبان: عن القاسم بن محمد قال: كان بين عائشة وبين بعض بني أختها شيء، فدخل عليها، فلما جلس جيء بالطعام، فقام إلى المسجد، فقالت له: اجلس عُذْرُ، عُذْرُ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يُصلي أحدكم بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان»، قال الألباني: صحيح. انظر: "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان". حديث رقم 2071. 3/ 463

6 الهلالي: إعلام الخاص والعام ببطلان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 16

7 رواه مسلم 1855 بلفظ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله أفلا ننازلكهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتهم من ولا تكلم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة».

8 الهلالي: ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلاله الحسن الثاني إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحماتها؟ مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة عشر. العدد الثالث. 1391 هـ/ 1971 م. ص 73

9 الهلالي: صدى الحركة الإسلامية في الخارج؛ صوت من العراق. البصائر، السنة الأولى. العدد 29. 5 جمادى الأولى 1355 هـ/ 24 جويلية 1936 م. ط 1. دار الغرب العرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 1426 هـ/ 2005 م. ص 2

وقال: « قال لي أحدهم: سأورد عليك آية من القرآن تحجك وتسكتك فقلت: هات، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12] من هو الإمام المبين؟ أليس علي بن أبي طالب عليه السلام؟! فقلت: ذلك قولك، أما أنا فأقول: إن الإمام المبين هو اللوح المحفوظ المكتوب عند الله تعالى وهذا القرآن الذي بأيدينا مطابق له، فقال لي: كيف يكون الكتاب إماما وكيف يكون مبينا، فقلت له: قال الله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [١١] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا يُسْذَرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [١٢] فوقف حماره في العقبة ولم يستطع جوابا. 1»

فالإمام يعني الخليفة والأمر، ويعني الموقن بآيات الله، ويعني اللوح المحفوظ، وقد أورد مقاتل بن سليمان البلخي أوجهه في القرآن الكريم؛ قال: « إمام: على خمسة أوجه: الوجه الأول: إمام يعني قائدا في الخير، فذلك قوله لإبراهيم ﷺ في البقرة: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124] يعني: قائدا في الخير مقتدى بستك وهديك، وكقوله في الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [٧٤] الفرقان: يعني: قادة في الخير مقتدى بنا.

الوجه الثاني: إمام يعني كتاب أعمال بني آدم فذلك قوله في بني إسرائيل: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] يعني بالكتاب الذي عملوه في الدنيا.

الوجه الثالث: الإمام يعني اللوح المحفوظ، وذلك قوله في يس: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12] يعني: اللوح المحفوظ.

الوجه الرابع: الإمام يعني التوراة، فذلك قوله في هود: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: 17] يعني: التوراة إمام يقتدوا به ورحمة لمن آمن به.

الوجه الخامس: الإمام يعني الطريق الواضح، فذلك قوله في الحجر لقربة لوط وشعيب: ﴿وَاتَّخَذَا لِيَأْمُرَ مُبِينٍ﴾ [الحجر: 79] يعني: الطريق الواضح. 2»

1 الهاللي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 198

2 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ت: حاتم صالح الضامن. مركز جمعة الماجد. دبي. ط. 1. 1427هـ/2006م. ص 47

المبحث الرابع:
دلالة اللفظ على المعنى:

المطلب الأول:
في وضع اللفظ للمعنى

المطلب الثاني:
اللفظ باعتبار استعماله في المعنى

المطلب الثالث:
كيفية دلالة اللفظ على المعنى

قال في "اللسان": «دَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلًّا ودَلَّته فاندَلَّ: سَدَّه إليه، ودَلَّته فاندَلَّ، والدَّلِيلُ: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيلُ: الدَّال، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دلالة ودلالة، دُلُولَةٌ، والفتح أعلى، والدَّلِيلُ والدَّلِيلِي: الذي يَدُلُّكَ، وجمع الدليل: أدِلَّةٌ وأدِلَاءٌ، والاسم: الدَّلالة والدَّلالة بالكسر والفتح.»¹

وقال الراغب: «الدلالة: ما توصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد من يجعله دلالةً أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّكُمْ عَلَى

مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ: 14]

وأصل الدلالة: مصدر كالكناية والإمارة.

والدَّال: من حصل منه ذلك.

والدليل: في المبالغة كعالم وعليم، وقادر وقدير، ثم يُسَمَّى الدَّال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره.»²

وقال الهلالي: «وأباح لنفسه أن يخالف مذهب مالك بلا دليل، وحرّم على غيره أن يخالفه بدليل في غاية الصحة.»³

فالدلالة صفة للخطاب.

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 1414

2 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. ص 228

3 الهلالي: الحسام المباحق لكل مشرك و منافق. ص 122

المطلب الأول: في وضع اللفظ للمعنى

أولاً: الخاص:

قال الشيخ عبد الحميد ابن باديس: «كل ما أريد به معين كعلم الشخص، والجنس الدال على الحقيقة، أو فرد مبهم كالنكرة في سياق الإثبات والأمر، أو متعدد محصور كالمثنى والجمع، وأسماء العدد فهو الخاص.»¹

والأمر والنهي من أصناف الخاص باعتبارهما لفظين وضعا لمعنى معين، والمطلق والمقيد من أصناف الخاص النوعي باعتبار أن المطلق ليس إلا نكرة في سياق الإثبات، يتعلق الحكم بها استقبالا، مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: 92] وقولك: اكتب درسا، والنكرة لفظ خاص بالنوع، وأن المقيد هو المطلق نفسه أو النكرة التي قيدت بصفة زائدة مثل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: 92].²

قال محمد تقي الدين: «الخاص مقدم على العام عند علماء الأصول.»³

1 - المطلق والمقيد:

ذكر الأستاذ محمد علي فركوس أن المطلق هو اللفظ المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه، والمقيد هو المتناول لمعين أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه.⁴

قال محمد تقي الدين: «ما شرعه الله ورسوله مطلقا لا يجوز تقييده إلا بنص من الوحي صريح، لأن التقييد شرع، والشرع خاص بالله تعالى وتبليغه خاص بالنبي ﷺ.»⁵

2 - الأمر والنهي:

قال الهلالي: «النهي عن اتخاذ المساجد على القبور خاص.»⁶

وقال: «لا يعقل أن يريد الصادق وجده ﷺ النهي عن السجود على القبر، ويعبر عن ذلك بالنهي عن بناء المساجد على القبور والنبي ﷺ أفصح العرب، والصادق من أفصح العرب، ولو أراد عالم اليوم أن ينهي عن السجود على موضع فقال للمخاطب: لا تبني مسجدا على هذا الموضع، لعب عليه ذلك، وعد غالطا، أو جاهلا باللغة، فكيف يقع ذلك من أبلغ الناس.»⁷

ولأن النهي خاص بالمنهي عنه، ذهب مهدي الكاظمي القزويني: «من الواضح أن البناء المذكور في حديث الكاظم عليه السلام سؤالا وجوابا إنما هو بناء نفس القبر، وهو الذي لا يصلح كما يشهد به قوله في الحديث: «ولا الجلوس عليه ولا تخصيصه ولا تطيينه.» فهل يفهم من هذه الكلمات غير نفس القبر؟ وكم من فرق بين بناء نفس القبر، وبين القبة المبنية على أساسات لا دخل لها بالقبر أصلا.»⁸

وتعقبه الهلالي بقوله: «قولكم: «وكم من فرق بين بناء نفس القبر وبين القبة المبنية على أساسات لا دخل لها بالقبر أصلا.»

1 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ت: عمار طالبي. منشورات ثالثة الأبيار. الجزائر. 2006م. ص 45

2 إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استناده. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان/ الدار البيضاء. المغرب. ط 1. 1994 م. ص 91

3 الهلالي: حكم تارك الصلاة حتى يخرج وقتها. ص 20

4 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. دار الموقع. الجزائر العاصمة. ط 1. 1430 هـ / 2009 م. 162 - 163

5 الهلالي: الصيغ السافرة في حكم صلاة المسافر. ص 24 - 25

6 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد. 4. مجلة المنار. 30 ربيع الآخر 1346 هـ / 26 أكتوبر 1927 م. 28 / 594

7 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد. 2. مجلة المنار. 29 صفر 1346 هـ / 27 أغسطس 1927 م. 28 / 446

8 مهدي الكاظمي القزويني: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد. 1. مجلة المنار. 29 ذي الحجة 1345 هـ / 29 يونيو 1927 م. 28 / 354

أقول: لو لم يرد في الأحاديث إلا النهي عن البناء على القبر لخص النهي به، ولم يتناول القبة، أما وقد عزز الشارع النهي عن البناء بالنهي عن اتخاذ المساجد عليها ولعن فاعل ذلك في مرضه الذي توفي فيه، فواضح أن النبي ﷺ كان ينهى عن كل بناء على القبر أو حوله ويأمر بهدمه، وكذلك فعل علي عليه السلام بعده وسائر الأئمة، ولم يتجرأ أحد على بناء قبة على قبر في زمانهم. 1

ثانيا: العام:

عرف ابن باديس العموم اللغوي بقوله: «كل لفظٍ استغرق ما صلح له دُفَعَةً واحدةً من غير حصر». 2

صيغ العموم:

أولا: أن يكون العموم من نفس اللفظ:

• أسماء الشرط:

قال الأستاذ إدريس حمادي: «من صيغ العموم أسماء الشرط وهي: من، وما، ومهما، ومتى، وأيان، وأين، وأنى، وحيث، وكيف، وأي. وقد كانت أسماء شرط لأنها متضمنة معنى "إن" الشرطية». 3

• أسماء الاستفهام:

ومن صيغ العموم كذلك أسماء الاستفهام وهي: ما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان، كقول السائل: «ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟» 4

• الأسماء الموصولة:

ومن صيغ العموم الأسماء الموصولة وهي: الذي، والتي، وتثنيتهما وجمعهما، ومن، وما، بمعنى الذي، والتي، واللام بمعنى الذي وأي. 5

- الذي والتي وتثنيتهما وجمعهما:

من الأمثلة عليه: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِرْنَا إِنَّكَ أَجَلٌ قَرِيبٌ يُجِيبُ دَعْوَتَكَ وَتَسْتَجِيبُ الرَّسُولَ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۗ﴾ [إبراهيم: 44] قال الهلالي: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عام في جميع الظالمين، يدخل فيه الذين ظلموا أنفسهم بالشر 6 والكفر، ويدخل فيه الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الرسول وعدم اتباعه. 7 وقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۗ﴾ [سبأ: 6] قال المحقق القنوجي في تفسير هذه الآية ما نصه: ﴿وَيَرَى﴾ أي يعلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم الصحابة، قاله قتادة، وقال مقاتل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: جميع المسلمين. 8

قال محمد تقي الدين: «الصواب في تفسير ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هو العموم، لأن لفظ "الذين" من ألفاظ العموم، ولا داعي إلى تخصيصه بأهل الكتاب أو الصحابة، بل هو عام في كل من عرف الحق واعترف به. 1

1 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 2. 445 / 28

2 محمد علي فركوس: الفتح المأمول في شرح مبادئ الأصول. ط2. دار الرغائب والنفايس. القبة. الجزائر. 2001م. ص 111، وانظر في العموم العرفي والعقلي: الإنارة الإنارة شرح كتاب الإشارة. 70-71-72 له أيضا.

3 إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استناده. ص 83-84 باختصار

4 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 212. 1/ 65

5 المرجع السابق. ص 84

6 لعل الصواب: بالشرك والكفر.

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 244

8 صديق بن حسن القنوجي: فتح البيان في مقاصد القرآن. ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. 1412هـ/1992م. 11/ 165

- مَنْ:

من أمثلتها:

في قول الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [المائدة: 15 - 16] قال محمد تقي الدين: «أخبر سبحانه أنه يهدي بذلك الكتاب المبين من اتبع رضوانه، و"من" من ألفاظ العموم تصدق على الواحد والجماعة، فكل من اتبع رضوان الله، بأن عمل بما في كتابه، واستضاء بنوره، واتخذ إماماً وحكماً، وتخلق بما فيه من الأخلاق يهديه الله سبل السلام، أي طرق السلامة في الدنيا والآخرة، فلا يسلك سبيلاً إلا صحبته السلامة» 2

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ وَمَنْ أَلِمْأ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح: 17]

قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إلى آخره عام يشمل كل مطيع، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ ﴾ يشمل كل معرض عن الكتاب والسنة، سواء أكان مرتداً يصرح بأن الكتاب والسنة لا يصلحان لهذا العصر، أو مبتدعاً مقلداً يقدم رأي شيخه وإمامه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن الله يعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.» 3

- ما:

مثاله: قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى مُحَاطِبًا رَسُولَهُ ﷺ وفي ضمنه خطاب لأُمَّته ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: 106] يشمل الوحي كله.» 4

وفي مناظرة بين الهلالي ومهدي الكاظمي القزويني في البناء على القبور؛

قال مهدي الكاظمي القزويني: «قال صاحب الجواهر: وربما يشعر بكرهه التخصيص قول الصادق رضي الله عنه: «كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل على الميت.»

وهذا الحديث لا دخل له بموضوع المسألة، لأن المفهوم منه: كراهة أن يهال على الميت من غير تراب القبر، فالصادق رضي الله عنه كأنه قال: لا يهال على الميت إلا التراب الذي استخرج من نفس القبر عند حفره، ولا يؤتى بشيء من غيره، فيوضع في القبر، إلا أنه يمكن أن يفهم منه كراهة تخصيصه أيضاً، لأن الحصص من غير تراب القبر، ولهذا جعل صاحب الجواهر هذا الحديث مشعراً بكرهه التخصيص لا دليل عليه، ومعلوم أن الإشعار 5 نظير الإيحاء والتلميح ليس من دلالات الألفاظ ومفهوماتها الظاهرة منها.» 6

فأجابه الهلالي: «الإمام لم يقل: كل تراب يهال على القبر من غير تراب القبر فهو ثقل، بل عبر بـ "ما" التي هي من ألفاظ العموم، فلا يصح تخصيصها بجنس التراب بلا دليل، ولذلك فهم منه صاحب الجواهر النهي عن التخصيص، وحمله على الكراهة، والظاهر الحرمة، لأنه من جنس البناء على القبر.» 7

فلا يصح تخصيص عموم ما إلا بدليل، ومنه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَتْ هُوَآءَ آلهةً مَا وُودُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنبياء: 98 - 99]

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 4 / 11-12

2 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 90

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 4 / 134

4 المصدر نفسه. 1 / 361

5 قال رشيد رضا: «معنى أشعره بالشيء: جعله يشعر به من الشعور، وهو العلم والدراية، ويستعمل في النصيح فيما كان مسلكه دقيقاً أو خفياً، والإمام الصادق من فصحاء المتقدمين لا من أصحاب اصطلاحات المتفقيين.» مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 1. المنار. 28 / 353 باختصار.

6 مهدي الكاظمي القزويني: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 1. المنار. 28 / 352-353

7 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 2. المنار. 28 / 442

قال محمد تقي الدين: «الخطاب هنا لمشركي مكة ومن سلك سبيلهم في الشرك بالله، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ يشمل الأوثان والأصنام من قباب أو أحجار وأشجار، ويشمل الطواغيت الذين يدعون الناس إلى عبادتهم أو عبادة غيرهم من المخلوقين.»¹

ولا يشمل من عبد دون رضاه، مثل عيسى عليه السلام؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر: 73-74]

فسرها ابن كثير بقوله: «قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: قيل لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله، هل ينصرونكم اليوم؟»² وتعقبه الهلالي، فقال: «قوله: «أين الأصنام ... ؟» يحتاج إلى بيان، فإن المشركين ما كانوا يعبدون الأصنام وحدها بل كانوا يعبدون ثلاثة أنواع من الشركاء:

النوع الأول: جناد منسوب إلى الملائكة أو الأنبياء والصالحين، ولهذا عبده.
النوع الثاني: عاقل لا يعقل وهو كل معبود رضي بعبادته أو بعبادة غيره من المخلوقين.
الصف الثالث: وهو الملائكة والأنبياء والصالحون يعقلون ولا يرضون أن يعبد مع الله أحد ويتبرؤون من المشركين ويكفرون يوم القيامة بشركهم.

فالصف الأول والثاني مع عابديهم إلى جهنم، كما قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: 98]، قال تعالى في سورة الصافات: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْلُدْهُمُ إِلَى صِرَاطِ الْحَجِيمِ ﴿٣٣﴾﴾

أما الصف الثالث: فإنهم متبرئون من كل من عبدهم ويكونون عليهم ضداً ويكفرون بعبادتهم³، فحيثُ تصيب المشركين الحسرة والندامة حين لا ينفع الندم، وهؤلاء الأصناف الثلاثة لا ينفعون عابديهم مثقال ذرة، لا في الدنيا ولا في الآخرة.⁴ ومن أمثلة عموم "ما" أيضا:

قال الهلالي: «قد ظهرت أمور كثيرة كالراديو والتلفزيون والطيّان والمكالمات التلفونية كان الناس يظنونها من خوارق العادات ثم أصبحت عادية ولا يوجد في الكتاب ولا في السنة ما يدل بأي نوع من أنواع الدلالة على أن تلك الأمور خارجة عن طاقة الإنسان، بل جاءت الإشارة الواضحة إليها في الكتاب العزيز في قوله تعالى في سورة النحل (8): ﴿وَالْقَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ يعني: ويخلق ما لا تعلمون من المركوبات كالطائرات والسفن الهوائية والبواخر المواخر للبحور والسيارات والقطر.»⁵

ثانياً: أن يكون العموم من لفظ آخر:

1- اللفظ الدال على العموم في أول العام:

• أدوات الشرط والاستفهام:

• النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام الإنكاري أو الامتنان:

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 74 / 2

2 تفسير ابن كثير. 7 / 158، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 246

3 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: 81-82]

4 المصدر السابق. 2 / 246-247

5 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط. 2 / 23

من أمثله ما يلي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: 36]

قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ جاءت ﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق النهي، تعم كل شيء من الملائكة، والأنبياء الصالحين وغيرهم.»¹

وقال: «وتأمل قوله تعالى في يوسف بن يعقوب حيث يقول: ﴿وَأَتَّبَعْتُم مَّلَّةَ آبَائِكُمْ الَّتِي كَفَرُوا بِهَا وَإِنَّكُمْ لَكَا فِرْعَوْنُ وَإِنَّ كُفْرًا لَّكَا بَلَّغْتُمْ إِلَهُكُمْ مِنَ الشَّيْءِ﴾ [يوسف: 38] نكرة في سياق النهي تعم كل شرك.»²

وقال: «﴿فَإِن تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [النساء: 59] نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين.

قال محمد تقي الدين: «ولا يُسْتثنَى منها شيء.»³ و«قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 10] وهذه نكرة في سياق العموم، لا تترك حكماً مما دق وجل إلا أتت عليه.»⁴

وقال الهلالي في الرد على مهدي الكاظمي في تفسير قول علي رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي رضي الله عنه قال: «أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته»⁵: «إن تخصيصه بقبور الكفار مع أن عليا أمر بالهياج بهدم ما علا من القبور تخصيص بلا مخصص، وهو تحكم لأنه عزل اللفظ عن بعض مدلولاته بلا دليل، مع أن قوله: «أن لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته» بمنزلة: سو كل قبر لأن النكرة في سياق النهي تعم، ولو كانت هنالك قبور مستثناة لذكرها النبي ﷺ لعل، وذكرها علي لأبي الهياج الأسدي، ولم يكونا يتكلمان بالأغليط وما كان فيهما عيٌّ عن بيان مرادهما.»⁶

الألف واللام:

قال ابن باديس في صيغ العموم: «المعرف بـ "ال" الجنسية الاستغراقية فيه، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: 38]، وقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: 34].»⁷ ومن أمثله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: 72 - 73]

قال محمد تقي الدين: «عرض الله الأمانة، وهي التكاليف الشرعية على الأشياء المذكورة بكيفية يعلمها هو سبحانه، فخافت هذه الأشياء أن لا تقوم بعملها خير قيام، مع قوتها وعظم حجمها، وحملها الإنسان الضعيف، والمراد بالإنسان جنسه، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: 4]، وقوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: 2]، وقد فسر الإنسان في التفاسير التي عندي بأنه آدم، وفيه إشكال، لأن آدم لا يتصف بكثرة الظلم والجهل، بخلاف الجنس فإن أكثرهم متصفون بذلك، قال

1 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للنخطيط. 1/ 281

2 الهلالي: الحسام المالحق لكل مشرك ومنافق. ص 29-30

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 76

4 الهلالي: معنى دعوة الحق. مجلة دعوة الحق. السنة الأولى. العدد الرابع والخامس. ربيع الثاني 1377 نوفمبر 1957 م. ص 20

5 رواه مسلم 969

6 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد. 5. مجلة المنار. 29 جمادى الأولى 1346 هـ/ 24 نوفمبر 1927 م. 28/ 684

7 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 43

تعالى: ﴿ وَإِنْ قُطِعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: 116]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: 103]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: 106]، وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود: 17، الرعد: 1، غافر: 59]»¹

وقال في موضع آخر: « وفي "القرطبي": «واللام متعلقة بـ ﴿ حَمَلَهَا ﴾ أي: حملها ليعذب العاصي ويثيب الطيع، وقيل: متعلقة بـ ﴿ عَرَضْنَا ﴾ أي: عرضنا الأمانة على الجميع، ثم قلدناها الإنسان ليظهر شرك المشرك، ونفاق المنافق؛ ليعذبهم الله، وإيمان المؤمن ليشبهه الله.»²، قال محمد تقي الدين: ولم يزل يظهر لي أن المراد بالإنسان هنا الجنس، كما قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٍ خَسِيرٍ ﴿٢﴾ ﴾ [العصر: 1 - 2]، وكقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: 4] ولكنني تهييت أن أحدث قولاً لم ينقل عن السلف حتى وقفت على كلام القرطبي، فرأيت أنه يشير إلى ذلك كما ترى، واتصاف جنس الإنسان بكثرة الجهل والظلم أولى من قصره على أحد أفرادها، وإبعاد الأنبياء والصديقين واستثناؤهم من الظلم والجهل مستحسن عندي جداً، كما وقع في آية العصر وآية التين.»³

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ [المعارج: 19]

قال الهلالي: « أخبرنا الله سبحانه أن ﴿ الْإِنْسَانَ ﴾ يعني: جميع الناس ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ جعل من طبعه الهلع؛ وهو الجزع وشدة الحرص.»⁴

• كل وجميع:

"كل" وهي للعموم والإحاطة على وجه الأفراد، و"جميع" وهي دالة على الإحاطة والشمول، على وجه الاجتماع، عكس "كل" 5.

"كل" 5.

2 - اللفظ الدال على العموم في آخر العام:
كالمضاف إلى المعرفة مطلقاً.

أقسام العام:

العام ثلاثة أقسام:

1 - العام الباقي على عمومته:

من أمثله قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصور.» وقد فهم منه مهدي الكاظمي أن القبور المعنية قبور المشركين؛ قال: «ليس فيه بيان المواضع المبعوث إليها، ولا بيان القبور التي بعثه في هدمها، لكن متن الحديث يرشدنا إلى أن الموضع كان في بلاد المشركين يومئذ، أو من بلادهم، وأن القبور قبورهم، وأن الصور المجمعولة على القبور أو حولها إن لم تكن هي الأصنام التي يعبدونها فهي التماثيل التي يعملونها لعظمائهم ووجدوا فيها أو حولها صورهم، وتماثيلهم في مصر، وفي سورية، في نينوى، في العراق، ومن المعلوم أن في زمن النبي ﷺ لم تكن قبور المسلمين مشيدة بالبناءات الضخمة حتى يبعث من يهدمها ولم يكن المسلمون يعملون الصور والتماثيل كما يشهد به التاريخ.»

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 185

2 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. 14 / 258

3 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 194 - 195

4 الهلالي: أخلاق الشباب المسلم. ص 25

5 إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استشارته. ص 81

ونظير هذا الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي رضي الله عنه قال: «أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته.»¹
ولا شك أن التمثال من صنع المشركين.»²

فأجابه الهلالي: «قوله:» ليس فيه بيان الموضع ولا بيان القبور..«الخ، أقول: هنا حجة لنا على أن الحديث عام غير مخصص بشيء، بل لو عين الموضع والقبور فيه أو في غيره من الأخبار ما كان ذلك مخصصا للفظه، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل ما تكلف في استنباطه لتأييد أن القبور قبور المشركين، لا يجدي شيئا لأن "ال" في القبور للاستغراق أو الجنس، فاللفظ شامل لقبور الأنبياء والأئمة.»³

2- العام المراد به الخصوص:

من أمثله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 12]

قال الهلالي: «الذي يظهر لي أن المراد بالإنسان هنا الكافر، كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر: 8]، ومثل هذا في القرآن كثير.»⁴
3- العام المخصوص:

قال الهلالي: «التخصيص نسخ لبعض الأفراد التي يشملها الحكم؛ وقد أجمع علماء الأصول أنه لا يخصص الكتاب والسنة إلا بالكتاب والسنة؛ لأنه استثناء، فلا يجوز أن يكون إلا لمن له الأمر والنهي.»⁵
وقال العلامة عبد الحميد بن باديس: «كل إخراج لبعض أفراد العام من اللفظ العام فهو تخصيص، ولا يشمل تلك الأفراد المخرجة حكم العام.»⁶
ومن أمثله:

• قال الهلالي: «من العام المخصوص كقوله تعالى في ريح عاد: ﴿ تَدْمِمْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأحقاف: 25] فإنها لم تدمر الجبال ولم تدمر أحدا من البشر إلا عاد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: 88] فإن العرش لا يهلك وكذلك الجنة وما فيها.»⁷

وقال: «قول ابن كثير: ﴿ تَدْمِمْ ﴾ أي: تخرب كل شيء من بلادهم مما شأنه الخراب»⁸؛ يريد أن كل شيء عام أريد به الخصوص، أي كل شيء من بلاد عاد 9 لا من بلاد غيرهم.

1 رواه مسلم 969

2 مهدي الكاظمي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 1. المنار. 361 / 28

3 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 4. مجلة المنار. ربيع الأول 1346هـ / 26 سبتمبر 1927م. 598 / 28

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 511 / 1

5 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. ص 144

6 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 45، ومن المخصصات المتصلة: الاستثناء، والشرط، والغاية، والصفة.

7 المصدر السابق. ص 41

8 تفسير ابن كثير. 286 / 7

9 قال الهلالي: «عاد الأولى» ليس لها اسم سوى "عاد"، وعاد الثانية لها اسم آخر وهو "ثمود"، و"الأحقاف" اسمها في هذا الزمان "حضر موت"، واسمها أيضا "جنوب اليمن" ومقر الحكم فيها عدن. «سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 292-291 / 2

قوله: «مما شأنه الخراب» كبنى آدم والأشجار، أما الجبال فلم تخربها لأنها لم ترسل إليها، هذا كقوله تعالى في ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 23] أي: يكون عند الملوك. 1

ثالثا: المشترك والمتضاد والمترادف:

قال الأستاذ ربحي كمال: «من ألفاظ الساميين ما اختلف لفظه واختلف معناه، وما اتفق لفظه واختلف معناه، وما اختلف لفظه واتفق معناه.

فأما الأول فكثير، ومنه يتألف معظم كل واحدة من هذه اللغات، ويطلق عليه اللغويون العرب اسم "المتباين".
وأما الثاني فهو "المشترك" وهو قليل.

وأما الثالث فهو "المترادف" وهو كثير بالنسبة إلى المشترك، قليل بالنسبة إلى المتباين. 2

ومن أمثلة الألفاظ المتباينة قول الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 35]: «هذا نص من الله سبحانه بأنهما قاضيان لا وكيلان ولا شهدان، وللوكيل اسم في الشريعة ومعنى، وللحكم اسم في الشريعة ومعنى. 3

1 - المشترك:

تعريفه:

قال قطرب: «أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا. 4
كالعين تطلق على العين الباصرة وينبوع الماء وقرص الشمس.

والاشترك اللفظي لا يستلزم وجود علاقة بين الدلالات، وإنما يعد بمثابة وضع جديد. 5

قال ربحي كمال: «هناك عامل هام من عوامل نشوء الاشتراك، وهو اختلاف اللهجات السامية والعربية القديمة، فبعض ألفاظ المشترك جاء من اختلاف القبائل في استعمالها، ثم عمد مؤلفو المعاجم إلى إضافة هذه المعاني بعضها إلى بعض دون أن يعنوا، في بعض الأحوال، بنسبة كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستعمله، وبعض الألفاظ كانت تختلف معانيه في الأصل باختلاف القبائل، ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد إلى لغة قريش، فأصبح يطلق فيها على هذه المعاني جميعها. 6
ومن أمثلة المشترك:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَدْبَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّتْهُ جَيْتًا﴾ [مريم: 52]

قال محمد تقي الدين: «الطور: اسم جبل بين مصر ومدین، الأيمن: من موسى في مسيره، أو الأيمن: أي الأبرك من اليمن والبركة. 7»

• قال الهلالي: «ذكر سيد مهدي حديث أبي الهياج عند مسلم وفيه أن علياً أمره بتسوية القبور.

تعلق بلفظ التسوية واستأنس به، ورواية الشيعة مصرحة بالهدم فهو المراد بالتسوية بلاشك لأن النبي ما بعث عليا ولا بعث أبا الهياج إلا لتسوية القبور المبنية لا تسطيح القبور المسنمة ففهم التسطيح من هذا الحديث غير مستقيم. 8»

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 292

2 ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السامية. ص 5

3 الهلالي: أحكام الخلع في الاسلام. ص 19

4 قطرب: الأضداد. ت: حنا حدا. دار العلوم. الرياض. السعودية. ط. 1. 1405 هـ. ص 70

5 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة؛ مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. دار الآفاق العربية. القاهرة. ط. 1. 1428 هـ/ 2007 م. ص 46

6 ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السامية. ص 7

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 287

8 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد. 5. المنار. 28/ 601

ويكون الاشتراك في الجمل أيضا، ومنه:

- قال محمد تقي الدين الهلالي: «النهى عن اتخاذ القبور مساجد يمتثل معنيين: أولهما: النهى عن بناء المساجد عند القبور، كما تدل عليه بقية الألفاظ.

الثاني: ما ذكرتم وهو اتخاذ القبور نفسها موضعا للسجود، ويتوجه أن يكون دالا عليها معا فتكون فيه فائدة زائدة على ما بعده» 1

المتضاد:

قال الدكتور ربحي كمال: «من المشترك ما يكون أحد المعنيين فيه ضدا للآخر، وهو ما يسمى بالتضاد» 2
قال ابن الأنباري: «إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحدا» 3
ولم أعر للهلالي كلاما في التضاد، ولعل ذلك راجع إلى أن معظم ألفاظ التضاد يمكن تأويله وإخراجه من باب التضاد.

2- المترادف:

هو ما كان معناه واحدا وأسأؤه كثيرة، وهو ضد المشترك.

قال عبد الحميد الفراهي: «الأسماء المرادفة لغيرها هي قسامان: المطابق لمرادفه من جميع الوجوه: وهذا قليل جدا، والثاني: ما يوافق من بعض الوجوه: وهذا كثير جدا، وفيه معظم الوهم، فربما يظنونها متحدتين، وكثيرا ما يكون بينهما فرق لطيف لا يفتن به 4 غير غير الممارس باللسان، فيلتبس عليه بعض معاني الكلام» 5

ومن أمثله التي ذكرها الهلالي: «التب والتباب: الهلاك» 6، وقال: «الحديث ... ترادفه السنة» 7
• الفروق اللغوية:

إن العطف في الغالب يقتضي المغايرة بين المتعاطفين، قال محمد تقي الدين في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَكَرَّيْ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْا الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة: 80]: «في قوله تعالى: ﴿ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ إثبات صفة السخط لله تعالى على بعض عباده، ولا يجوز تأويله بالعقاب؛ لأنه عطف عليه قوله: ﴿ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ ولا يجوز في الكلام الفصيح أن يقال: عاقبهم وعاقبهم أو عذبهم وعذبهم؛ لأن العطف في الغالب يقتضي المغايرة، والناذر لا حكم له» 8
ويأتي العطف للتفسير، فيقرن بين المترادفين، ومنه:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 174]

قال محمد تقي الدين: «إن الله سبحانه أخبرهم بأنه قد جاءهم منه نور وبرهان كما جاء إلى غيرهم، وهذا النور والبرهان هو كتاب الله القرآن، فالعطف عطف تفسير، كما في قول الشاعر:

1 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 2. المنار. 28 / 447

2 ربحي كمال: التضاد في ضوء اللغات السامية. ص 9 باختصار

3 ابن الأنباري: الأضداد. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. 1411هـ/1991م. ص 2، وقال: «ومجرى حروف الأضداد، مجرى الحروف

الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف، ويتأخر بعده مما يوضح تأويله.» ص 3 - 4

4 قال الفيروزآبادي: «الفطنة بالكسر الحذق؛ فُطِنَ به وإليه وله.» القاموس المحيط. ص 1222

5 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 101

6 الهلالي: التمسك بالكتاب والسنة في تاريخ ملوك المغرب ونتائجه الحسنة. مجلة دعوة الحق. السنة العشرون. العدد الثاني والثالث. 1399 هـ/ 1979 م. ص 53

7 قبسة من أنوار الوحي. ص 56

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 53

وهند أتى من دونها النأي والبعد 1

ألا جذا هند وأرض بها هند

فالنأي هو البعد، وقال عنتره:

أَفْوَى وَأَفْقَرَ بَعْدَ أُمَّ الْهَيْثَمِ 2

حَيَّيْتُ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ

فالإقواء هو الإفقار، وقال عدي بن زيد:

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا 3

فَقَدِّدْتُ الْأَيْدِيَّ لِرَاهِشِيِّهِ

والمين هو الكذب، ومثله قوله تعالى في سورة البقرة (53): ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ، فالفرقان هو

الكتاب. 4

• وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لينتھين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من جهنم، أو ليكونن أهون على الله من

الجعل الذي يدهده الخراء بأفنه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس كلهم

بنو آدم، وآدم من تراب. 5

قال محمد تقي الدين: «قول النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية» العيبة 6 بكسر العين المهملة وكسر الموحدة

الموحدة التحتية مشددة، فياء مثناة من تحت، معناه: ما عطف عليه: التعاضم والتكبر والفخر بالآباء، وفي ذلك برهان على أن الفخر بالآباء من

خصال أهل الكفر والجهل، فلا ينبغي للمسلم أن يتصف به. 7، وعطف التفسير لا يعني الترادف التام 8.

1 البيت من الطويل، وهو للحطيئة في ديوانه ص 39

2 البيت من الكامل، وهو لعنتره في معلقته، انظر: شرح المعلقات العشر، أحمد الأمين الشنقيطي. ص 100

3 البيت من الوافر، وهو لعدي بن زيد في ديوانه ص 183

4 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 89-90

5 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 3955. 3/ 598

6 قال في اللسان: «عبيبة وعبيبة أي كبر وفخر، وعبيبة الجاهلية نحوؤها وفي الحديث: «إن الله وضع عنكم عبية الجاهلية وتعتظها بأبائها» يعني الكبر بضم العين وتكسر،

وهي فُعولة أو فُعيلة؛ فإن كان فُعولة فهي من التّعبيبة لأن المتكبر ذو تكلف وتعبية خلاف المُسترسل على سجيته، وإن كانت فُعيلة فهي من عباب الماء وهو أوله وارتفاعه

وقيل إن الباء فُلبت ياء. «لسان العرب لابن منظور. ص 2775

7 الهلالي: التعصب للجنس أو الدين. ص 4

8 انظر: محمد الشائع: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم. مكتبة العبيكان. الرياض. السعودية. ط 1. 1414 هـ / 1993 م. ص 183

المطلب الثاني: اللفظ باعتبار استعماله في المعنى

أولاً: الحقيقة والمجاز:

• تعريف الحقيقة والمجاز:

قال ابن جني: «الحقيقة: ما أقر في الاستعمال على وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضد ذلك.»¹
وقال عبد القاهر الجرجاني: «كل كلمة أريد بها ما وُضعت له في وضع واضح، وإن شئت قلت في مواضع وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقة.»²

وأما المجاز: «فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول.»³

• أقسام الحقيقة:

قال الأستاذ محمد علي فرкос: «الألفاظ تنقسم إلى أربعة أقسام وهي: حقيقة لغوية وضعية، وحقيقة شرعية وحقيقة عرفية، ومجاز؛ ودليل حصرها في أربعة أقسام يظهر في أن اللفظ إما أن يبقى على أصل وضعه فهذا هو الحقيقة الوضعية، أو يغير عنه، ولا بد أن يكون هذا التغيير من قبل الشرع أو من قبل عرف الاستعمال أو من قبل استعمال اللفظ في غير موضعه لعلاقة بقرينة، فإن كان تغييره من قبل الشرع فهو الحقيقة الشرعية، وإن كان من قبل عرف الاستعمال فهو الحقيقة العرفية، وإن كان من قبل استعمال اللفظ في غير موضعه لدلالة القرينة فهو المجاز.»⁴

وقد جاء الشرع بمصطلحات جديدة على العرب، وإن كان أصل اللفظ لا يزال باقيا في المصطلح، وإنما زاد الشرع عليه بعض الضوابط، فخرج بذلك عن كونه حقيقة لغوية، إلى كونه مصطلحا شرعيا⁵، مثال ذلك قول الهلالي: «الإنصات في اللغة هو السكوت، وإنه في عرف الشريعة لا يطلق إلا على السكوت وترك النطق أصلا؛ فقد وردت أخبار صحيحة في إطلاق اسم الإنصات وإسكات على ترك الجهر دون الإخفاء وعلى ترك كلام الناس دون الذكر في النفس.»⁶

والحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية، لأن الشارع معني ببيانها لا ببيان اللغات.⁷

قال محمد تقي الدين: «قول الشوكاني: «والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل.» إن كان يريد المعنى اللغوي فهو صحيح، قال تعالى في سورة المؤمنين حكاية عن موسى: ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾^(٤٧) [المؤمنون: 47] أي: خاضعون متذللون خادمون، وأما إن أراد المعنى الشرعي فهو ناقص، إذ لا تتم العبادة بالخضوع والتذلل فقط حتى يصحبها الحب والتعظيم والإجلال وتوحيد الله بذلك، وعليه يقال: العبادة غاية التذلل في غاية الحب، مع التوحيد واتباع سنة النبي ﷺ، وأداء جميع الواجبات وترك المحرمات.»⁸

1 ابن جني: الخصائص. 2/ 442، وقال محمد علي فرкос: «الحقيقة: هو فعلية من حق الشيء بمعنى ثبت، والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصرفة.» الصرفة.» انظر: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 33، وقال: «المجاز مشتق من الجواز، والجواز في الأماكن حقيقة وهو العبور، ويستعمل في المعاني، فهو طريق المعنى بالقول، ويسمى بذلك لأن أهل اللغة يجازون به عن أصل الوضع توسعا منهم.» المرجع نفسه. ص 25

2 عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان. ت: محمود محمد شاكر. دار المدني. جدة. السعودية. ط. 1. 1412هـ/ 1991م. ص 350

3 المرجع نفسه. ص 351

4 محمد علي فرкос: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 178

5 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 634

6 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطلان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 27-28

7 انظر: المرجع السابق. ص 634

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 138-139

ومنه أيضا قول رسول الله ﷺ: «خيار أئمتكم 1 الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله أفلا ننازلكهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولا تكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة.»²

قال الهلالي في قوله ﷺ: «يصلون عليكم وتصلون عليهم»: «الصلاة هنا: على معناها الوضعي اللغوي لا على المعنى الشرعي، فإن الصلاة في اللغة الدعاء، قال الأعشى:

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيَّهَا وَأَبْرَرَزَهَا وَعَلَيْهَا خَتَمٌ
وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم 3

فقوله: «وصلى على دنها.» أي دعا للخمر أن لا تحمض ولا تفسد، والدن هو الذي يسمى بالعامية "البرميل" تحفظ فيه الخمر.

وقال تعالى يخاطب نبيه الكريم في سورة التوبة رقم (103): ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة: 103] فمعنى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾: ادع لهم، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ ﴾ أي: إن دعواتك رحمة لهم، وقد امتثل النبي ﷺ أمر ربه سبحانه، فكان يصلي على من جاءه بالزكاة.⁴

والصلاة في الشرع تطلق على أعمال مخصوصة بصفة مخصوصة؛ كصلاة الفرض، وصلاة الكسوف والخسوف، وصلاة العيدين، والصلاة على الميت؛ فالأصل اللغوي باق في هذه الأعمال، ولكنها غير محدودة فيه، بل فيها زيادة أقوال وأعمال، فمن الأقوال التكبير، والتسبيح لله، والتشهد، والصلاة على النبي ﷺ، ومن الأعمال القيام، والرکوع والسجود، والجلوس بين السجدين، والتسليم، وهذه بمجموعها هي الصلاة الشرعية. 5، ومثلها: الزكاة والصوم والحج.

قال العلامة عبد الحميد بن باديس: «تحمل ألفاظ الكتاب والسنة في الغالب على المعاني الشرعية دون اللغوية أو العرفية غير الشرعية، وقد تحمل على اللغوية أي المعاني اللغوية.»⁶

هذا فيما يخص الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية؛ أما الحقيقة العرفية، فمثالها قول الهلالي: «تعبير النحاة اصطلاح وليس بحقيقة لغوية، فإن العرب لم تُسمَّ الزمان ظرفا ولا الأوقات ظرفاً.»⁷ «فالظرف كما قلنا اصطلاح لبعض النحاة يشمل الزمان والمكان، ولا يجوز أن يُعبَّرَ في اللغة عن الزمان بالظرف، فلا يقال: أقمت في المدينة الفلانية ظرفا طويلا أو قصيرا، وإنما يقال: أقمت زمانا.»⁸ زمانا.⁸

• موقف الهلالي من المجاز:



- 1 قال الهلالي: «يعني الخلفاء والأمراء.» ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلاله الحسن الثاني نصره الله وأيده إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحماتها؟ ص73
- 2 رواه مسلم 1855
- 3 البيتان من المتقارب، وهما للأعشى في ديوانه ص 35
- 4 الهلالي: ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلاله الحسن الثاني أيده الله إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحماتها؟ ص 73
- 5 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 636
- 6 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 33
- 7 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 108
- 8 المصدر نفسه والصفحة

قال الأستاذ محمد علي فركوس: «في مسألة وقوع المجاز في القرآن الكريم خلاف: وما عليه جمهور العلماء وقوعه مطلقاً في القرآن والحديث واللغة.»¹

أما الهلالي فقرر أن: «الأصل في دلالات الألفاظ أن تدل على ما وضعت له ولا تصرف عنه إلا بقريضة.»² فإذا وجدت القريضة وصرف اللفظ كان مجازاً؛ ومن أمثلته:

قال الهلالي: «إن الإنسان ليس له إلا حياة واحدة، متى زالت مات، فيجب على الأديب أن يُنزه كلامه عن ذلك الاستعمال، ولا يستعمل لفظ الحياة إلا في الموضوع المناسب له كما جاء في كتاب الله وفي لسان العرب سواء أراد الحقيقة أو المجاز.»³ وقال: «والحياة في كلام العرب واحدة، وهي نقيض الموت، كما في "لسان العرب" و"القاموس" وغيرهما، وتستعمل في المجاز على النحو الذي ذكره الراغب في "غريب القرآن" 4.»⁵

وفي تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: 57] أورد الهلالي قول رسوله وخليله ﷺ: «قال الله ﷻ يؤذيني ابن آدم؛ يقول: يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتها.»⁶ ثم قال: «هذا الحديث المروي في "الصحيحين" يدل على أن من سب الدهر، فقد آذى الله وأن أعداء الإسلام الأولين كانوا يسبون الدهر، فلعنهم الله لذلك وأعد لهم عذاباً مهيناً، مع أن هذا السب مؤول، لأن الدهر ظرف للحوادث وليس بفاعل لها، فآل السب إلى الفاعل المختار، وهو الله تعالى.»⁷

ومثله قول الهلالي: «ووعد السلطان مولاي عبد الحفيظ الشعب المغربي بإصلاح كل ما أفسده الزمان والأعداء وأخوه مولاي عبد العزيز.»⁸

وقال: «كان له يدان من حديد، وقلب لا يعرف الخوف.»⁹

وقد جاء في "الصحيحين" واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً، قال: فكن يتناولن أيتهن أطول يداً، قالت: وكان أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.»¹⁰

• شرط حمل الكلام على المجاز:

لا يحمل اللفظ على المجاز إلا إذا امتنع حمله على الحقيقة؛ فمتى أمكن حمل اللفظ على الحقيقة امتنع حمله على المجاز، ووجب حمله على الحقيقة، ومتى امتنع حمله على الحقيقة حُمل على المجاز مع وجود القريضة الدالة على هذا الامتناع؛ قال الهلالي: «الأصل في دلالات الألفاظ أن تدل على ما وضعت له ولا تصرف عنه إلا بقريضة.»¹¹ وقال الإمام ابن باديس: «يحمل اللفظ على حقيقته دون مجاز إلا إلا لقريضة أو دليل.»¹²

1 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 28

2 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. ص 227

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 43

4 انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. 2 / 182-183

5 المصدر السابق. ص 41

6 رواه البخاري 4826، ومسلم 2246 واللفظ له.

7 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 11. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة. العدد الخامس. ذو القعدة 1385 هـ / مارس 1966 م. ص 34

8 الهلالي: السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة عشر. العدد الثاني والثالث. 1398 هـ / 1978 م. ص 52

9 الهلالي: كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟ ص 9

10 البخاري 1420، ومسلم 2452 واللفظ له، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 251

11 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. ص 227

12 محمد علي فركوس: الفتح المأمول في شرح مبادئ الأصول لابن باديس. ص 85

• أنواع المجاز:

يقسم البلاغيون المجاز إلى لغوي، وعقلي؛

1- المجاز اللغوي:

وينقسم إلى استعارة، ومجاز مرسل.

أ- الاستعارة:

يحسن أن نتعرف على التشبيه ليسهل علينا فهم الاستعارة؛ قال محمد تقي الدين: «هذه الشعوب التي تدعي الإسلام قد نبذت كتاب الله وراء ظهورها، آمنت بالتشبه بالأجانب واتخاذهم أربابا، واقتباس قوانينهم وعاداتهم، فما زادتهم إلا خبالا، فهم أحقر الناس وأخسر الناس وأفقر الناس، وإن كانت الأموال الكثيرة بأيديهم، فهم كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمما والماء فوق ظهورها محمول¹

بل كما قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5] فأسفار العلم فيها الهدى والنور وفيها الحياة والرفعة والعيشة الراضية، ولكن الحمار إذا حملها لا تصل إلى قلبه ولا يناله منها إلا الثقل والعناء². فالمشبه في الآية هم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها، والمشبه به هو الحمار يحمل كتبا، والأداة هي الكاف، ووجه الشبه هو عدم الانتفاع بالمحمول.

وقال الهلالي أيضا: «تأتي الكاف في كلام العرب لأربعة أمور:

التشبيه: كقول المتنبي في ممدوحه:

كالبحر يَـقْـذِفُ للقريب جواهرها جُودًا، ويبيعُ للبعيد سحائبًا

كالشمس في كبد السماء وضوؤها يَغْشَى السيلادَ مشارقًا ومغاربًا³

وأركان التشبيه أربعة: المُشَبَّه، والمُشَبَّه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه؛

فالمشبه في البيتين المذكورين هو: الممدوح،

والمشبه به: الشمس والبحر،

وأداة التشبيه: الكاف،

ووجه الشبه: حصول النفع للقريب والبعيد؛ فالشمس على فرط بعدها من الأرض ينتفع أهل الأرض بضوئها ودفئها وإنضاجها للثمار إلى غير ذلك، فكذلك الممدوح يصل إحسانه إلى من كان بعيدا منه، ولا يقتصر على من كان قريبا منه.

والمشبه في البيت الأول هو: الممدوح، والمشبه به هو: البحر، وأداة التشبيه هي: الكاف، ووجه الشبه: وصول الإحسان إلى القريب

والبعيد؛ فالقريب يستخرج الجواهر من البحر، والبعيد ينتفع بمطر السحائب الناشئة من البحر، فكذلك الممدوح يعطي من كان

حاضرا عنده الجوائز والصلوات ويبعث بها إلى من كان بعيدا عنه⁴.

والاستعارة هي تشبيه حذف فيه المشبه أو المشبه به، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، فصارت بذلك مجازا، مثالها:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قال لبيد في "معلقته":

حَتَّى إِذَا أَلْقَيْتَ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجْنَّ عَوْرَاتِ الْبُيُوتِ ظَلَامَهَا⁵

1 البيت من الكامل، وهو لعبد الغني النابلسي في ديوانه المسمى ديوان الحقائق ومجموع الرقائق. المطبعة الشرقية. 1306 هـ. ص 301، وقيل: لظرفة بن العبد ولم أجده أجده في ديوانه.

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 4 / 115

3 البيت من الكامل، وهو للمتنبي في ديوانه. ص 111

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 11

5 البيت من الكامل، وهو للبيد في معلقته وديوانه. ص 114، وفيها: الثَّغُورِ بدل البيوت.

يريد بقوله: «ألقت يدا في كافر.» غروب الشمس فشبها بإنسان وأثبت لها يدا، على طريق الاستعارة وجعل غروبها إلقاء يدها في الكافر؛ وهو الليل.¹

ففي هذا البيت شُبه غروب الشمس بإلقاء الإنسان يده في الظلام بجامع التغطية في كل منها، ثم حذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بشيء من لوازمه "اليد"، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية: "ألقت يدا"، والاستعارة هنا ممكنة لأن المشبه به هو المحذوف.

وليست كل استعارة مستحسنة؛ قال الهلالي: «العرب لا تقول أبداً: اعتنق الإسلام أو اعتنق النصرانية أو اعتنق الفكرة وإنما تقول: أسلم وتنصر واعتقد كذا وكذا، ولا يوجد التعبير باعتناق الإسلام في أي موضع. لا يقال: إن اعتناق الإسلام استعارة، لأننا نقول: ليس كل استعارة مستحسنة، ولو كان التعبير بالإعتناق مستحسناً لعبر به القرآن أو السنة أو فصحاء العرب.»²

ب- المجاز المرسل:

المجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملازمة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة، ولهذا سمي مرسلًا، مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي، وعلاقاته كثيرة، منها: السببية، والكلية، والجزئية، واللازمية³، ومن أمثله: قال رسول الله ﷺ «ما خلفك؟ ألم تكن قد اشترت ظهرا؟» فقلت: يا رسول الله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أي أخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت، لئن حدثتكم اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتكم بصدق تجد علي فيه: إني لأرجو عقبي ذلك من الله ﷻ.⁴

قال محمد تقي الدين: «قوله: "الظهر" المراد به ما يركب، وكانت مراكبهم الإبل التي يركبونها، وهذا من تسمية الشيء بجزئه، ويسمى مجازًا مرسلًا.»⁵

وعن جابر بن سمرّة قال: شكّا أهل الكوفة سعدًا⁶ إلى عمّر رضي الله عنه - فعزلهُ، واستعمل عليهم عمّارًا⁷ -.⁸

قال محمد تقي الدين: «في قوله: «أهل الكوفة» تجاوز وهو من إطلاق الكل على البعض، لأن الذين شكوه بعض أهل الكوفة لا كلهم؛ ففي رواية زائدة عن عبد الملك في صحيح أبي عوانة: «جعل ناس من أهل الكوفة.»⁹

وقال الهلالي أيضا: «إطلاق التوكيد في كتب النحو على التابع مجاز من باب إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، لأنّ التابع مُوكَّد بكسر الكاف للمتبوع، فإذا قلنا: جاء زيدٌ نفسه أو عينه لدفع احتمال أن يكون المراد جاء كتابه أو رسوله فإنّ النَّفسَ والعينَ مؤكَّدتان لمجيء زيدٍ حقيقةً لا مجازًا.»¹⁰

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 482

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 31

3 الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ص 277-279-280

4 رواه البخاري 4418، وانظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 496

5 المصدر نفسه. 1 / 501

6 قال الهلالي: «هو ابن أبي وقاص وهو خال ابن سمرّة الراوي عنه.» إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 14

7 قال الهلالي: «هو ابن ياسر، قال خليفة: «استعمل عمّارًا على الصلاة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض.» وكأن تخصيص عمّار بالذكر لوقوع التصريح بالصلاة دون غيرها مما وقعت فيه الشكوى.» المصدر نفسه والصفحة.

8 رواه البخاري 755

9 الهلالي: إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 14

10 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 132

2- المجاز العقلي:

قال الهلالي: «الحقيقة العقلية هي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له في اعتقاد المتكلم؛ كقول المؤمن: أنبت الله البقل، وأنزل الله المطر، وكقول الكافر: أنبت الربيع البقل، وأنزلت السماء المطر، فقول النصراني في عيسى وأمه إنهما يعطيان ويمنعان، كقول الكافر: شفى الطبيب المريض، فهو إسنادٌ حقيقيٌّ؛ لأنَّ الكافر يعتقد أن الطبيب هو الفاعل الحقيقي، والنصارى يعتقدون عيسى وأمه إلهين.»¹

والمجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في اعتقاد المتكلم؛ قال الهلالي: «المجاز العقلي كقول المؤمن: أنبت الربيع البقل، وشفى الدواء المريض، لأنه يعتقد أن الله هو الذي أنبت البقل، والربيع سبب، وأن الله هو الذي شفى المريض، والدواء سبب.»²

فمعتقد المخاطب هو الذي يبين هل الإسناد حقيقة أو مجاز؛ قال الهلالي: «إسناد المنح إلى السماء فاسدٌ عقلاً ونقلًا ولغةً؛ أما عقلاً فإن السماء لا تعطي ولا تمنع، وليست سبباً في الإعطاء حتى يقال إن الإسناد إليها مجاز عقلي كما في قولهم أنبت الربيع البقل، وبنى الأمير المدينة، لأن السببية في هذين المثالين ظاهرة، أما قولهم: منحتهم السماء فليس كذلك، والأوروبيون ينسبون الأشياء إلى السماء في لغاتهم، ويدعونها ويستغيثون بها كما يفعلون مع الله تعالى ومع المسيح وأمه... ولا يصح أن يكون قولهم: «منحتهم السماء» مجازاً عقلياً بالنسبة إلى المسلم، لأن المسلم يعتقد أن السماء لا تمنح شيئاً وليست سبباً للمنح كما في بنى الأمير المدينة، فإن السبب في بنائها هو الأمير لأنه أمر العملة ببنائها.»³

ومن أمثلة المجاز العقلي ما يلي:

قال الهلالي: «ومن المجاز العقلي قول الشاعر وهو أبو النجم:

قَد أَصْبَحْتَ أَمْ الْخِيَارِ تَدْعِي
مِنْ أَنْ رَأْتِ رَأْسِي كَرَأْسِ الْأَصْلَعِ
عَلِيٌّ ذَنْبًا كَلَّمَهُ لَمْ أَصْنَعِ
مِيْرَ عَنْهُ قَنْزَعًا عَنْ قَنْزَعِ
جَذْبُ اللَّيَالِي أَبْطِي أَوْ أَسْرَعِي⁴

والدليل على أنه مجاز قوله بعد ذلك:

أَفْنَاهُ قِيلَ لِلشَّمْسِ ااطْلَعِي
حَتَّى إِذَا وَارِكُ أَفْتُقُ فَارْجَعِي⁵

هذا الشعر من مشطور الرجز، وهو لأبي النجم العجلي وأم الخيار زوجته، وكانت تعيبُ عليه صلح رأسه لِكِبَرِ سِنَّه، وكانت ابنة عمه... فالشاهد في قوله: «مِيْرَ عَنْهُ قَنْزَعًا عَنْ قَنْزَعِ جَذْبُ اللَّيَالِي»، أي: فرق شعر الرأس حتى صار قنازع مجموعة شعيرات هنا وأخرى هناك، جذبُ الليالي: اختلافُها ذهاباً ومجيئاً، يعني أنَّ سبب الصلح كثرة الليالي التي مرت عليه حتى طعن في السن.

فإسنادُ "مِيْرَ" إلى "جذب الليالي" من المجاز العقلي، لأن الشاعر لا يعتقد أن شيخوخته هي التي جعلته أصلع، وإنما هي سبب الصلح، والفاعل الحقيقي هو الله سبحانه بدليل قوله فيما بعد: «أفناه قيل الله للشمس اطلعي.» يعني أفنى شعر رأسه قول الله للشمس اطلعي كل يوم.»⁶

وقال الهلالي: «إسناد الفعل إلى الدهر على سبيل المجاز العقلي شائع في كلام العرب، فمن ذلك قول وزير عزله مَلِكُهُ من الصَّباح إلى الزَّوالِ ثمَّ رَضِي عنه ورده إلى مكانته من مُجَلِّعِ البسيط:

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 97

2 المصدر نفسه والصفحة

3 المصدر نفسه. ص 96-97

4 الأبيات من الرجز، وهي لأبي النجم العجلي في ديوانه. جمع وتحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق. 1427هـ/ 2006م. ص 257

5 المرجع نفسه والصفحة، وانظر: الكتاب لسبويه 1/ 86، وجمهرة اللغة لابن دريد 815

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 97-98

عَادَانِي الدَّهْرَ نَضْفَ يَوْمَ
يَا أَيُّهَا الْمُعْرَضُونَ عَنِّي
فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
عُودُوا فَقَدْ عَادَ لِي الزَّمَانُ 1

وذلك أنه حين عزل تنكر الناس له وتغيروا، فقال لهم: ارجعوا إلى ما كنتم عليه من التملق والتعظيم، فإن الزمان الذي عاداني وأعرض عني فافتديتم به قد عاد إليّ وأقبل عليّ فعودوا أنتم أيضاً، فأسند العداوة إلى الدهر والعود إلى الزمان على سبيل المجاز، والزمن لم يعاده في الحقيقة ولم يُقبل عليه.
ومثل ذلك قول الآخر:

رَأَيْتُ الدَّهْرَ فِي خَفَضِ الْأَعَالِي
فَقَبِيهَا صَاحٌّ فِي فَتْوَاهِ قَوْلٌ
وَفِي رَفْعِ الْأَسْوَافِلِ اللَّامِ
بِتَفْضِيلِ السُّجُودِ عَلَى الْقِيَامِ 2

والدهر لم يرفع أحداً ولم يخفضه، بل الخافض الرافع هو الله تعالى، وإنما ذلك مجاز أسند الفعل فيه إلى ملبسه، وهو زمانه الذي وقع فيه، فقوله: «عاداني الدهر» أي: عاداني الناس والسلطان في الدهر، و«عاداني الزمان» أي: عاداني الحظ في الزمان. 3
وقال أيضاً: «إسناد الفعل إلى الدنيا والعرب تفعل ذلك كثيراً، قال ابن الوردي في لاميته:

أُتْرِكَ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَتِهَا
تَخْفَضُ الْعَالِي وَتُعَلِّي مَنْ سَفَلَ 4

وإسناد الفعل إلى الدنيا كإسناده إلى الزمان لأن الدنيا في الأصل صفة الحياة، وبذلك جاء القرآن في غير موضع، والمراد بالدنيا: القُرْبَى؛ فُعَلِيَ: من الدُّنُو، وتقابلها الحياة الأخرى. 5
والخلاصة أن المجاز اللغوي يكون في اللفظ، والمجاز العقلي يكون في الإسناد.

• التأويل وحدوده عند الهلالي:

اختلف السلف في تفسير قول الله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: 7]

قال الهلالي: «قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ الآية؛ اختلف العلماء في الوقف على اسم الجلالة: هو الصواب أم الصواب الوقف على قوله تعالى: ﴿وَأَلْرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؟ وأكثر علماء السلف يقولون بالوقف على اسم الجلالة، لاعتقادهم أن معنى التأويل هنا ليس التفسير، بل حقيقته وما يؤول إليه في نفس الأمر، وهذا لا يعلمه إلا الله، ككيفية استوائه سبحانه وتعالى على عرشه، وكيفية إتيانه ومجيئه، فليس في طاقة البشر علم ذلك، أما معنى الاستواء وهو العلو فإنه معلوم، وكذلك النزول والإتيان والمجيء معناها معروف في اللغة، وقد آمن به السلف الصالح ومن اتبعهم. 6»

فاختلف استعمال الخلف له؛ بين التفسير وحقيقة الشيء، ولما زعم بعضهم في بعض النصوص أن ظاهرها غير مراد أطلقوا على ما فسروها به مصطلح التأويل (يقصدون الحقيقة التي يجب فهمها من النص)، وهو في الحقيقة حمل اللفظ على غير ظاهره، أي المجاز.

1 البيتان من البسيط، وهما للوزير ابن مقلة في المستطرف في كل فن مستظرف. مكتبة الجمهورية العربية. القاهرة. مصر. 1/ 123

2 البيتان من الوافر، وهما لمحمد بن أحمد البهوتي الشهير بالخلوتي في حاشية الخلوتي على الإقناع. حاتم بن فالح المدرع. مخطوط. ص 144

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 106-107

4 البيت من الرمل، انظر: عون الأطفال شرح لامية ابن الوردي لصلاح الدين الزماكي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط. 1. 2006 م. ص 73

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 107-108

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 41-42، قال ﷻ: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم.» البخاري 4547

ولما كان المجاز لا يصار إليه إلا عند تعذر حمل اللفظ على حقيقته، وهم حملوا النصوص على المجاز مع إمكان حملها على الحقيقة، سمي هذا التأويل فاسداً وتحريفًا؛ قال محمد تقي الدين: «آمنوا بالله مثلما آمن به رسوله والصحابه والتابعون بلا تأويل». 1 ويلزم التأويل إذا امتنع حمل اللفظ على الظاهر، مثاله:

عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن لي وليدة، وأنا أعزل عنها، وأنا أريد ما يريد الرجل، وإن اليهود زعموا أن الموءودة الصغرى العزل، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت يهود، لو أراد الله أن يخلقه لم تستطع أن تصرفه». 2 قال محمد تقي الدين الهلالي: «يجب تأويل هذا الحديث جمعاً بينه وبين ما يأتي، فأقول وبالله التوفيق: يحمل تكذيب النبي ﷺ لليهود على أنه لم يكن يعلم في ذلك الوقت أن العزل وأد خفي، ثم أعلمه الله بذلك، أو على أن تكذيبه لهم لزعمهم أن العزل يمنع ما أراده الله وقدره من الولد، ويدل على ذلك قوله: «إن الله عز وجل لو أراد أن يخلقه لم يستطع أحد أن يصرفه». 3

ثانياً: الصريح والكناية:

ينقسم الخطاب باعتبار ألفاظه إلى صريح وكناية.

ولفظ الكناية ورد في السنة المطهرة؛ قال رسول الله ﷺ: «من تعزى بعزاء الجاهلية فعضوه بهن أبيه ولا تكنوا». 4 قال محمد تقي الدين الهلالي: «يعني: من أحى سنة من سنن الجاهلية كاللدعوة إلى العصبية القبلية فأجرى سب الله والرسول ودين الإسلام فأغلظوا له في القول، وصرحو له بذكر ما يكره ولا تستعملوا الكناية». 5

والكناية: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه، 6 مثلاً:

قال الأعشى:

أَتَتْهُمُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذُوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الرِّبْتُ وَالْفَتْلُ 7

قال الهلالي: «يقول الشاعر لأعدائه: كيف تنتهون عن ظلمكم وبغيتكم، ولن ينهى ذوي الظلم شيء مثل الطعن المبيد المهلك الذي لا يترك لهم شيئاً؛ لا أنفسا ولا أموالاً، فإنَّ ذهاب السيف والفتيلة كناية عن الهلاك التام». 8

وعبارات القرآن أبعد عن التصريح بما لا يستحسن التصريح به 9؛ قال الهلالي في معرض انتقاده التعبير بالعمل الجنسي عن المباشرة: «وقد عبر القرآن عن هذا المعنى بعبارات من أبلغ الكنايات وأجملها، وأدلها على المعنى، ولم يُصرح قط باللفظ المُخصَّص لهذا الحدث. قال تعالى في سورة البقرة (187): ﴿فَأَلْقِنَ بَشِيرُوهِنَّ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: 187]، وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً (237): ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الرِّكَاعِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وقال تعالى في سورة النساء (43): ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 26

2 صححه الألباني في آداب الزفاف في السنة المطهرة. طبعة دار السلام. 1423هـ / 2002م. ص 131

3 الهلالي: رأي في تحديد النسل والعدوى. 1 / 4

4 الألباني: الصحيحة. حديث رقم 269 / 1. 537

5 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للنخطيط. 11 / 33

6 الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة. ص 330

7 البيت من البسيط، وهو للأعشى في ديوانه ص 63

8 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 12

9 المصدر نفسه. 38 باختصار.

طَبِيًّا ﴿ فهذه ثلاثة ألفاظ: المباشرة، والمسيس، والملامسة كلها كنايةات، وفي اللغة العربية كنايةات أخرى لأداء هذا المعنى لا تعد ولا تحصى.

على أن لفظ الجماع الذي يعبر به الفقهاء في كتب الفقه وفي الوثائق هو أيضا كناية، قال في القاموس: «وَجَمَاعُ الشَّيْءِ جَمْعُهُ، يُقَالُ: جَمَاعُ الْخَيْبَاءِ الْأَخْيَبِيَّةِ، أَيُّ: جَمَعُهَا، لِأَنَّ الْجَمَاعَ مَا يَجْمَعُ عَدَدًا.»¹ ثُمَّ قَالَ: «وَالْمَجَامِعَةُ الْمَبَاضِعَةُ، وَجَامِعُهُ عَلَى أَمْرٍ كَذَا اجْتَمَعَ مَعَهُ»². 3 معه»³. 2.

فالفرق بين الكناية والمجاز أن القرينة فيها لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، في حين تمنعه في المجاز.

1 الفيروزآبادي: القاموس المحيط. ص 710

2 المرجع نفسه. ص 711

3 الهلاي: تقويم اللسانين. ص 39

المطلب الثالث:

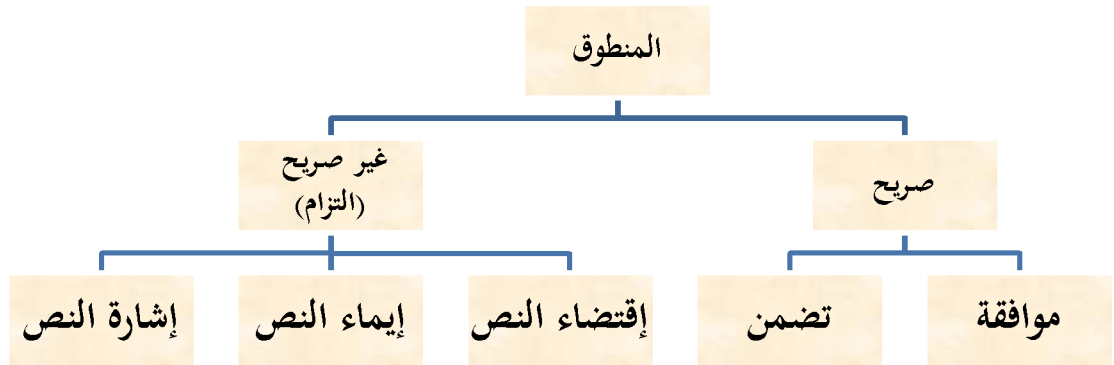
كيفية دلالة اللفظ على المعنى

قال الأستاذ إدريس حمادي: « منهج مدارس الألفاظ يمتد عند الحنفية من الدال بالعبارة إلى الدال بالإشارة، إلى الدال بدلالة النص، إلى الدال بالاقتضاء.

وهو عند المتكلمين يمتد من الدال بالمنطوق الصريح: (مطابقة، تضمن)، إلى الدال بالمنطوق غير الصريح: (اقتضاء، إيماء، إشارة).¹

أولاً: المنطوق:

يلخص أنواع المنطوق هذا البيان:



1- المنطوق الصريح:

الدال بالعبارة عند الحنفية يقابله المنطوق الصريح في اصطلاح المتكلمين ، ويعرفه ابن باديس بقوله: «كل معنى استفيد من جوهر اللفظ، لأنه هو المعنى الذي وضع له اللفظ فهو المنطوق، كالشخص الموصوف بالعلم من لفظة عالم في قولك: إذا سألت فاسأل العالم.»² فيشمل دلالة المطابقة، ودلالة التضمن.³

قال الأستاذ حسين خجري: «إذا كان تطابق بين اللفظ والمعنى فهي دلالة مطابقة كلفظ البيت الذي يدل على بناء مخصوص يتكون من جدران وسقف، وإذا تعلق الأمر بجزء من المعنى كأن نقول جدار، فهي علاقة تضمن، لأن البيت يتضمن الجدار ولا يمكن أن نقول عنه بيتا إذا كان بدون جدران.»⁴

ومن أمثلة دلالة المطابقة قول الهلالي في القبور: «قوله: "لا يبنى عليها مساجد" نهى عن البناء وليس عن السجود، فإن السائل سأله عن الزيارة والبناء، فأثبت الزيارة ونفى البناء، ولم يتعرض السائل ولا المجيب للسجود على القبر ولا تشم رائحته من كلامهما، فحمل كلام الصادق عليه من أبعاد التأويل، بل هو سلب لمعنى اللفظ الذي يدل عليه دلالة مطابقة وتحمله معنى آخر لا علاقة بينه وبينه.»⁵

1 إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استناده. ص 473

2 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 34

3 انظر: "الإشارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل" للأستاذ محمد علي فركوس. ص 326

4 حسين خجري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة/ الدار العربية للعلوم. بيروت. لبنان. ط 1. 1428 هـ/ 2007 م.

ص 174-175

5 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 2. المنار. 28 / 439

ودلالة العبارة عند الحنفية أوسع دائرة من المنطوق الصريح عند المتكلمين إذ هي تشمل ما وضع اللفظ له مطابقة أو تضمنا وتشمل فوق ذلك المعنى الخارج عما وضع اللفظ له إذا كان مقصودا للمتكلم، بينما المنطوق الصريح لا يدل إلا على ما وضع اللفظ له مطابقة أو تضمنا 7؛ قال التهانوي: «عبارة النص لفظ يثبت به حكم سيق الكلام له، وقيل: دلالة النظم على المعنى المسوق له.» 2

2- المنطوق غير الصريح (دلالة الالتزام):

قال الشيخ محمد علي فركوس: هي المعنى الذي دل عليه اللفظ في غير ما وضع له، كدلالة الأربعة على الزوجية، وهو على ثلاثة أقسام: دلالة الاقتضاء، ودلالة الإيحاء، ودلالة الإشارة. 3

ومن أمثلة دلالة الالتزام: قول الهلالي: « قصة إبراهيم مع نمرود ملك العراق: فقول إبراهيم له في حاجته: ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: 258] معناه: الذي أوجدني وأوجدك وأوجد جميع العالمين، ورباهم بقدرته ونعمته أن بلغهم كما لهم وحفظه عليهم، وهو المتصرف فيهم بالإحياء والإماتة، وإظهار الشمس وإخفائها، ومثلها جميع الطواع، وكل ما سواه مصنوع فان، ويستحيل أن يوجد شيء منه بدون صانع، أو أن يقوم بنفسه ويدبر شأنه، وهذه حجة الفلاسفة بعينها بطريق اللزوم، وهو فيما يقول علماء البلاغة أبلغ من دلالة التصريح. 4

ثانيا: المفهوم:

عرفه ابن باديس بقوله: « كل معنى استفيد من ذكر اللفظ، وليس اللفظ موضوعا له فهو المفهوم، كالشخص الموصوف بالجهل في المثال المذكور، فإنه يخطر بالذهن عند ذكر العالم لأنه ضد معناه، والضد يخطر بالبال عند خطور ضده. 5

قال محمد علي فركوس: «القول بأن دلالة المفهوم دلالة لفظية هو الصحيح، لأن التنبيه من الأدنى إلى الأعلى أو بأحد المتساويين على الآخر من الأساليب الفصيحة التي تجري على اللسان العربي للمبالغة في تأكيد الحكم في محل المسكوت عنه. 6

ومن أمثله قول الهلالي: «تشبيه النبي ﷺ البيت الذي لا يصلح فيه ولا يقرأ فيه القرآن، بالمقبرة دليل مفهومه النهي عن الصلاة وقراءة القرآن في المقابر. 7

والمفهوم نوعان؛ مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة.

1- مفهوم الموافقة:

قال بن باديس: «كل معنى استفيد من ذكر اللفظ وليس ضدا للمنطوق فإنه يعطى حكم المنطوق، ويسمى عندهم مفهوم موافقة، لموافقته للمنطوق في الحكم. 8

ومن أمثله: قال الهلالي في تفسير حديث النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.» 9: «إن لم يصرح في الحديث بالنهي عن بناء القباب، فقد ورد النهي عن البناء على القبور مطلقا غير مقيد بالمساجد ولا غيرها فالقباب

1 إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استناره. ص 219

2 التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ت: علي درجوع وآخرين. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ط 1. 1996 م. ص 1162

3 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة. ص 322

4 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط. 4 / 19

5 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 34

6 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 331، وقال: «دلالة المفهوم ثابتة قبل استعمال القياس، فلا يتوقف فهمه على الاجتهاد والاستنباط والتأمل والاعتبار الدقيق، بل مجرد سماع اللفظ ينتقل مباشرة من العارف باللغة من المنطوق إلى المسكوت انتقالا ذهنيا سريعا، كتحريم التأليف، فيفهم منه العارف باللغة جميع أنواع الأذى من ضرب وشم وقتل.» ص 332

7 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 36، وقد ورد التصريح بالنهي عن قراءة القرآن في المقابر.

8 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 35

9 رواه البخاري 1330، ومسلم 529

داخله فيه، والأحاديث الناهية عن بناء المساجد على القبور تدل بفحواها على تحريم بناء القباب، وإذا منعنا من بناء المساجد هناك وهي بيوت الله ومحال عبادته، فالقباب من باب أولى لأنها لا فائدة منها. 1
ففحوى الخطاب هي مفهوم الموافقة عند الهلالي 2.

2- مفهوم المخالفة:

قال ابن باديس: «كل معنى استفيد من ذكر اللفظ وهو ضد المعنى الذي وضع له اللفظ فإنه يعطى نقيض حكم المنطوق، ويسمى مفهوم مخالفة، لمخالفته للمنطوق في الحكم كما في المثال السابق، ويسمى في اصطلاح الأصوليين دليل الخطاب أيضا.» 3

• من أنواع مفهوم المخالفة (دليل الخطاب):

• مفهوم الحصر:

من صيغ الحصر تقديم المعمول، ومنه:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «﴿يَاكَ تَعْبُدُ وَيَاكَ فَتَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] ﴿يَاكَ﴾ ضمير مفعول به مقدم للفعل بعده، وتقديم المفعول به يفيد الحصر، أي: لا نعبد غيرك ولا نستعين إلا بك، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى من الاعتقاد والأقوال والأفعال، ويقال: العبادة غاية الذل في غاية الحب.» 4، وقال: «قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ [الزمر: 66] فيه تقديم المعمول الذي يفيد الحصر، فهو كقوله تعالى: ﴿يَاكَ تَعْبُدُ وَيَاكَ فَتَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 20] إلى غير ذلك من الآيات.» 5

ومن صيغ حصر المبتدأ في الخبر، مثاله: عن أبي رقية تميم بن أوس الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.» 6

قال محمد تقي الدين: «هذه الصيغة من صيغ الحصر كقولهم: «الحج عرفة»، أي: أهم أركانه الوقوف بعرفة؛ فمن وقف بها أمكنه أن يتدارك كل ما فاته من مناسك الحج ومن فاتته الوقوف بها فقد فاتته الحج في تلك السنة، فكذلك النصيحة من كانت عنده النصيحة حملته على المحافظة على سائر أمور الدين والإخلاص فيها، ومن فقد النصيحة فلا دين له.» 7
ومن صيغته "إنما"، ومن أمثلته:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «المؤمنون المنتفعون بالقرآن هم الموصفون في أول سورة الأنفال (2): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [2]

عَبَّرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِ﴿إِنَّمَا﴾ التي هي للحصر، وأكد هذا الحصر في آخر الآيات بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.» 8

• مفهوم التقسيم:

وهو تقييد الخطاب بأحد القسمين المذكورين في النص، ويدل على نفي الحكم عن القسم الآخر، مثل قوله ﷺ: «الطيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر وإذنها سكوتها.»، فإنه يفهم بأن البكر ليست أحق بنفسها من وليها، ومن أمثلته:

1 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 3. المنار. 28 / 524

2 انظر لزما: فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة. ص 329

3 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 34

4 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك و منافق. ص 8

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 234

6 رواه مسلم 55

7 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 84

8 الهلالي: مباحث في القرآن. ص 90

قال محمد تقي الدين نقلاً عن ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 10]

هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقرأهم من مال الفيء 2، وهم المهاجرون ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان، كما قال في سورة التوبة: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية [التوبة: 100]؛ فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ أي: بُغْضًا وحسدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 10].

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم أتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: 10]، وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى عائشة أنها قالت: «أمرنا أن نستغفروا لهم فسبواهم» 3، ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية. وروى البغوي بسنده إلى عائشة أيضاً قالت: «أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها» 4».

قال محمد تقي الدين: «وهذا ما قصده الإمامان سعيد بن المسيب ومالك، إذ فهما من الآيات الثلاث أن الله قسم المسلمين ثلاثة أقسام: المهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم إذا كانوا يُحِبُّونهم ويستغفرون لهم ولا يسبونهم، فمن سبهم فلا حق له في الفيء، لأنه خارج عن الأصناف الثلاثة التي استوعبت المسلمين، فالتابعون لهم بإحسان كما في سورة التوبة لا يقولون فيهم إلا خيراً، ولا يتشيعون لبعضهم ويسبون غيرهم ويبغضونهم» 5.

• مفهوم الشرط:

كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَرْضَعْنَ حَمَلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 6] 6، وغالب استعمال مفهوم الشرط في كلام العرب للتعليل، لكون الشرط يلزم من عدمه عدم المشروط، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَانْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: 6] 7.

• مفهوم الغاية:

كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: 230] 8.

• مفهوم الصفة والحال:

وهو تقييد الخطاب بالحال ويدل على نفي الحكم عما عدا ذلك الحال، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُوهٌ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: 187]، فدللت الآية بمفهومها المخالف على حل المباشرة إذا انتفت الحالة المعنية بالتحريم، وهي الاعتكاف، ومفهوم الحال معدود من مفاهيم الصفة، لأن المراد الصفة المعنوية لا النعت. 9

1 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 343

2 قال ابن كثير: «الفيء كل مال أخذه المسلمون من أعدائهم بدون قتال، كأموال بني النضير». الهلالي: تقويم اللسانين. ص 80 عن تفسير ابن كثير 8/ 65، و4/ 59

3 رواه مسلم 3022

4 تفسير ابن كثير. 8/ 73

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 85-86

6 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 36

7 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 340

8 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 36

9 المرجع السابق. ص 342

• مفهوم الزمان:

وهو تقييد الخطاب بالزمان ويدل على نفي الحكم عما عدا ذلك الزمان، مثل قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: 197] فيفهم منه عدم صحة الحج إذا وقع في غير زمانه. 1

• مفهوم المكان:

وهو تقييد الخطاب بالمكان ويدل على نفي الحكم عما عدا ذلك المكان، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ﴾، حيث يفهم منه أنه لا اعتكاف في غير المساجد لمن يقول بذلك. 2

• موانع الاحتجاج بمفهوم المخالفة:

لَا يُجْتَرَحُّ بالمفهوم في الحالات الآتية: إذا خرج الكلام مخرَجَ الغالب، أو جاء الكلام لتصوير الواقع، أو جاء الكلام للتفخيم والتأكيد، أو عارضَ الكلام نص.

ومثال ما عارضه نص:

قال الهلالي: «ذهب أحمد والشافعي وإسحاق إلى أن للأب إيجاب ابنته البكر البالغة على النكاح عملاً بمفهوم: «الثيب أحق بنفسها.» فإنه دل أن البكر بخلافها وأن الولي أحق بها ويرد بأنه مفهوم لا يقاوم المنطوق.» 3

وقال محمد علي فركوس: «ما يذهب إليه الجمهور من أن للأب إيجاب ابنته البكر البالغة على الزواج، استدلالاً بمفهوم الصفة في قوله ﷺ: «الثيب أحق بنفسها من وليها.»، فإن مفهومه أن غير الثيب لا تكون أحق بنفسها، فيكون وليها أحق منها، لذلك كان له أن يجبرها، وخالف في ذلك أبو حنيفة حيث إنه لم ير للأب ولاية الإيجاب على ابنته البكر البالغة، لأن مفهوم المخالفة ليس عنده حجة.» 4

ورد هذا القول الهلالي بقوله: «يرد بأنه مفهوم لا يقاوم المنطوق.» 5، ثم أورد النص الصريح في ذلك فقال: «إنهن إذا كن بالغات سن الرشد لا يتزوجن إلا برضاهن ولا يستطيع أحد أن يكرههن على التزوج بمن لا يرغبن فيه، ودونك الدليل: أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن.» قالوا: يا رسول الله وكيف إذن؟ قال: «أن تسكت.» 6، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر وإذنهما سكوتها.» 7. 8

1 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 343

2 المرجع نفسه. ص 342-343

3 الهلالي: الثقافة التي نحتاج إليها. مجلة الجامعة الإسلامية. السنة الأولى. العدد الثالث. ذو القعدة 1388 هـ/ شباط 1969 م. ص 29، وقال محمد علي فركوس: «البكر يزوجه أبوها من غير استئثار عملاً بإجماع أهل المدينة، وعليه مالك وكذا الشافعي وأحمد رحمهم الله مع اختلاف مأخذهما، أما الأحناف فيقرون وجوب الاستئثار وهو شرط في صحة النكاح.» محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة. ص 308

4 المرجع نفسه. ص 353

5 الهلالي: الثقافة التي نحتاج إليها. ص 29

6 رواه البخاري 5136، ومسلم 1419

7 رواه مسلم 1421

8 الهلالي: الثقافة التي نحتاج إليها. ص 29

ومن أمثلة ما جاء للتفخيم والتأكيد قول النبي ﷺ: «لينتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم من جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم من تراب.»¹

قال الهلالي: «قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لينتهين»: اللام واقعة في جواب قسم مقدر، التقدير: والله! لينتتهين أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، وصفهم بالموت وبكونهم من فحم جهنم إنما سيق للتشنيع، ولا مفهوم له، إذ لا يجوز لمسلم أن يفتخر بأبيه أو جده، سواء أكان حيا أم ميتا، وسواء أكان من أهل جهنم أم من أهل الجنة.»³

1 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 3955. 3/ 598

2 القسم: جملة جيء بها لتوكيد جملة خبرية. الفاكهي: شرح كتاب الحدود في النحو. ص 297

3 الهلالي: التعصب للجنس أو الدين. ص 3

الفصل الثاني:

حور اللغة في فهم سياق نزول الخُطاب الديني:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول الأول:

المُفاهِب أسماءُه وصفاته

المبحث الثاني:

المُفاهِب

المبحث الثالث:

الأزمنة والأمكنة

المبحث الأول:

المُخَالِص:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:

أدلة أسماء الله تعالى وصفاته

المطلب الثاني:

صلة القرينة العقلية في المجاز بتحريف الأسماء والصفات

المطلب الثالث:

حمل نصوص الأسماء والصفات على الحقيقة عند الهلاية

المطلب الرابع:

رسول الله ؛ أسماؤه وصفاته

المطلب الخامس:

أهمية معرفة صفات المخالص

المطلب الأول:

أدلة أسماء الله تعالى وصفاته

قال محمد العيد آل خليفة:

وَحَدُّهُ فِي ذَاتٍ وَفِي وَصْفٍ وَفِي
فِعْلٍ وَفِي خَلْقٍ وَفِي إِبْدَاعٍ¹

قال شاتو بريان: «لم يتجرأ على نكران الله غير الإنسان.»²

قال الهلالي: «الحقائق الأزلية ليست إلا صفات الله تعالى، لأن كل ما سواه حادث.»³

أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف:

قال ابن القيم: «أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي بين العلمية والوصفية.»⁴

وقال ابن عثيمين: «هي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة

لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ﷻ، وباعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص.»⁵

ومعنى الاسم يبينه قول القرطبي: «اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين:

فقال البصريون: هو مشتق من "السُّمُو" وهو العلو والرفعة؛ فقيل: اسم، لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به، وقيل: لأن الاسم يسمو

بالمسمى فيرفعه عن غيره، وقيل: إنها سمي الاسم اسماً لأنه علا بقوته على قسمي الكلام الحرف والفعل، والاسم أقوى منهما بالإجماع

لأنه الأصل؛ فلعلوه عليهما سمي اسماً، فهذه ثلاثة أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من "السِّمَّة" وهي العلامة، لأن الاسم علامة لمن وضع له، فأصل اسم على هذا "وَسْمٌ".

والأول أصح، لأنه يقال في التصغير "سَمِيٌّ"، وفي الجمع "أَسْمَاءٌ"؛ والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها، فلا يقال وَسْمٌ،

ولا أَوْسَامٌ.»⁶

أما الصفة فعرفها الباقلاني بقوله: «أما الصفة فهي الشيء الذي يوجد بالموصوف أو يكون له، ويكسبه الوصف الذي هو النعت

الذي يصدر عن الصفة.»⁷

ثم عرف الوصف، فذكر أنه: «قول الواصف لله تعالى ولغيره بأنه عالم حي قادر منعم مفضل، وهذا الوصف، غير الصفة القائمة

بالله تعالى، التي لوجودها به يكون عالماً وقادراً ومريداً، وكذلك قولنا: «زيد حي عالم قادر» هو وصف لزيد وخبر عن كونه على ما

1 البيت من الرجز، وهو لمحمد العيد محمد علي خليفة في ديوانه. مطبعة البعث. قسنطينة. 1967 م. ص 140

2 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط. 4/ 17

3 الهلالي: مظهر الضلال في كتاب الأغلل. نشر ضمن كتاب: سليمان الخراشي: عبد الله القصيمي؛ وجهة نظر أخرى. روافد للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط 1.

1429 هـ/ 2008 م. ص 601، والله سبحانه أسماء وصفات؛ عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم

بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء صنع ذلك؟»، فسأله، فقال: «لأنها صفة الرحمن ﷻ،

فأنا أحب أن أقرأ بها»، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يجبه.» رواه البخاري 7375، ومسلم 813

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 45 عن "بدائع الفوائد" لابن القيم. ت: علي بن محمد العمران. طبع مجمع الفقه الإسلامي. جدة، ودار عالم الفوائد.

السعودية. 1/ 42

5 العثيمين: القواعد المثل في صفات الله وأسمائه الحسنى. ضمن مجموع الفتاوى والرسائل. جمع: فهد بن ناصر السليمان. دار الوطن. الرياض. السعودية. 1413 هـ

270 / 3

6 القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. 1/ 101

7 القاضي أبو بكر الباقلاني: كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. ت: عماد الدين أحمد حيدر. مؤسسة الكتب الثقافية. ط 3. 1414 هـ/ 1993 م. ص 244

والعقل وإن كان يدل على الله ﷻ إلا أنه وحده لا يحقق التوحيد؛ قال الهلالي: «هذا العقل الذي وهبه الله الإنسان يدلنا دلالة قاطعة على أن لهذا الكون مدبراً حكيماً عالماً قديراً، ولن يتجرأ العلم أن يقول أن ذلك المدبر الحكيم مادة عمياء صماء لا علم لها ولا قصد ولا إرادة». 1، وقال: «وأما العقل: فإن كل عاقل يعلم أن المتصرف في هذا العالم بالعطاء والمنع هو خالقه سبحانه وتعالى، وأن المخلوق كيفما كانت منزلته عالية لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فكيف بغيره؟! إلا أن العقل وحده لا يستطيع أن يحقق التوحيد بدون الاستضاءة بأنوار الوحي، ولذلك لم يجعله الله وحده حجة على الناس، فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]» 2

أما المعتزلة ومن سار على نهجهم فيقدمون العقل على القرآن والسنة الصحيحة في معرفة الله ﷻ؛ قال القاضي عبد الجبار: «إن المكلف إذا عرف الله تعالى بما يختص به في ذاته بأن علمه موجوداً قديماً قادراً، عالماً بصحة الأفعال المحكمة منه التي تتعذر على سائر القادرين، وعلم أنه حي مدرك سميع بصير من حيث علم أن القادر لا يكون إلا حياً، والحي الذي تستحيل عليه الآفات لا بد من كونه سميعاً بصيراً مدركاً، وعلم أنه ليس بجسم، لأن من حق الجسم أن يكون مؤلفاً متحيزاً لا يخلو من الحوادث ومن هذه حاله يجب كونه محدثاً وقد ثبت أنه قديم، وعلم أنه غني لأن المحتاج لا بد من جواز الشهوة عليه، ومن هذه حاله يجوز عليه الزيادة والنقصان، ويتعالى الله عن ذلك، وعلم أنه يعلم جميع المعلومات من حيث هو عالم لذاته فلا يختص بمعلوم دون معلوم... وعلم أنه تعالى عالم بكل قبيح وبأنه مستغن عنه، لم يجز أن يختاره، فإذا صح عند العارف بالله ﷻ أنه لا يفعل القبيح، وعلم بالاختبار أن الخبر يقبح إذا كان كذباً، والأمر يقبح إذا كان أمراً بقبيح، وجب أن ينفي عن أخبار القرآن الكذب، وعن أوامره أن تتعلق بالقبيح». 3

وهكذا استنتجوا وولدوا أسماء وصفات لم ينزلها الله في القرآن والسنة؛ قال الهلالي: «لم أذكر القدم في صفات الله تعالى، ولم أصفه بالقديم، لأن هاتين الكلمتين مبتدعتان من عبارات أهل الكلام والمتفلسفين، وصفات الله تعالى غنية عن عباراتهم بألفاظ الكتاب والسنة، فقولنا في حقه سبحانه: هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية. يغنيان عن عباراتهم، لأن القدم يتصف به المخلوق الذي وجد منذ زمان بعيد، ونحن لا نصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ». 4

فالصحيح الذي عليه السلف هو ما قرره الهلالي أن: «أسماء الله توقيفية، لا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى إلا بما سمي به نفسه أو سماه به رسول الله ﷺ». 5، و«من سمي الله باسم لم يرو ويصح عن النبي ﷺ فهو من الذين يلحدون في أسماء الله سيجزون ما كانوا يعملون». 6

ومثال ما لم يصح "الفرد"؛ قال الهلالي:

يا فرد أنت بخلق الخلق منفرد

فمن يوحدك يبلغ غاية الأمل

وفسره بقوله: «الفرد هو الذي تفرد بصفات الكمال لا يشاركه فيها أحد، وهو بمعنى الواحد والأحد». 7

وتعبه الشيخ مشهور حسن، فكتب: «لم يثبت، ولم يرد إلا في السياق المدرج، وعند البيهقي في "الأسماء والصفات": «أشهد أنك فرد

أحد صمد». وإسناده ضعيف». 8

1 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 13. مجلة دعوة الحق. العدد السابع. السنة الرابعة. ذو القعدة 1380 هـ / أبريل 1961 م. ص 5

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 271-272

3 القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن. ت: عدنان زرزور. دار التراث. القاهرة. مصر. 1/ 30-31

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 330

5 المصدر نفسه. 2/ 46

6 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 124

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 272

8 المصدر نفسه والصفحة.

وكون أسماء الله وصفاته إنها مصدرها نصوص الكتاب والسنة الصحيحة هو ما قرره شكيب أرسلان، ورشيد رضا؛ فقد كتب شكيب أرسلان: «وهو الزعيم بحسن المآل»¹، فانتقده محمد رشيد رضا بقوله: «وهو الزعيم بحسن المآل» فهذا صحيح باللغة، ولكن صفة الزعيم لم ترد في الكتاب ولا في السنة صفة لله تعالى، وأسماء الله وصفاته توقيفية، فأستحسن أن يستبدل بها لفظ "المسؤول"².

إلا أن شكيب أرسلان ذكر له أنه قصد الإخبار بها لا أنها من أسماء الله؛ قال: «لكن لفظة الزعيم عن الباري تعالى ليست منفردة، بل معلق بها قولنا بـ "حسن المآل"»³.

صلة أخبار الأحاد بنفي الصفات عند المتكلمين:

أجمعت الأمة على الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة غير المتواترة في الأخبار، وفي الأحكام العملية. ورفض أهل الكلام الاحتجاج بها في إثبات أسماء الله تعالى وصفاته، مع أنها مستوفية لشروط الصحة، في حين احتجوا فيما أثبتوه ونفوه بكلام فلاسفة اليونان كأرسطو وأفلاطون، مع انتقاء بعض الشواهد اللغوية المأثورة عن العرب والتي لا سند لها صحيح أو ضعيف؛ و«من المعلوم بالضرورة أن المجازات والاستعارات والتأويلات التي استفادوها من اللغة والشعر الذي لم ينقله إلا الأحاد دون ما يستفاد من نقل أهل الحديث، وعلما بمراد هذا الناظم والنثر من كلامه دون علمنا بمراد الله ورسوله والصحابة من كلامهم بكثير؛ فإذا كان هذا دون كلام الله تعالى ورسوله في النقل والدلالة لم يكن حمل معاني القرآن عليه بأولى من حملها على معنى الحديث والآثار، وإذا لم يكن لنا طريق إلى العلم بمعناه إلا من جهة نقل الشعر وغرائب اللغة ووحشيتها وأفهام الجهمية والمعتلة، لا من طريق نقل الأحاديث والآثار تعطلت دلالة الكتاب والسنة وسقط الاستدلال بهما وحصلت لنا الحوالة على أفراس المجوس وورثة الصابئين وتلامذة الفلاسفة وأوقاح المعتزلة.

ثم لو ثبت بنقل العدل عن العدل أن الشاعر أو الناثر أراد ذلك المعنى بهذا اللفظ لم يكن إثبات اللغة بمجرد هذا الاستعمال أولى من إثباتها بالاستعمال المنقول عن رسول الله ﷺ وأصحابه»⁴ وكتب الهلالي: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الأحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه.»⁵

1 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 274

2 المرجع نفسه والصفحة

3 المرجع نفسه. ص 275

4 ابن الموصلي: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة لابن القيم (ت: 751 هـ). ت: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي. أضواء السلف. الرياض. السعودية. ط

ط 1. 1425 هـ / 2004 م. ص 1409-1410

5 الهلالي: عناية ملوك الدولة العلوية ورجالها بالكتاب والسنة تعلمًا وتعليقًا وعملاً. مجلة دعوة الحق. السنة العاشرة. العدد الرابع. 1386 هـ / 1967 م. ص 46

المطلب الثاني:

صلة القرينة العقلية في المجاز بتحريف الأسماء والصفات

رأينا في مبحث "الحقيقة والمجاز" أن إثبات المجاز يحتاج إلى قرينة، وفي نصوص الأسماء والصفات لا توجد قرينة تصرف اللفظ من المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي؛ قال محمد تقي الدين: «ثبتت محبة الله تعالى للتوايين وللمتطهرين، وتأويل الحب هنا بالثواب تكذيب، وادعاء المجاز باطل لأنه لا توجد قرينة تدل عليه.»¹

وقال محمد علي فركوس في المثبتين للمجاز من أهل السنة: «أثبتوا صفات الله تعالى في القرآن على حقيقتها ومنعوا دخول المجاز فيها، وما عدا آيات الصفات فالمجاز يدخل فيها ولا تلازم بين القسمين، إذ لا يلزم من إثبات المجاز تأويل الصفات أو نفيها، لأن المجاز يحتاج إلى قرينة وهي منتفية عن آيات الصفات عند أهل السنة، لذلك كان الخلاف بين أهل السنة في إثبات المجاز ونفيه خلافا لفظيا.»²

أما المتكلمون فإنهم يثبتون المجاز في آيات الأسماء والصفات لوجود القرينة العقلية التي تمنع من حمل اللفظ على حقيقته بزعمهم وهذه القرينة عندهم هي التشبيه.

قال الهلالي: «اعلم أن المتسبين إلى الإسلام على ثلاثة أقسام؛

قسم نفوا بعض صفات الله تعالى أو كلها، فالتفلسفون نفوا الصفات كلها إلا الوجود، وزعموا أنهم بذلك نزهوا الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته.

والجهمية ومن سلك طريقهم حكموا عقولهم الفاسدة في صفات الله تعالى فأثبتوا بعض الصفات ونفوا بعضها، وزعموا أن ما نفوا منها فيه تشبيه وتمثيل.»³

وينقل الهلالي عن الإمام أحمد سبب بداية التأويل الفاسد عند الجهمية، فيقول: «قال الإمام أحمد: كان جهم وشيعته كذلك، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم كثيرا، وكان فيما بلغنا عن الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان وكان صاحب خصومات وشر وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي أناسا من الكفار يقال لهم: "السُّمْنِيَّة" فعرّفوا الجهم، فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به جهما قالوا: ألسنت تزعم أن لك إله؟ قال الجهم: نعم، قالوا له: فهل رأيت عينك إلهك؟ قال: لا، قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا، قالوا: فهل وجدت له حسا؟ قال: لا، قالوا: فهل وجدت له مجسا؟ قال: لا، قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم ولم يدر أربعين يوما، ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة زنادقة النصراني لعنهم الله.

وذلك أن الزنادقة النصراني لعنهم الله تعالى زعموا أن الروح التي في عيسى بن مريم روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يحدث أمرا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسانه فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائب عن الأبصار، فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة، فقال للسمني: تزعم أن فيك روحا، قال: نعم، قال: فهل رأيت روحك؟ قال: لا، قال: فهل سمعت كلامه؟ قال: لا، قال: فهل وجدت له مجسا أو حسا؟ قال: لا، قال: فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 3] و﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103] فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأول القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث النبي ﷺ، وزعم أن من وصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه النبي ﷺ كان

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 26

2 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 32

3 المصدر السابق. 6 / 5

كافرا أو كان من المشبهة، فأصل بشرا كثيرا، و تبعه على قوله رجال من أصحاب عمرو بن عبيد وأصحاب فلان، ووضع دين الجهمية، فإذا سأهم الناس عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11] ما تفسيره؟ يقولون: ليس كمثل شيء من الأشياء، هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا هو في مكان دون مكان، ولا يتكلم ولا يكلم ولا ينظر إليه أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يوصف ولا يعرف بصفة، ولا له غاية ولا منتهى ولا يدرك بعقل، وهو وجه كله، وهو علم كله، وهو سمع كله، وهو بصر كله، وهو نور كله، وهو قدرة كله، لا يوصف بوصفين مختلفين، وليس بمعلوم ولا معقول، وكل ما خطر بقلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه.

فقلنا لهم: فمن تعبدون؟ قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق، قلنا: فالذي يدبر أمر هذا الخلق لا يعرف بصفته؟ قالوا: نعم، قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئا، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون، ثم قلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى، قالوا: لم يتكلم، ولا يتكلم لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة، والجوارح منفية عن الله سبحانه وتعالى، فإذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيما لله سبحانه، ولم يعلم أن كلامهم إنما يؤول إلى ضلالة وكفر.¹ ثم نتالت مقالات أخرى؛ قال الهلالي: «الجهمية يقولون: إن الله لا يتكلم، بل خلق كلاما في غيره وجعل غيره يعبر عنه، وما جاء من الأدلة على صفة الكلام، قالوا: مجاز.

والمعتزلة قالوا: إن الله متكلم حقيقة لكن معنى ذلك أنه خالق للكلام في غيره²، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، وقول الطائفتين باطل مخالف لقول السلف والأئمة، ومخالف للأدلة العقلية والسمعية.³ فكان المجاز هو أداة التأويل الفاسد لنصوص الأسماء والصفات، بقرينة عقلية مزعومة هي التشبيه.

1 الإمام أحمد: الرد على الزنادقة والجهمية. ت: محمد حسن راشد. المطبعة السلفية. القاهرة. مصر. 1393 هـ. 1/ 19، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 196

2 وأولوا الكلام بغير ذلك؛ قال الجاحظ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: 27]: «الكلمات في هذا الموضع، ليس يريد بها القول والكلام المؤلف من الحروف، وإنما يريد النعم والأعاجيب، والصفات وما أشبه ذلك، فإن كلاما من هذه الفنون لو وقف عليه رجل رقيق اللسان صافي الذهن، صحيح الفكر تام الأداة، لما برح أن تحسره المعاني وتغمره الحكم.» الحيوان. ت: عبد السلام محمد هارون. دار

إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. 1/ 209-210

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 280

المطلب الثالث:

حمل نصوص الأسماء والصفات على الحقيقة عند الهلالي

قال محمد تقي الدين الهلالي:

إن قَصَرَ اللهُ والمختار في صفة

وصحبه كيف يرجى بعد تفهيم¹

قد عرفنا فيما سبق أن المجاز لا يُصار إليه إلا إذا امتنع حمل الكلام على الحقيقة، فمتى أمكن حمل اللفظ على الحقيقة امتنع حمله على المجاز ووجب حمله على الحقيقة.

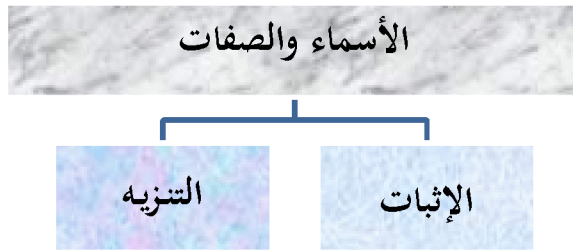
إذا عُلِمَ هذا: فإن المجاز لا يدخل آيات الأسماء والصفات إذ من الممكن حملها على حقيقتها مع التنزيه عن التشبيه؛ قال محمد تقي الدين: «نقول: لله كلام وعلو ونزول ومجيء ورضى ومحبة وسخط وغضب لا تشبه صفات المخلوقين، فهو لاء متناقضون فيما يشتون وفيما ينفون أو يحرفون، فيقولون: ﴿أَسْتَوَى﴾: استولى، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22]: جاء أمره، ويؤولون الرضى والمحبة والضحك والفرح بالثواب، والكرهية والبغض والغضب والسخط بالعقاب، وهم محجوجون، لأنه يرد عليهم فيما أثبتوه ما أوردوه على غيرهم فيما نفوه.»²

فالتشبيه يرد على ما أثبتته المألون للصفات؛ قال الهلالي: «زعمهم أن في إثبات هذه الصفة وأمثالها تشبيها لله بخلقه، لأن المحبة ميل القلب إلى لقاء المحبوب والتشوق لوصاله، فقلنا لهم: هذه محبتكم أنتم ومن جهلكم شبهتم محبة الله بمحبتكم، فشبها أيضا علمه بعلمكم، وقدرته بقدرتكم، وإرادته بإرادتكم، وحياته بحياتكم، وسمعه وبصره بسمعكم وبصركم، وانفوا عنه الصفات كلها كما فعل أشياخكم الفلاسفة، وذلك لازم لكم.

أما نحن فنثبت لله تعالى كل صفة وصف بها نفسه أو وصفها بها رسول الله ﷺ مع نفي تشبيه صفاته تعالى بصفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبه ذواتهم.

فانظروا عقيدة السلف ما أسهلها! وما أحسنها! فنورها مشرق، وعقيدة الخلف - بسكون اللام - مظلمة منتنة الرائحة، فالحمد لله الذي عافانا منها!»³

وهذا البيان يجمل مذهب الهلالي في نصوص الأسماء والصفات:



وهذه بعض الأمثلة للأسماء والصفات: 4

1 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 155-156

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 6

3 المصدر نفسه. 6 / 25، وانظر: 5 / 50-51

4 عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر.» أخرجه البخاري 6410، ومسلم 2677، قال محمد تقي الدين: «الأسماء التسعة والتسعون التي قصدها النبي ﷺ لا نعلم أعيانها بيقين، وقد ذكر الترمذي بدل تسعة وتسعين مائة وواحد، وزاد بعض من نظم أسماء الله الحسنى شعرا اسمين آخرين وهما: المغيث والقريب، فزدهما أنا فبلغت الأسماء مائة وثلاثة، وقد تقدم أن أسماء الله ليست محصورة في التسعة والتسعين ولا في المائة والثلاثة، وإنما جمعتها وشرحتها ليتوسل بها إخواننا الموحدون إلى الله الكريم امتثالا لأمره، وطمعا في رحمته.» الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 278، وانظر: 2 / 39-45، ولعل القول الأقوى هو حصر الأسماء المذكورة في الكتاب والسنة في تسعة وتسعين؛ وعليه في بعض ما أحصاه الهلالي ولا دليل صحيح عليه من الخطاب القرآني أو الخطاب

• «فيا تيهم الله في صورته.» و«لا تقبحوا الوجوه؛ فإن ابن آدم خُلِقَ على صورة الرحمان»:

أورد الشيخ حماد الأنصاري قول رسول الله ﷺ: «لا تقبحوا الوجوه؛ فإن ابن آدم خُلِقَ على صورة الرحمان»¹. ثم قال: «هذا الحديث صححه أئمة الحديث الإمام أحمد بن حنبل، وزميله إسحاق بن راهويه، والحافظان الذهبي وابن حجر العسقلاني، وكفى بهؤلاء قدوة في هذا الشأن، وليس مع من أنكروا صحة هذا الحديث حجة يدلي بها إلا عدم إلفه لهذه اللفظة، كما قال ابن قتيبة، والله أعلم.»²

قال أديب أهل السنة ابن قتيبة الدينوري: «قرأت في التوراة أن الله ﷻ لما خلق السماء والأرض، قال: نخلق بشرا بصورتنا؛ فخلق آدم من أدمة الأرض، ونفخ في وجهه نسمة الحياة.»³

ثم قال: «والذي عندي والله تعالى أعلم أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وَقَعَ الإلْفُ لتلك لمجيئها في القرآن، وَوَقَعَتِ الْوَحْشَةُ من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد.»⁴ وقد ورد حديث آخر يؤيد هذا الحديث؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «أقول قد أجاد أخونا الأستاذ حماد بن محمد الأنصاري، نزيل المدينة النبوية فيما جمعه من الأحاديث وأقوال العلماء في معنى قول النبي ﷺ: «خلق الله آدم على صورته.»، وقد استوفى الكلام، حتى تبين الحق لكل منصف، وقامت الحجة على كل متعسف من نفاة الصفات الذين يشبهون الله تعالى بالمعدومات.

وقد ظهر لي أن أضيف إلى كلامه حديثا آخر في هذا المعنى رواه البخاري، ونصه بعد السند: عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تُضَارُّون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: هل تُضَارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبَّعْهُ، فَيَتَّبِعْ من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها - شك إبراهيم - فيا تيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيا تيهم الله في صورته، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فَيَتَّبِعُونَهُ.»⁵ الحديث.

قال محمد تقي الدين الهلالي عفا الله عنه: تضمن هذا الحديث الشريف ثلاث صفات لله ﷻ:

أولها: إتيان الله تعالى.

وثانيها: الصورة.

وثالثها: رؤيتهم له بأبصارهم.

وقد غَصَّ بذلك نفاة الصفات المعطلة الجهمية، وتخطفتهم شياطينهم، فأخذوا يهرفون ويهذرون بأنواع من التأويلات الباطلة التي تُضحك الثكلى، وتكشف عن تمكن البدعة من قلوبهم، وسريانها في عروقهم ودمائهم، وصدق رسول الله ﷺ حين شبَّه البدعة بداء الكلب، لا يترك عرقا ولا مفصلا إلا سرى فيه.

النبوي ليس من أسماء الله والله أعلم، وتنقسم صفات الله تعالى إلى ذاتية وفعلية؛ فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع... والفعلية هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالنزول إلى السماء الدنيا، وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء. انظر: العثيمين: القواعد المثلى. ص 287

1 حماد الأنصاري: تعريف أهل الإيذان بصحة حديث إن آدم خُلِقَ على صورة الرحمان. ضمن: رسائل ي العقيدة. مكتبة الفرقان. السعودية. ص 170

2 المرجع نفسه. ص 178

3 ابن قتيبة الدينوري (227هـ): تأويل مختلف الحديث. ت: سعيد محمد السناري. دار الحديث. القاهرة. 1427هـ/2006م. ص 290، وانظر: التوراة. سفر التكوين.

الإصحاح 1. رقم 27. ص 4

4 ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث. ص 291

5 رواه البخاري 7437

والحق الذي عليه أهل السنة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، ومن تبعهم بإحسان الإيـانُ بكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، مع تنزيهه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، فيقولون: إن لله وجها وعينين ويدين وقدمين وأصابع، وكذلك له صورة وعلم وسمع وبصر وغير ذلك من الصِّفات، لا تشبه صفات الخلق.

وهذا الذي نعتقده وندين الله به، حتى نلقاه إن شاء الله. 1

وفهم الهلالي من الحديث أيضا ما يلي: «جاء في الحديث الصحيح أن الله خلق آدم على صورته، وأحسن ما قيل فيه هو أن الله أهله لحمل الأمانة بأن وهبه العقل والسمع والبصر وأعطاه العلم الذي به فضله على كثير ممن خلق تفضيلا، إلا أن علم الله ليس له أول ولا آخر ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا يعتريه النسيان، وهو كسائر صفاته غير مخلوق وعلم الإنسان مخلوق». 2

• ﴿الله﴾ [فصلت: 30] 3

قال محمد تقي الدين الهلالي:

إني من الله أرجو اليسر في عجل وأن ينجيني ربي من الوجـل 4

قال محمد صديق حسن القنوجي: «علم عربي مرتجل جامد عند الأكثر، خاص لذات الواجب الوجود، تفرد به الباري سبحانه، لم يطلق على غيره، ولا يشركه فيه أحد». 5

قال محمد تقي الدين الهلالي: «وهذا هو الصحيح خلافا لمن قال: إنه مشتق؛ لأنه اسم الله سبحانه مع اختلاف قليل في اللفظ في جميع أخوات اللغة العربية، كالعبرانية والسريانية والآشورية وغيرهن». 6

وقال: «قوله إن اسم الجلالة ﴿الله﴾ مأخوذ من "إله" بزيادة الألف واللام وحذف الهمزة، وهو فعـال بمعنى مفعول، أي: مألوه، لأن: إله يأله بمعنى: عبـد يعبـد، وهذا مذهب سيبويه وعندني فيه نظر؛ لأن هذا هو اسم الباري سبحانه في جميع اللغات السامية، كالعبرانية فهو فيها "إلوهيم" والسريانية فهو فيها "أولاها"، والآشورية فهو فيها "ألاهو"، فهو مرتجل والله أعلم». 7

لكن ماعلاقة كونه من الألفاظ المشتركة في اللغات السامية بكون مشتقا أو جامدا؟! وقد اشتق منه مصدر على وزن "فعلوت"؛ قال الهلالي: «جاء لفظ "لاهوت" من اسم الله تعالى». 8

والقول بعدم اشتقاقه هو مذهب أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت: 311هـ)، فقد ذكر «أن أصله "إله" فعـال، ويقال بل أصله: «لاه» فعـل.

واختلفوا في هل هو مشتق أم غير مشتق؛ فذهبت طائفة إلى أنه مشتق، وذهب جماعة ممن يوثق بعلمه إلى أنه غير مشتق وعلى هذا القول المعول.

ولا تعرج على قول من ذهب إلى أنه مشتق من: ولـه يؤله وذلك لأنه لو كان منه لقليل في تفعل منه تَوَلَّه لأن الواو فيه واو في تَوَلَّه وفي إجماعهم على أنه "تألّه" 9 بالهمز ما يبين أنه ليس من ولـه. 10

1 الأنصاري: تعريف أهل الإيـان بصحة حديث إن آدم خلِقَ على صورة الرحمان. ص 179-180

2 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين. 21 / 28

3 قال الهلالي: «تضمنت معنى: "لا إله إلا الله" سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 174

4 الهلالي: «وقفْتُ على أسماء الله الحسنى منظومة شعرا في قصيدتين كل منهما اشتملت عليها». سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 280-281، وانظر: 2 / 318، ثم نظم الهلالي قصيدة في أسماء الله الحسنى، أنقلها هنا مع تفسيره للأسماء الحسنى. الهلالي: قصيدة أسماء الله الحسنى. دون معلومات نشر.

5 القنوجي: فتح البيان. 1 / 41

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 259

7 المصدر نفسه. 6 / 46

8 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 208

9 قال الزجاج: «يقال: تألّه فلان إذا فعل فعلا يقربه من الإله» تفسير أسماء الله. ت: أحمد يوسف الدقاق. دار المأمون. دمشق. ط. 5. 1406هـ/ 1986م. ص 26

10 الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى. ص 25

أما لفظ الرب، فمعناه: «المربي بنعمه». 1، و«الربوبية: وهي القدرة على التربية. قال البيضاوي: «الرب في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً». 2

• ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 163]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

وأنت رحماننا دنيا وأخرة
وإيا رحماً بكل المؤمنين أجب
فأرحم بفضلك ضعفي أعطني أملي
دعاء عبد ضعيف لَجَّ في الزلل

قال ابن الأثير في "النهاية": «في أسماء الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وهما اسمان مشتقان من الرحمة، مثل: ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم، والرحمان خاص لله لا يسمى به غيره ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمان». 3

وقال عبد الحميد الفراهي: «"الرحمن" اسم مخصوص بالرب تعالى، والعرب عرفته، ولم يسم به غير الله إلا "رحمن الياقوت" 4 ولكن بغير حرف التعريف، فكلمة "الرحمن" لم يعرفوا بها إلا الله تعالى، فهو قريب من اسم الذات.

وزعم أكثر الناس خلاف ذلك، فظنوا أن العرب لم تعرف هذا الاسم لله تعالى، و متمسكهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: 60]، والتأويل عندي غير ما فهموه، كما سنذكره بعد إثبات أن العرب عرفت هذا الاسم للرب تعالى.

قال حاتم الطائي:

يقولون لي أهلك ما لك فاقصد
كلوا الآن من رزق الإله وأيسروا
وما كنت لولا ما تقولون سيديا
فإن على الرحمن رزقكم غدا 5

وقد كانوا يسمون بعبد الرحمن في أيام الجاهلية مثل: [عبد الرحمن بن عامر بن عتوارة، وعبد الرحمن الفزاري]. 6

والقرآن أنزل بلسان قوم نبينا، وحيثئذ كيف يستعمل اسماً معني جديد؟

ثم القرآن نقل عن المشركين تسميتهم الرب تعالى باسم "الرحمن" وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: 20]، وقال أعشى قيس:

ولا جعل الرحمن بيتك في العُلا
بأجساد غريب الصفا والمحرّم 7

وهذا ما قرره الهلالي بقوله: «"الرحمن" كلمة عربية خالصة من الرحمة بزيادة الألف والنون كظمان وعطشان، وكانت العرب تعرفه وتفهم معناه وقد سموا به مسيلمة الكذاب فكانوا يدعونهم "رحمان الياقوت" 9، ولكنهم لجهلهم لم يكونوا يعلمون أنه من أسماء

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 261

2 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 4 / 19

3 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 352، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 260

4 هو مسيلمة بن ثمامة الحنفي الوائلي، ولد ونشأ بالياقوت، ادعى النبوة وقتل سنة 12 هـ وهو ابن مائة وخمسين سنة. انظر: الزركلي: الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت. بيروت. لبنان. 7. 1986 م. 7 / 226

5 البيت من الطويل، وهما لحاتم الطائي في ديوانه. دار صادر. بيروت. 1401 هـ / 1981 م. ص 41

6 انظر: "عبد الرحمن الفزاري" في صحيح مسلم. كتاب الجهاد، باب غزوة ذي قرد. حديث رقم 1807

7 البيت من الطويل، وهو للأعشى الكبير ميمون بن قيس في ديوانه. ص 123

8 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 185-186

9 قال الزجاج: «إنما قيل له ذلك على جهة الاستهزاء به والتهكم». تفسير أسماء الله الحسنى. ص 29

أسماء الله. في اللغة العبرانية صفة عامة لكل من في قلبه رحمة ليس خاصا بالله تعالى، إذن فهو من الكلمات المشتركة بين العبرانية والعربية وهي كثيرة تعد بالآلاف.¹

وقال الزجاج: «الفائدة في إعادة هاتين اللفظتين مع الاشتقاق واللفظ واحد فهي لما ذكرناه من تزايد معنى فَعْلَان في: رَحْمَان وعمومه في الخلق كلهم، ألا ترى أن بناء "فَعْلَان" إنما هو لمبالغة الوصف، يقال: فلان غضبان، وإناء ملآن؛ وإنما هو للممتلىء غضبا وماء.»²

وهذا ما فهمه الهلالي، فيدل قوله: «وأنت رحماننا دنيا وآخرة.» على عموم رحمة الله ﷻ للخلق، ويدل قوله: «يا رحيمًا بكل المؤمنين.» على رحمة خاصة بالمؤمنين.

فدل الاسمان الكريمان على أن الله موصوف بصفة الرحمة³.

ونقل الهلالي تفسير الرحمة عن "لسان العرب"، فقال: «الله الرحمن الرحيم: بنيت الصفة الأولى على فعلان لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين، فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمان، لأن الرحمان مقصور على الله ﷻ والرحيم قد يكون لغيره.

قال الفارسي: إنما قيل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فجاء بالرحيم، بعد استغراق الرحمان معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43]، كما قال: ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1] ثم قال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 2] فخص بعد أن عم.⁴

قال محمد تقي الدين: «الرحمة صفة وصف الله بها نفسه، ولفظها مشترك له في كل مقام معنى، والمعنى الذي وصف الله به نفسه خاص بالله تعالى لا يشترك معه أحد فيه، والذين نفوها عن الله تعالى رأوها مفسرة بالركة والتعطف في حق المخلوق، فشبها صفة الخالق بصفة المخلوق ونفوها عن الله تعالى وأولوها بالمغفرة والإنابة، وإنما أتوا من قبل جهلهم وتشبيههم، ولو أثبتوها مع التنزيه عن مشابهة المخلوقين كما أثبتوا العلم والقدرة، لكان خيرا لهم.»⁵

وتأتي الرحمة في القرآن حسب السياق الذي وردت فيه على أوجه، قال مقاتل بن سليمان: «الرحمة على أحد عشر وجهًا: دين الإسلام، الجنة، المطر، النبوة، النعمة، القرآن، الرزق، النصر، العافية، المودة، الإيمان.»⁶

• ﴿الْمَلِكُ﴾ [الحشر: 23]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

يا مالكا عبدك المضطر مبتهل إليك مالي سواك مبرئ علي

وفسر هذا الاسم الكريم بقوله: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4] قرئ في السبع بألف بعد الميم وبدونها؛

فالأول: من "الملك" بكسر الميم، كما قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾. والثاني: من "الملك" بضم الميم وكلاهما ثابت لله تعالى، قال البيضاوي: «أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع، كقولهم: يا سارق الليلة أهل الدار، ومعناه: ملك الأمور يوم الدين، أو له الملك في هذا اليوم وجه الاستمرار.»⁷

1 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 27

2 أبو إسحاق الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى. ص 29

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 40

4 المصدر نفسه. 6 / 42-43 عن "لسان العرب" ص 1611-1612

5 المصدر نفسه. 6 / 44

6 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ص 39-40-41-42

7 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي. 1 / 73-74-75

قال محمد تقي الدين: والإضافة هنا بمعنى "في" كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ﴾ [سبأ: 33] والدين: الجزاء، قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَ يُدْعَى اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ [النور: 25]
قال الحماسي:

فأمسى وهو عريان
وإن دنأهم كما دنأوا¹

فلما صرح الشر
ولم يبق سوى العود

• ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 23]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

وكف عني أذى ذي المكر والحيل
وألبس الجسم منه سابغ الحلل
إن يعترني طلبى شيء من الملل

يا خالق الخلق هب لي خيرهم أبدا
يا بارئاً جد براء منك في عجل
ويا مصور حبب لي دعاك فما

قال ابن كثير: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 24]، الخلق التقدير، والبراء هو تنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى عالم الوجود، والمصور: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريد لها ويختارها، كقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8].³

وقال الزجاج: «قال الزجاج - وإنما احتججنا بكلامه لأنه كان بقية الفصاحة-: «إني لا أخلق إلا فريت.» تمدح بهذا المعنى الذي ذكرناه.

وقال الله تعالى ذكره: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17] أي: تقدرونه وتمهثونه، ومنه قولهم: حديث مختلق؛ يراد أنه قدر تقدير الصدق وهو كذب.

فالخلق في اسم الله تعالى هو ابتداء تقدير النشاء.⁴

وهذا ما قرره الهلالي، فقال: «إن الخلق بمعنى الإيجاد والإنشاء خاص بالله تعالى، ومن أسماؤه سبحانه: الخالق والخالق، قال تعالى في سورة النحل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17]، وقال تعالى في السورة نفسها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: 19-20]، وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16].
أما في هذا الزمان الذي اختلت فيه الموازين والمقاييس، وصار الناس فوضى في الإنشاء العربي، فلم يبق الخلق خاصا بالله تعالى بل صار الناس كلهم خالقين وخلاقين.

قال في لسان العرب: «خلق: "الله تعالى وتقدس الخالق والخالق، وفي التنزيل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلْقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 24]، وفيه: ﴿بَلْ وَهُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 81]، وإنما قُدِّم أول وهلة، لأنه من أسماء الله تعالى 5.

1 البيت من الهزج، وهو للفتن الزماني (شهل بن شيبان) في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 8 / 105

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 149-150

3 تفسير ابن كثير. 8 / 80 باختصار، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 262

4 أبو إسحاق الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى. ص 36

5 في لسان العرب: جل وعز.

الأزهري: ومن صفات الله تعالى الخالق والخالق ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله ﷻ، وهو الذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها، وباعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالقاً» 2«1» خالقاً» 2«1»

وقال في اللسان أيضاً: «الخلق في كلام العرب: ابتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].» 3

وقال في المعنى الثاني للخلق في كلام العرب: «ويطلق الخلق أيضاً على التقدير، قال في اللسان: «وخلق الأديم يخلقه خلقاً، قَدَرَهُ لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو حُفّاً، قال زهير يمدح رجلاً:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق تم لا يفري 4

يقول: أنت إذا قدرت أمراً قطعته وأمضيته، وغيرك يُقدر ما لا يقطعه، لأنه ليس بإضي العزم، وأنت مضاء ما عزمت عليه.» 5

أقول: وقد رأيت أهل البادية في الصحراء يدبغون جلد البعير ويقطعون نعالاً، فكلمنا أحدهم إلى نعلين يضع قدميه اليمنى على قطعة كبيرة من الجلد المذكور، فيأتي الشخص الذي يقطع النعلين ويخط خطأ إلى جانب القدم دائراً بها، وذلك هو الخلق، ثم يقطع النعل على ذلك التخطيط، وذلك القطع هو الفري، ثم يفعل ذلك بالقدم الأخرى، فتجيء النعلان على قدر القدمين بلا زيد ولا نقص، فقول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق تم لا يفري 6

يريد أن ممدوحه متى عزم على شيء نفذ عزمه، وغيره يعزم ويقدر، ثم لا ينفذ شيئاً، لأنه خائر العزيمة، ضعيف الإرادة.» 7

وبهذا المعنى وصف الله نبيه عيسى عليه السلام؛ قال محمد الأمين الشنقيطي: «قوله تعالى: ﴿أَنَّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران: 49]

هذه الآية يوهم ظاهرها أن بعض المخلوقين ربياً خلق بعضهم، ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17]، وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الله هو خالق كل شيء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وقوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 62]، إلى غير ذلك من الآيات.

والجواب ظاهر: وهو أن معنى خلق عيسى كهية الطير من الطين هو: أخذ شئاً من الطين وجعله إياه على هيئة - أي صورة - الطير، وليس المراد الخلق الحقيقي، لأن الله متفرد به جلّ وعلا، وقوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17]: معناه: تكذبون، فلا منافاة بين الآيات كما هو ظاهر.» 8

قال الهلالي: «المعنى الثالث للخلق هو الكذب، قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّمَا تَبْدُونَ مِنَ اللَّهِ أَوْفَنَّا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17] أي تكذبون كذبا.

وقال الشاعر:

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 1243-1244

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 15

3 المرجع السابق. ص 1244، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 15-16

4 البيت من الكامل، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه بشرح: علي حسن فاعور. ص 56

5 ابن منظور: لسان العرب. ص 1245

6 المرجع السابق.

7 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 16

8 محمد الأمين الشنقيطي: دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. مصر ومكتبة الخراز. جدة. السعودية. ط 1. 1417 هـ/ 1996 م. ص 40

من كان يخلق ما يقو ل فحياتني فيسه قليلة 27
والخلق لا يسند لغير الله إلا إذا كان بمعنى التقدير أو الكذب؛ قال الهلالي: «الذي منع من استعمال الخلق بمعنى الإيجاد والإنشاء، وخصه بنفسه سبحانه هو الله، والقرآن أكبر حجة في اللغة العربية على المؤمن به والكافر به، قال تعالى في سورة النحل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17] فالذي يخلق هو الله، والذي لا يخلق هو غير الله، فمن زعم أن غير الله يخلق، وكان ينتسب إلى الإسلام فقد كذب القرآن، وإن كان لا ينتسب إلى الإسلام فهو جاهل باللغة العربية، فهذا خطأ خسف.
وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمَّا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: 20-21]

ومن المعلوم أن الآلهة التي اتخذوها من دون الله منها ما يعقل كالملائكة وعيسى وأمه والصالحين، ومنها تماثيلهم التي يزعمون أن أرواحهم لا تفارقها، وهي الأصنام والأوثان. 3
وقال: «قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: 23]

وقال تعالى في سورة فاطر: ﴿هَلْ مِن خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تُوَفَّقُوا ﴿٦﴾﴾
فهذه الآيات ناطقة بأن الخلق لا يُسند إلى غير الله البتة، لا فعلا ولا اسما مُعرفا أو نكرة، وقال تعالى في سورة لقمان: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: 11].

فالخلق لا يسند إلى غير الله تعالى إلا إذا كان بمعنى التقدير كما في البيت الذي أنشدته من قبل، وهو قول الشاعر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ
ض القوم يخلق ثم لا يفري 4

أو بمعنى الكذب، كقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: 17]
وأما قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: 49]، كتبت ما تقدم قبل أن أراجع "غريب" القرآن للراغب، فوجدت كلامه مطابقا لما قلته، ولما كنت أريد أن أقوله، والله الحمد. 5

ودونك كلام الراغب؛ قال: «الخلق أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 1] أي: أبداعها بدلالة قوله: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: 117]، ويُستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، نحو قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ [الزمر: 6]، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [النحل: 4]، ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ﴾ [المؤمنون: 12]، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ﴾ [الرحمن: 15]

وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا الله، ولهذا قال في الفصل بينه تعالى وبين غيره: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 17] وأما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال كعيسى: قَالَ تَمَالَى: ﴿وَإِذْ نَخَلُّ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ﴾ [المائدة: 110].

والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين أحدهما في معنى التقدير، كقول الشاعر:

1 البيت من مجزوء الكامل، وهو لمنصور الفقيه في سير أعلام النبلاء للذهبي. ت: حسان عبد المنان. بيت الأفكار الدولية. لبنان. 2004م. ص 3945

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 16

3 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 190

4 البيت من الكامل، وهو لزهير في ديوانه ص 56.

5 المصدر السابق. ص 191

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يفري

والثاني في الكذب نحو قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17] «2.1»

وورد لفظ الخلق في القرآن على أوجه ترجع كلها للمعاني الثلاثة السابقة؛ قال مقاتل بن سليمان: «الخلق على سبعة أوجه: الوجه الأول: الخلق يعني الدين...»

الوجه الثاني: الخلق يعني الخرص والكذب، فذلك قوله في الشعراء: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوْلِينَ﴾ [الشعراء: 137] يعني به ﴿خُلِقَ

الْأَوْلِينَ﴾ تخرصهم بالكذب، وقال في العنكبوت: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: 17] يعني: تخرصون كذبا، وقال في ص: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَنْخَلَقُ﴾ [ص: 7] يعني: اختلقه تخرصه من تلقاء نفسه.

الوجه الثالث: الخلق يعني التصوير، فذلك قوله في المائدة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [المائدة: 110] يعني: تصور من الطين كهيئة الطير، ...

الوجه الرابع: الخلق يعني النطق.

الوجه الخامس: خَلَقَ يعني جعل، فذلك قوله في الشعراء: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الشعراء: 166] يعني: الذي جعل لكم من فروج نساتكم.

الوجه السادس: الخلق يعني البعث، فذلك قوله في الصافات: ﴿أَمْ أَشْذُ خَلْقًا﴾ [الصافات: 11]...

الوجه السابع: الخلق في الدنيا، فذلك قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1] يعني: افتعل خلقها ولم يكونا شيئا،

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12] يعني: خلق الخلق حين خلقهم الرب تبارك وتعالى في الدنيا. 3 وخلص الهلالي إلى: «الذي أرتضيه وأدعو إليه هو استعمال الإيجاد والإنشاء وترك استعمال الخلق فيما يفعله غير الله تعالى، فيقال: فلان أحدث أو أوجد نهضة أدبية في قومه.» 4

أما البرء؛ فيقول فيه عبد الحميد الفراهي: «البرء يشبه الخلق من بَرَأَ يَبْرُؤُهُ، ومنه البرية، وترك همزها.

واعلم أن البرء ليس مرادف الخلق إلا على التجوز؛ فإن الخلق أصله التقدير، والبرء إصلاحه، والتصوير إتمامه، ولذلك قال تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَرِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: 24] كما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوْنِي﴾ [الأعلى: 2] 5

وقال الزجاج: «يقال برأ الله الخلق فهو يبرؤهم برء إذا فطرهم.

والبرء خلق على صفة؛ فكل مبروء مخلوق وليس كل مخلوق مبروء؛ وذلك لأن البرء من تبرئة الشيء من الشيء من قولهم: برأت من المرض وبرئت من الدين أبرأ منه، فبعض الخلق إذا فصل من بعض سمي فاعله بارئا وفي الأيمان: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة.

وقال أبو علي: هو المعنى الذي به انفصلت الصور بعضها من بعض فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو، وصورة حمار مفارقة

لصورة فرس فتبارك الله خالقا وبارئا.» 6

وجعل الله لكل مخلوق صورة؛ قال الزجاج: «المصور: هو مُفَعَّلٌ من الصورة، وهو تعالى مصور كل صورة لا على مثال احتذاه ولا

رسم ارتسمه، تعالى عن ذلك علوا كبيرا.» 7

1 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. 1/ 209

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 191-192

3 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. ص 92-93

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 192

5 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 343، وقال: «البرية: الخلق، وأصله الهمز، والجمع: البرايا والبريات.» ص 344

6 الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى. ص 37

7 المرجع نفسه والصفحة

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: 6]
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنٍ وَثُلُثٍ وَرَبِّعٍ يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: 1]

وقال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملكٍ من حملة العرشِ رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنيه العرشُ وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت.»¹

وقال: «إنَّ الله أذن لي أن أحدث عن ديكٍ قد مرَّ قُتَّ رجلاه الأرض، وعُنُقُهُ مُثَنَّنٌ تحتَ العرشِ وهو يقول: سبحانك ما أعظمك ربنا، فيرد عليه: ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا.»²

وفي الحديث: «أنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِرْبِيلَ لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاح.»³

والخلاصة: لا يقال لغير الله ﷻ خالق، ويسمى الله خالقا وخلقا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر: 86]، أما عيسى ﷺ فكان يبيء الطين ويصوره على شكل طير، والخلق الحقيقي من الله سبحانه وتعالى، فلا يمكن لأحد أن يخلق ذرة.

• ﴿الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: 32]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

عليم جـد لي بعلم منك يحملني
 على التقى واحمني من عصبة الجدل
 قال ابن الأثير: (في أسماء الله تعالى "العليم"، هو العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقتها وجليلها، وفَعِيلٌ من أبنية المبالغة.)⁴

قال الهلالي: «قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: 12].»⁵

[12].»⁵، و«علم الله ليس له أول ولا آخر ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا يعتريه النسيان، وهو كسائر صفاته غير مخلوق وعلم الإنسان مخلوق.»⁶، و«أجمع أهل السنة والجماعة على أنه لا يعلم الغيب إلا الله، ومن اعتقد أن أحدا من المخلوقين يعلم الغيب فقد كفر بالقرآن العظيم، وكذب القرآن والرسول ﷺ.»⁷

وفي قول الله ﷻ: ﴿قَالَ يَتْلَأُمْنَاهُمْ يَأْتَوْنَهُمْ فَلَمَّا أَبْأَتْهُم بِأَنْبَاءِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: 33] قال: «المراد هنا أن علم الله محيط بكل شيء، لا يشارك الله أحد في علمه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فهو عالم الغيب والشهادة، وغيره لا يعلم إلا ما علمه الله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: 65].»⁸

وقال في موضع آخر: «أخبر الله سبحانه وتعالى أنه يعلم كل شيء سرا كان أو جهرا، وهذه صفة خاصة به، فمن لمن تكن فيه هذه الصفة لا يستحق العبادة، وأخبر أن المشركين يعبدون من لا يستحق العبادة من المخلوقين، فيعبدون تماثيل الأنبياء والصالحين

1 الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته. حديث رقم 853. ص 208

2 الألباني: الصحيحة. حديث رقم 150. 1/ 281

3 رواه البخاري 4807

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 632

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 263-264

6 الهلالي: دواء الشاكن وقامع المشككين. 21/ 28

7 المصدر السابق. 2/ 259

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 13

وقبابهم وقبورهم والأماكن التي جلسوا فيها، وهذه من الجهاد الذي لا يحس، فكيف يسمع أو يبصر؟! فكيف يعلم السر والجهري؟! ويعبدون أرواح الصالحين، وهي لا تسمعهم ولا تبصرهم، ولو سمعتهم ما قدرت أن تنفعهم بشيء، كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَابًا وَكُنْتُمْ أَشْجَارًا تَوَدَّ أَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْكُمْ آلًا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْكُمْ آلًا قُلُوبُهُمْ غَافِلَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [النحل: 22، الكهف: 110، الأنبياء: 108، فصلت: 6] معناه: معبودكم الذي يستحق العبادة وينفع ويضر ويحي ويميت، هو الله وحده. 1 وأنكر صفة العلم الجهمية والقدرية. 2

• ﴿السَّمِيعُ﴾ [البقرة: 127]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

وياسميع الدعاء أدعوك مبتهلا وأنت ربي مجيب كل مبتهل قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى "السميع"، وهو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي، فهو يسمع 3، وفعيل من أبنية المبالغة. 4 قال محمد تقي الدين الهلالي: «وفي دعاء الصلاة: «سمع الله لمن حمده». 5 أي أجاب من حمده وتقبله، يقال: اسمع دعائي، أي: أجب؛ لأن أجب؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبول. 6 ويؤيده من كلام العرب ما نقله الزجاج، قال: «أنشد أبو زيد في النوادر: دعوت الله حتى خفت ألا أي: لا يجيب. 8

وقال الأزهرى: «السميع من صفات الله وأسمائه، وهو الذي وسع سمعه كل شيء؛ كما قال النبي ﷺ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1]، وقال في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ﴾ [الزخرف: 80]

قلت: والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع، فرارا من وصف الله بأن له سمعا. وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع: ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسميع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصفه بما وصف به نفسه بلا تحديد ولا تكييف.

ولست أنكر في كلام العرب أن يكون السميع سامعا، ويكون مُسمعا، وقد قال عمرو بن معدي كرب:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ 9

وهو في البيت بمعنى: المسموع، وهو شاذ، والظاهر الأكثر من كلام العرب أن يكون السميع بمعنى السامع؛ مثل: عليم وعالم، وقدير وقادر. 10

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 591

2 المصدر نفسه. 5/ 285-286

3 في النهاية: «فهو يسمع بغير جارحة.» ولم يثبتها الهلالي لأنها مخالفة لعقيدة سلف هذه الأمة.

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 445

5 رواه البخاري 690

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 265

7 البيت من الوافر، وهو لشمير بن الحارث الضبي، أو لشمير بن الحارث. قاله إميل يعقوب في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 6/ 312

8 الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى. ص 42

9 البيت من الوافر، وهو لعمرو بن معدي كرب الزبيدي. جمع: مطاع الطرابيشي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. ط 2. 1405 هـ / 1985 م. ص 140

10 الأزهرى: تهذيب اللغة. 2/ 123-124

وأنكر صفة السمع الجهمية 1.

وسمع الإنسان في القرآن على وجهين؛ قال مقاتل بن سليمان: «السميع على وجهين:

الوجه الأول: السميع يعني سميعا الإيمان بالقلب، فذلك قوله في هود: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ [هود: 20] [يعني: لم يطيقوا

سمع الإيمان بالقلب، وقال في الكهف: ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ ﴾ [الكهف: 101] يعني: سمع الإيمان بالقلوب.

الوجه الثاني: السميع، يعني: سمع الأذنين، فذلك قوله في ﴿ هَلْ أَتَى ﴾: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا ﴾ [الإنسان: 2] يعني: سمع الأذنين، وقال

في آل عمران: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ [آل عمران: 193] فالمنادي النبي ﷺ. 2.

• ﴿ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

ويا بصير بحالي قد مضى بصري هب لي البصيرة كي أنجو من الخطل

قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى البصير، هو الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيتها 3».

وبصر الإنسان في القرآن على ثلاثة أوجه ذكرها مقاتل بن سليمان:

الوجه الأول: البصر البصر بالقلب، فذلك في يونس: ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ۝٤٣ ﴾ [يونس: 43] يعني:

الهدى بالقلب، وقال في الملائكة: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ ﴾ [فاطر: 19] يعني: بصير القلب بالإيمان، وقال في الأعراف:

﴿ وَرَبَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ۝١٧٨ ﴾ [الأعراف: 198] يعني: بالقلب.

الوجه الثاني: البصير يعني البصير بالعين، فذلك قوله في ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ ﴾: ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ [الإنسان: 2]

يعني: بالعينين، [وقال في يوسف: ﴿ فَأَزْدَدْ بَصِيرًا ۝٩٦ ﴾ [يوسف: 96] يعني: بصيرا بعينين.، وقال في ق: ﴿ فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَلِيدًا ۝٢٢ ﴾ [ق:

22] يعني: بصيرا بالعين.

الوجه الثالث: البصير يعني البصير بالحجة في الدنيا، فذلك قوله في طه: ﴿ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ ﴾ [طه: 125] يعني: بالحجة في

الدنيا. 5

قال محمد تقي الدين الهلالي: «من الأدلة على سمع الله وبصره سبحانه وتعالى: قوله سبحانه في سورة مريم حكاية عن خليله

إبراهيم عليه السلام في سورة مريم رقم (42): ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢ ﴾ [مريم: 42]

فنفى إبراهيم عن آلهة أزر ثلاثة صفات: السمع والبصر والقدرة على النفع، ومن انتفت عنه هذه الصفات لا يستحق أن يُعبد لصممه

وعماه وعجزه، وقال تعالى في سورة الأنبياء حكاية عنه أيضا في محاجته لقومه: ﴿ مَا هَذِهِ إِلَّا تَمَائِيلُ آلِيٍّ أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝٥٤ ﴾ قَالُوا وَجَدْنَا

عَابِدَاءَ نَاهَا عَائِدِينَ ۝٥٣ قَالُوا لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ ﴾ [الأنبياء: 52 - 54] فنفى عنهم السمع والقدرة على

النفع والضرر، وذلك يقتضي أنهم مخلوقون، مربوبون، والله سبحانه هو السميع البصير النافع الضار المعطي المانع المحيي المميت، له

الملك، لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون. 6»

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 285-286

2 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ص 218

3 في النهاية: «بغير جارحة»، ولم يثبتها الهلالي لأنها مخالفة لعقيدة سلف الأمة.

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 79، و: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 265

5 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ص 217-218

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 322

• ﴿الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

إني إلى الحَكَمِ الأعلى أَحَاكِمَ مَنْ
بغى علي ولم يصغ إلى عذلي
قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى "الحكم" و"الحكيم"، هما بمعنى الحاكم وهو القاضي،
والحكيم فعيل بمعنى فاعل.

أو هو الذي يُحَكِّمُ الأشياءَ ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مُفَعِّلٍ.

وقيل: الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم،
ومنه حديث صفة القرآن: «وهو الذكر الحكيم» أي الحاكم لكم وعليكم.

أو هو المحكَّم الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعيل بمعنى مفعول، أُحَكِّمُ فهو مُحَكَّمٌ، ومنه حديث ابن عباس: «قرأت المحكَّم على
عهد رسول الله ﷺ»، يريد: المفصل من القرآن؛ لأنه لم ينسخ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن متشابهاً؛ لأنه أُحَكِّمُ بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى
غيره»¹

قال الهلالي: ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ظاهرة للناس أو خفية عنهم»²

وفي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ لَهُ غَيْبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: 26] قال: «فسروا الحكم في قوله تعالى بالقضاء، أي لا يشرك الله تعالى في قضائه أحداً،
ومعنى الحكم أعم من ذلك، فقد قال الله تعالى في شأن المهاجرات المؤمنات إلى المدينة: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَتَكَلَّمُ بِتَكَلُّمٍ﴾ [المتحنة: 10]
إشارة إلى عدم ردهن إلى الكفار، وأنهن لا يجلدن لهم وأنهم يعطون أزواجهن ما أنفقوا عليهن، وأنه يجوز لهم أن يتزوجوا بهن فسمى
الله ذلك حكماً، وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: 43] أي: بالرجم على الزانيين
المحصنين،... فالحكم هنا كذلك يشمل الأحكام الخمسة وهي: الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح كلها لله»³

• ﴿الْعَلِيُّ﴾ [الشورى: 4]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

وأعل قدرى يا علي عندك ثـ
قال ابن الأثير في النهاية: «في أسماء الله تعالى العلي المتعالي؛

فـ "العلي": الذي ليس فوقه شيء في المرتبة والحكم، فعيل بمعنى فاعل، من علا يعلو»⁴

وأورد محمد تقي الدين الهلالي أدلة علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه الذي هو فوق المخلوقات كلها ما يشفي صدور أهل
الحق⁵، وعلو الله سبحانه وتعالى علو ذات، وعلو قدر وصفات، وعلو قهر؛ قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:
[الأعلى: 1]، وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: 60]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18، 61]

1 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 222-223، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 266

2 المصدر نفسه. 1/ 320-321

3 المصدر نفسه. 3/ 269-270-271

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 639

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 267

قال محمد تقي الدين: «إن صفة العلو والفوقية ثابتة لله تعالى، فهو فوق عرشه المجيد، بائن من خلقه، والجهمية حرمهم الله تعالى من إثبات هذه الصفة لفساد عقولهم، فإنهم يقيسون الله تعالى على أنفسهم، ويزعمون أن الفوقية تستلزم الجهة وأن الجهة تستلزم التحيز، وفي ذلك تشبيه الله بخلقه ﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَّرُوهُ ﴾»¹ وقال:

ونعتقــد الإلهه ســبحانه
ولسنا نـؤول ذلك بقهــر
على عرشه ذي التعالي استوى
ولا غيره مثل من قد مضى²

ودونك التفصيل:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «الآيات والأحاديث الدالة على علو الله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: 122] وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: 54]، وقال تعالى: ﴿ يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: 5]، وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: 10]، وقال تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: 55]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا قُلُّوهُ يَقِينًا ﴾ [بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ] [النساء: 157-158]، وقال تعالى في الملائكة: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: 50] وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [آمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا] [الملك: 16-17]، وقال تعالى: ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ [تَمُورُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ] [المعارج: 3-4]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَكُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ الْأَسْبَابَ ﴾ [آسَبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا] [غافر: 36-37]»³

أين الله؟

قال محمد تقي الدين الهلالي: «جميع الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأئمة الحديث يعتقدون أن الله فوق عرشه الذي هو أعظم المخلوقات، وعرشه فوق سماواته ويجاربون عقيدة من يقول: إن الله في كل مكان»⁵ وقال: «من الأحاديث الواردة المتواترة في العلو: حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنيمة بين أحد والجوانية⁶ فيها جارية لي، فاطلعتها ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة - وأنا رجل من بني آدم - فأسفت⁷، فصككتها⁸، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له، فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله، أفلا أعتقتها؟ قال: ادعها، فدعوها، فقال لها: أين الله؟ فقالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقتها فإنها مؤمنة.

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 55-56

2 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة النيجانية. ص 78

3 قال محمد تقي الدين: «جميع الأنبياء والرسل يعتقدون أن الله في السماء... كما حكى الله تعالى عن فرعون أنه قال لوزيره: ﴿ يَهْمَكُنْ أَبْنِي لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ الْأَسْبَابَ ﴾ [آسَبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى] [غافر: 36-37] يفهم من هذا أن فرعون سأل موسى عن إله الذي يدعوا إليه، فأخبره أنه في السماء، فظن بجعله أن وزيره وقومه يستطيعون أن يبنوا بناء يصل إلى السماء التي فيها الله تعالى.» سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 105

4 المصدر نفسه. 5/ 89-90 عن "العلو للعلي الغفار" للذهبي. انظر: الألباني: مختصر العلو للعلي الغفار. المكتب الإسلامي. دمشق. سوريا. ط. 1401 هـ / 1981م. ص 79-80 باختصار

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 178

6 قال الألباني: «موضع شمال المدينة المنورة.» مختصر العلو للعلي الغفار. ص 81

7 قال الهلالي: «أي غضبت.» المصدر السابق. 5/ 100

8 قال الهلالي: «أي ضربتها بيدي على وجهها.» المصدر نفسه والصفحة.

هذا حديث صحيح رواه جماعة من الثقات عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية السلمى، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم، يمرونه كما جاء، ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف. 1
قال محمد تقي الدين: «في هذا الحديث السؤال عن الله تعالى بـ "أين"، ومنعه الخوارج وسائر الفرق المعطلة كالمعتزلة والمتأخرين من الأشعرية، وزعموا أن من سأل عن الله بـ "أين" فهو مجسم، واختلفوا في كفره وفسقه ومعصيته، فيلزمهم نسبة ذلك إلى نبي الله الذي جاءنا بالإيمان، فقيح الله علماً يفضي إلى مثل هذا، وفيه إقرار النبي عليه الصلاة والسلام بأن الله في السماء، وأنكرته المعطلة، واختلفوا في كفر معتقده، فيا ويلهم ماذا جنوا على أنفسهم بسبب جهلهم وعمى بصائرهم، فنعوذ بالله من الخذلان. 2
وفي حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة: ألا هل بلغت؟ فقالوا: نعم. - يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم-، ويقول: اللهم اشهد. 3

قال محمد تقي الدين: «ماذا تقول المعطلة في إشارة النبي ﷺ بأصبعه إلى السماء عند قوله: «اللهم اشهد»، فهل كان يشير إلى العدم كما تعتقدون، فبعضكم يقول: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، فالإشارة إليه عندكم مستحيلة، وقد أشار إليه النبي ﷺ وأشارت إليه الجارية، وأقرها على ذلك رسول الله ﷺ، والنبي وأصحابه على حق، فأنتم إذا على باطل. 4
وعن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء، الرّحْمُ سُجْنَةٌ من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله. 5
قال محمد تقي الدين: «ما المراد بقول النبي ﷺ: «يرحكم من في السماء»؟ هل يملك الرحمة أحد غير الله تعالى؟ كلا إنه هو العزيز الرحيم العلي الكريم، وذلك مصداق قول الله تعالى في سورة الملك: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾، فأنت ترى أن الآيتين والحديث يدلان دلالة واضحة على أن الله في السماء فوق العرش. 6

قال محمد تقي الدين: «أما قوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: 16] فمعناه من على السماء؛ يعني العرش، وقد تكون "في" بمعنى "على"، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَيَسْجُدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: 2] أي على الأرض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71] 7
ونقل الهلالي عن أبي بكر محمد بن موهب المالكي شارح "رسالة ابن أبي زيد" قوله: «قد تأتي "في" في لغة العرب بمعنى "فوق"، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَازِلِهَا﴾ [الملك: 15] يريد فوقها، وعليه كذلك قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: 16] الآيات.

قال أهل التأويل العاملون بلغة العرب: يريد فوقها، وهو قول مالك بما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها. 8
وعن أنس أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات. 9

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 96-97-100 عن "العلو للعلي الغفار". انظر: "مختصره" للألباني. ص 81

2 المصدر نفسه. 5/ 100-101

3 رواه مسلم 1218، وفيه: «وينكتها إلى الناس.»

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 101

5 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 1924. 2/ 350

6 المصدر السابق. 5/ 102-103

7 الهلالي: تجديد الدعوة إلى عقيدة السلف. ص 69

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 179

9 رواه البخاري 7420

قال محمد تقي الدين: «إذا قال الجهمي أن كون إرادة التزويج أو فعله وقع في الساء لا يدل على أن الله فوق سبع سماوات، فجوابه: إن إرادة الله وفعله عامان في جميع الأشياء في الأرض والسماء، وإنما أرادت زينب أن الله فوق سبع سماوات وأن تزويجها كان عنده، كما فهمه أئمة الحديث واحتجوا به على أن الله في السماء، وأما الجهمية فإنهم أهل حدث وليسوا من أهل الحديث.»¹
وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تأمنوني، وأنا أمين من في السماء؛ يأتيني خبر السماء صباحا ومساء؟»²

قال محمد تقي الدين: «هذا الحديث صريح.»³
وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها، حتى يرضى عنها زوجها.»⁴

قال محمد تقي الدين: «من الذي سخط عليها وهو في السماء؟ أ تستطيعون أن تقولوا: سخط أمره؟ أو سخطت قدرته؟ فقد فضحككم الله، فاتركوا التستر بالباطل، ولا تحاولوا ستر الشمس بالغربال، أ تكفرون بالذي في السماء؟ وقد آمن به رسول الله ﷺ وأهل القرون المفضلة؟

ارجعوا إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التهادي في الباطل.»⁵

وحديث الإسراء من أعظم الأدلة التي لا يشك فيها من يؤمن بها، لأنه رواه جميع أهل الحديث، ودل عليه القرآن، قَالَ قَعَالِي:
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرٌ بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: 1]⁶

قال محمد تقي الدين بعد إيراده: «دل ذلك على أن الله تعالى فوق عرشه، وعلمه محيط بكل شيء.»⁷
ويؤيد الهلالي صديقه المصلح الكبير صاحب المنار محمد رشيد رضا في إثبات علو الله؛ قال: «أول الأشاعرة أكثر النصوص من الآيات والأحاديث في صفات الله وأفعاله وشؤون عالم الغيب بناء على مخالفة نصوصها أو ظواهرها للأدلة العقلية النظرية التي كانوا يجزمون بها، وما هي بأدلة قطعية بل نظريات كانت مسلمة كتأويلهم لعلو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه بناء على استلزامها الجهة، واستلزام الجهة للتحيز الذي هو من خصائص الأجسام، وهذه نظريات كانت مسلمة عندهم، وهي في نفسها ليست بشيء حتى إن الفيلسوف الأكبر ابن رشد رد عليهم فيها، وأثبت من جهة العقل ما كان عليه السلف من القول بعلو الله تعالى.»⁸

قال محمد تقي الدين: «إن كل من اعتقد علو الله تعالى واستوائه على عرشه وبينوته من خلقه لا يرد شيئا من الصفات، ومن سوء الحظ أن نفي هذه الصفة الكريمة قد شاع في بلاد المسلمين منذ أزمان متطاولة، فعامتهم يقولون: الله في كل مكان بذاته، وخاصتهم تقول: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا في أي جهة من الجهات الست، لأن المعتزلة والخوارج والمتأخرين من الأشعرية نجحوا في تضليل الناس وإبعادهم عن الإيمان بعلو الله تعالى وكونه فوق خلقه، فالحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.»⁹

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 104، وانظر: 5/ 137

2 رواه البخاري 4351، ومسلم 144

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 104

4 رواه مسلم 121

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 105

6 رواه البخاري 3207، ومسلم 246 وانظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 110-111-112

7 المصدر نفسه. 5/ 112

8 شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة. ص 540

9 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 247

الاستواء على العرش معلوم والكيف مجهول:

قال ابن تيمية: «أما "العرش" فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الآية [غافر: 7]، وقال سبحانه: ﴿وَيَجُلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 17]؛ فأخبر أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة، وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين. 1 وأضاف: «قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ الآية [الزمر: 75]، فذكر هنا أن الملائكة تحف من حول العرش، وذكر في موضع آخر أن له حملة وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال: ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر: 7]، وأيضا فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7]، وقد ثبت في "صحيح البخاري" وغيره عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض» 2، وفي رواية له: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء» 3. 4، «وثبت في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» 5، وهذا التقدير بعد وجود العرش وقبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

وهو سبحانه وتعالى متمدح بأنه ذو العرش كقوله سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا ذُكِرَ الْعَرْشُ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 42]، وقوله تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: 15]، ﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤٌ لَا يُنْفَعُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [ذو العرش المجيد] ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 14-16] وقد قرئ ﴿الْمَجِيدُ﴾ بالرفع صفة لله؛ وقرئ بالخفض صفة العرش. 6

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: 86]

قال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾ [المؤمنون: 116]

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم» 7 وخلص إلى القول: «ومع هذا فلم يخص واحدا من هذه الأجناس عما يليه بالذكر؛ ولا بوصفه بالكرم والمجد والعظمة» 8

وفي شرح حديث رسول الله ﷺ: «إذا سألتكم الله فسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن» 9 قال ابن ابن تيمية: «قوله عن 10 الفردوس إنها "أوسط الجنة وأعلىها" مع قوله: إن "سقفها 11 عرش الرحمن" وإن "فوقها عرش

1 ابن تيمية: عرش الرحمن. ت: عبد العزيز السَّيرَوَان. دار العلوم العربية. بيروت. لبنان. ط. 1. 1415 هـ / 1995 م. ص 67-68

2 رواه البخاري 3166

3 رواه البخاري 7418

4 ابن تيمية: عرش الرحمن. ص 68

5 رواه مسلم 2653، ولفظه: «كتب الله مقادير الخلائق.»

6 المرجع السابق. ص 69

7 رواه البخاري 6346، ومسلم 2730

8 ابن تيمية: عرش الرحمن. ص 70-71

9 رواه البخاري 7423

10 الصواب: قوله في..

11 قال رسول الله ﷺ في الشهداء: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت.» رواه مسلم 1887

الرحمن"، والأوسط لا يكون الأعلى إلا في المستدير. 1، و«إذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو وهو فوقها مطلقاً». 2، و«الله تعالى محيط بالمخلوقات كلها إحاطة تليق بجلاله؛ فإن السموات السبع والأرض في يده أصغر من الحمصة في يد أحدنا». 3

هذا العرش، أما الاستواء عليه فكتب الهلالي: «قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54] قال فيه الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة وهذا أحسن ما قيل في تفسيره فإن الاستواء في لغة العرب معلوم معناه وكيفية ذلك لا يعلمها إلا الله واعتقاد السلف الصالح إمرار آيات الصفات كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل. 4 وقال: «الله في السماء فوق العرش، والعرش أعلى المخلوقات وأعظمها، وهو غني عن العرش، والعرش فقير إليه، فيا أيها المعطلون توبوا من التعطيل، وآمنوا بما جاء في التنزيل، واتبعوا السلف واحذروا التلف، والله يهدينا وإياكم إلى صراط مستقيم. 5 وقال: «ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة؛ قال: حدثني الخليل، وحسبك بالخليل، قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم ما رأيت، فإذا هو على سطح، فسلمنا، فرد علينا السلام وقال: استوا فبقينا متحيرين، ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جانبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، فقال الخليل: هو من قول الله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11] فصعدنا إليه.

قال: وأما من نازع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي 6 عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد 7 عن مجاهد 7 عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: 5] قال: استوى على جميع بريته، بريته، فلا يخلو منه مكان، فالجواب أن هذا حديث منكر على ابن عباس رضي الله عنهما، ونقلته مجهولون وضعفاء: فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الأحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا؟ أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَيْنَ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أُنَجِّى مِنَ الْآسِنَةِ﴾ [الأنبياء: 63] أسبب السموات فأطلع إلى الله موسى وإني لأظنه كاذباً [غافر: 36 - 37] فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام، كان يقول: إلهي في السماء، وفرعون يظنه كاذبا. 8

وقال: «أما ادعاءهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل "استوى": استولى، فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله تعالى لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته، حتى تتفق الأمة إنه أريد به المجاز، إذا لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ﷻ على الأشهر والأظهر من وجوه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ اتباع المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهودات مخاطباتها، مما يصح معناه عند السامعين.

1 ابن تيمية: عرش الرحمن. ص 75-76

2 المرجع نفسه. ص 89، قال محقق "الرسالة العرشية" عبد العزيز السيروان: «يدور القمر في فلكه ضمن السهوات السبع، وضمن السماء الأولى بالتحديد إذا اعتبرنا اعتبرنا السماء الأولى كرة؛ الشمس والقمر والنجوم والكواكب والأرض تدور بداخلها، وتأتي السهوات الست من فوقها كرات أكبر تحويها.» ص 77، وقال ابن تيمية: «ما علم بالحساب - علما صحيحا - لا ينافي ما جاء به السمع وأن العلوم السمعية الصحيحة لا تنافي معقولا صحيحا» ص 77

3 المرجع نفسه. ص 90

4 الهلالي: الإسلام والمذاهب الاشتراكية. ص 5

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 102-103

6 قال ابن حجر العسقلاني: «عبد الله ابن داود الواسطي، أبو محمد التمار ضعيف من التاسعة.» انظر: تقريب التهذيب. ت: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني. الباكستاني. تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة للنشر والتوزيع. السعودية. رقم الترجمة 3318. ص 503

7 قال ابن حجر العسقلاني: «عبد الوهاب ابن مجاهد ابن جبر المكي متروك وقد كذبه الثوري من السابعة.» المرجع نفسه. رقم الترجمة 4291. ص 633

8 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. دار الطباعة الحديثة. الدار البيضاء. المغرب. ص 10-11

والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء، والاستقرار والتمكن فيه، قال أبو عبيدة في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: 5]، قال: علا، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت. وقال غيره استوى: استقر، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ۝١٤﴾ [القصص: 14] انتهى شبابه: استقر فلم يكن في شبابه مزيد.

قال ابن عبد البر: «الاستواء: الاستقرار في العلو، وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه المكنون، فقال: ﴿لَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ۝١٣﴾ [الزخرف: 13]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۝٤٤﴾ [هود: 44]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ ۝٢٨﴾ [المؤمنون: 28] وقال الشاعر:

وَقَدْ حَلَقَ النَّجْمُ الْيَمَانِيَّ فَاَسْتَوَى 1

فأوردتهم ماءً بِفَيْفَاءٍ قَفْرَةَ

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد: استولى؛ لأن النجم لا يستولي. «2»

وقد نقل الهلالي كلام اللغويين في الاستواء، فقال:

قول أبي عبيدة معمر بن المثنى: «ذكر البغوي عنه في "معالم التنزيل" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ۝٢٩﴾ [البقرة: 29]:

قال أبو عبيدة: صعد. 3 وحكاه عنه ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ۝٥٩﴾ [الفرقان: 59]

قول يحيى بن زياد الفراء إمام أهل الكوفة: قال في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: 5] أي: صعد، قاله ابن عباس.

قال: فهو كقول الرجل: كان قاعدا فاستوى قائما، وكان قائما فاستوى قاعدا، ذكره البيهقي عنه في "الأسماء والصفات".

قلت: مراد الفراء اعتدال القائم والقاعد في صعوده على الأرض.

قول أبي العباس ثعلب: روى الدار قطني عن إسحاق الكاذبي قال: سمعت أبا العباس ثعلبا يقول: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۝٥﴾

[الأعراف: 54]: علا، واستوى الوجه: اتصل، واستوى الفم: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها في فعلهما، هذا الذي نعرف من

كلام العرب. «4»

قول أبي عبد الله محمد بن الأعرابي: «قال ابن عرفة في كتاب "الرد على الجهمية": حدثنا داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي

فأتاه رجل، فقال: ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: 5] قال: هو على عرشه كما أخبر. فقال: يا أبا عبد الله

إنما معناه: استولى، فقال: اسكت، لا يقال: استولى على الشيء ويكون له مصادفا إلا إذا غلب أحدهما، قيل: استولى كما

قال النابغة:

سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ 5

إِلَّا لِثَلَاثِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ

قال محمد بن النضر: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي داود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: 5]، بمعنى: استولى، فقلت له: والله ما يكون هذا ولا وجدته.

قول الخليل بن أحمد شيخ سيبويه: «ذكر أبو عمر بن عبد البر في "التمهيد": قال الخليل بن أحمد: استوى إلى السماء: ارتفع إلى

السماء. «6»

1 البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (صحيح) ص 2390، وفيه: "وصبَّحْتُهُمْ" بدل "فأوردتهم".

2 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. ص 9-10 والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 149-150 والهلالي: الدعوة إلى عقيدة السلف. السلف. ص 69-70 عن "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لأبي عبد الله يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي. ت: عبد الله بن الصديق. دون معلومات طبع. 1399 هـ / 1979 م. 7/ 131-132

3 قال ابن كثير: «الاستواء ههنا مضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عُدي بـ "إلى".» الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 9 عن تفسير ابن كثير. 1/ 213

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 221

5 البيت من البسيط، وهو للناطقة الذبياني في معلقته وديوانه. ص 21

6 المصدر السابق. 5/ 222

قول إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه: له كتاب في "الرد على الجهمية" أنكر فيه أن يكون استوى بمعنى استولى، وحكى فيه عن ابن الأعرابي ما قدمنا حكايته عنه، ثم قال: وسمعت داود بن علي يقول: كان المريسي يقول سبحان ربي الأسفل، وهذا جعل من قائله ورد لنص الكتاب إذ يقول الله: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: 16] ورحمه الله، لقد لين القول في المريسي صاحب هذا التسبيح، لقد كان جديرا بما هو أليق به من التجهم.¹

قول الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين عبد القادر الجيلاني: قال في كتاب "تحفة المتقين وسبيل العارفين" في باب اختلاف المذاهب في صفة الله ﷻ وفي ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله: ﴿وَمَا يَكْفُرُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7]

إلى أن قال: «والله تعالى بذاته على العرش، علمه محيط بكل مكان، والوقف عند أهل الحق على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وقد روي ذلك عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش، ويعلم ما في السموات وما في الأرض.»

إلى أن قال: «ووقف جماعة من منكري استواء الرب ﷻ على قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [طه: 5] وابتدؤوا بقوله: ﴿أَسْتَوَى ۝﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝﴾ [طه: 5-6] يريدون بذلك نفي الاستواء الذي وصف به نفسه، وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته.»

وقال في كتابه "الغنية": «أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن تعرف وتيقن أن الله واحد أحد.»² إلى أن قال: «وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10]، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَعُدُّونَ ۝﴾ [السجدة: 5]، «ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش استوى، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ۝﴾ [طه: 5]»⁴، وساق آيات وأحاديث،

ثم قال: «وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش.»⁵

ثم قال: «وكونه على العرش مذکور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف.»⁶ هذا نص كلامه في "الغنية".⁷

﴿كُرْسِيُّهُ﴾ [البقرة: 255]

قال محمد تقي الدين الهلالي: «﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال بعض المفسرين من السلف: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ علمه 8، وقال أكثر أكثر المفسرين: إن لله كرسيًا هو أصغر من العرش 9، وجاءت الأخبار التي رواها المفسرون وأهل الحديث، أن الكرسي في عظمته عظمته لو جمعت السموات السبع وقوبلت بالكرسي لكانت كحلقة ملقاة في فلاة، ونحن نؤمن بهذا، ونترك تفسيره إلى الله تعالى، وهذه الأمور لا يطلب من مؤمن معرفة تفاصيلها إلا ما ورد عن النبي ﷺ، وإنما يطلب منه الإيمان بها.»¹⁰

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 222-223

2 عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي الحق ﷻ. ت: محمد خالد عمر. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. ط. 1. 1416 هـ / 1996 م. 1/ 84، والنص فيه: «أن يُعرف ويتيقن أنه واحد فرد صمد.»

3 عبد القادر الجيلاني: الغنية لطالبي الحق ﷻ. 1/ 84

4 المرجع نفسه. 1/ 86

5 المرجع نفسه والصفحة.

6 المرجع نفسه. 1/ 87

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 226-227

8 قال الأستاذ مشهور حسن: «روي عن ابن عباس، وقاله سعيد بن جبير.»

9 قال الأستاذ مشهور حسن: «كالسدي والضحاك وملم البطين وأبي موسى»، ثم قال: «والأدلة على هذا لائحة وأشار المصنف إليها.»

10 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 225

وقال: «اختلفت الأقوال في الكرسي، ونحن نؤمن بكل ما جاء عن النبي ﷺ وعن صحابته وسائر السلف الصالح، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.»¹

حديث النزول:

عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له.»²
قال الهلالي: «إن وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول، هو كوصفه بسائر الصفات.»³

• ﴿الْوُدُّ﴾ [البروج: 14]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

ويا ودود فهب لي الود أجمعه حتى أفوز بشوق جدم مكتمل
قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى "الودود"، وهو فعول بمعنى مفعول، من الود: المحبة؛ يقال: وددت الرجل أودته وودًا، إذا أحببته، فالله تعالى مودود، أي: محبوب في قلوب أوليائه، أو هو فعول بمعنى فاعل، أي أنه يحب عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم.»⁴
قال الهلالي: «كنت أظن أن ابن الأثير سلفي العقيدة بريء من التعطيل والتجهم؛ لأنني رأيت المتأخرين من المشتغلين ينقلون من كتابه "شرح غريب الحديث"، ولما رأيت شرحه لأسماء الله الحسنی وجدته من شرار الجهمية المعطلة، فانظر كيف أنكر محبة الله لخلقه وفسرها بالرضا...»

ونحن نثبت لله تعالى كل ما أثبتته لنفسه من الصفات والأسماء بدون تشبيه، بل كما يليق بجلاله سبحانه، لا إله إلا هو.»⁵
وأثبت الزجاج صفة الحب لله؛ قال: «الودود هذا يجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون فعولا بمعنى مفعول، والله تعالى وصف نفسه في مواضع بأنه يحب ولا يحب، ألا وهو أيضا محبوب مودود عند أوليائه فهو بمعنى مودود.»⁶
وقبلهما كتب مقاتل بن سليمان: «المودة على أربعة أوجه:

الوجه الأول: المودة يعني المحبة، فذلك قوله في ﴿كَهَيْعَ ۝١﴾: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝١٦﴾ [مريم: 96] يعني: يحبهم ويحبهم إلى أوليائه، وقال في البروج: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: 14] يعني: المحب لأوليائه، وقال في الروم: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۝٢١﴾ [الروم: 21] يعني: الحب، وقال في هود: ﴿إِنَّ رَبَّ رَجِيمٌ وَدُودٌ ۝١٠﴾ [هود: 90] يعني: محب لأوليائه.

الوجه الثاني: مودة يعني نصيحة، فذلك قوله في المتحنة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ ءَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِأَلْمُودَةِ ۝١﴾ [المتحنة: 1] يعني: بالنصيحة، نظيرها فيها حيث يقول: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِأَلْمُودَةِ ۝١﴾ [المتحنة: 1] يعني: بالنصيحة، وقال: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ ءَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً ۝٧﴾ [المتحنة: 7] يعني: نصيحة.

الوجه الثالث: المودة يعني الصلة، فذلك قوله في ﴿حَمَّ ۝١ عَسَقَ ۝٢﴾: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا أَلْمُودَةَ فِي الْقُرْآنِ ۝٢٣﴾ [الشورى: 23] يقول الله ﷻ: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تصلوا قرابة محمد ﷺ، وتنفوا عنهم الأذى وتمنعوه حين يبلغ الرسالة.

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 38

2 رواه البخاري 1145

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 26

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 964

5 المصدر السابق. 6 / 269

6 الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنی. ص 52

الوجه الرابع: مودة يعني في الدين والولاية، فذلك قوله في النساء للمنافقين: ﴿كَانَ لَمْ تَكُنْ يَبْتَغِيكُمْ وَيَبْتَغِي مَوَدَّةَ﴾ [النساء: 73] في الدين والولاية. 1

وقال محمد تقي الدين الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31]: «هنا إثبات صفة المحبة لله ﷻ فإنه أثبتها لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ، وأصحابه كلهم، والتابعون، والأئمة المجتهدون، وأئمة الحديث، فمن نفاها أو تأولها بأن الله يشبههم فهو مبتدع من الخلف الذين حذرنا منهم رسول الله ﷺ وأمرنا بجهادهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيثار حبة خردل.» 2

وزعمهم أن في إثبات هذه الصفة وأمثالها تشبيها لله بخلقه، لأن المحبة ميل القلب إلى لقاء المحبوب والتشوق لوصاله، فقلنا لهم: هذه محبتكم أنتم ومن جهلكم شبهتم محبة الله بمحبتكم، فشبها أيضا علمه بعلمكم، وقدرته بقدرتكم، وإرادته بإرادتكم، وحياته بحياتكم، وسمعه وبصره بسمعكم وبصركم، وانفوا عنه الصفات كلها كما فعل أشياخكم الفلاسفة، وذلك لازم لكم. أما نحن فنثبت لله تعالى كل صفة وصف بها نفسه أو وصفها بها رسول الله ﷺ مع نفي تشبيه صفاته تعالى بصفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبه ذواتهم.

فانظروا عقيدة السلف ما أسهلها! وما أحسنها! فنورها مشرق. 3

وقال: «ثبت محبة الله تعالى للتوايين وللمتطهرين وتأويل الحب هنا بالثواب تكذيب، وادعاء المجاز باطل لأنه لا توجد قرينة تدل عليه، وقد تكرر وروده في النصوص، فتوبوا إلى ربكم يا أيها النفاة المعطلون، وآمنوا بالله مثلما آمن به رسوله والصحابة والتابعون بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.» 4

وأنكر الهلالي تأويل المحبة بالإكرام؛ قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الذِّينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] ﴿١٣﴾ [يونس: 62-63]: «﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة.» 5 فتعقبه الهلالي بقوله: «محبة العباد لله تعالى، ومحبة الله للعباد كلتاها حقيقة، ولا داعي لتأويل محبته العباد بالطاعة، ولا تأويل محبة الله لعباده بإكرامهم، وإنما يؤول محبة الله بإكرامه نفاة الصفات لزعمهم أن الحب ميل وحرارة يجدها المحب في قلبه لما أحب، قالوا: وذلك محال على الله تعالى؛ لأن فيه تشبيها لله بخلقه.

وأجاب المثبتون للصفات، المتبعون للسلف الصالح والتابعين من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين أن محبة الله لعباده صفة من صفاته تقتضي إكرامه لهم بفضلهم ورحمته؛ لأن الله وصف بها نفسه في كتابه في مواضع كثيرة منها قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31] والسلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان من العلماء يثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه في كتابه أو أثبتته له رسول ﷺ في حديثه، بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، فكما أن الله عالم بعلم لا يشبه علمنا، وقادر بقدرته لا تشبه قدرتنا، فكذلك هو سبحانه يحب عباده بمحبة لا تشبه محبتنا. 6

• ﴿الْحَى﴾ [البقرة: 255]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

1 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ص 137

2 رواه مسلم 50

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 25

4 المصدر نفسه. 6 / 26

5 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 4 / 588، والهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. ص 63-64

6 المصدر نفسه. ص 64

نهج السلامة في الحل ومرتحل

يا حي أحي فؤادي كي أكون على

قال القاسمي: «الحي، أي: الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء.»¹

قال الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢١﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْمَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: 20-21]: «قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يصدق على جميع ذلك، فمن كان مآله الموت فهو ميت، كما

قال تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: 30].²

ونقل الهلالي عن الراغب معاني الحياة حسب سياقها الذي وردت فيه، فقال: «الحياة تستعمل على أوجه:

الأول: للقوى النامية الموجودة في النبات والحيوان؛ ومنه قيل: نبات حي. قال عليه السلام: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُمِيتُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد:

17]، وقال تعالى: ﴿وَإِحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ [ق: 11]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: 30].

الثاني: للقوة الحساسة؛ وبه سمي الحيوان حيوانا، قال عليه السلام: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: 22]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

أَحْيَاهَا لَمَحْيَى الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: 39] فقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاهَا﴾ إشارة إلى القوة النامية، وقوله: ﴿لَمَحْيَى

الْمَوْتِ﴾ إشارة إلى القوة الحساسة.³

وقال: «الثالث: للقوة العاملة العاقلة؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْمِنُكَ أَنَّ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122]، وقول الشاعر:

لَقَدْ نَادَيْتَ لَوْ أَسْمَعْتَ حَيًّا
وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي⁴

والرابع: عبارة عن ارتفاع الغم؛ وبهذا النظر قال الشاعر:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَّاحَ بِمَيِّتٍ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ⁵

وعلى هذا قوله عليه السلام: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: 169] أي هم متلذذون لما روي في

الأخبار الكثيرة في أرواح الشهداء.

والخامس: الحياة الأخروية الأبدية؛ وذلك يتوصل إليه بالحياة التي هي العقل والعلم. قال الله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]، وقوله: ﴿يَلَيْتَنِي فَتَمَّتْ لِحْيَتِي ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: 24] يعني بها الحياة الأخروية الدائمة.

والسادس: الحياة التي يوصف بها الباري؛ فإنه إذا قيل فيه تعالى: "هو حي"؛ فمعناه: لا يصح عليه الموت، وليس ذلك إلا الله عليه السلام.

والحياة باعتبار الدنيا والآخرة ضربان: الحياة الدنيا والحياة الآخرة، قال عليه السلام: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآمَرَ لِحْيَتَهُ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ [النازعات:

37-38]، وقال عليه السلام: ﴿أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: 86]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٦١﴾﴾ [الرعد:

26] أي الأعراض الدنيوية، وقال: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَطَمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمُ عَلَىٰ

حَيَاتِهِمْ﴾ [البقرة: 96] أي حياة الدنيا، وقوله عليه السلام: ﴿وَإِذَا قَالَ لِزَوْجِهِ رَبِّ ارْبِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: 260] كان يطلب أن يُربيه

الحياة الأخروية المعرّة عن شوائب الآفات الدنيوية، وقوله عليه السلام: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179] أي يرتدع بالقصاص من

يريد الإقدام على القتل، فيكون في ذلك حياة الناس، وقال عليه السلام: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32] أي من

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 272

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 190-191

3 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. 2/ 182، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 41

4 البيت من الوافر، وهو لعمر بن معدني كرب في ديوانه. ص 113

5 البيت من الخفيف، وهو لمُدي بن الرعلاء في لسان العرب (موت) ص 4295

نجاها من الهلاك؛ وعلى هذا يكون قوله مخبرا عن إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: 258] أي أعفو فيكون إحياء. 7

قال الهلالي: «الحياة في اللغة نقيض الموت قال تعالى في سورة الملك: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2] قال البيضاوي: «قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسب قدره، وقدم الموت لقوله: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: 28].» 2
وقال تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: 44] ومقابلة الموت بالحياة في الكتاب العزيز جاءت في مواضع كثيرة. 3

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا﴾ [الأنعام: 122]: «مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى، وأنقذه من الضلال، وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء، فيميز بين الحق والباطل، والمحق والمبطل. 4»
قال محمد تقي الدين الهلالي: «شبه الله الضالين الذي لا يهتدون إلى الحق، ولا يتمسكون به بالأموال، وأهل الهدى والاستقامة بالأحياء، فالمراد بالقوة العاملة العاقلة في كلام الراغب التي تعمل عملا صالحا، وتعقل الحق وتميزه من الباطل. 5»
وفي قوله تعالى: ﴿وَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِيَّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمَّيْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْءَ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: 58] قال محمد تقي الدين الهلالي: «ما يؤخذ من الآية الكريمة: إثبات صفة الحياة، وهي من الصفات الذاتية، فحياته سبحانه أكمل حياة وأتمها، ويستلزم ثبوتها ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، ولا حياة على الدوام إلا الله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم. 6»

وقال الهلالي:

بسنة المصطفى في القول والعمل

وأنت محيي الرفاة أحيي أنفسنا

فالله تعالى «هو الذي يهب الحياة لكل حي، قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: 66]، قال البيضاوي في تفسيرها: «﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم جمادا عناصر نطفاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إذا جاء أجلكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ لجهود لنعم الله مع ظهورها» 7. 8
ويستعمل الإحياء مجازا على هذا النحو، قال الهلالي: «فلان أحيى سنة النبي ﷺ ومآثر السلف الصالح، وفي الحديث: «من أحيى سنة من سنتي قد أميتت بعدي فله أجر مائة شهيد.» 9، وفي كتب الحديث: «إحياء الموات»، «ومن أحيى أرضا مواتا فهي له» 10. 11

1 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. 2 / 182-183، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 42-43

2 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 8 / 266-267

3 المصدر السابق. ص 43

4 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 4 / 134، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 43

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 43-44

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 315 باختصار

7 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 6 / 133

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 271

9 لم أعر عليه بهذا السياق، والذي وجدته حديثا ضعفه الألباني؛ هو: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد.» انظر: ضعيف الترغيب والترهيب. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1. 1421 هـ / 2000 م. رقم 30 / 1 / 36

10 الأثر لعمر رضي الله عنه في صحيح البخاري. باب (15) من أحيى أرضا مواتا، وفيه «ميتة» بدل «مواتا»، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهِيَ أَحَقُّ.» رواه البخاري 2335

11 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 192-193

• ﴿الْقِيَوْمُ﴾ [البقرة: 255]

قال محمد تقي الدين الهلالي:

يقوم إلا بما توليه من نحل

يارب إنك قيوم فلا أحد

قال القاسمي: «الدائم القيام بتدبير الخلق.»¹

قال الزجاج: «هو فيقول من قام يقوم الذي بمعنى دام لا القيام المعروف، وقال الله تعالى ذكره: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ يَبْتَرِ لَّا

يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75]، أي: دائما والله أعلم.

القيام: وهو الدائم، وكان من قراءة عمر بن الخطاب رحمه الله: الحي القيام.»²

قال محمد تقي الدين: «الذي يأخذه النوم والتعب والغفلة والمرض لا يستطيع أن يمسك قارورة ماء دون أن تسقط من يده وتتكسر، كما وقع لموسى عليه السلام فيما يحكى أن الله أمره أن يمسك قارورتين مملوءتين ماء في كل يد قارورة ويحفظهما، فوقف حتى غلبه النوم فسقطت القارورتان.

فقد أرى الله تعالى عبده موسى أن العبد ضعيف لا يستطيع أن يمسك السماوات والأرض، والله تعالى هو الذي يقدر على ذلك.»³

ذلك.»³

• ﴿الْغَنِيُّ﴾ [الأنعام: 133]:

قال محمد تقي الدين الهلالي:

وامنن برزق يرى كالوابل الهطل

وأغتنا يا غني بالغني كرما

فأسقه عللا من بعد ما نهل

وأنت مغني الوري والعبد في ظمإ

قال ابن الأثير: «في أساء الله تعالى "الغني"، هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء، وكل أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغني المطلق، ولا

يشارك الله تعالى فيه غيره، ومن أسائه "المغني"؛ وهو الذي يغني من يشاء من عباده.»⁴

قال الهلالي: «من صفات الله تعالى التي اتفقت عليها الرسل وجميع العقلاء المؤمنين بالله أن الله غني عن خلقه غنى تاما مطلقا، وأن

جميع خلقه محتاجون إليه في إيجادهم من العدم وحفظ وجودهم وإمدادهم بكل ما يحتاجون إليه؛ قال تعالى في سورة الزمر: ﴿خَلَقَكُمْ

مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ نَّمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أزْوَاجًا يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ أَنْصَرُونَ ﴿٦﴾

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾⁵

وقد وصف عيسى عليه السلام في الإنجيل أنه: «بعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفردا ليصلي.»⁶

قال محمد تقي الدين متقدا عقيدة النصارى في عيسى: «إذا كان هو الله أو جزءا من الله فكيف يصلي؟! فالصلاة لا تكون إلا من

العبد الفقير المحتاج إلى رحمة الله كما قال الله تعالى في سورة فاطر (15): ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

﴿١٥﴾، وقال تعالى في سورة مريم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾﴾ [مريم: 93].»⁷

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 272 عن "محاسن التأويل" للقاسمي. ص 658

2 الزجاج: تفسير أساء الله الحسنی. ص 56

3 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 33

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. 681، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 275

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 326

6 إنجيل متى. الإصحاح 14. الآية 23. ص 27

7 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 14

• إرادة الله ومشيتته:

أورد الهلالي للاستدلال على صفة الإرادة عددا من الآيات؛ هي:

1- قال تعالى في سورة الدهر: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

﴿٣١﴾ [الإنسان: 30 - 31]

2- وقال تعالى في سورة التكوير: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير: 29]

3- وقال تعالى في آخر سورة يس: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ

وَالَّذِي يُرْجِعُ مَرْجِعَهُمْ ﴿٨٣﴾ [يس: 82 - 83]

وفرق بين نوعين من إرادة الله تعالى؛ قال: «المشيئة الشرعية معناها: كل ما شرعه الله تعالى لعباده بواسطة رسله فقد أراده وأحبه ورضيه، وأما الإرادة الكونية القدرية فإنها تشمل الكفر والإيمان والمعصية والطاعة.»⁷

ونفرق في الإرادة الشرعية بين ما أراد الله فعله أو تركه إرادة جازمة وما أراد فعله أو تركه على سبيل التفضيل، وعلى هذا الأساس يتم التمييز بين الأحكام الشرعية؛ قال الهلالي: «الحرام هو الذي نهى الله عن فعله بالقرآن أو الحديث نهياً يترتب عليه العقاب.»²، وقال: «حقيقة المكروه هو ما نهى الله أو نهى رسوله ﷺ عنه نهياً مخففاً، بحيث إذا ترك يكون في تركه أجر وإذا فعل فلا يكون في فعله عقاب.»³

وإرادته الكونية سبحانه هي ما يحدث في هذا العالم؛ قال الهلالي: «هذا العالم صادر عن قصد ومنهاج وتدبير في غاية الدقة والإحكام، وهذا هو الذي عبر عنه الكتاب والسنة بكتابة الله تعالى للأشياء في الأزل، وأشير إليه بقول النبي ﷺ: «جفت الأقلام وطويت الصحف»⁴، وبقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: 38] والجاهلون يظنون أن العالم وجد بطريق المصادفة بلا علم سابق ولا تدبير ولا منهاج.»⁵

• ﴿كَلِمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: 75]

رأينا أن إرادة الله ﷻ نوعان؛ كونية وشرعية، فكذلك كلام الله، قال الهلالي: «كلمات الله نوعان:

النوع الأول: كونية قدرية وهي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات 6، التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر»⁷،

فاجر»⁷، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115]⁸

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 598، وانظر: 2/ 270

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 81

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 467

4 الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته. حديث رقم 7957. ص 1317-1318

5 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 21 / 27

6 في الأصل: التامة، والمثبت هو الصواب، وفي الحديث: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة.» رواه البخاري 3371

7 قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فقال: يا محمد! قل، قلت: وما أقول؟ قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض وبرأ ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير، يا رحمن!» الصحيحة للألباني. حديث رقم 840. 2/ 495

8 قال الهلالي: «قد تطلق الكلمة على الجملة والطائفة من القول في غرض واحد، فإذا كتب أحد أو خطب في موضوع ما، قيل: كتب أو قال كلمة، وكانوا يسمون القصيدة كلمة، وقالوا: كلمة التوحيد يعنون: «لا اله إلا الله»، وقال ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد.

يريد قوله: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. [صدر بيت من الطويل، وهو للبيد في ديوانه. ص 85، وعجزه: وكل نعيم لا محالة زائل]، والمعنى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ فيما قال ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما حكم، فهو صدق في الأخبار، وعدل في الطلب، فكل ما أخبر به فهو حق لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة.» سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 283-284

النوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله، وهي: أمره ونهيه. 1

والكلام صفة من صفات الله سبحانه لا خلق من خلقه؛ قال الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 116]: «هذا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه الهين من دون الله: ﴿يٰعِيسَى﴾ وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد، وهذا السؤال لإظهار براءة عيسى ابن مريم عليه السلام وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الظالمين.

ففي الآية: إثبات القول لله سبحانه، وأنه يقول متى شاء إذا شاء، وأن الكلام والقول المضاف إلى الله سبحانه قديم النوع، حادث الآحاد، وفيه دليل على أنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت كما يليق بجلاله، [و] الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي، إذ المعنى المجرد لا يسمع. 2

وفي تفسير قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6] قال: «الآية حجة صريحة لمذهب السلف أن القرآن منزل غير مخلوق، لأن الله تعالى هو المتكلم به، وإنما أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها.

ودليل على بطلان مذهب المعتزلة، ومن أخذ بقولهم الباطل أن القرآن مخلوق، مستدلين على بدعتهم بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62]، فيدخل في عموم ﴿كُلِّ﴾ فيكون مخلوقاً، وهذا من أعجب العجب؟ فإن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة الله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها فأخرجوها من عموم ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل وهو باطل. 3

قال: «ويضاف إلى ذلك كلامه مع نبينا محمد ﷺ في فرض الصلوات ليلة الإسراء. 4» ولما كان القرآن صفة من صفات الله كان أفضل من كلام المخلوقين كلهم؛ لأن الكلام المخلوق لا يساوي كلام الله الذي هو غير مخلوق، وقد ذكر أئمة الحديث في فضائل القرآن شيئاً كثيراً وعقدوا لذلك كتباً في مؤلفاتهم وهي مشهورة معروفة عند الخاص والعام، وأجمع المسلمون من أهل السنة، ومن أهل البدعة على أن كلام الله تعالى أفضل من كلام الأنبياء، فكيف بغيرهم حتى القائلون بخلق القرآن في هذا. 5

أما مقالات الفرق في القرآن الكريم فيعرضها الهلالي ويردها مبينا الصحيح منها؛ قال: «افترق الناس في مسألة الكلام على عدة أقوال:

أحدها: مذهب الجهمية والمعتزلة: أن القرآن مخلوق.

الثاني: الكلاية وأتباعهم من الأشاعرة: أن القرآن نوعان ألفاظ ومعاني، فالألفاظ مخلوقة وهي هذه الألفاظ الموجودة، والمعاني قديمة قائمة بالنفس، وهي معنى واحد لا تبعض فيها ولا تعدد، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته.

الثالث: الكرامية: أنه متعلق بالمشيئة والقدرة، قائم بذات الرب، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، وأخطئوا في قولهم: أن له ابتداء في ذاته.

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 284-285

2 المصدر نفسه. 5/ 283

3 المصدر نفسه. 5/ 293-294

4 المصدر نفسه. 5/ 287

5 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 173

الرابع: المتردية: أن كلامه يتضمن معنى قائما بذات الله، وهو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور.
الخامس: مذهب الاتحادية أن كل كلام لله: نظمه ونثره، حقه وباطله، سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش وأضداده، كله عين كلام الله تعالى القائم بذاته، قال ابن القيم حاكيا كلام الاتحادية:

وأنت طوائفُ الاتحادِ بملمة	طمّت على ما قال كلّ لسان
قالوا: كلامُ الله كلّ كلامٍ هـ	هذا الخلقِ من جنٍّ ومن إنسانٍ
نظماً ونثراً، زُورُهُ وصحّيحُهُ	صدقاً وكذباً واضحَ البطلانِ
فالسبُّ والشتمُ القبيحُ وقذُفُهُم	للمحصناتِ وكلِّ نوعِ أغنانِ
والنوحُ والتعزيمُ والسحرُ المبيـ	نٌ وسائرُ البهتانِ والهذيانِ
هو عينُ قولِ الله جلّ جلاله	وكلامُهُ حقاً بلا نكرانِ
إذ أصلُهُم أن الإله حقيقةٌ	عينُ الوجودِ وعينُ ذي الأكوانِ ¹

السادس: مذهب السالمية: أنه صفة قائمة بذات الله، لازمة له كلزوم الحياة، ولا يتعلق بالمشيئة والقدرة، ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات لا يسبق بعضها بعضاً، بل مقترنة: الباء مع السين مع الميم في آن واحد لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولا تعدم، بل هي لم تنزل قائمة بذات الله.

السابع: مذهب الصابئة² والمتفلسفة: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم أو من غيره.

الثامن: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وإن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة. «3»

قال محمد تقى الدين: «المعتزلة والمتأخرون من الأشعرية ينفون الكلام عن الله تعالى وخطؤهم في ذلك واضح، وقد اتفقت الفرقتان على أن القرآن ليس كلام الله، ثم تفرقتا في تأويل ذلك؛ فقالت المعتزلة: القرآن حروف وأصوات خلقها الله في الهواء،

وقالت الأشعرية: القرآن حروف وأصوات تصدر من الناس، وتدل على معنى الكلام النفسي الذي ليس فيه حرف ولا صوت، وهذا الكلام النفسي شيء اخترعوه لا وجود له في الحقيقة، وقد شبهوا كلام الله بحديث النفس الذي يخطر في بال الإنسان، ويدور في خلقه قبل أن يتكلم به، وهذا لا يسمى كلاماً إلا بقريته، كأن يقول الرجل: قلت في نفسي.

والقرآن والحديث صريحان في نفي هذا الباطل، وأما القرآن: فقله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: 6] فكلام الله هنا هو القرآن، وإنما يسمعه ذلك المستأمن من لسان الرسول ﷺ، وأما الحديث فقول النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان.»⁴ فبطل ما زعموه والله الحمد. «5»

1 ابن القيم: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية. ت: مجموعة من المحققين. إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد. السعودية. 1/ 248-249

2 انظر عقائد الصابئة في "مفردات القرآن" لعبد الحميد الفراهي. ص 362

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 302-303

4 البخاري 7512 و مسلم 1016

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 52

نظره على الذات، فقال: «أعوذ بك منك» ثم لما ازداد قربا استحيا معه من الاستعاذة على بساط القرب، فالتجأ إلى الشاء فقال: «لا أحصي ثناء عليك.»، ثم علم أن ذلك قصور، فقال: «أنت كما أنثيت على نفسك» 1 «78-80»

وقال: «لقد أحسن صاحب "اللسان" حين أخبر أن الرضا صفة ذات الله تعالى، والجهمية وغلاة المتصوفة ينفون صفتي الرضا والسخط عن الله تعالى، ويؤولون الرضا بالثواب والسخط بالعقاب، وهم كاذبون لأن الله وصف نفسه بالرضا كما تقدم، ووصف نفسه بالسخط في قوله في سورة المائدة: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [المائدة: 78-80]

ففي قوله تعالى: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إثبات صفة السخط لله تعالى على بعض عباده، ولا يجوز تأويله بالعقاب؛ لأنه عطف عليه قوله: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ ولا يجوز في الكلام الفصح أن يقال: عاقبهم وعاقبهم أو عذبهم وعذبهم؛ لأن العطف في الغالب يقتضي المغايرة، والنادر لا حكم له.

قال تعالى في سورة القتال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ [الآية 28] ولا يجوز تأويله بأنهم أوجبوا عليه عقابهم، والله تعالى يعبر عن الثواب إذا أَرَادَهُ بحروفه. 3 «ووصف الله سبحانه نفسه بالغضب؛ قال الهلالي: «قال تعالى في المؤمنين من أهل الكتاب الذين كانوا نصارى فسمعوا ما أنزل إلى الرسول ففاضت أعينهم من الدمع فقالوا: ﴿ءَأَمْنَا بِمَا آزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْفَيْتَنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: 53]، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ فَأَذَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَدَتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [المائدة: 84-85].

ويعبر عن العذاب بحروفه إذا أَرَادَهُ، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَدُّ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ [الآية: 115]، ومثل ذلك كثير في القرآن.

وأثبت الله سبحانه صفة الغضب لنفسه، فمن ذلك: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدِّيًا فَجَزَاءُؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٣﴾ [الآية 93] ولا يجوز أن يؤول "غضب" هنا بمعنى عذاب، لأنه مخل بالفصاحة والبلاغة. 4

والفرح كما يليق بجلاله وعظمته؛ قال رسول الله ﷺ: «الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح.» 5

وأورد الهلالي صيغ التعجب من الشواهد القرآنية التالية؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ ﴿١٧٥﴾ [البقرة: 175]، وقال: ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ بَضَائِقُ فِي مُجِينِ﴾ ﴿٢٨﴾ [مریم: 38]، وقال: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الكهف: 26]، ثم قال: «هذه صيغ تعجب، وهي من الله تعالى للتعجب. 6 أي: تعجب الناس منهم، وهي للتعجب

1 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 362.

2 ابن منظور: لسان العرب. ص 1663، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 52-53

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 53

4 المصدر نفسه. 6/ 54

5 رواه مسلم 2747، وانظر: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 58-59

6 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 62

أيضاً؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «كما أن علمه منزّه عن مشابهة علم المخلوقين، فكذلك محبته وغضبه وسخطه ورضاه ورحمته وعجبه، كل ذلك نثبته لله تعالى، وقد نفتته الجهمية جهلاً منهم، فمحبته لعباده تقتضي الإنعام عليهم، وغضبه سبحانه يقتضي عقابه.»¹

وعن أبي هريرة قال: «أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أصابني الجهد، فأرسلَ إلى نساءه فلم يجدَ عندهنَ شيئاً، فقال النَّبِيُّ ﷺ: ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمة الله، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ، لا تدخريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن، وتعالى فأطفتي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: لقد عجب الله ﷻ، أو ضحك من فلان وفلانة، وأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].»²

• ﴿وَجَهَّ رَيْكَ﴾ [الرحمن: 27]

نقل الهلالي عن ابن كثير: «قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: 26-27]، فعبّر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ههنا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إلا إياه، وقد ثبت في "الصحيحين" من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل³

وقال مجاهد والثوري في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إلا ما أريد به وجهه، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له.

قال ابن جرير: ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيهِ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ⁴

وهذا القول لا ينافي القول الأول، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال أنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة الإسلامية، والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس، فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعده كل شيء.⁵

ثم قال: «معنى التفسير الأول أن كل شيء يفنى ولا يبقى إلا الحي الباقي، سبحانه لا إله إلا هو، ومعنى التفسير الثاني: أن كل ما أنفق الإنسان أو عمله، ولم يقصد به التقرب إلى الله تعالى، فهو ضائع لا ينفعه في الدار الآخرة، فيكون الوجه بمعنى التوجه، كما في قول الشاعر: «إليه الوجه والعمل» أي تتوجه ونعمل له.⁶

والوجه هو الوجه؛ قال الهلالي: «نحن نؤمن أن لله وجهاً.»⁷ وقال أبو الحسن الأشعري: «إن له وجهاً كما قال: ﴿وَبَعَثَ وَجْهَ رَيْكَ

رَيْكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27].»⁸

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 48-49

2 رواه البخاري 4889، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 84

3 صدر بيت من الطويل، وهو للبيد في ديوانه. ص 85، وعجزه: وكل نعيم لا محالة زائل.

4 البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 6/ 279

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 149-150 عن تفسير ابن كثير. 6/ 262

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 150

7 المصدر نفسه. 3/ 156 باختصار

8 أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة. دار ابن زيدون. بيروت. لبنان. ط1. دون تاريخ. ص 37، والهلالي: تجديد الدعوة إلى عقيدة السلف. ص 72

• بل يدها مبسوطتان:

قال القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْعَنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: 64]: «لما لم ينكر على القائل قومه ورضوا به، نسبت تلك العظيمة إلى الكل، كما يقال: بنو فلان قتلوا فلانا، وإنما القاتل واحد منهم، و"غل اليد" و"بسطها" مجاز مشهور عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَعْلُومَةً لِي عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: 2] قالوا: والسبب فيه أن اليد آلة لأكثر الأعمال، لاسيما لدفع المال ولإنفاقه، فأطلقوا اسم السبب على المسبب، وأسندوا الجود والبخل إلى اليد والبنان والكف والأنامل، ويقال للبخل: كز الأصابع، مقبوض الكف، جعد الأنامل .»¹

والقول بالمجاز هنا يعني أن اليهود عبروا عن البخل بغل اليد، وعبر الله عن الإنفاق ببسطها، كما عبر رسول الله ﷺ بطول اليد عن الإكثار من الصدقة، ولا يلزم منه نفي صفة اليد كما هو ظاهر، لذا قال القاسمي ونقله الهلالي: «ما زعمه الزمخشري ومن تابعه من أن إثبات اليد لا يصح حقيقة له تعالى فإنه نزعة كلامية اعتزالية.»²

وفي "الصحيحين" واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعن لحاقا بي أطولكن يدا» قال: «فكن يتناولن أيتهن أطول يدا، قالت: وكان أطولنا يدا، زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.»³

قال محمد تقي الدين: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ تؤكد لبيعتهم لله، أي من وضع يده في يد النبي ﷺ وعاهده فقد عاهد الله.⁴

واليد في كلام العرب تطلق على: اليد الجارحة، والنعمة، والقدرة، والنصرة، فيختار نفاة الصفات منها ما يوافق مذهبهم المقرر عندهم، ولا ينظرون إلى صحة إطلاقه في هذا السياق من عدمه، مكتفين في ذلك التفسير بالورود عن العرب، مثال ذلك قول الأخفش (ت: 215): «وكذلك: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: 64]، كما تقول: إن لفلان عندي يدا؛ أي: نعمة، وقال: ﴿ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴾ [ص: 45]؛ أي: أولي النعم، وقد تكون اليد في وجوه، تقول: بين يدي الدار؛ يعني: قدامها، وليست للدار يدان.»⁵

قال الإمام أبو الحسن الأشعري⁶: «قد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده»⁷، وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني به: النعمة، بطل أن يكون معنى قوله ﷺ: ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ النعمة.»⁸

وقال الأستاذ مساعد بن سليمان الطيار: «إن الأخفش صرف مدلول اليد في هذه الآية إلى أحد المحتملات اللغوية التي تناسب معتقده في نفي الصفة عن الله، ولم يراع السياق في تفسيره هذا؛ لأن السياق على تفسيره: بل نعمته مبسوطتان، والنعمة لا توصف بالغل كي يقال: إنها مبسوطة، وإنما دعاه إلى ذلك اعتزاليته في فهم الصفات، فترك دلالة ظاهر معنى اللفظ، ودلالة السياق التي تدل

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 49-50 عن محاسن التأويل للقاسمي. ص 2057

2 المصدر نفسه. 5/ 50 عن المرجع نفسه. ص 2057

3 البخاري 1420، ومسلم واللفظ له 2452، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 251

4 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 39

5 الأخفش: معاني القرآن. 2/ 473

6 قال محمد تقي الدين الهلالي: «من سار على مذهب السلف الصالح أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه.» سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 16

قال الإمام أبو الحسن الأشعري: «إن سئلنا: أتقولون: لله يدان؟ قيل: نقول ذلك، وقد دلنا عليه قوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: 10]، وقوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: 75].» الإبانة عن أصول الديانة. ص 37، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 51

7 قال عبد الله بن عمر: «خلق الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وأدم، وجنة عدن. ثم قال لسائر الخلق: كن، فكان.» قال الذهبي: إسناده جيد، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم. "مختصر العلو" للألباني. حديث رقم 53. ص 105

8 الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة. ص 38، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 52

على المحتمل المراد بهذه اللفظة في هذا النص، وهذا يدن أهل البدع في مثل هذه الألفاظ المجردة التي يكون لها أكثر من مدلول، فيتركون ما يدل عليه السياق، ويذهبون باللفظ إلى ما يناسب معتقدهم، وقد أشار إلى ذلك سعيد بن عثمان الدارمي (ت: 282) في كلام نفيس. 7

وهذا كلام الدارمي: «إذا ادعيت أن اليد عرفت في كلام العرب أنها نعمة، قلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرها منك بأجهل، غير أن تفسير ذلك يستبين في سياق كلام المتكلم حتى لا يحتاج له من مثلك إلى تفسير.

إذا قال الرجل: لفلان عندي يد أكافئه عليها، علم كل عالم بالكلام أن يد فلان ليست ببائنة منه موضوعة عند المتكلم، وإنما يراد بها النعمة التي يشكر عليها، وكذلك إذا قال: فلان لي يد، وعضد، وناصر، علمنا أن فلانا لا يمكنه أن يكون نفس يده: عضوه، ولا عضده، فإنما عنى به النصره والمعونة والتقوية.

فإذا قال: ضربني فلان بيده، وأعطاني الشيء بيده، وكتب لي بيده، استحال أن يقال: ضربني بنعمته، وعلم كل عالم بالكلام أنها اليد التي بها يضرب، وبها يكتب وبها يعطي، لا النعمة. 2

وهذه الصفة من دلائل عظمة الله؛ قال ابن تيمية: «العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: 67]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟» 3، وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم - عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك؛ أين الجبارون؛ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك؛ أين الجبارون؛ أين المتكبرون؟» 4. 5

• أصابع الرحمن:

قال رسول الله ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء.» ثم قال ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. 6

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قول النبي ﷺ: «بين إصبعين من أصابع الرحمن» كقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: 75]، وكقوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27] فنحن نؤمن أن الله يدين ووجها وأصابع لا كأيدنا ولا كوجوهنا ولا كأصابعنا، كما أن له علما ليس كعلمنا، وقدرة ليست كقدرتنا، وحياة ليست كحياتنا، وهذا هو إثبات الصفات... ومن رد بعض الصفات وأثبت بعضها من أهل البدع، كالخوارج والمعتزلة والأشعرية المتأخرة، فقد حرم من اتباع الرسول والصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وذلك هو الخسران المبين. 7

• ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: 42]

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ تُشْرَكُوا مِن قَبْلُ بِمَا تَشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 137] ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الأنعام: 137] ﴿خَشَعَتِ الْأَبْصَارُ أَغْمَامًا وَلَمْ تَرَ شَيْئًا دُونَ ذَلِكَ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: 41 - 43]

1 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 313

2 الدارمي: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على بشر المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله ﷻ من التوحيد. ت: رشيد بن حسن الألمي. مكتبة الرشد. الرياض. السعودية. ط. 1. 1418 هـ/ 1998 م / 1 / 289

3 رواه البخاري 4812

4 رواه مسلم 2788

5 ابن تيمية: عرش الرحمن. 80

6 رواه مسلم 2654، وانظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 152

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 156

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رثاء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً»¹

قال محمد تقي الدين الهلالي: «حديث: «يكشف الله عن ساقه» تلقاه الصحابة والتابعون بالقبول والتسليم مع تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، وردّه الجهمية المعطلون، فيخشى عليهم أن يدعوا إلى السجود فلا يستطيعون.»²
ومن استعمال العرب للساق؛

قال السيوطي: «كشف عن ساقه: شَمَّرَ وأَسْرَعَ، قال ذو الرمة:

قَطَعْتُ بِنَهْضِ بَنِي صُحَيْبٍ إِلَى صُحْبَتِهِ إِذَا شَمَّرْتَ عَنِ سَاقِ خَمْسٍ ذَلَالَهُ 3»⁴

وقال عكرمة (105هـ) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42]: «إن العرب إذا اشتد القتال فيهم والحرب، وعظم الأمر فيهم، قالوا لشدة ذلك: قد كشفت الحرب عن ساق، فذكر الله شدة ذلك اليوم بما يعرفون.»⁵

وقال الأستاذ عبد الحميد الفراهي: «معنى ﴿وَأَلْقَيْتُ السَّاقَ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: 29] أن لا يقدر المرء على المشي، ويكون هذا من شدة الضعف، فإنه إذا مات [الإنسان] تبين أن قد التفت ساقاه بعد أن كان جوالاً، كما قال دريد بن الصمة:

فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

كَمِيشِ الْإِرَارِ خَارِجٍ نَصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الضَّرَاءِ طَلَّحٌ أَنْجَدُ 6

وتصوير الضعف بالتفاف الساق أمر ظاهر.»⁷

وقال: «والساق بمعنى شدة الأمر قول من لا يعرف من علم اللسان غير اسمه، فلا يميز بين دلالة المجموع ودلالة الأجزاء؛ الكشف عن الساق إنما يدل بمجموعه على الجذ والتشمير، والكشف هو الكشف، والساق هي الساق.»⁸

فقصد الضعف أو الشدة لا يعني نفي وجود الساق.

• رجله وقدمه ﷺ:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قال تعالى في سورة ق: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: 30]

1- قال البخاري في تفسيره هذه الآية بسنده: عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول: قط قط.»⁹

1 رواه البخاري 4919

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 342

3 البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة بشرح: الخطيب التبريزي. ص 432

4 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 234

5 السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور. دار الفكر. ط 1. 1403 هـ. 8/ 255

6 البيتان من الطويل، من قصيدة له يرثي بها أخاه عبد الله في الأصمعيات، وقد وردا هكذا:

وَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

وبعده بيتين في الصفحة الموالية:

كَمِيشِ الْإِرَارِ خَارِجٍ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الضَّرَاءِ طَلَّحٌ أَنْجَدُ

أبو سعيد عبد الملك بن قريب: الأصمعيات. ت: محمد نبيل طريقي. دار صادر بيروت. ط 2. 1425 هـ/ 2005 م. ص 122-123

7 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 281-282

8 المرجع نفسه. ص 282

9 رواه البخاري 848

2 - وقال أحمد بسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا آخر، فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة؟»¹

3 - وقال البخاري بسنده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاتت الجنة والنار، فقالت: النار أوثرت بالمتكبرين والمتكبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها: فتقول قط قط، فهالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله ﷻ من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقا آخر؟»² 3

ثم قرر: «هذا الحديث وأمثاله تلقاه السلف الصالح بالقبول ولم يؤولوه ولم يحرفوه، فيقولون: إن الله قدما مع نفي التشبيه بالمخلوقين، ورجلا مع نفي التشبيه بالمخلوقين، وقد تقدم الكلام في اليمين والوجه، وجل الله أن يشبه شيئا من خلقه، أو يشبهه شيء من خلقه، ولو كان ما ذكر في هذا الأحاديث غامضا يحتاج إلى بيان لبينه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون وأئمة الحديث، ونحن بهم مقتدون وعلى آثارهم بفضل الله مهتدون.»⁴

• الإتيان والمجيء:

قال ابن القيم: «الإتيان والمجيء المضاف إلى الله نوعان: مطلق ومقيد؛

فإذا كان مجيء رحمة وعذابه ونحو ذلك قيد بذلك، كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: 52]

والنوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق، فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:

210]، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]

أما الرد على من أول النزول والمجيء بمجيء الأمر وأنه من مجاز الحذف، فهذا باطل من وجوه:

أحدها: إنه إضمار ما لا يدل عليه اللفظ لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام، وادعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب، ويجري كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصح باطله.

الثاني: إن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار، وإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

الثالث: إنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين قول المتكلم بلا علم، وإخبار عنه بإرادة ما لم يقم دليل على إرادته، وذلك كذب عليه.

الرابع: في السياق ما يبطل هذا التقدير، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغيير

المجئيين وأن مجيئه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلِكُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: 158] فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدا فتأمل.

من كلام ابن القيم. 5

1 رواه مسلم 2848، 38

2 البخاري 4850

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 61-62

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 63

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 20-21 عن "مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة" لابن القيم. اختصار: محمد بن الموصلي. المثال الأول في

الأول في ما ادعي فيه المجاز "صفة المجيء"، وإبطاله من عشرة وجوه. ص 856-857

ومن الصفات التي لا يتصف الله بها الترجي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: 21]

قال محمد تقي الدين: «ولعل أصلها للترجي، وهو محال على الله تعالى.

فمعناها هنا أن الله يقول لعباده: وحدوا ربكم بعبادته ولا تشركوا به شيئاً وبذلك تصلون إلى التقوى وهي سبب سعادتكم، وتنجون من الشرك الذي هو سبب شقاء وهلاك. وقيل: إن العرب استعملت لعل مجردة من الشك بمعنى «لام كي»، والمعنى هنا لَتَتَّقُوا.

قال الشاعر:

وَقُلْتُمْ لَنَا كُفُّوا الْخُرُوبَ لَعَلَّنَا
فَلَمَّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودَكُمْ
نَكُفُّ وَوَثَقْتُمْ لَنَا كُلَّ مَوْثِقِ
كَشِبُهُ سَرَابٍ فِي الْفَلَا مَتَّالِقِ 2

ومثل "لعل" في المعنى "عسى"؛ قال ابن كثير: «كل "عسى" في القرآن فهي واجبة.» 3

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله: ﴿عَسَى﴾ من الله موجبة.» يعني: إن الله وعد المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن يكونوا من المفلحين يوم القيامة، الذين فازوا بما أملوا، ونجوا مما خافوا، فإن قيل: فما فائدة التعبير بـ ﴿عَسَى﴾؟ ولماذا لم يقل: فأولئك من المفلحين؟

فالجواب -والله أعلم-: أن فائدتها أن يكون العبد بين الخوف والرجاء، وأن لا يتكل على عمله، ولذلك كان كبار الصحابة يخافون على أنفسهم النفاق.» 4

1 البيتان من الطويل، وهما بلا نسبة في تفسير الطبري. 1/ 364.

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 144

3 تفسير ابن كثير. 4/ 121، والهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 15

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 147-148، ويدخل في هذا كلام الأنبياء أيضاً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة: 18] قال الهلالي: «قوله: ﴿وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: أجتنبكم وأتبرأ منكم ومن ألهتكم التي تعبدونها من دُونِ اللَّهِ، ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: وأعبد ربي وحده لا شريك له، ﴿عَسَىٰ إِلَّا أَكُونَ بِدَعَا رَبِّي شَقِيًّا﴾

﴿١٨﴾ وعسى هذه موجبة لا محالة، فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ. المصدر نفسه. 2/ 31

المطلب الرابع:

رسول الله ﷺ؛ أسأؤه وصفاته

قال محمد تقي الدين الهلالي في خير ولد آدم ﷺ:

وأنواره تبقى إلى الحشر والنشر 1

وما غاب إلا شخصه عن عيوننا

هو سيد ولد آدم؛ أبو القاسم محمد وأحمد، والمأحي الذي يمحي به الكفر، والحاشر؛ الذي يحشر الناس على عقبيه، والعاقب الذي ليس بعده نبي، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، ابن عبد الله بن عبد المطلب؛ واسمه شيبه الحمد، ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه عمرو، بن إلياس وهو عيلان، ابن مضر بن نزار بن عدنان، وعدنان من ذرية إسماعيل ﷺ. 2.

ورسول الله ﷺ لا يعلم الغيب؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ

الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَذِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٨﴾ [الأعراف: 188]

فسر محمد تقي الدين الهلالي هذه الآية بأحداث السيرة، فقال: «أذكر هنا ما يحضرنى منها:

الأول: قصة القراء السبعين 3 الذين بعثهم رسول الله ﷺ مع قبائل المشركين الذين ادعوا الإسلام وطلبوا من النبي ﷺ أن يبعث يبعث إليهم معلمين يعلمونهم الإسلام، فاختار النبي ﷺ سبعين من خيرة أصحابه، كلهم يحفظ القرآن فأخذوهم إلى أهلهم وقتلوهم كلهم إلا واحدا تركوه ليبلغ الخبر، وهذه مكيدة عظيمة وحالة خبيثة، نصبها أعداء الإسلام للنبي ﷺ فحزن النبي ﷺ على قتلهم حزنا عظيما، والقصة في كتب الحديث مشهورة، فلو كان النبي ﷺ يعلم الغيب ما بعثهم معهم.

الثاني: قصة الحديبية 4 فإن النبي ﷺ بعدما رأى في المنام - و«رؤيا الأنبياء حق» 5 - أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقيين محلقيين رؤوسهم ومقصرين - أي بعضهم حلق، وبعضهم قصر - عرض على أصحابه التوجه إلى مكة للعمرة، فلما وصل إلى الحديبية - وهي مكان قريب من وادي فاطمة - خرج له أهل مكة متأهبين للقتال ومنعوه من دخول مكة، فرجع هو وأصحابه دون أن يدخلوا مكة، فلو كان النبي ﷺ يعلم أنهم سيمنعونه ما توجه إلى مكة، ولكن العاقبة كانت خيرا، فإن صلح الحديبية حصل به من انتشار الإسلام ما لم يحصل بالحرب.

الثالث: قصة الإفك 6، لو أن النبي ﷺ كان يعلم أن عائشة لم تكن في الهودج حين حمله الرجال الأربعة ووضعوه على بعيرها، لأمرهم بالانتظار إلى أن تجيء، وقد حصل بسبب قصة الإفك غم وحزن للنبي ﷺ، وعقاب لأهل الشرك وشر كبير، وأشد ذلك ما وقع لعائشة نفسها من الحزن والمرض ولأبويها، وهي الطاهرة المطهرة التي نزلت براءتها من السماء وهلك فيها من هلك.

الرابع: إن النبي ﷺ لما كان راجعا من غزوة خيبر منتصرا وقد أردف صفيه رضي الله عنها خلفه عثر بعيره فسقط وسقطت صفيه على الأرض 7، فلو كان يعلم الغيب لأناخ البعير ونزل قبل أن يعثر. 8

وقد يرى الرأي رسول الله ﷺ في أمور الدنيا، مثال ذلك:

1 الهلالي: أتوعد سنات الرسول بمحوها؟! ص 25

2 ابن كثير: الفصول في سيرة الرسول. ت: سليم بن عيد الهلالي. دار غراس. الكويت. ط. 1. 1424 هـ/ 2003 م. ص 25-28، و34

3 رواه البخاري 1002، ومسلم 677

4 رواه البخاري 1694، 1811

5 رواه البخاري 138

6 رواه البخاري 4750

7 رواه البخاري 3086

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 430-432

عن أسامة بن زيد أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: «إني أعزل عن امرأتي.» فقال له ﷺ: «لم تفعل ذلك؟» فقال له الرجل: «أشفق على ولدها أو على أولادها» فقال رسول الله ﷺ: «لو كان ضارا ضر فارس والروم.»¹
قال محمد تقي الدين: «النبي ﷺ كان يرد الأمور التي لم ينزل عليه فيها وحى إلى أهل العلم بالاختصاص، وفارس والروم في ذلك الزمان كان لهم علم بالطب وأصول حفظ الصحة، ولم يكن مثل ذلك للعرب فتعين رد كل شيء إلى أهل العلم به، ولا ينافي ذلك كمال النبي ﷺ.

يفسر ذلك ما ورد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قدم المدينة، فرأى أهلها يلقيحون النخل، فقال: «ما هذا؟» قالوا: «شيء نأخذه من ذكور النخل ونجعله في إناثها يصلح عليه التمر» فقال: «ما أراه ينفع»، فتركوا التلقيح، ففسد التمر وصار شيخا، فأخبروا النبي ﷺ بذلك فقال: «إذا حدثتكم عن الله فخذوا به، فإني لا أكذب على الله، وأنتم أعلم بأمور دنياكم»² 3
فأمور الدنيا للمسلم أن يتصرف فيها كما يريد في الحرث والتجارة والزراعة، فقد قال النبي ﷺ في قضية تلقيح النخل، حين نهاهم عنه فتركوه، ففسد التمر وصار شيصا، فأخبر النبي ﷺ: «إذا حدثتكم عن الله فخذوا به، فإني لا أكذب على الله، وأنتم أعلم بأمور دنياكم»⁴.

1 رواه مسلم 1443

2 رواه مسلم 2361، ونصه: عن طلحة رضي الله عنه قال: «مررت مع رسول الله ﷺ يقوم على رؤوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلقيحونه؛ يعملون الذكر الذكر في الأنثى فيتلقح. فقال رسول الله ﷺ: ما أظن يعني ذلك شيئا. قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لن أكذب على الله ﷺ.»

3 المهلائي: رأي في تحديد النسل والعدوى 1 / 4

4 المهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 7 / 3

المطلب الخامس: أهمية معرفة صفات المخاطب

تؤثر معرفة صفات المخاطب في فهم دلالات خطابه؛ يوضح ذلك تفسير الهلالي لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطَبَعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الفتح: 16 - 17]

قال الهلالي: « ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ ﴾ المذكورين من الأعراب أهل البادية، ﴿ سَتُدْعُونَ ﴾ أي تؤمرون بقتال ﴿ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ لا يقدم على قتالهم إلا الصادقون المخلصون الذين يريدون وجه الله، وقد اختلف المفسرون في هؤلاء القوم؛ فقيل: هم هوازن وثقيف الذين قاتلهم رسول الله ﷺ بعد فتح مكة وهذا هو الصحيح، وقيل: هم بنو حنيفة الذين ارتدوا عن الإسلام وقاتلهم أبو بكر الصديق ومعه أصحاب رسول الله جميعا، وقيل: فارس والروم، ولا يصح شيء من ذلك القليل لقوله: ﴿ تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ ﴾ وهذا لا ينطبق إلا على العرب المشركين إن كان الداعي هو رسول الله وإلا فإنه ينطبق على بني حنيفة أيضا ﴿ فَإِنْ تَطَبَعُوا ﴾ الأمر وتقاتلوا ﴿ يُؤْتِكُمْ ﴾ أي يعطكم ﴿ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ وهو النصر والغنيمة والعزة في الدنيا ورضوانه في الآخرة مع ما فيها من النعيم المقيم ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ أي تعصوا وتعرضوا ﴿ كَمَا ﴾ فعلتم ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ في زمن الخروج إلى الحديبية، ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ في الدنيا بالفضيحة والذلة والإهانة وفي الآخرة بعذاب النار عذابا مؤلما موجعا. 1

وقد تقرر فيما مضى أن الله يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون، فيستنتج منه أن الاستفهام الحقيقي لا يكون من الله ﷻ، فإذا ورد في كلامه وجب تأويله. أما الأنبياء فلا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه 2، فالسؤال منهم يكون على الحقيقة، عكس السؤال في خطاب الله تعالى فلا يكون أبدا على الحقيقة.

وينبغي على الإقرار بعلو الله تعالى ذاتا وقدر وقهرا أن أمره للوجوب، ونهيه للتحريم، ولا يؤولان إلا بقرينة، وخطاب الرسول مثل خطاب الله هنا؛ فهو خطاب من الأعلى لأن العلي المتعالي اختاره ليلبغ خطابه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة: 67]؛ وقد بلغ رسول الله ﷺ ما أنزل إليه من ربه، ويحمل خطابه على المعاني الدينية دون اللغوية والعقلية، لأنه مكلف بتبليغ الدين، إلا ما نص الدليل على خلافه، كأن يكون رأيا واجتهادا. أما خطاب الرسول ﷺ فدعاء، وكذا خطاب العباد لله.

وخطاب الناس بعضهم بعضا يفهم على النحو نفسه؛ فخطاب الأعلى مكانة الأدنى مكانة أمر للوجوب، كما في خطاب الأمير جيشه، والأب ابنه، وخطاب الأدنى مكانة الأعلى مكانة رجاء، وخطاب متساويي المكانة التماس.

يوضح ما سبق تفسير الهلالي لحديث ابن عباس رضي الله عنه، فقد روى: «أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أتردين عليه حديثه؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: اقبل الحديثه، وطلقها تطليقة. 3 وفي رواية أخرى: «قال: تردين حديثه؟ قالت: نعم، فردتها، وأمره يطلقها. 1»

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 42 - 43

2 انظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 430، 1/ 530، 3/ 93، 3/ 330

3 رواه البخاري 5273

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله: «وأمره يطلقها» يبطل قول من قال: إن الأمر في قوله عليه السلام: «اقبل الحديقة وطلقها.» أمر إرشاد وإصلاح، لا أمر وجوب، وهذا عجيب؛ إذ كيف تبغض المرأة زوجها أشد البغض حتى تخاف إن أجبرت على البقاء معه أن تكفر بالله، وترفع أمرها إلى الحاكم، وهو النبي ﷺ، فيأمره بقبول الحديقة التي كانت صداقتها، ويقول له طلقها، ثم يكون ذلك كله إرشادا وإصلاحا لا إلزاما، فيا ليت شعري أكان يجوز لثابت ابن قيس أن يقول للنبي ﷺ لا أقبل ولا أطلق؟ وهو مقتضى قول من قال إن الأمر للإرشاد والإصلاح، ثم جاءت الرواية الأخرى صريحة في الأمر، فلم يبق لمتأول مجال.»²

1 رواه البخاري 5274

2 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 46-47، وانظر العناصر المكونة لدلالات الأمر والنهي والاستفهام في "تحويلات الطلب ومحددات الدلالة" للدكتور حسام أحمد قاسم. ص 47-82-109

المبحث الثاني:

المُفَاهَب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

أصناف المفاهَبين

المطلب الثاني:

المفاهَبون من حيث العموم والخصوص

المطلب الثالث:

أهمية معرفة صفات المُفَاهَب

المطلب الأول: أصناف المخاطبين

يمكن تصنيف المخاطبين بالوحي في القرآن والسنة إلى 7:
أولاً: الإنس والجن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ [البقرة: 38]

قال محمد تقي الدين: «المراد بالهدى كل ما جاء من الله تعالى بواسطة الرسل، وما عداه فهو ضلال، وقوله: ﴿ أَهْبَطُوا ﴾ خطاب لآدم وحواء وإبليس، وقوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾ الخطاب هنا لآدم وحواء باعتبار ذريتهما، لأن إبليس قد علم الله أنه لا يتبع الهدى.»²

ثانياً: الأنبياء والرسل:

خاطب الله رسوله ﷺ، ومن أمثلته:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأُمْسِيًا ﴿٩﴾ إِنَّ الْأَذْيَانَ يُبَاطِلُونَكَ إِنَّمَا يُبَاطِلُوكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ قَوْقُ أَيَدِهِمْ ۖ فَمَن تَكَّنَّ فَإِنَّمَا يَنكُتُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَن أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ [الفتح: 8 - 10]

قال محمد تقي الدين: «﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ.»³

وخاطب الرسل أيضاً على سبيل الحكاية؛ قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿ وَأَنَا أَخَّرْتُكَ ﴾ [طه: 13] الخطاب لموسى عليه السلام يعني: اخترتك لكلامي ورسالتي، فهو كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنَّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [الأعراف: 144].»⁴

ثالثاً: المؤمنون:

قال محمد تقي الدين: «﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الخطاب للنبي وأُمَّته، ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾: أي تعظموها الله بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وطاعة رسوله.»⁵

1 المقصود هنا هم المكلفون، ويتكلم الله مع من يشاء من خلقه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ﴿٢٤﴾ مَنَاجٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ق: 24 - 26] قال الهلالي: «هذا خطاب من الله تعالى للملكين، السائق وهو الذي يسوق المشرك إلى العرض، والشاهد وهو الذي يشهد عليه بما كان يقترفه في الدنيا.» سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 299، وقال: «قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾» توكيد لما تقدم. «2/ 300

وقد عقد الإمام ابن قيم الجوزية فصلاً في "مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها"، و«هم ثمان عشرة طبقة؛ الطبقة الأولى: أولو العزم من الرسل، الطبقة الثانية: من عداهم من الرسل، الطبقة الثالثة: الأنبياء الذين كانت لهم النبوة دون الرسالة، الطبقة الرابعة: ورثة الرسل وخلفاؤهم؛ مرتبة الصديقين، الطبقة الخامسة: أئمة العدل وولاته، الطبقة السادسة: المجاهدون في سبيل الله، الطبقة السابعة: أهل الإيثار والصدق والإحسان، الطبقة الثامنة: من فتح الله له باباً من أبواب الخير القاصر على نفسه، الطبقة التاسعة: طبقة أهل النجاة، الطبقة العاشرة: طبقة قوم أسرفوا على أنفسهم ثم تابوا توبة نصوحاً وماتوا على ذلك، الطبقة الحادية عشرة: قوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، الطبقة الثانية عشرة: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، الطبقة الثالثة عشرة: طبقة أهل المحنة والبليّة، وإن كانت آخرتهم إلى عفو وخير، الطبقة الرابعة عشرة: قوم لا طاعة لهم ولا معصية، ولا كفر ولا إيمان، الطبقة الخامسة عشرة: الزنادقة، الطبقة السادسة عشرة: رؤساء الكفار وأئمتهم، الطبقة السابعة عشرة: الكفار المقلدون غير المحاربين، الطبقة الثامنة عشرة: الجن.» طريق الهجرتين وباب السعادت. ت: محمد أجمل الإصلاح، وزائد بن أحمد الشيرازي. إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. السعودية. ط1. 1429 هـ. ص 761-931

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 14-15

3 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 36

4 المصدر السابق. 2/ 49-50

5 المصدر السابق. ص 37

قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير: 27 - 28] معناه: إن القرآن أنزله الله لتذكير جميع العالمين من الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: 1]

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ والخطاب للعالمين ﴿أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ باتباعه واتباع السنة التي هي بيانه وهي أقوال النبي ﷺ، وأفعاله وأخلاقه وتروكه، أي ما ترك من الأمور التي تنسب إلى الدين، فلا يمكن أحدا أن يستقيم إلا بذلك. 1

رابعاً: الكفار.

من أمثلة خطاب أهل الكتاب قوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15] قال الهلالي: «في آية المائدة خطاب لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وحث لهم على الإيمان بخاتم النبيين رسول رب العالمين محمد ﷺ، وأنه يبين لهم كثيرا مما أخفوه من كتبهم كآية الرجم، ويعفو عن كثير مما لا تدعو الضرورة إلى بيانه فيتركه مستورا». 2

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكَفُّوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة: 42]: «الخطاب هنا أيضا لليهود». 3

ومن أمثلة خطابه للمشركين قول الهلالي: «يقول تعالى مخاطبا للمشركين: ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ وَاثِقُونَ ﴿١٣١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنِينَ ﴿١٣٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٣٣﴾﴾ [الصفافات: 161 - 163] أي: إنها يتقاد لمقاتلكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرئ للنار». 4

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 4 / 237

2 الهلالي: مباحث في القرآن الكريم. ص 89

3 المصدر السابق. 1 / 163-164

4 المصدر نفسه. 2 / 210 عن تفسير بن كثير. 7 / 43

المطلب الثاني:

المخاطبون من حيث العموم والخصوص

أولاً: خطاب الرسول، وخطاب الأمة:

كثيراً ما يذكر الهلالي أن الأمة تبع لرسول الله ﷺ في تنفيذ الأوامر واجتناب النواهي؛ ومن أمثلة ذلك:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَدَ مِنْ دُونِهِ مَلْتَحَدًا ۗ ﴾ [الكهف: 27]

قال محمد تقي الدين: «أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بتلاوة ما أنزل عليه وهو القرآن وأتمته تابعة له في هذا الأمر، فما دامت تتلو القرآن وتعمل به وتتخذة إماماً وحكماً تكون سعيدة في دينها ودنياها، ولا كلمة فوق كلمتها، وإن لم تفعل ذلك شقيت في دينها ودنياها، كما هو واقع في هذا الزمان.»¹

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ بِيَمِينِكِ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ

الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ ﴾ [الأنبياء: 21] فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةُ فَأَقْبَرُ صُفُوفٍ ۗ ﴾ [يونس: 31 - 32]

قال محمد تقي الدين: «الخطاب للنبي ﷺ أمره الله أن يحاج المشركين الذين كانوا يأكلون خيره ويعبدون غيره، فاحتج عليهم بما يقرون به، وذكر خمسة أمور: رزق جميع المخلوقين، [و] امتلاك السمع والبصر أي وسائر القوى التي منحها الله للإنسان وإخراج الحي من الميت، وعكسه، وتدبير جميع الأمور.»²

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَزَقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَبَقِي ۗ ﴾ [طه: 131]

قال محمد تقي الدين: «في هذا الخطاب تزهيد للنبي ﷺ ولأتمته في الدنيا وزخارفها وإبعادهم عن الافتتان بزهرتها وزينتها، لأن من فتن بها أهلكته وشغلته عن ذكر الله»³

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ۗ ﴾ [الشعراء: 213]

قال محمد تقي الدين: «إن كل من دعا مع الله غيره لجلب خير أو دفع شر، فإن الله يعذبه في الدنيا وفي الآخرة، وقد وجه الله تعالى الخطاب لنبيه وخير خلقه محمد ﷺ مع علمه سبحانه أنه معصوم من الشرك ومن المعاصي كلها، ليبين لنا أن كل من أشرك به، ولو بلغ في العبادة وعلو المنزلة كل مبلغ، فإن الله يحبط عمله ويعذبه، ولا يستطيع أحد أن يشفع فيه، حتى لو فرض المحال، وهو أن نبيا من الأنبياء أشرك بالله، فإن الله يعذبه، وتعليق الحكم على المستحيل موجود في القرآن، قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ ﴾ [الأنبياء: 22]»⁴

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوتِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۗ ﴾ [الأنبياء: 16] وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ۗ ﴾ [الأنبياء: 15] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۗ ﴾ [الزمر: 64 - 66]

قال محمد تقي الدين: «قد وجه الخطاب للنبي ﷺ مع أنه معصوم من كل ذنب تعظيماً للأمر وتحذيراً للأمة من الشرك بالله الذي هو الذنب الأكبر.»⁵

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۗ ﴾ [الأنبياء: 16] وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ۗ ﴾ [الزخرف: 43 -

[44]

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 15 / 2

2 الهلالي: معنى دعوة الحق. ص 19

3 الهلالي: أخلاق الشباب المسلم. ص 24

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 122 / 2

5 المصدر نفسه. 234 / 2

والتبديل ما يشهد عليهم بالكذب، وهو موافق لما جاء به القرآن، فيا حسرتهم وندامتهم حين يسمعون جواب عيسى وهو يقول: ﴿سَبِّحْنَاكَ﴾ أي: أنزهك عن الشريك ﴿مَا يَكُونُ لِح﴾ أي: لا يجوز لي ولا ينبغي لي: ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ وهو اتخاذهم لي ولأمي إلهين من دون الله، ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ فأنت تعلم أي لم أقل ذلك ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي﴾ لأنك بكل شيء عليهم ﴿وَلَا أَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ وإنما أعلم ما علمتني ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ﴾ ولا يعلم الغيب أحد سواك ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ وقد تقدم ما نقلناه من الإنجيل مما يطابق ما هو في القرآن من توحيد الله في ربوبيته وفي عبادته، ثم قال: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أي: كنت شاهدا على بني إسرائيل مدة بقائي معهم ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي﴾ أي: المكث والمدة التي قضيت لي أن أكون معهم ورفعنتني إليك ﴿كُنْتُ أَنْتَ﴾ وحدثك ﴿الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تعلم ما يفعلون ولم يبق لي أنا علم بأعمالهم. 1

ثانيا: خطاب الرجال، وخطاب النساء:

يقول الله تعالى مخاطبا عباده كلهم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ يعني آدم وحواء 2 والمرأة مكلفة مثلها مثل الرجل، وقد ذكر محمد تقي الدين الهلالي أن في دخول النساء في خطاب الذكور خلاف عند الأصوليين 3، ولم يجر المسألة، ويفهم من كلامه دخولهن.

قال الأستاذ محمد علي فركوس: «لا خلاف بين العلماء في عدم دخول كل واحد من المذكر والمؤنث في الجمع المختص به أحدهما كلفظ "الرجال" للمذكر، فإن النساء لا يدخلن فيه اتفاقا، أو لفظ "النساء" للمؤنث فإن الرجال لا يدخلون فيه اتفاقا، ولا خلاف في دخولهما في الجمع الذي لم تذكر فيه علامة التذكير ولا التأنيث، فإن لفظ الجمع فيها يتناول الذكور والإناث بالاتفاق، وإنما الخلاف في هذه المسألة واقع في الجمع الذي ظهرت فيه علامة التذكير كالجمع بالواو والنون نحو: "مسلمون" و"مؤمنون"، أو الجمع بضمير الجمع نحو: "عملوا" و"جاهدوا" و"كلوا" و"اشربوا"، فهل هذا الجمع يتناول الإناث؟» 4

ولأن النساء شقائق الرجال، فقد كن يبايعن رسول الله ﷺ على ما يبايعه عليه الرجال، قال محمد تقي الدين: «البيعة عقد يعقده الشخص على نفسه بالطاعة والنصرة والإخلاص والنصح، وقد جرت العادة أن يضع يده قي يد المبايع، وقد كان النبي ﷺ يأمر الناس بمبايعته على الإيمان والطاعة والجهاد كما بايعوه في الحديبية 5 على الموت أي أن يقاتلوا حتى يموتوا أو يتتصروا، وكان عددهم ألفا وأربع مئة أو خمس مئة على اختلاف الروايات، فوقع الصلح بينه وبين المشركين ولم يكن قتال إلا مناوشات قليلة وقعت قبل عقد الصلح، وكانوا يبايعونه على ترك المعاصي والتزام الطاعات رجالا ونساء إلا أنه لم يكن يوافق النساء، وإنما كان يوافق الرجال فقط، ويكتفي في بيعة النساء بالكلام 6.

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 319-320

2 الهلالي: التعصب للجنس أو الدين. 2

3 المصدر السابق. 1/ 420

4 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. 91

5 قال محمد تقي الدين: «سبب بيعة الحديبية أن النبي ﷺ خرج مع أصحابه متوجهين إلى مكة محرمين بالعمرة، فلما وصلوا إلى الحديبية وهي مكان بينه وبين مكة نحو عشرة أميال، بلغ الخبر المشركين بمكة فأخذوا يتأهبون للقتال، فبعث إليهم النبي ﷺ عثمان بن عفان يبلغهم أن النبي ﷺ وأصحابه لم يأتوا للقتال وإنما جاءوا معتمرين، ثم يرجعون إلى المدينة، فبلغ النبي ﷺ أن المشركين قد قتلوا عثمان فبعث مناديا ينادي في أصحابه أنه هلموا إلى بيعة رسول الله ﷺ فبايعوه على الموت، وعزم أن يقاتل بهم أهل مكة، مع أنه لم يكن مستعدا للقتال.

ثم ظهر للنبي ﷺ أن خبر قتل عثمان غير صحيح فكتب معاهدة الهدنة بين المسلمين والمشركين على أن يرجعوا ولا يعتمروا في تلك السنة، وفي السنة القابلة يأتون إلى مكة فيعتمرون ويقفون ثلاثة أيام ثم يعودون إلى المدينة، وجعلوا مدة الهدنة عشر سنين. «قبسة من أنوار الوحي. ص 38

6 انظر: صحيح البخاري 5288، وصحيح مسلم 1866

قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفْنَ وَلَا يَزِينْنَ وَلَا يَعْثُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ قَبَائِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة: 12]

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، [فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه»، قال: [فبايعناه على ذلك] 2 «. 7»

ومن أمثلة ما خص الله به الرجال الهجرة والجهاد؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَتَىٰ لَا أَضِيعُ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: 195]. 3 وفي رواية أنها قالت: «يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث؟! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: 32]، قال مجاهد: وأنزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: 35] وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة. 4»

ومن أمثلة ما اختصن به ما أورده الهلالي؛ قال: «قال أبو داود "باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق" ثم روى بسنده عن حمزه بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلفت الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن فإنه ليس لكن أن تحقن الطريق، عليكن بحافات الطريق»، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها يتعلق بالجدار من لصوقها به. 5»

وهذا الحديث صحيح سكت عنه أبو داود والمنذري، ولا يسكتان إلا على حديث صحيح لا شك فيه. 6» ويرجح الأستاذ محمد علي فركوس دخولهن في خطاب الرجال؛ قال: «لعل أصحاب المذهبين قول القائلين بدخول النساء في الجمع الذي تبنت فيه علامة التذكير، سواء بالجمع بالواو والنون، أو الجمع بضمير الجمع، وهو ما عليه أكثر الحنابلة، وبعض الشافعية والمالكية، وهو رواية عن الإمام أحمد، ودليل صحته انعقاد الإجماع على أن النساء يدخلن في الصيغة الخاصة بالذكر في جميع خطابات الشرع العامة، وأكثر أوامره ونواهيته مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: 31]، وقوله تعالى: ﴿هَذَىٰ يَشْفِيَنَّ﴾ [البقرة: 2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء: 32]، فلو كانت صيغ هذه الأحكام والخطابات خاصة بالذكر لما تعدى إلى الإناث، فدل ذلك على دخولهن في الجمع الذي ظهرت فيه علامة التذكير. 7»

ومثله الأستاذ مشهور حسن؛ قال: «العرف الشرعي يدل على ذلك، فقال عن مريم: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ الْقَانِنِينَ﴾ [التحریم: 12]، فـ ﴿الْقَانِنِينَ﴾ جمع مذكر سالم، وقال عن امرأة العزيز: ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [النساء: 12]»

1 رواه البخاري 3892، 18

2 الهلالي: قيسة من أنوار الوحي. ص 38

3 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 3023. 3/ 216-217

4 المرجع نفسه. حديث رقم 3022. 3/ 216

5 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 5272. 3/ 295

6 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 27-28

7 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 92-93

[يوسف: 29]، ولم يقل "الخطئات"، فهي داخلة في جمع الذكور، وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: 38]، ومن بين هؤلاء حواء. 1

قال محمد علي فركوس: «ويؤيد ذلك أيضا أن المألوف عند العرب في خطاباتهم تغليب التذكير على التأنيث في حالة اجتماع الذكور والإناث ولو كان الذكر واحدا، وقد وقع مثل هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: 38]، فكان الخطاب واردا على "آدم" و"حواء" و"إبليس"، ومنه قوله ﷺ: «بين كل أذنين صلاة»، فسمى الإقامة أذانا من باب تغليب التذكير لشرفه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَيْبًا لِّكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ﴾ [النساء: 11]، فغلب جانب الأب على الأم، والأمثلة على قاعدة التغليب المعتادة عند العرب متكاثرة، وهي معمول بها في خطاباتهم وكلامهم، والقرآن الكريم إنما نزل بلغة العرب فدل ذلك على أن النساء يدخلن في الجمع الذي تبينت فيه علامة التذكير ولا يخرجن إلا بدليل، ولأن النساء شقائق الرجال ولا يخرجن من الخطاب الإلهي إلا بدليل. 2

ثالثا: خطاب نساء النبي ﷺ، وخطاب نساء الأمة:

قال محمد تقي الدين: «اعلم أن أهل السنة يحبون أزواج النبي ﷺ وأهل بيته ويكرمونهم، ولا يذكرونهم إلا بأحسن الذكر، بدون إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: 6]، وهن رضي الله عنهن: خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وميمونة بنت الحارث بنت حزن الهلالية، وأم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية، السابعة: جويرية بنت الحارث المصطلقية، وسودة بنت زمعة القرشية العامرية، وزينب بنت جحش الأسدية ابنة عممة النبي ﷺ، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وزينب بن خزيمة الهلالية 4

قال محمد تقي الدين: «فجملة النساء اللاتي تزوج بهن النبي ﷺ ودخل بهن وصرن أمهات المؤمنين إحدى عشرة امرأة، اثنتان ماتتا قبله، وهما: خديجة وزينب بنت خزيمة، وتسع عشن بعده صلاة الله وسلامه عليه. 5

وقد أخبرهن الله سبحانه أنهن لا يشبهن أحدا من النساء؛ قال تعالى: ﴿يُنسَأُ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النَّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ الْغَيِّبَةَ الْأُولَىٰ مِنَ الرِّجْسِ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ [الأحزاب 32-34]

قال الزجاج: «لم يقل كواحدة من النساء؛ لأن "أحد" لفظ عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة. 6

قال الهلالي: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تلا هذه الآية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ نهاهن أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وهذا من باب عطف العام على الخاص، وقوله تعالى:

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 420-421

2 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. 93-94

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 228

4 المصدر نفسه. 6/ 238-257

5 المصدر نفسه. 6/ 257

6 المصدر نفسه. 6/ 231

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ الْجَاهِلِيَّةَ الْأُولَىٰ وَالرَّحْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُ تَطْهِيرًا ﴾ ﴿٣٣﴾ نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا، لأنهم سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً. 1

ومحبة آل البيت تابعة لمحبة رسول الله ﷺ وإكرامهم وإكرامهم لإكرام لرسول الله ﷺ بشرط أن يكونوا مؤمنين متمسكين بسنة النبي ﷺ، فإن خالفوا ذلك فهم أحق بالذم واللوم والعقاب من غيرهم، فقد قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النَّسَاءِ ۚ إِنَّ أَتَقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: 32] فشرط في فضلهن على غيرهن: التقوى، وفي صحيح البخاري عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «إن آكل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالحوا المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلاها» 2، ولا شك أن أهل البيت الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض هم من أصلح صالحي المؤمنين؛ قد اشتركوا مع المؤمنين في الإيمان والصلاح، وزادوا عليهم بفضل القرابة. 3

وخلص الهلالي من تفسير هذه الآيات إلى أن: «هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال تعالى مخاطباً لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله ﷻ كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة.» 4

رابعاً: خطاب المشركين، وخطاب المسلمين:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «الصحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ يعني إذا نزلت آية لسبب خاص هل يكون الحكم خاصاً بذلك السبب أم يتعدى إلى كل ما دل عليه اللفظ؟ الثاني هو الصحيح والأدلة على ذلك كثيرة.» 5

1 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 14 - 15

2 رواه البخاري 5990

3 الهلالي: الحسام الماحق على كل مشرك و منافق. ص 125

4 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 13

5 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 24

المطلب الثالث:

أهمية معرفة صفات المخاطب

إن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء وإلى الأذكياء والأغبياء وإلى السوقة والملوك ويراها كل منهم مقدرة على مقياس عقله وعلى وفق حاجته فذلك ما لا تجده على أتمه إلا في القرآن الكريم، فهو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراها العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة فهو متعة العامة والخاصة على

السواء، ميسر لكل من أراد. ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: 17]

وما ذلك إلا لمراعته لمقتضيات أحوال المخاطبين النفسية والاجتماعية، ولا يتأتى الفهم الصحيح للخطاب الديني إلا بمعرفة المخاطب وحاله التي راعاها المخاطب.

والأصل في الخبر أن يوجه إلى جاهل به، فيستفيد فائدة جديدة منه، فإذا وجه إلى من يعلمه، أو كانت الفائدة لا تعود على المخاطب خرج عن دلالته الحقيقية إلى دلالة مجازية.

وبناء الخطاب يكون دائما حسب ما يعرفه المتكلم عن موضوع الخطاب؛ مثلا: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي

الْقُرْبَى ﴾ [شورى: 23] قال محمد تقي الدين الهلالي: « القربى معرفة بالألف واللام فلا بد أن يكون معروفا عند المخاطبين الذين

أمر أن يقول لهم: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾، وقد ذكر أنها لما نزلت لم يكن قد خلق الحسن والحسين، ولا تزوج علي بفاطمة، فالقربى

التي كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن تكون هذه بخلاف القربى التي بينه وبينهم، فإنها معروفة عندهم كما تقول لا أسألك إلا المودة

في الرحم التي بيننا، وكما تقول: لا أسألك إلا العدل بيننا وبينكم ولا أسألك إلا أن تتقي الله في هذا الأمر. 2

قال مقاتل: «المودة يعني الصلة، فذلك قوله في حم عسق: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: 23] يقول الله

ﷻ لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تصلوا قرابة محمد ﷺ، وتنفوا عنهم الأذى وتمنعوه حتى يبلغ الرسالة. 3

وأنواع التأكيدات، مراعاة لحال المخاطب؛ وعلى هذا الأساس بنى البلاغيون مفهوم مهم لأضرب الخبر؛

فإلقاء الخبر دون مؤكدات مرجعه خلو ذهن المخاطب، وتأكيد به مؤكداً واحد مرده كون المخاطب يظن خلاف ما يخاطبه به

المخاطب، ويتردد في تصديقه، وتأكيد به بأكثر من مؤكد سببه رفض المخاطب للخبر. 4

مع تنزيل بعض الأضرب منزلة بعض إذا كان المخاطب لا يصح عليه التردد في تصديق الخبر أو إنكاره، فيكون التأكيد لتقرير

وتثبيت الحكم في نفس المخاطب ولو لم يكن منكرا له؛ ويفهم كل تأكيد حسب سياقه، ومن أمثله:

• قال الهلالي في قول الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ [المنافقون: 9]: «أكد الله تعالى خسراتهم بالتعريف بالألف واللام وبالجملة الاسمية وصيغة الحصر وضمير

الفصل، وهو ﴿ هُمْ ﴾ فتم لهم الخسران المطلق، ولا يتم إلا للكافرين. 5

ومكانة المخاطبين بالدين دائما أقل من مكانة المخاطب، وعليه فهو ملزم بطاعة الأمر وترك المنهي عنه، إلا إذا دل دليل على أنه

غير لازم.

7 محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم. دار القلم. الكويت. دون تاريخ نشر. ص 113

2 الهلالي: الحسام المالحق لكل مشرك ومنافق. ص 121، والمعرفة الخلفية للمخاطب والمشاركة بين المتخاطبين لها أثر بارز في تكوين الخطاب؛ وذكر فان ديك أنه يصح

يصح أن تدمج جوازا في اهتمام تحليل الخطاب اللساني. (فان ديك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ترجمة عبد القادر قنيني. إفريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب. 2000 م. ص 30)، وهي من صميم علم المعاني العربي، وانظر: H. G. Widdowson : Discourse Analysis. p 19

3 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ص 137

4 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة. ص 342

5 الهلالي: حكم تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها. ص 11

كما أنه لا بد من كون الاستجابة المأمور بها في قدرة المخاطب، وتخلف القدرة يؤدي إلى انتقال الدلالة إلى غير الطلب.
قال امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي
بُصْبِحَ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ 1

فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل، إذ ليس في وسعه 2.
والنهي في قول النابغة في رثاء النعمان:

فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَيِّتَةَ مَوْعِدٌ
وَكُلَّ امرئٍ يَوْمًا به الحَالُ زائلٌ 3

ليس على حقيقته، يقول الأعمى: فلا تبعدن أي لا تهلكن ... وإنما دعا له بالأبعد وهو قد بعد تحزنا منه لفقده، وقد بين ذلك مالك بن الريب في قوله:

يقولون لا تبعـدوهم يـدفنونني
وأين مكان البعد إلا مكانيًا 4

في حين لو صدرت هذه الأوامر من الله التقدير فهي على الحقيقة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِي ﴾ [هود: 44]، فقد جعل الله فيها القدرة على الامتثال، وقريب منه قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبَلٍ لَرَأَيْتَهُمْ خَشَعُوا مَخَضَعًا مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: 21]

هذه الآية كما قرر الهلالي دليل أنه سبحانه خلق في الجمادات إدراكا بحيث تخشع، وهذا حقيقة كما دلت على ذلك الأدلة، ولا يعلم كيفية ذلك إلا الله 5

قال الأزهري في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: 44]: «مما يدل على أن تسبيح هذه المخلوقات تسبيحٌ تُعبدت به، قول الله ﷻ للجبال: ﴿ يَنْجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴾ [سبأ: 10]، ومعنى ﴿ أَوِي ﴾ أي: سبحي مع داود النهار كله إلى الليل، ولا يجوز أن يكون معنى أمر الله جل وعز للجبال بالتأويب إلا تعبدا لها.

وكذلك قوله جل وعز: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: 18]، فسجود المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقها عنها، كما لا نفقه تسبيحها.

وكذلك قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ الْجِبَارَةِ لِمَا يَنْفَعُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 74]، وقد علم الله هبوطها من خشيتها، ولم يعرفنا ذلك، فنحن نؤمن بما أعلمنا، ولا ندعي بما لم نُكَلَّفْ بأفهامنا من علم فعلها كيفية نحدها. 6

أما قدرة المخاطب في الاستفهام فهي أن تكون الإجابة في استطاعة المسؤول؛ أي كون المخاطب عالما بالإجابة فيما يحسب المخاطب 7.

1 البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس في معلقته. انظر: أحمد الأمين الشنقيطي: شرح المعلقات العشر. ص 60

2 انظر لزاما: حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة. ص 52

3 البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه. ص 120

4 البيت من الطويل، وهو لمالك بن الريب في ديوانه. ت: نوري حمودي القيسي. مجلة معهد المخطوطات العربية. مج 15. ج 1. ص 93

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 299

6 الأزهري: تهذيب اللغة. 4/ 339-340

7 يضاف إلى الإمكان (القدرة): الزمان؛ ويعني أن تكون إجابة السؤال متعلقة بالمستقبل، والإرادة؛ وتعني انتظار المخاطب الإجابة والاكتفاء بها. حسام أحمد قاسم:

تحويلات الطلب. ص 111-114

المبحث الثالث:

الأزمنة والأمكنة:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:

زمان ومكان الخُصَاب الكيفي،
والزمان والمكان في الخُصَاب الكيفي

المطلب الثاني:

التفاصيل الكيفي والإسرائيليات

المطلب الثالث:

أسباب الفزول

المطلب الرابع:

المكي والمدني

المطلب الخامس:

الفسخ

المطلب الأول:

زمان الخطاب الديني ومكانه، والزمان والمكان في الخطاب الديني

نميز هنا بين أزمنة ورود الخطاب الديني وأمكنته، وبين أزمنة أحداث القصص المذكورة في الخطاب الديني وأمكنتها¹.

أولاً: الزمان:

قال الهلالي: «الزمان محيط بالكائنات الحية، فيه تنشأ وفيه تنفنى، فلا يمكن أن تحيط به علماً، وإذا كانت الكائنات الحية حتى أشرفها وهو الإنسان، عاجزة عن إدراك الزمان، فكيف تستطيع أن تدرك كنه صفات خالق الزمان ومجريه، العالم بأوله وآخره؟ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ عَلَمًا ﴿١١٠﴾ [طه: 110].»²

لقد أدرك الهلالي أن الإنسان مرتبط بالأرض وهي مكانه وأمه، وبالشمس منها بإذن الله حياته ومنها زمانه، فهو مقيد بالزمان والمكان، فكيف يستطيع أن يدرك ما لا يتقيد بزمن ولا مكان من المخلوقات، فضلاً عن إدراك حقيقة خالق الزمان والمكان، فالمحدود المقيد معرفته محدودة مقيدة³

ومن كان مرتبطاً بالأرض والشمس لا يستطيع أن يفكر إلا تفكيراً موثقاً مقيداً بالمكان والزمان، كيف يستطيع أن يحكم بجهله على عالم آخر ليس مقيداً بما يقيد به هو، لا جرم أن من فعل ذلك سد على نفسه باب العلم والمعرفة وبقي مسجوناً في ظلمات جهله⁴.

والمعرفة بالأزمنة المذكورة في الخطاب تدلنا على زمان قول الخطاب، وعلى زمان كتابته؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «في الفصل 27 رقم 7 و8 [من إنجيل متى]: «فتشاوروا واشتروا بها أرض الخازف لإحراق جثث الغرباء فيها، ولذلك سُميت تلك الأرض أرض الدم إلى هذا اليوم.»⁵

ومن هذا نفهم أن الإنجيل لم يكتب في زمان المسيح، وإنما كتب بعده بزمان طويل من الحكايات التي كانت عالقة بأذهان الناس.»⁶

ومعرفة زمان نزول القرآن الكريم وقول الحديث الشريف قد يكون مصرحاً به في الخطاب، وقد يستدل عليه بقرائن، ويستفاد منه منه في معرفة المكي والمدني، فالناسخ والمنسوخ.

والزمان من العناصر المكونة لدلالة الأمر، وهو أن يكون المطلوب بالأمر هو القيام بالفعل في المستقبل، أي بعد وقت التكلم، ومن ثم فالفعل المأمور به ينبغي ألا يكون حاصلًا وقت الطلب.

وهو أيضاً من العناصر المكونة لدلالة الاستفهام، فالمستفهم عنه لا بد أن يكون غير حاصل وقت الطلب، ومن ثم يكون السائل جاهلاً به أو شاكاً فيه⁸.

1 بين تودوروف أن زمن القصة مرتب حسب الأحداث، في حين زمن جمل الخطاب لا يخضع لهذا الترتيب، لذلك؛ فالقراءة تعيد ترتيب أحداث القصة. انظر: "انفتاح النص الروائي؛ النص والسياق" لسعيد يقطين. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب/ بيروت. لبنان. ط2. 2001 م ص 44

2 الهلالي: الزمان. ص 16

3 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 21 / 28

4 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 20. مجلة دعوة الحق. السنة الخامسة. العدد السابع. ذو القعدة 1381 هـ/ أبريل 1962 م. ص 11

5 إنجيل متى. الإصحاح 27. آية 7-8، ص 52. ونص الطبعة التي عندي: «فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاريّ مقبرة للغرباء، لهذا سُمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم.»

6 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 16

7 مثلاً؛ قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «لعمرك الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.» رواه البخاري 1330، ومسلم 529

8 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب. ص 111

ثانيا: المكان:

عرفنا فيما مضى بعض أسماء المكان وظروفه، وتسهم إسهاما كبيرا في فقه الخطاب الديني، وبيان دلالاته؛ ومن ذلك: عن ابن عباس قال: «مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: يعذبان وما يعذبان في كبير. ثم قال: بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة. ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منها كسرة. فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا.»¹

قال محمد تقي الدين الهلالي: «لا يقال: إن الإنسان الذي سمع النبي ﷺ صوتها كانا كافرين، [ففي] حديث أبي أمامة عند أحمد أنه ﷺ مر بـ "البقيع" قال: «من دفنتم اليوم ههنا؟»، فهذا يدل على أنها كانا مسلمين؛ لأن البقيع مقبرة المسلمين والخطاب للمسلمين، مع جريان العادة بأن كل فريق يتولاه من هو منهم، ويقوي كونها مسلمين رواية أبي بكره عند أحمد والطبراني بإسناد صحيح: «يعذبان وما يعذبان في كبير»، و«بلى وما يعذبان إلا في الغيبة والبول»، فهذا الحصر ينفي كونها كانا كافرين؛ لأن الكافر وإن عذب على ترك أحكام الإسلام، فإنه يعذب على الكفر بلا خلاف.»²

1 رواه البخاري 216

2 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 118 - 119

المطلب الثاني: التناسل الديني والإسرائيليات

أولاً: تعريف التناسل:

قال في لسان العرب: النص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنص للحديث من الزهري؛ أي: أرفع له وأسند.¹ والنص في عرف اللغويين والأدباء: الخطاب، وهو الشعر والنثر. ويشق المصدر "تناسل" من الفعل "تناسل" على وزن تفاعل، وبذلك يشير التناسل إلى علاقة تفاعل بين النصوص.² ومهد لظهور مصطلح التناسل ميخائيل باختين، يقول في تأثر الأنواع الأدبية بالرواية: «إن هذه الأنواع أكثر تحرراً ومرونة وتتجدد لغتها عندما تنهل من مدخرات الخطاب الخارج عن الأدب، ومن الطبقات الروائية في اللغة الأدبية، لتصبح حواريات.»³ إلى أن يقول: «وبالطبع لا يمكننا تفسير ظاهرة التأثير هذه فقط بالتأثير المباشر والفوري للرواية، وحتى إذا لوحظ مثل هذا التأثير وتوضح بدقة، فإنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفعول المباشر للتحويلات الحاصلة داخل الواقع نفسه.»⁴ قال الأستاذ سعيد يقطين: «شدد باختين على العلاقة الحوارية⁵ بين الخطابات المختلفة.»⁶ قال الأستاذ حسين خمري: «تعود تاريخية مفهوم "التناسل" *Intertextualité* إلى دراسات المقارنين (الأدب المقارن)، وربما قبل ذلك بكثير.

وقد درس المقارنون هذا المفهوم واستعملوه أداة تحليلية وتناولوه تحت عنوان علاقة "التأثير والتأثر" *Influences* وانحصر اهتمامهم في دراسة الموضوعات المشتركة بين نصوص الثقافات المختلفة وكيفية استقبالها وفهمها. وفي النقد المعاصر، حاولت "السيمياثيات" الحديثة، و"نظرية الأدب" احتواء هذا المفهوم وتوظيفه أدواتها إجرائياً. وقد تطور هذا المفهوم على يد جماعة "الشكلانيين الروس"، وخاصة عند ميخائيل باختين الذي أطلق عليه اسم "الحوارية" *Dialogisme*، أي حوار النصوص وصيغ تعالقتها.⁷

ويزخر التراث العربي بالتناسل، وقد حمل مصطلحات بلاغية ونقدية مختلفة⁸.

قال محمد تقي الدين: «قال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا يَوْمَ فَسَقُوا لَوْلَا هَذَا إِفْكُ قَدِيمٍ﴾ [الأحقاف: 11]» وقال المتنبي أخذنا من هذه الآية:

وَأَفْتَيْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ
عَلَى قَدْرِ الْقَرِيحَةِ وَالْعُلُومِ 9

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَاحِحًا
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذْهَانَ مِنْهُ

أخذه الآخر، فقال:

- 1 ابن منظور: لسان العرب. ص 4441
- 2 نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب؛ التحليل النصي- في البحث الاجتماعي. تر: طلال وهبة. مراجعة نجوى نصر. المنظمة العربية للترجمة. بيروت. لبنان. ط1. 2009م. ص 105
- 3 ميخائيل باختين: الملحمة والرواية. تر: د. جمال شحيد. معهد الإنماء العربي. بيروت. لبنان/ الهيئة القومية للبحث العلمي. طرابلس. ليبيا. ط1. 1982 م. ص 36
- 4 المرجع نفسه والصفحة.
- 5 تسمى جوليا كريستيفا تلميذة باختين هذه العلاقة الحوارية بين النصوص تناسلاً. انظر: "انفتاح النص الروائي" لسعيد يقطين. ص 93
- 6 المرجع نفسه. ص 137
- 7 حسين خمري: نظرية النص. ص 253
- 8 منها: الاقتباس، والتضمين، والسرقات.
- 9 البيتان من الوافر، وهما للمتنبي في ديوانه ص 232

والنجم تستصغر الأبصار صورته
وللهلالي أبيات كثيرة استند فيها إلى أبيات أخرى، ووظفها في سياقات جديدة، منها قوله:
فيا عجباً حتى كليب تسبني
وَالذَّبُّ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغْرِ 1»
كأن أباهَا 3 من لؤي ومن فهر 4

أما التناسخ في الخطاب الديني، فعلمه علماء الإسلام، قال محمد تقي الدين: «كل من نظر بإمعان في تاريخ المقالات والدعوات والطرائق والمذاهب يجد أكثرها قد اتبع فيه اللاحق السابق، حذوك القذة بالقذة، حتى في الأمم التي ينتشر فيها العلم فكيف بأمة أمية! فلذلك سأل هرقل أبا سفيان هل دعا أحد من العرب عموماً، ومن أهل مكة خصوصاً إلى دعوة مماثلة لدعوة هذا الرجل فلم يسع أبا سفيان إلا أن أجاب بالنفي فضم هرقل هذه الحججة إلى سابقتها وأخذت نفسه تميل إلى تصديق النبي ﷺ استناداً إلى هذه الحجج المنطقية التي هي الغاية في الدقة والاستقصاء.» 5

قال محمد أركون: «نريد أن نقوم بقراءة تاريخية أُنقِية للخطاب القرآني، وذلك ضمن منظور المدة الطويلة جداً... وهذه المدة الطويلة جداً سوف تشمل ليس فقط التوراة والإنجيل؛ وهما المجموعتان النصيتان الكبيرتان اللتان تتمتعان بحضور كثيف في القرآن، أو في الخطاب القرآني، وإنما ينبغي أن تشمل كذلك الذكريات الجماعية الدينية الثقافية للشرق الأوسط القديم، وبهذا الصدد يمكن القول إن سورة الكهف تُشكّل مثلاً ساطعاً على ظاهرة التداخلية النصائية (Intertextualité) الواسعة الموجودة في الخطاب القرآني؛ فهناك ثلاث قصص هي: أهل الكهف، وأسطورة جلجاميش، ورواية الاسكندر الأكبر، وجميعها تحيلنا إلى المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم، وهي جميعها ممزوجة أو متداخلة في سورة واحدة من سور القرآن: "سورة الكهف" لكي تدعم وتجسد نقل الشيء ذاته، وهو الرسالة الإلهية الخالدة.» 6

قال الهلالي: «والعجيب من النصارى إذا نظروا في القرآن لا ينظرون بقصد معرفة الحق البتة، بل ينظرون فيه بقصد البحث عن العيوب بزعمهم فيقولون مثلاً: من أين جاء محمد بهذه القصة؟ فلا يزالون ينقبون؛ فإن وجدوا قصة مشابهة لها في التوراة أو في الإنجيل أو في التلمود فرحوا فرحاً عظيماً وظنوا أنهم ظفروا بضالتهن المنشودة، وجزموا بأنها مأخوذة من ذلك المصدر، ولا يباليون بالمخالفات الكثيرة التي تكون بين القصتين أو بين الشريعتين.» 7

وضرب مثالا على ذلك؛ قال: «فمن ذلك مثلاً: قصة نوح فإنهم يجزمون أن القرآن أخذها من التوراة، مع أنه في زمان نزولها لم يكن في مكة يهودي واحد، والأشخاص الذين كانوا يعرفون الكتابة والقراءة كان عددهم قليلاً جداً، ولم يكن بينهم وبين النبي ﷺ إلا العداوة والبغضاء.»

ولم يكن النبي ﷺ يعرف قراءة ولا كتابة، وكان أعداؤه له بالمرصاد، فلو رأوا قارئاً يتردد عليه، أو رأوه يتردد على قارئ لشنعوا عليه، وقصة نوح في التوراة محكية بأسلوب تفصيلي ووصفت فيه السفينة؛ طولها وعرضها وارتفاعها.

1 البيت من البسيط، وهو لأبي العلاء المعري في سقط الزند. دار بيروت، دار صادر. بيروت. لبنان. 1376هـ/ 1975م. ص 61

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 301-302

3 اقتباس من قول الفرزدق من الطويل:

فيا عجبى حتى كَلَيْبٌ تَسْبِنِي كأن أباهَا نهشل أو مجاشعُ

ديوان الفرزدق. شرح: إيليا الحاوي. دار الكتاب اللبناني. مكتبة المدرسة. بيروت. لبنان. 1983م. 2/ 72

4 الهلالي: أتوعد سنات الرسول بمحوها؟! ص 25، وكثير من أجزاء أبيات هذه القصيدة اقتباسات.

5 الهلالي: أهل الحديث 2

6 محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. ترجمة وتعليق: هاشم صالح. دار الطليعة. بيروت. 2005م. ص 40-41

7 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 32

وقد اتخذ الملاحدة ذلك ذريعة إلى الطعن في التوراة، وقالوا: إن سفينة بتلك الصورة لا يمكن أن تستقر في البحر دقيقة واحدة¹، وحكاية القرآن للقصة لم يستطيعوا أن يوردوا عليها شيئاً من ذلك.

وهكذا اتخذوا ما في التوراة من وصف أجزاء الأرض وجغرافيتها ذريعة إلى الطعن في صحتها، ولم يجدوا في القرآن شيئاً يجعلونه هدفاً لتعتهم.

ثم إنك تقرّ القصة في القرآن وتقرأ مثلتها في التوراة فتجد البون بينها شاسعاً، تجد أسلوب القصة في القرآن أسلوباً ربانياً جذاباً تتخلله المواظ والإندار والبشارة بعيداً عن أساليب كلام البشر، وتجدها في التوراة بخلاف ذلك.²

ثم قال: «إذا لم يجدوا للقصة القرآنية أثراً في التوراة ولا في الإنجيل ولا في التلمود كقصة لقمان قالوا: هذا من أساطير العرب وخرافاتهم.

أما إذا جاءوا إلى التوراة والإنجيل فإنهم يكتبون عليها بلاء الذهب "الكتاب المقدس" حتى يجعلوا قارئها أمام الأمر الواقع. ولكن ذلك كله لا يروج على أعداء الكنيسة فإنهم يتقنون كتب اليهود والنصارى انتقاداً مرّاً.³

ثانياً: القرآن مصدق لما قبله من الكتب الإلهية:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «الإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم، واختلقت مناهجهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25] والآيات في هذا كثير، والأحاديث فمنها قوله ﷺ: «نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد»⁴ قال ابن منظور في لسان العرب: معنى أولاد العلات «أنهم لأممات مختلفة مختلفة ودينهم واحد، كذا في التهذيب، وفي النهاية لابن الأثير: «أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة»⁵.

قال الهلالي: «شبه النبي ﷺ الشرائع بالأممات والدين بالأب، فالدين هو توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، والإيمان به وبجميع رسله وأنبيائه من آدم إلى محمد ﷺ، وإقامة العدل والإحسان، فهذه أصول الدين لا يختلف فيها الأنبياء والرسل، أمّا الشرائع والأحكام فإن الشرائع مختلفة لأن أزمتهم مختلفة، وأحوال أهلها مختلفة، وقد شرع الله لكل واحد منهم شريعة تناسب زمانه وقومه، ثمّ ختم الرسل والأنبياء والشرائع ببعثة محمد ﷺ، فنسخت شريعته كل الشرائع المتقدمة، لأنها صالحة لكل زمان ومكان ولكل قوم، وهي خالدة باقية إلى يوم القيامة»⁶.

فما كان موافقاً للقرآن الكريم مما في التوراة والإنجيل حق؛ قال الهلالي: «أعتقد جازماً أن الإنجيل حق وأنه من الله، وما كان من الله لا يختلف فلا بد أن يكون موافقاً للقرآن في توحيد الله، وعبودية عيسى بن مريم. «8، ومن قرأ الأناجيل الأربعة وكانت عين بصيرته مبصرة يجد فيها التصريح الذي لا لبس فيه بأن عيسى عبد الله ورسوله»⁹.

وتوجد في التوراة قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين كان صغير السن مع نمرود ملك العراق المجرم¹⁰، وقصة إبراهيم وهاجر وإسماعيل. 11، وغيرها؛ قال الهلالي: «اختلف الأئمة في من أمر إبراهيم بذبحه؛ أهو إسماعيل أم إسحاق، ورجح ابن

1 ويوجد مع أخبار سفينة نوح ذكر عوج بن عناق الذي كان إلى جانبها سابحا في المياه الطوفانية. انظر: الهلالي: كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟ ص 4-5

2 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 33

3 المصدر نفسه. ص 33-34

4 رواه البخاري 3442

5 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 638

6 ابن منظور: لسان العرب. ص 3080

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 197-198-199

8 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 28

9 الهلالي: دواء الشاكن وقامع المشككين 24. مجلة دعوة الحق. السنة السادسة. العدد الثالث. رجب 1382 هـ/ ديسمبر 1962م. ص 25

10 الهلالي: كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟ ص 5

11 المصدر نفسه. ص 7

القيم أنه إسماعيل، وعلى كل حال قصة الذبح موجودة في التوراة وفي القرآن، قال تعالى في سورة الصافات: ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعَلِّمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ قَالًا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَىٰ فَكَالَ بَيْئَتٍ إِذْ أَرَىٰ فِي الْمَنَارِ آيَةَٰ ذُبْحِكَ فَأَنْظَرَ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَتَابَتِ أَعْمَالُ مَانُومِرٍ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: 101 – 102] 1

ثالثا: التحريف في كتب بني إسرائيل:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت ملوك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة، قيل لملوكهم: ما نجد شيئا أشد من شتم يشتموننا هؤلاء، أنهم يقرؤون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: 44] وهؤلاء الآيات مع ما يعيونا به في أعمالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمننا، فدعاهم فجمعهم، وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك؟ دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة، ثم ارفعوا إليها، ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا، فلا نرد عليكم، وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض، ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دورا في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحترث البقول، فلا نرد عليكم، ولا نمربكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم، قال: ففعلوا ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27]،

والآخرون قالوا: نتعبد كما تعبد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دورا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم، لا علم لهم ببيان الذين اقتدوا به، فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم إلا قليل، انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من دير، فآمنوا به وصدقوه، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَابِتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أُتِفُوا اللَّهُ وَءَامَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَهْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: 28]: أجرين بإيمانهم بعيسى وبالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم، وقال: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: 28]: القرآن، واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿إِنَّمَا يَمَلِكُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: 29] الذين يتشبهون بكم ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية [الحديد: 29] 3

ودونك بعض تحريفاتهم:

1 - اليهود:

ذكر الهلالي بعض ما في التوراة من الكذب الواضح الذي لا يعتقده من يؤمن بالأنبياء ويصدقهم؛ قال: «من ذلك أن يعقوب عليه السلام سمع أن زوجة ابنه قاعدة بجانب الطريق تزني بالأجرة، فبعث إليها فجيء بها فأمر برجمها بعدما اعترفت فقالت له: مهلا، وأخرجت ثوبا وناولته إياه قائلة: لمن هذا الثوب؟ فقال: هذا ثوبي. فقالت له: أنت زني بي، وأعطيتني هذا الثوب أجرة، فارجم نفسك أولا ثم ارجمني» 4

وأهل الكتاب يجيزون على الأنبياء الكبائر والكفر، فلا عبرة برواياتهم وأنبياء الله منزهون ومعصومون من الكفر والذنوب 5.

1 الهلالي: كيف يري يهود الولايات المتحدة أولادهم؟ ص 7

2 كتب محمد تقي الدين الهلالي وهو مستقر في الهند: «من عادة الوثنيين أن يبنوا المعابد على الأنهار تكون فيها أصنامهم فيعبدونها صباحا في وقت الفجر، فإذا فرغوا من صلاتهم اغتسلوا في النهر.» دعاية كاذبة خاطئة. صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 288. الخميس 18 شوال 1350 هـ. ص 11، وذكر الهلالي عادة من عادات وثنيي الهند، ثم قال: «لعل معمودية النصراني مأخوذة من هذه العادة.» ص 11

3 الألباني: صحيح سنن النسائي. حديث رقم 5415. 3/ 438

4 الهلالي: منقبة للملك فيصل. ص 315-316

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 441

2- النصراني:

قال الهلالي: «النصارى لفساد عقولهم يعتقدون أن المسيح صلب من أجل إنقاذهم ويقدمون عقيدة الصلب ويجعلونها أهم شيء في دينهم، ولذلك يتبركون بالصلبان ويتخذونها من الذهب والفضة وغيرها من المعادن أو الأخشاب، ويعتقدون أن اتخاذها في البيوت وتعليقها في الأعناق ينجيهم من الشر في الدنيا والآخرة، وإذا مروا بكنيسة خطوا بأصابعهم في الهواء صلبانا مشابهة للصلب الذي فوق الكنيسة، وقصة الصلب في "الأنجيل الأربعة" كذبها ظاهر لكل من يقرأها.»¹

ومن آثار النصرانية على بعض المنتسبين للإسلام قول الهلالي: «أما النصارى فيقسمون الناس إلى ثلاثة أقسام: فالذي يسمونه "الإله" يشتمل على ثلاثة أقانيم: 2: الأب وهو الله، والابن وهو عيسى، وروح القدس، وهذا معنى قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَلَخَّوْا﴾ [المائدة: 73] الآيات. والقسم الثاني: يسمونهم "القدسيين" وعددهم كثير منهم رجال ومنهم نساء، كل واحد له يوم من أيام السنة يتخذونه موسماً ويتقربون إليه فيه بأنواع من العبادات، كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة، وقد يصورون تمثالا يتخذونه ويسمونهم باسمه ويركبون 3 ويعتقدون أن هؤلاء يتصرفون في الكون وينفعون ويضرون ويصعدون إلى السماء ولكن رتبهم دون القسم الأول. والقسم الثالث: هم عامة النصارى.

وهذه العقيدة هي التي اتخذها الجهال الذين يزعمون أنهم مسلمون، فالقسم الذي يسميه النصارى "قدسيين" هم "أولياء الله"، ويفعلون معه ما يفعله النصارى مع مقدسيهم، ونحن نشهد بالله أن هذا القسم لا وجود له في الإسلام ولا في دين المسيح الحق غير المبدل، فليس هناك إلا سيد واحد وغيره عبيد خاضعون لأمره مطيعون له، فالسيد هو الله والخلق كلهم عبيد، ولكن الأنبياء فضلهم الله وخصهم بالوحي والرسالة؛ فهم سادات لسائر العبيد ولا يبلغ مرتبتهم أحد غيرهم ولكنهم لا ينفعون ولا يضرون ولا يُدعون ولا يستغاث بهم ومن دعاهم أو صرف لهم شيئاً من العبادة فهو كافر. أما المؤمنون فهم أولياء الله وحزبه المفلحون، فأولهم عند أهل السنة في الفضل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وآخرهم في الفضل رجل يخرج من النار بشفاعته النبي ﷺ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وكلهم أولياء الله.»⁴ فهذا من تأثير المقالات السابقة في اللاحقة.

وقال الهلالي: «إن الكاثوليكيين منهم لو عمل أحدهم أو إحداهن جميع الذنوب والمحرمات الكبائر فما عليه إلا أن يعترف بذلك يوم الأحد عند القسيس الذي يصلي معه فيغفر له في الحين ولو بقي مصراً على ذلك ولم يتب منه.»⁵ وقال: «إن جعل يوم الأحد عيداً للنصارى مكذوب على المسيح في جملة ما كذبوا عليه كأكل لحم الخنزير وقولهم: إن الله ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس، لأن المسيح كان يعطى يوم السبت كسائر بني إسرائيل والأنجيل الأربعة طافحة بذلك، فلما تنصر الملك قسطنطين كره موافقة اليهود فنقل العيد من يوم السبت إلى يوم الأحد.»⁶

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 167-168

2 وانظر أيضاً: منقبة للملك فيصل. ص 317، وقال الهلالي: «إن النصارى الذين ينسبون إلى عيسى أنه أمرهم أن يتخذوه ربا، كاذبون على عيسى بشهادة نصوص القرآن والأنجيل الأربعة التي ينسبون إليها ذلك، وعلى ما فيها من التحريف والتبديل والتغيير لا تزال فيها نصوص صريحة تشهد عليهم بأن عيسى قال لهم: إنما أنا بشر، ولا يعبد إلا الله.» سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 269-271

3 لم أفهمها.

4 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 114-115

5 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 30-31

6 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 115

رابعاً: موقف الهلالي من الإسرائيليات:

الإسرائيليات نسبة إلى بني إسرائيل، واصطلح أهل التفسير على أنه يدل على ما صدره بني إسرائيل من الأخبار؛ وقد جاء محمد ﷺ بنسخ جميع الشرائع التي قبله 7؛ قال الهلالي: «إن دين الهدى كامل جاء به رسول الله ﷺ، لا يحتاج إلى دين موسى ولا دين عيسى عليهما السلام فكيف يحتاج إلى دين "برهما" ودين "بدا"، روى البيهقي في الشعب عن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لظلمتكم، أنا حظكم من النبيين، وأنتم حظي من الأمم.» 2، وفي الصحيح: «أن النبي ﷺ كان جالسا ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فجاء عمر رضي الله عنه وفي يده ورقة من التوراة يقرأها، فظهر الغضب على وجه النبي ﷺ، فقال أبو بكر لعمر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه النبي ﷺ؟ فقال عمر: يا رسول الله، أتوب إلى الله، رضيت بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولا، فقال رسول الله ﷺ: لقد جئتمكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى 3 حيا ما وسعه إلا اتباعي.» 4 الحديث.

ففيما تركه لنا رسول الله ﷺ غاية الكفاية. 5

إلا أنه رخص في ذكر ما فيه فائدة؛ قال الهلالي: «إن كثيرا من أهل هذا الزمان الذين لم يقتلوا تفسير بن كثير درسا وبحثا، يُحِيل لهم أن فيه خرافات إسرائيلية تكدر صفوه، فيجب حذفها، فأقول لهم: على رسلكم، ومن ذا الذي حرم علينا ذكر الإسرائيليات وروايتها إذا كانت فيها فائدة؟ كيف وقد قال النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.» 6؟ فكأن هؤلاء يعارضون النبي ﷺ ويقولون: لا تحدثوا عن بني إسرائيل، ففي الحديث عنهم حرج، فإذا روى المفسرون السابقون؛ كابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، والحسن البصري، وكبار أئمة الحديث؛ كأبي بكر بن أبي شيبة شيخ البخاري، ومسلم حكايات كثيرة عن بني إسرائيل، منها ما يصح ومنها ما لا يصح، فلا يسع الحافظ بن كثير إلا أن يذكر ذلك في تفسيره.

ولكن هل كان يصدق كل ما روي في ذلك أو يعتمد عليه في إثبات حكم؟ الجواب: لا، ثم لا، وقد آتاه الله من العلم والحكمة ما يمنعه من ذلك، فقد ذكر رحمه الله في قصة سليمان وبلقيس أخبارا عجيبة غريبة وختمها بقصة طويلة عزهاها إلى الإمام أبي بكر بن أبي شيبة، ثم قال بعد حكايتها عند قول ابن أبي شيبة: «ما أحسنه من حديث.»، ما نصه: «قلت: بل هو حديث منكر غريب جدا، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس، والله أعلم، والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب سأمهما الله تعالى فيما نقلنا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، والله الحمد والمنة.» 7

قال محمد تقي الدين: أبعده هذا يُتَّهَمُ ابن كثير بالغفلة وحشو كتابه بالإسرائيليات والحكايات الخيالية؟ اللهم لا، إنه بريء من ذلك. 8

وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية.» 9

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 275

2 قال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته. حديث رقم 5308. ص 339

3 ولم يقل: عيسى، فتنبه!؛ وذلك لأن الورقة من التوراة، ولأن عيسى عليه السلام رفع حيا.

4 قال الألباني: حسن. انظر تخريجه في: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. المكتب الإسلامي. بيروت ودمشق. ط 1. 1399هـ/ 1979م. حديث رقم 1589 / 6 / 34

5 الهلالي: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. ص 61

6 رواه البخاري. 3461

7 تفسير ابن كثير. 10 / 413

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 125-126

9 رواه البخاري 4485. والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 202، وتمام الآية: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]

• من الإسرائيليات:

• كوكب الزهرة:

قال الهلالي: «اعلم أن هناك حكاية حكاها أكثر المفسرين تقشعر منها الجلود، وقد رواها كثير منهم عن النبي ﷺ، وصحح الحافظ ابن كثير أنها ليست مرفوعة إلى النبي ﷺ، وإنما رواها عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار، وهو أخذها من الإسرائيليات، وملخصها أن الملائكة قالوا: يا رب تصبر على بني آدم في انهماكهم في المعاصي وتمردهم، وتؤخر عقابهم وتمهلهم، فقال الله تعالى: إنهم يؤمنون بي غيباً وأنتم تؤمنون بي مشاهدة، قد ركبت فيهم الشهوة وسلطت عليهم الشياطين، فلو أنكم ابتليتم بما ابتلوا به لوقعتم في المعصية، فأنكروا ذلك، فقال الله تعالى: اختاروا ملكين منكم من أفضلكم لأرغب فيهما الشهوة وأسلط عليهما الشيطان، فاختاروا هاروت وماروت، فأوصاهما الله تعالى إذا نزلا إلى الأرض أن يحكما بين الناس بالعدل، وأن يتجنبنا الشرك به سبحانه والمعاصي، فنزلا إلى الأرض وأخذنا يحكان بين الناس بالعدل حتى جاءتها امرأة جميلة جدا تختصم مع زوجها، قيل: إنها فارسية، اسمها بالفارسية: أناهيد، وبالنبطية: بيدخت، ففتنتها بجمالها، فحكما على زوجها جورا، وراوداها عن نفسها فامتنعت منها إلا بشرط أن يقتلا ابن جارها، ويشربا خمرا، ويسجدا لصنمها، فلما رضيا بذلك مكنتها من نفسها فزنيا بها، وشرطت عليها شرطا آخر وهو أن يُعلماها الاسم الأعظم الذي به يصعدان إلى السماء فعلمها إياه، فصعدت إلى السماء بعد ما تلتته، فمسيخت كوكبا وهو الزهرة أحد الكواكب السيارة» 2

قال الهلالي: «أعظم دليل على بطلان هذه الحكاية ما جاء في كتاب الله العزيز من عصمة الملائكة قال تعالى في سورة التحريم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوُّهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ ءَعِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١٦)، وقال تعالى في سورة الأنبياء (رقم 19) وما بعده: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٧) ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٨) ﴿وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (١٩) 3

فهذا مثال عن الإسرائيليات المرفوضة.

• آية الرجم في التوراة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّهَلَّ أَلْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) [المائدة: 15]

قال محمد تقي الدين الهلالي: «لو أن شخصا في هذا الزمان الذي سهلت فيه دراسة اللغات والعلوم أراد أن ينتقد كتب اليهود والنصارى المقدسة عندهم وعند المسلمين في الجملة لاحتاج إلى ذكاء خارق وجهود مضنية وسنين كثيرة، ليطلع على ما يخفونه ولا يجبون أن يطلع عليه غيرهم من السوات والمخازي، فإذا وجد شخص في زمان لم تكن فيه مدارس حرة ولا جامعات، وكانت الدراسة محتكرة عند أهل كل دين لا يسمحون بتعلم كتابهم المقدس عندهم إلا للخاصة، وهذا الشخص ليس يهوديا ولا نصرانيا، ولا يوجد في بلده أحد من اليهود والنصارى ثم أخبر بما يخفونه ولا يطلع عليه إلا خاصتهم لكان ذلك من أكبر المعجزات وخوارق العادات، وخصوصا بعد ما جاورهم النبي ﷺ في المدينة وأخذ يفضحهم ويبين ما يخفونه كآية الرجم.

وفي "صحيح البخاري" 4 أن يهوديا زنى بيهودية فاختلف علماء اليهود في عقابها، فرفعوا أمرها إلى النبي ﷺ ليمتحنوه من جهة جهة وليفصل النزاع من جهة أخرى، وقبل أن يحكم في هذه القضية سألمهم: «ما تجدون في كتابكم؟» قالوا: نسخم وجوهها ونطوف

1 قال الألباني: باطل مرفوعا: الضعيفة. حديث رقم 912. 314 - 315، وحديث رقم 913: «لعن الله الزهرة؛ فإنها هي التي فتنت الملكين.» قال فيه الألباني: موضوع، وقال: وآفته جابر وهو بن زيد الجعفي، وهو متهم بالكذب، وكان يؤمن برجعة علي، ويقول: إنه دابة الأرض المذكورة في القرآن!! الضعيفة. 2 / 315

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 166-167

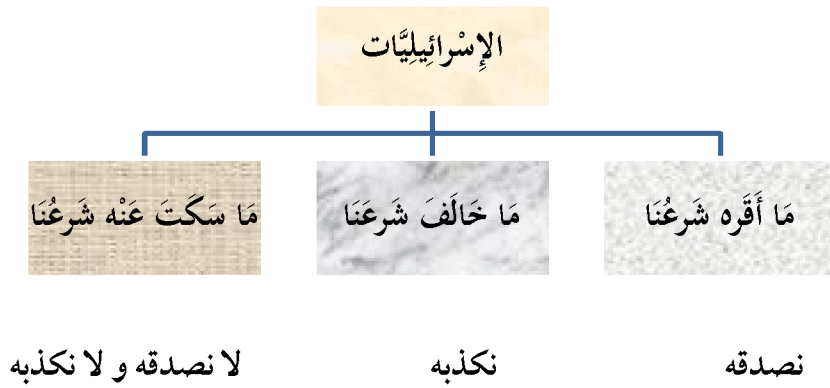
3 المصدر نفسه. 1 / 170

4 رواه البخاري 6819

بهما ليفتضح أمرهما وحسبها ذلك عقابا، فقال لهم النبي ﷺ: «كذبتُم عقابهما في كتابكم الرجم بالحجارة حتى يموتا». فقالوا: هذا لا يوجد في كتابنا، فأمرهم بإخراج التوراة وقراءتها فأتوا بها وجعل أحد علمائهم يقرأها، وعبد الله بن سلام رضي الله عنه حاضر قد وضع اليهودي يده على آية الرجم، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فافتضح أمره فأمر النبي ﷺ برجمها، فرجما حتى ماتا.

وفي قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه برهان قاطع على أن الذي يعلم محمدا ﷺ بما في كتب اليهود هو الله وحده لا شريك له، فإن عبد الله بن سلام كان أعلم اليهود في المدينة وكان أبوه كذلك، فلم يزل ينقب في التوراة ويختار أصعب المسائل فيلقبها على النبي ﷺ فينزل عليه الوحي ويحييه عنها حتى أيقن أن أمر محمد صلوات الله وسلامه عليه رباني لا حيلة فيه فقال عند ذلك: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، وأني أريد أن تسألهم عني قبل أن يطلعوا على إسلامي، فخبأه النبي ﷺ ثم دعا رؤساء اليهود وعلماءهم، وقال لهم: «ما تقولون في عبد الله بن سلام؟» فقالوا كلهم: سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. فقال: «أرايتم لو أسلم؟» يعني: أتعلمون؟، فقالوا: أعاذه الله من ذلك؟ فقال رسول الله: «يا عبد الله! اخرج». فخرج من محبته، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقالوا: أجهلنا وابن أجهلنا، وأرذلنا وابن أرذلنا. فتناقضوا في الحين، وكذبوا أنفسهم تعصبا منهم للباطل.¹

والخلاصة أن الإسرائيليات قصص سابقة زمانيا للخطاب الديني الإسلامي توظف لتفسيره؛ وهي ثلاثة أنواع عند الهلالي؛ يوضحها مع حكمها هذا البيان:



1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 117-118

المطلب الثالث:

أسباب نزول القرآن و ورود الحديث

كان القرآن ينزل على النبي ﷺ جواباً لسؤال أو حلاً لمشكلة توقف فيها وانتظر الحكم من الله تعالى، وفي القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلْتَنكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: 219]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَأَلْتَنكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة: 219]

وأما الحكم في مشكلة وقعت للنبي فانتظر نزول الوحي فيها فهو كثير؛ فمن ذلك قوله تعالى في أول سورة النور: ﴿ وَالَّذِينَ يَمُونُ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَوِ يَأْتُوا بَأْرِبَعَةٍ شُهَدَاءُ فَرَجِلْتُمْ فَمَنْ يَمُنْ جَلْدَةً وَلَا يُقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 4-5] وسبب نزولها أن بعض الناس اتهم بعض النساء فنزلت وثبت بها الحكم، وهو جلد القاذف، وكون شهود القذف أربعة.

وبعض الآيات سببها معلوم يقينا كما تقدم وبعضها مشكوك فيه وفيه اختلاف بين العلماء، وبعضها لا يعلم سببه إلا الله، ولا توجد آية إلا ومراد الله بإنزالها هداية الخلق إلى مصالح دينهم ودنياهم. 1 أي أن نزول القرآن و ورود الحديث يكون ابتدائياً، ويكون سببياً.

أما أهمية معرفة سبب النزول، ومثله سبب ورود الحديث فقد نقل الهلالي عن السيوطي: « زعم زاعم أن هذا العلم لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك، فله فوائد: منها: معرفة حكمة التشريع.

ومنها: تخصيص الحكم به عند من يقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب 2. ومنها: أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عُرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع. ومنها: الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، وكذلك قال ابن دقيق العيد وابن تيمية 3. وحكي عن عثمان بن مظعون 4 وعمرو ابن معدي كرب أنها كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: 93]، ولو علما سبب نزولها لم يقولوا ذلك؛ وهو أن ناسا قالوا: « حرمت الخمر، فكيف بمن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ » فنزلت 5. أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما 6.

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 14، وأول من أَلَفَ في هذا علم أسباب النزول هو علي ابن المديني شيخ البخاري ثم تنابح الناس في التصنيف فيه. انظر ص 23

2 في الإتيان: « تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.»

3 السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ص 190 بتصرف واختصار

4 الصواب: قدامة بن مظعون أخ عثمان، قاله محقق الإتيان وعزاه إلى: مصنف عبد الرزاق. رقم 17076

5 عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة، وما شراهم إلا الفضيخ: البسر والتمر، فإذا منادٍ ينادي: « ألا إن الخمر قد حرمت. » قال: فَجَرَّتْ في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فهرقتها. فقالوا - أو قال بعضهم -: قُتِلَ فلان، قتل فلان وهي في بطونهم! قال - فلا أدري هو من حديث أنس - : فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [المائدة: 93]. أخرجه البخاري 4620، ومسلم 1980 واللفظ له.

6 السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ص 191-192

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَيِّنَّمَا تُولَؤُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 115] فإننا لو تُرُكنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً، وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافذة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبأن له الخطأ على اختلاف الروايات.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: 158] فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكا بذلك، وقد ردت عائشة على عروة في فهمه بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينها لأنه من عمل الجاهلية فنزلت 2«7

” إن سبب النزول يبين المعنى المحتمل من دلالات اللفظ اللغوي، ولذا لا يصح أن يحمل المعنى على غير ما يدل عليه سبب النزول.“

هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟

قال محمد تقى الدين الهلالي: « اختلفوا في ذلك والصحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ يعني إذا نزلت آية لسبب خاص هل يكون الحكم خاصاً بذلك السبب أم يتعدى إلى كل ما دل عليه اللفظ؟ الثاني هو الصحيح والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن آية الظهار نزلت في سلمة بن صخر، ولم تقتصر عليه بل تعدت إلى غيره. 3«

وآيات الظهار هي قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّيْثُ وَلَدَنَّهُمْ وَلِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ عَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ [المجادلة: 2-4]

قال محمد تقى الدين: «الظهار أن يقول الرجل لزوجته أنت علي كظهر أمي، يعني في الحرمة؛ مبالغة في تحريمها على نفسه، وكانت العرب تقول ذلك إذا غضب أحدهم على زوجته، فأنزل الله الآيات الثلاث.

وقوله: ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾ أي يريدون العودة إلى ما حرموا على أنفسهم. ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾: أي عتق رقيق مملوك. ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾: أي قبل أن يستمتع كل منهما بالآخر، ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ ما يحرر به رقبة فعليه أن يصوم ﴿ شَهْرَيْنِ ﴾ صياماً متتابعاً بدون انقطاع، فإن كان عاجزاً عن الصيام فعليه ﴿ فِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ﴾. 4«

وسبب نزول الآيات رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده إلى سلمة بن صخر الأنصاري؛ قال: «قال سلمة: لما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب منها - ما يؤدي إلى المحذور فلم أملك نفسي أن أصبت ما حرم - فغدوت على قومي وأخبرتهم خبري، وقلت: انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمرى، فقالوا: لا، والله لا نفعل؛ نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك.

قال: فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري، فقال: أنت بذاك، فقلت: أنا بذاك، فقال لي: أنت بذاك، فقلت: أنا بذاك، قال: أنت بذاك، قلت: نعم، ها أنذا فأمض في حكم الله فإني صابر له، قال: اعتق رقبة. قال: فضربت صفحة رقبتى بيدي، وقلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: فصم شهرين متتابعين، قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام، قال: فتصدق، فقلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء، قال: اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق، فقل له

1 السيوطي: الإتيان في علوم القرآن. ص 193-194

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. 24، وانظر أمثلة لأسباب النزول في: أحكام الخلع في الاسلام. ص 7، و: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 87-97، و: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 8 كلها للهلالي.

3 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 24

4 المصدر نفسه. ص 25

فليدفعها إليك فأطعم عنك وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك، قال: فرجعت إلى قومي، فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله السعة والبركة، وقد أمر لي بصدقتم فادفعوها إلي فدفعوها إلي. 7¹ والعموم في آيات الظهار مستفاد من لفظ "الذين".

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴾ [النحل: 43-44] قال مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر هم أهل الكتاب. 2.

قال الهلالي: «قد احتج العلماء بقوله تعالى: ﴿ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴾ [النحل: 44] فميراث الرسول ﷺ منحصر في القرآن والسنة، والفقهاء منحصر في فهمها، ولم يمنع العلماء تفسير ابن عباس أنها نزلت فيما تقدم ذكره، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب». 3

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: 20-22]: «كل من أعرض عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهو يدعي الإيمان بهما ينطبق عليه هذا الوصف، فيكون من الذين قالوا: سمعنا، وهم لا يسمعون، ويكون من شر الدواب، لأن العبرة بعموم اللفظ». 4

ومعرفة أسباب النزول تبين حكمة نزول القرآن بالتدرج ومراعاته لواقع الناس. 5.

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 25-26

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 245

3 المصدر نفسه. 3/ 246

4 المصدر نفسه. 3/ 156

5 المصدر نفسه. 5/ 302

المبحث الرابع: المكي والمدني

جعل الهلالي الزمان فيصلا في التفريق بين المكي والمدني دون المكان والمخاطب؛ قال الهلالي: « ينقسم عهد نزول القرآن إلى مدتين متمايزتين. 1، وذكر المدة الأولى؛ فقال: «هي من (17) رمضان سنة (41) من مولده إلى أول ربيع الأول سنة (54) من مولده، وما نزل من القرآن في هذه المدة يسمى مكيًا. 2، والمدة الثانية: «هي ما بعد الهجرة وهي تسع سنين وتسعة أشهر وتسعة أيام من أول ربيع الأول سنة (54) إلى تاسع ذي الحجة سنة (63) من مولده وسنة عشر من الهجرة، وما نزل من القرآن فيها يقال له المدني. 3»
فما نزل بمكة بعد الهجرة هو من المدني.

ومقدار المكي نحو تسعة عشر من ثلاثين جزءا، ومقدار المدني نحو أحد عشر من ثلاثين جزءا. 4
قال الهلالي أن السور المدنية ثلاث وعشرون سورة كما يلي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، الأحزاب، القتال، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، الطلاق، التحريم، إذا جاء نصر الله، وما عدا ما ذكر فهو مكي. 5

ومن فوائد معرفة المكي والمدني الترجيح في دلالة اللفظ القرآني، ومن أمثلة ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23]

قال الهلالي: «أما رواية أنها نزلت بالمدينة في من فاخر العباس من الأنصار 6، فإسناده ضعيف، على أن السورة مكية وليست تظهر بين الآية وتلك الرواية مناسبة، وكذا ما رواه ابن أبي حاتم أنه لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولدها 7 رضي الله عنهم، فإن في إسناده مبهما لا يعرف، عن شيخ شيعي وهو "حسين الأشقر" 8 فلا يقبل يقبل خبره في هذا المجال.

وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسر به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه كما رواه عنه البخاري 9. 10

ومن فوائد معرفة المكي والمدني أيضا تعيين دلالة اللفظ أهي اللغوية أم الاصطلاحية ومعرفة تاريخ التشريع؛ قال الهلالي: «زكاة الأموال لم تكن مفروضة في مكة وإنما فرضت في المدينة، والتحقيق أن الزكاة بمعنى الصدقة لم تزل مفروضة في الإسلام، والزكاة التي هي أحد أركان الإسلام، وقد بينها النبي ﷺ؛ بين أنواعها والمقادير التي تعطى وأوقاتها ومن تصرف إليهم، تأخر ذلك إلى ما بعد الهجرة قال الله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ حَفَلَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 9

2 المصدر نفسه والصفحة

3 المصدر نفسه والصفحة

4 المصدر نفسه والصفحة

5 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 9-10، وانظر: الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 118-119

6 لم أعر عليها، ووجدت: «أوصاني الله بذي القربى، وأمرني أن أبدأ بالعباس». الضعيفة للألباني. رقم 3338 / 7 / 352

7 الألباني: الضعيفة. رقم 4974 / 10 / 723 قال فيه الألباني: باطل.

8 قال ابن حجر: «الحسين بن الحسن الأشقر الفزاري، الكوفي، صدوق يهيم ويغلو في التشيع، من العاشرة، مات سنة ثمان ومائتين». تقريب التهذيب. ص 247

9 عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] فقال سعيد بن جبيرة: قُرْبَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فقال ابن عباس: عَجَلْتُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ؛ فقال: إِلَّا أَنْ تَصَلُوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ. رواه البخاري 4818

10 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 117-118

﴿ [البينة: 5] وسورة البينة مكية. 1﴾ «المراد بالزكاة هنا الصدقة المطلقة، وهي مشروعة من أول الإسلام، قال تعالى في سورة المعارج وهي مكية: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ ، وقال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ إِنَّ الْمَتِّينَ فِي جَنَّتِ وَعَمِيونَ ﴿١٥﴾ عَالَمِينَ مَا أَنزَلْنَاهُمْ رِزْقَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا لَأَنفَعَهُمْ سَعْفُهُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴿١٩﴾ فقد أثبت الله سبحانه وتعالى حقاً للفقراء والمساكين في أموال الأغنياء في هاتين السورتين المكتيتين قبل أن يفرض الزكاة. 2»

ومعرفة المعاني التي ركز عليها الخطاب القرآني المكي والمدني؛ قال الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ [الشورى: 6]: «تكرر هذا المعنى في الآيات المكية كقوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيِّرٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الغاشية: 21 - 22]، وكقوله تعالى في هذه السورة: ﴿ فَإِن أَعْرَضُوا فَأَنتَ أَرْسَلْنَاكَ حَفِيظًا إِن عَلَيكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ الآية [الشورى: 48] لأن النبي ﷺ لم يؤمر بقتال المشركين في مكة، وإنما أمر بالتبليغ والصبر على الأذى. 3»

مميزات المكي والمدني:

ذكر محمد تقي الدين بعض مميزات المكي عن المدني، فقال: «الآيات المكية في الغالب قصيرة قد روعيت فيها الفواصل بخلاف المدني في الغالب،

ومن ذلك أن المكي خال من الأحكام في الغالب وإنما هو تسبيح وتمجيد لله ومواعظ وتزهيد في الدنيا وترغيب في تزكية النفس وأمر بالصبر على أذى المشركين، وبيان لقبح الشرك ومحاربة للمشركين وضرب الأمثال في ذلك ففي سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ، وفي سورة النحل: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ ﴿٧٥﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

وبيان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ أَنظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْبَى الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: 101]، وفي سورة ق: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَقْنَاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿١﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِزْقَهَا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ نَّوْجٍ بَهيج ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق: 6-8]. ومن ذلك قياس الشاهد على الغائب في الاستدلال على قدرة الله تعالى كما في آخر هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق: 11].

ومن ذلك ذكر الرسل السابقين وأهمهم وما أصابها من العذاب بسبب تكذيبها الرسل. وليس في السور المكية أمر بالجهاد وما يتبعه من مسالمة ومهادنة، وأسر، وفدية، وصلح وجزية، وليس فيها ذكر للهجرة، ولا للقصاص، والميراث أي بيان فرائضه، ولا لإقامة الحدود. 4»
فالعقيدة والأخلاق من أهم مميزات السور المكية.

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 144

2 المصدر نفسه. 2 / 251

3 المصدر نفسه. 2 / 261

4 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 15 - 16

ويقول الهلالي في مميزات السور المدنية: « أما السور المدنية فأياتها في الغالب طويلة قليلة الفواصل، مملوءة بالأحكام والشرائع ففي سورة البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَعِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتِغُوا فَلَئِنَّكُمْ لَتَكُونُنَّ رُءُوسَ ءَامُورٍ لَّكُم لَآ تَقْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [البقرة: 278 - 280]،

وفيها أيضا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْمَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُؤَدِّيَ لَهُ الْمَدْلَ ﴾ [البقرة: 282].¹
فالعبادات وبيان الحلال والحرام من أهم مميزات السور المدنية.

هل يختلف أسلوب السور المكية والسور المدنية من حيث البلاغة والأعجاز؟
قال الهلالي: « زعم بعض الأوربيين الذين ينظرون إلى القرآن بعينين إحداهما أَوْهَنَهَا الجهل باللغة العربية وأساليبها وبلاغتها، والأخرى أعماها التعصب الديني والسياسي والجنسي، زعم أن آيات السور المكية في غاية البلاغة والجمال، وأما آيات السور المدنية فهي ناقصة البلاغة، وحاول أن يعلل ذلك حسب عقيدته الفاسدة، بأن النبي كان في مكة رائق البال، سافي القريحة، غير مشغول بالحروب وتدبير شؤون الدولة، أما في المدينة فإن اشتغاله بأعباء تدبير الدولة جعل إنشاءه ناقصا في البلاغة، فهذا من الهذيان السخيف.»²

وقد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله، بل بسورة من مثله في السور المدنية أيضا، فعجزوا.

إن المكي والمدني تمثيل واضح للزمان والمكان، يتصل بالتوالي الزمني لنزول القرآن وورود الحديث، وله تعلق ببقاء الحكم الشرعي، أو نسخه، أو تخصيصه، قال السيوطي: «ومن فوائد معرفة ذلك العلم بالتأخر فيكون ناسخًا أو مخصصًا على رأي من يرى تأخير المخصص.»³

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 16 - 17

2 المصدر نفسه. ص 17

3 محمد بن عمر بزمول: تهذيب وترتيب الإلتقان في علوم القرآن. دار الهجرة. الرياض. السعودية/ دار ابن عفان. القاهرة. مصر. ط. 1. 1426 هـ/ 2005 م. ص 103

المطلب الخامس: النسخ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَتَرَكُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: 101-103]

قال الهلالي: «وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم آية أخرى، والله أعلم بالذي هو أصح فيما ينزل، قال المشركون لرسوله: إنما أنت متقول على الله، تأمر بشيء ثم تنهى عنه، وأكثرهم لا يعلمون ما في التبديل من حكم بالغة، ثم قال تعالى مبينا لهؤلاء المعترضين على حكمة النسخ الزاعمين أن ذلك لم يكن من عند الله وأن الرسول افتراه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ الآية، أي: قل لهم يا محمد: قد جاء جبريل بما أتلوه عليهم من عند ربي، على مقتضى حكمته البالغة، من تثبيت المؤمنين وتقوية إيمانهم بما فيه من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على وحدانية خالق الكون وباهر قدرته وواسع علمه، وجعله هاديا ببيشارة المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله. 1»
فالنسخ هو أمر أو نهى متأخر زمانيا عن أمر أو نهى منسوخ؛ قال الهلالي: «يدخل النسخ الأوامر والنواهي ولا يدخل الأخبار، لأن الناسخ الثاني للخبر الأول تكذيب له، بخلاف الآيات والأحاديث فكلها صادقة ناسخها ومنسوخها. 2»

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 300

2 المصدر نفسه والصفحة.

الفصل الثالث:

أثر اللغة في تحليل الخطاب الكيفي:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

معاني الفحو

المبحث الثاني:

معاني القرآن والسنة

المبحث الثالث:

من تهذيبات علوم اللسان عند الهلالي

المبحث الأول:
معاني الفحو

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:
الخبر

المطلب الثاني:
المطلب

قال الأستاذ حسين خمري: « أي نصٍ مهما كانت طبيعته فإنه عبارة عن نظام من العلامات التي تمتد بينها علاقات مختلفة، وكلما غيرنا موقعها داخل النسق اللغوي تغيرت دلالتها، فإن العرب قد راعوا هذه المتغيرات فنظروا إلى النص "النظم اللغوي" في سياقين مختلفين:

السياق اللغوي: أي المكانة التي يحتلها اللفظ داخل النسق اللغوي.

والسياق التداولي: أي علاقة النص بمستعمله سواء كان المتكلم أو السامع أو الفضاء الثقافي والمعرفي الذي يربط بينها.

ونرى أن عبد القاهر الجرجاني (ت: 471 هـ) قد قدم هذه الملاحظات التي سبق بها الكشوفات اللسانية والسيمائية بقرون عديدة إذ يقول: «والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب» 1. 2 فالمسلمون سبقوا الدراسات التداولية، والنحو الوظيفي، واللسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب في دراسة سياق الخطاب وأثره في بنيته.

والخطاب الديني: خبر وطلب؛ قال محمد تقي الدين: «الخبر: هو ما يخبر الله تعالى به عباده، والطلب: هو ما يأمرهم به أو ينهاهم

عنه.» 3

1 عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة. ص 4

2 حسين خمري: نظرية النص. ص 162

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 93، قال الأستاذ محمد علي فركوس: «وأطلق بعض العلماء على الخبر بأنه: المحتمل للتصديق والتكذيب.»، وقال: «ويخرج الإنشاء لأنه لا يمتثل صدقاً ولا كذباً كالأوامر والنواهي، وهو اصطلاح الأصوليين وأهل اللغة.»، وقال: «وقال بعضهم: إن الخبر هو ما يقابل المبتدأ، وهو إطلاق النحاة، أما أهل المنطق فأطلقوا الخبر على القضية وأطلقه المحدثون على ما هو أعم من الإنشاء والطلب كقولهم: أخبار الرسول ﷺ.» فهذه الأخبار محتوية على الأوامر والنواهي. محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة. ص 203

المطلب الأول:

الخبر

أولاً: الخبر على بابه:

إفادة الخبر معنى إخباريا هو الأصل، والأمثلة من كلام الهلالي كثيرة، منها قول الهلالي: «لا أعلم مقدار هذا الخبر من الصحة.»⁷ بعدما أورد خبراً، وفي قوله هذا بيان لاتصاف المعنى بالصدق والكذب، عكس الطلب، أو الخبر بمعنى الطلب.

ثانياً: الخبر بمعنى الطلب:

من أمثلة الأخبار التي معانيها الطلب؛ أي أمر أو نهي، فينتظر من المخاطب الفعل أو الترك، ما يلي:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: 83]

قال الهلالي: «قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [البقرة: 83] قال الزمخشري: خبر بمعنى الطلب وهو أكد.»³

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45]

قال الهلالي: «إن نوحاً عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45] لم يُرد بذلك أن يُخبر أن الابن الهالك من ذريته، وإنما أراد أن يقول: إنه من أهله الذين يستحقون الرحمة والعفو لقربه من رسول الله نوح أحد أولي العزم، فأخبره الله أن ذلك الابن ليس من المؤمنين بما جاء به أبوه، فلا يستحق النجاة ولا الرحمة بالقرابة المجردة، فإنها لا قيمة لها عند الله، قال تعالى في سورة

الطور (21): ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأَلَمْنَا يَوْمَ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾⁴

وقال: «يظهر لي أن نوحاً سأل الله نجاة ابنه كنعان قبل أن يفرق، والسؤال سؤال استعلام، وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: 45] أي: وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق، وأنت أحكم الحاكمين؟»⁵

• عن عباد بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»⁶,

قال محمد تقي الدين: «النفى هنا للصحة لا للكمال.»⁷

ثم قال: «لا يمتنع أن يقال أن قوله: «لا صلاة» نفي بمعنى النهي، أي لا تصلوا إلا بقراءة فاتحة الكتاب، ونظيره ما رواه مسلم من طريق القاسم عن عائشة مرفوعاً: «لا صلاة بحضرة الطعام»⁸ فإنه في صحيح ابن حبان بلفظ: «لا يصل أحدكم بحضرة الطعام»⁹ 10.

1 الهلالي: الشمس في نصف الليل. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الحادية عشر. العدد الخامس. ذو الحجة، محرم 1388 هـ/ مارس، أبريل 1968 م. ص 62
2 انظر: محمود بن عمر الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 1/ 159، ونصه: «إخبار في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي.»
3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 158
4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 171
5 المصدر السابق. 1/ 538 باختصار
6 رواه البخاري 756
7 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 16
8 رواه مسلم 560
9 الألباني: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان. حديث رقم 2071. 3/ 463
10 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 16

المطلب الثاني: الطلب

أولاً: الأمر:

أ- الدلالات الطلبية:

من الدلالات الطلبية للأمر:

1- الوجوب:

يكون الأمر للوجوب 1 إذا كان مراداً من الأعلى على جهة الاستعلاء، وكان أمراً بممكن، غير حاصل وقت الطلب، موكولاً بتنفيذه إلى المأمور؛ ولكونه كذلك فإن مخالفه يعد من وجهة نظر الأمر عاصياً، مما يعرضه لنقمته²؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «ما أمر به فهو واجب حتى يقوم دليل على أن الأمر ليس للوجوب»³ وقال عبد الحميد ابن باديس: «صيغة الأمر إذا جاءت للطلب محمولة على الوجوب إلا لقريظة أو دليل»⁴ وقال: «وتقتضي النهي عن أضداد المأمور به وقت الامتثال»⁵

ومن أمثله قول الهلالي: «اعلمن أن الخمار في قوله جل وعلا: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُجُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31] هو ما يغطي الرأس وأن الجيب هو فتحة الصدر؛ فاعرفن ذلك ولا تتغافلن عن أن الله تعالى يأمر كل مؤمنة بأن تغطي صدرها وجيبها بالخمار لا رأسها فحسب إذ يقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُجُوبِهِنَّ﴾ وهذا صريح جداً في وجوب الخمار الساتر لرأس المرأة وصدرها، إذن فمن خلعتة فكشفت عن رأسها أو صدرها، فإنها لم تحترم أمر الله تعالى، فتصبح بذلك من العاصيات المستهترات بغضبه وعقابه»⁶ مثال آخر: عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أتردين عليه حديثه؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: اقبل الحديثة، وطلقها تطليقة⁷.

وفي رواية أخرى: «قال: ترددين حديثه؟ قالت: نعم، فردتها، وأمره يطلقها»⁸

قال محمد تقي الدين: «قوله: «وأمره يطلقها» يبطل قول من قال: إن الأمر في قوله عليه السلام: «اقبل الحديثة وطلقها.» أمر إرشاد وإصلاح، لا أمر وجوب، وهذا عجيب؛ إذ كيف تبغض المرأة زوجها أشد البغض حتى تخاف إن أجبرت على البقاء معه أن تكفر بالله، وترفع أمرها إلى الحاكم، وهو النبي ﷺ، فيأمره بقبول الحديثة التي كانت صداقتها، ويقول له طلقها، ثم يكون ذلك كله إرشاداً وإصلاحاً لا إلزاماً، فإليت شعري أكان يجوز لثابت ابن قيس أن يقول للنبي ﷺ: لا أقبل ولا أطلق؟ وهو مقتضى قول من قال: إن الأمر للإرشاد والإصلاح، ثم جاءت الرواية الأخرى صريحة في الأمر، فلم يبق لمتأول مجال»⁹

1 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 18

2 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 67

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 76

4 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 33 وقال فيه: «ولا تقتضي فوراً ولا تكراراً، فلا يُعلمان إلا بقريظة أو دليل، والمره ضروريةً للامتثال، وتقتضي طلب ما لا يحصل المطلوب إلا به.»

5 المرجع نفسه والصفحة

6 الهلالي: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. ص 20

7 رواه البخاري 5273

8 رواه البخاري 5274

9 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 46-47

2- الندب :

يكون الأمر للندب إذا لم تكن الإرادة جزماً وإصراراً، أي: كان الفعل مراداً على سبيل التفضيل. 1
قال محمد تقي الدين: «المستحب في علم الأصول: ما في فعله ثواب، وليس في تركه عقاب.» 2
3- الدعاء:

الدعاء هو أمر المخاطب الأعلى مكانة (الله)، بما فيه مصلحة للمُخاطَب (الداعي). 3
قال الهلالي: «في الحديث الصحيح: «الدعاء هو العبادة» 4.» 5
وقال: «اللهم! اجعلنا من الذين آمنوا، واتبعوا رسلك، فنصرتهم على أعدائهم.» 6

4- النصح والإرشاد:

قال الأستاذ حسام أحمد قاسم: «الإرشاد هو الأمر من الأعلى مكانة بما فيه مصلحة للمأمور، وكون المصلحة للمأمور يؤثر على هيئة النطق، فيتخلف الجزم أو تقل درجته، والإرشاد من الشارع ندب، ذلك أن الشارع أحرص على مصلحة المأمور، ومع ذلك فقد حملوا على الإرشاد ما كانت المصلحة فيه دنيوية فحسب.» 7

ويؤيد هذا القول حديث الخلع السابق:

عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أتردين عليه حديثه؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة. 8

وفي رواية أخرى: «قال: ترددين حديثه؟ قالت: نعم، فردتها، وأمره يطلقها.» 9

قال محمد تقي الدين: «قوله: «وأمره يطلقها» يبطل قول من قال: إن الأمر في قوله عليه السلام: «اقبل الحديقة وطلقها.» أمر إرشاد وإصلاح، لا أمر وجوب، وهذا عجيب؛ إذ كيف تبغض المرأة زوجها أشد البغض حتى تخاف إن أجبرت على البقاء معه أن تكفر بالله، وترفع أمرها إلى الحاكم، وهو النبي ﷺ، فيأمره بقبول الحديقة التي كانت صداقتها، ويقول له طلقها، ثم يكون ذلك كله إرشاداً وإصلاحاً لا إلزاماً، فيا ليت شعري أكان يجوز لثابت بن قيس أن يقول للنبي ﷺ: لا أقبل ولا أطلق؟ وهو مُقتضى قول من قال: إن الأمر للإرشاد والإصلاح، ثم جاءت الرواية الأخرى صريحة في الأمر، فلم يبق لمتأول مجال.» 10
فالمصلحة دينية فهذه المرأة تخاف إن أجبرت على البقاء معه أن تكفر بالله.

5- الاقتراح:

قال حسام أحمد قاسم: «الاقتراح أمر الأدنى مكانة بما فيه مصلحة للمأمور.» 11

-
- 1 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 69
2 الهلالي: مقام القاضي عياض في محبة النبي واتباع ما جاء به. دون معلومات نشر. ص 3
3 المرجع السابق. ص 70
4 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 3247. 3/ 323
5 الهلالي: الإسلام والمذاهب الاشتراكية. ص 7
6 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 20
7 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 71-72
8 رواه البخاري 5273
9 رواه البخاري 5274
10 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 46-47
11 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 72

ومن أمثلته قول الهلالي: «إن النبي ﷺ لما منعه المشركون من دخول مكة عام الحديبية، واتفق معهم على أنه يرجع في تلك السنة ويعود من قابل، صار محصراً، فأمر الناس أن ينحروا بدنهم ويحلقوا رؤوسهم، فلم يفعلوا ما أمرهم، فدخل على أم سلمة، وقال لها: هلك الناس، وأخبرها أنه أمرهم فلم يمتثلوا، فأشارت عليه أن ينحر بدنه دون أن يكلم أحداً ويدعو الحلاق يحلق رأسه، ففعل النبي ﷺ ما أشارت عليه به، وقاموا كلهم وحلقوا¹، وهذا من فضائلها، ورجاحة عقلها.»²

6- الإباحة:

الإباحة هي الأمر على سبيل التخيير، وينبع التخيير من كون المصلحة للمأمور، وخفوت الإرادة إلى الحد الأقصى، بحيث لا تعدو قبول الفعل أو الإذن به؛ ومن هنا ارتبطت الإباحة في حالات كثيرة بكون المأمور مستأذناً في الفعل.»³

ومن أمثلة الإباحة:

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت.»⁴

قال الهلالي: «معنى هذا الحديث مختلف فيه عند شراح الحديث على وجهين.»⁵ و«الوجه الأول: إذا كان الشيء الذي تريد أن تصنعه لا تستحي من الناس ولا من الله في عمله فاصنعه وأما إذا كان مما يستحي منه من الله أو من الناس فلا تصنعه، فيكون على هذا للإباحة.»⁶

7- التشجيع:

قال حسام أحمد قاسم: «يدل الأمر على التشجيع إذا تخلف عنصر الزمان، فكان أمراً بما هو حاصل وقت الطلب، وتعلقت به إرادة الأمر.»⁷

ومن أمثلته:

قال محمد تقي الدين في قوله تعالى: ﴿فَأَجْتَكِبُوا الْرَيْحَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنَبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج: 30 - 31]: «قد كان النبي ﷺ طاهر النفس والعرض والخلق، هاجراً للأصنام، فالأمر هنا للزيادة والاستمرار، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1] أي: زد في تقوى الله واستمر عليها، وكما تقول للضيف: «كل.» وهو يأكل، هكذا قال علماء النحو وهو صحيح.»⁸

• من الدلالات غير الطلبية للأمر:

الدلالات غير الطلبية هي الدلالات التي يتخلف فيها عنصر الإرادة، ومنها: 9 دلالة التهديد:

قال الأستاذ حسام أحمد قاسم: «في دلالة التهديد تنعكس الإرادة حيث يستعمل الأمر بالفعل للدلالة على الأمر بالامتناع عنه.»¹⁰ ثم قال: «قوله جل شأنه: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ أَسْتَفْزِرَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: 64] فالأمر عند النحاس «على جهة

1 رواه البخاري 2731، 2732

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 244

3 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 73 باختصار.

4 رواه البخاري 3484، 6119

5 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 100

6 المصدر نفسه والصفحة

7 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 74

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 363 باختصار.

9 المرجع السابق. ص 75

10 المرجع نفسه. ص 76

التهديد له لأن من عصى فإنما عصيانه على نفسه، وليس ذلك بضار غيره، والعرب تفعل هذا على جهة التهديد، ولا يقع هذا إلا بعد النهي، فالله جل وعز قد نهى عن المعاصي، كما تقول: يا غلام! لا تكلم فلانا. ثم تهدده، فتقول: كلمه إن كنت صادقاً. 1
هذا يعني أن أبا جعفر يشترط وضوح انعكاس الإرادة في السياق اللغوي نفسه، بأن يسبق التهديد بالنهي عن الفعل، أو يتبع بما يدل على ذلك؛ نظراً لما بين الدلالة الحقيقية والمجازية من تضاد.

وقد يكون كافياً أن يتضح القصد تماماً من خلال المعرفة بصفات المتكلم، وعلاقته بالمخاطب، والفعل المأمور به. 2
ومن أمثلة استعمال صيغة "افعل" للتهديد في السنة: عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البديري قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت». 3

قال الهلالي: «الحياء: انقباض في النفس يحمل صاحبه على ترك ما يعاب عليه، وقد جاء في الحديث الصحيح أن «الحياء شعبة من شعب الإيمان» 4، وإنما يكون الحياء من الإيمان: إذا كان يمنعه من معصية الله ويحمله على طاعته، ولا يمنعه من قول الحق وإن كان كان مرا، وأداء الواجب وإن كرهه الناس، لذلك فقد يكون أداء الواجب مما يعاب عند من جبلوا على تضييعه وفعل السيئات مما يحمد عند الفساق، فالحياء الذي يحمل صاحبه على فعل المنكرات وترك الواجبات حياء مذموم وضعف وخور، وليس من الإيمان. ومعنى هذا الحديث مختلف فيه عند شراح الحديث على وجهين:

الوجه الأول: إذا كان الشيء الذي تريد أن تصنعه لا تستحي من الناس ولا من الله في عمله فاصنعه وأما إذا كان مما يستحي منه من الله أو من الناس فلا تصنعه، فيكون على هذا للإباحة.

الوجه الثاني: أن معناه إذا لم تتصف بالحياء الذي يمنع العاقل من إتيان ما يعاب عليه شرعاً وطبعاً فاصنع ما شئت فستذوق وبال أمرك، وتنال عقابك، فيكون الأمر للتهديد، كما تقول لمن يفعل ما يفضي به إلى الهلاك: «العجب بالنار فسوف ترى».، ومنه قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: 40]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ اسْتَزِرُوا رَبَّكَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحَدَّرُونَ﴾ [التوبة: 64].

• قوله: «مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى.» أي: مما بقي عند الناس من كلام الأنبياء السابقين قبل محمد ﷺ وبهذا المعنى جاء قول الشاعر:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ 5

ومما يذم فيه الحياء سؤال الإنسان عما لا يعلم من العلم النافع، وقد قيل اثنان: لا يتعلمان مستحي ومستكبر. 6

ثانياً: النهي:

العناصر المكونة لحقيقة النهي هي: العلو والاستعلاء، والزمان والقدرة والمصلحة والإرادة. 7
من دلالات صيغة النهي:
أ- دلالة التحريم (وجوب ترك الفعل):

1 النحاس: إعراب القرآن. ت: زهير غازي زاهد. مكتبة النهضة العربية. بيروت. لبنان. ط3. 1409 هـ / 1988 م. 2 / 432، وانظر: النحاس: معاني القرآن. ت: محمد محمد علي الصابوني. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ط1. 1409 هـ / 1988 م. 4 / 173
2 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 76 باختصار
3 رواه البخاري 3484
4 رواه البخاري 24 بلفظ: «الحياء من الإيمان.»
5 البيتان من الوافر، وهما لأبي تمام في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي. ت: راجي الأسمر. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط2. 1414 هـ / 1994 م 2 / 311
6 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 100 - 101
7 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. ص 83 باختصار

يعني كون الأمر للتحريم وجوب الامتناع عن الفعل، بأن ينهى عنه نهياً جازماً، وترتبط دلالة التحريم بخطاب الشارع، ذلك أن التحريم لا يتصور إلا من يقر المخاطب بعلو مكانته، ووجوب طاعته، فإذا لم يكن النهي صادراً من الأعلى مكانة عند الناهي فالنهي لإيجاب الترك، ولا يلزم من هذا الإيجاب الوجوب. 1

ويكون الفعل مراداً الامتناع عنه على سبيل الجزم (الاستعلاء)، صادراً من الأعلى مكانة، وكان الامتناع عن الفعل ممكناً، غير حاصل وقت الطلب، فإذا تحققت هذه الشروط فالنهي للتحريم وإذا تخلف بعضها تحولت دلالة الصيغة إلى دلالة أخرى؛ قال ابن باديس: «صيغة النهي للتحريم إلا لقرينة أو دليل، وتقتضي الفور ودوام الترك، وتقتضي فعل ضد من أضداد المنهي عنه.» 3
قال محمد تقي الدين: «الحرام هو الذي نهى الله عن فعله بالقرآن أو الحديث نهياً محتماً يترتب عليه العقاب.» 4

ومن أمثلة التحريم قول الهلالي: «﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ ﴾ أي: نهاني الله أن أعبد الذين تدعون من دون الله - يا أيها المشركون - بأي نوع من أنواع العبادة، والنهي هنا للأمة لأن النبي ﷺ معصوم من الشرك.» 5

ب- دلالة الكراهة:

لا يعود الفرق بين دلالتى التحريم والكراهة إلى تخلف عنصر من العناصر السابقة المكونة لدلالة النهي، وإنما إلى درجة وجود الإرادة؛ فبعض النواهي يشير تحليل السياقين اللغوي والخارجي لها إلى أنها مرادة لا على سبيل الجزم والإصرار على التنفيذ، وإنما على سبيل الحث على الامتناع عن الفعل وتفضيل ذلك. 6

قال محمد تقي الدين: «حقيقة المكروه هو ما نهى الله أو نهى رسوله ﷺ عنه نهياً مخففاً، بحيث إذا ترك يكون في تركه أجر وإذا فعل فلا يكون في فعله عقاب.» 7

ج- النهي عن الشيء والمراد أثره:

عن أبي هريرة «أن رجلاً قال للنبي: أوصني، قال: لا تغضب، فردّد مراراً، قال: لا تغضب.» 8

قال الهلالي: «الغضب من طبائع الإنسان التي لا يستطيع أن ينفك عنها، والمراد بالنهي هنا ألا ينفذ ما يقتضيه الغضب من الأذى والانتقام.» 9

ثالثاً: الاستفهام:

إن الله ﷻ عالم بما كان وما يكون، ولا يكون منه استفهام على جهة الحقيقة.

واستفهام السائل عما يعلمه يخرج الاستفهام عن حقيقته.

ومن دلالات الاستفهام:

1- الاستفهام الإخباري:

الاستفهام الإخباري هو الاستفهام الذي يؤول معناه في التحليل النهائي إلى الخبر. 10

1 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة. ص 91

2 المرجع نفسه. ص 83

3 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 33

4 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 81

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 336

6 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة. ص 92

7 المصدر السابق. 1/ 467

8 رواه البخاري 6116

9 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 93

10 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة. ص 127

أ- الاستفهام بمعنى الخبر المثبت:

تأويل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ ﴾ [الشرح: 1] في تفسير الجلالين: «استفهام تقرير، أي: شرحنا». 7؛ فهذا استفهام استفهام بمعنى خبر مثبت، ومثله قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ [الإنسان: 1].

ب- الاستفهام الإنكاري:

يؤول معناه إلى خبر منفي، ومن أمثلته:

• قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿ أَلْهَمَ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ ﴾ [الأعراف: 195] تشنيع على عباد الأصنام والأوثان، لأن الأصنام وإن كانت لها أرجل وأيد وأعين وآذان إلا أنها لا تمشي، ولا تبتطش، ولا تبصر، ولا تسمع.» 2

• قال الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ مَنِّهِ ۚ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۗ ﴾ [الطور: 35-36]: «قال ابن عباس: «من غير رب خالق.» والمعنى: أم خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق. ﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ أي: لأنفسهم، وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحده وليعبده.» 3

قال محمد تقي الدين: «تقدم أن حبر الأمة عبد الله بن عباس فسرهما بقوله: «أم خلقوا من غير رب خالق»، والاستفهام هنا إنكاري، فهو نفي لأن تكون هذه العوالم المحكمة الصنع المتقنة وجدت من غير موجد يتصف بالربوبية.» 4

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۗ ﴾ [النساء: 122]، قال الهلالي: «"من": لفظة استفهام، ومعناه: لا أحد أصدق من الله في حديثه ولا أحد أصدق من الله قولاً ولا خبراً، وهذا إخبار منه تعالى بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، بل هي أعلاها، فكل ما قيل في العقائد والعلوم والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به فهو باطل، لمناقضة الخبر الصادق.» 5

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ۗ ﴾ [الأحقاف: 5] قال محمد تقي الدين: «أخبر سبحانه أنه لا أضل ولا أبعد عن الحق ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب لهم إلى يوم القيامة، وهو أي المدعو غافل عن دعاء الداعي، إن كان من الأنبياء والصالحين فهو مشغول بما أعد الله له من الكرامة والنعيم، وإن كان من الطالحين فهو مشغول بما أعد له من العذاب الأليم.» 6

• عن أبي سعيد قال: أصبنا سبياً فكنا نعزل، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: «وإنكم لتفعلون؟ - قالها ثلاثاً-، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة.» 7

قال محمد تقي الدين: «هذا الحديث يعزز أحاديث النهي ويزيدها قوة ووضوحاً، لأن قوله ﷺ: «وإنكم لتفعلون؟» ثلاث مرات استفهام إنكاري، والتكرار فيه مبالغة في الإنكار.» 8

• قال الهلالي: «قول الشاعر:

1 تفسير الجلالين. ص 607

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 444

3 الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل. مكتبة المنثى. بغداد. العراق. 4/ 226، والهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 4/ 17-18

4 المصدر نفسه. 4/ 19

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 283

6 الهلالي: الإسلام والمذاهب الاشتراكية. ص 7

7 رواه البخاري 5210

8 الهلالي: رأي في تحديد النسل والعدوى. ص 5

كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الرِّزْتُ وَالْفَتْلُ 1

أَتْتَهُمْ وَ لَنْ يَنْهَى ذُوِي شَطَط

الاستفهام هنا إنكاري.

يقول الشاعر لأعدائه: كيف تنتهون عن ظلمكم وبغيتكم، ولن ينهى ذوي الظلم شيء مثل الطعن المبيد المهلك الذي لا يترك لهم شيئاً؛ لا أنفساً ولا أموالاً، فإنّ ذهاب السيف والفتيلة كناية عن الهلاك التام. 2

2 - الاستفهام الطلبي:

الاستفهام طلب للفهم، أو بمعنى آخر طلب لخبر يكون إجابة عن السؤال، ولذلك يسمى استخباراً، أو استعلاماً، وقواعد اللغة تحدد كيفية إجابة هذا السؤال، وأن الأصل أن يكون السائل مكتفياً بهذه الإجابة، فإذا لم يكن ذلك لم يكن السائل طالباً للفهم، وإنما كان طالباً للفعل، أي أن الاستفهام تتحول دلالاته إلى الأمر أو النهي، إذا تخلف عنصر الاكتفاء بالمعنى.

والاستفهام يؤدي أكثر الدلالات الطلبية في الأمر، وتتمايز هذه الدلالات فيما بينها بحسب وجود العناصر الدلالية المكونة لحقيقة الأمر أو غيابها، فحين تتواجد هذه العناصر جميعاً يعني الاستفهام الوجوب، كما في قوله تعالى: ﴿ قَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة: 91] أي انتهوا. 3

وعندما يتخلف الاكتفاء تتحول دلالة الاستفهام إلى إحدى الدلالات الطلبية التي يؤديها، نحو: دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿ قَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: 80]، أو الدعاء في نحو قوله: ﴿ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ [الأعراف: 155]، أو التمني في نحو: ﴿ قَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾ [الأعراف: 53]

ونميز بين هذه الدلالات وفق عناصر: المكانة والإمكان والمصلحة؛ إذ أن الاستفهام يتحول هنا إلى طلب للفعل لا طلب للفهم. 4

ومن أمثلة الاستفهام الطلبي، الحديث الذي أورده الهلالي؛ قال رسول الله ﷺ لليهود: «ما تقولون في عبد الله بن سلام؟» فقالوا كلهم: سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. فقال: «أ رأيتم لو أسلم؟» يعني: أتسلمون؟ 5
ومن أمثله أيضاً حديث أبي ذر أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «أ و ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أ رأيتم لو وضعها في حرام؛ أ كان عليه وزر فكذلك لو وضعها في الحلال كان له أجر.» 6

قال محمد تقي الدين: « (وفي بضع أحدكم صدقة): أي فرجه إذا استعمله في الحلال وصانه عن الحرام.

قوله: «أيأتي أحدنا شهوته»: أي بالجماع ويكون مع ذلك له أجر.

• قوله: «أ رأيتم»: أي: أخبروني لو وضع شهوته في حرام بارتكاب المعصية بجماع ما لا يحل له.

• «أ كان عليه وزر»: أي: إثم، والجواب هنا هو: نعم، قال النبي ﷺ: «فكذلك إذا وضعها في حلال»، يعني: وصانها من الحرام

فله أجر.» 7

1 البيت من البسيط، وهو للأعشى في ديوانه ص 63

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 11 - 12

3 حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة. ص 139 - 140

4 المرجع نفسه. ص 115 - 116

5 رواه البخاري 3329، 3938، 4480، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3 / 118

6 رواه مسلم 1006

7 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 109

رابعاً: الأحكام الشرعية في الخطابات الإلهية:

قال العلامة عبد الحميد بن باديس: «خطاب الله تعالى لنا إنما هو بالوحي، والوحي إنما هو الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، فأحكام الله تعالى لا بد أن تكون موجودة فيهما ولا توجد في غيرهما، ويتفاوت أهل العلم في معرفة ذلك منها، فيكون عند بعضهم ما خفي عن بعض، ولا يخفى عن جميعهم حكم من الأحكام، لأن الشريعة محفوظة والدين مكمل، فالأحكام الشرعية غير الخطابات الإلهية، أي ليست ذات الخطابات الإلهية، ولكن متضمنة للأحكام.»¹

وقال: «كل حكم من أحكام الله تعالى فهو مستفاد من خطاباته الموجهة إلينا، وما تضمن منها حكماً تكليفاً فهو خطاب تكليف، وما تضمن منها حكماً وضعياً فهو خطاب وضع، وقد يتضمن الخطاب الحكيمين معا.»²

أ- الأحكام التكليفية: 3

قال محمد تقي الدين: «الأحكام الخمسة وهي: الواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح.»⁴

ويفصلها ابن باديس، فيقول: «الطلب إما للفعل وإما للترك، وهو في كليهما: إما على سبيل التحريم، وإما على سبيل الترجيح؛ فما كان طلباً للفعل على سبيل التحريم فهو الإيجاب، وما كان طلباً له على سبيل الترجيح فهو الندب والاستحباب، وما كان طلباً للترك على سبيل التحريم فهو الحظر والتحريم، وما كان طلباً له على سبيل الترجيح فهو الكراهة، وإذنه في الفعل والترك هو الإباحة.»⁵

عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس؛ فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى؛ ألا وإن حمى الله محارمه، وألا، وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب.»⁶

عرف الدكتور الهلالي الحلال والحرام، فقال: «الحلال: هو المباح الذي أذن الله في فعله أو سكت عنه القرآن والحديث.»⁷

الحرام: هو الذي نهى الله عن فعله بالقرآن أو الحديث نهياً محتماً يترتب عليه العقاب.»⁸

أما المشتبهات، فمن أمثلتها كما ذكر الهلالي: «ما رواه البخاري 9 في صحيحه عن عقبه بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت: إني أرضعت عقبه والتي قد تزوج بها، فقال لها عقبه: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله، فقال: كيف، وقد قيل؟، ففارقها عقبه ونكحت زوجها غيره.

فإمسك هذه المرأة بعد ما قيل أنها أختها من الرضاعة من المشتبهات؛ تشبه الحلال من جهة أن عقبه لم يسمع قط لا من أمه ولا من غيرها أن هذه أرضعته وأرضعت زوجته وذلك مستبعد في العادة أن ترضعه وترضع المرأة التي تزوج بها، ثم لا يعرف ذلك أحد منها

1 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 19

2 المرجع نفسه. ص 18، وقال: «كل فعل من أفعال المكلف الظاهرة أو الباطنة لا بد أن يكون قد تعلق به حكم من أحكام الله تعالى، لأن الإنسان لم يخلق عبثاً، ولم يترك سدى، وحكم الله تعالى هو طلبه أو إذنه أو وضعه.» ص 14

3 قال ابن باديس: «تسمى هذه الأحكام الخمسة أحكاماً تكليفية لما في تحصيل المطلوب من الكلفة.» المرجع نفسه. ص 16

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 270

5 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 14 - 15

6 رواه البخاري 52، 2051، ومسلم 1599

7 قال الهلالي: «كل شيء لم ينص الكتاب والسنة على تحريمه ولا على تحليله فقد عفا الله عنه وهو مباح لأن الله لا ينسى شيئاً ورسوله ﷺ لا يكتم شيئاً.» الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق. ص 64، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]، قال محمد تقي الدين الهلالي: «أمنت الله على عباده بأن خلق لهم ما في الأرض جميعاً، وهذا يدل على أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يقوم دليل على تحريم شيء منها.» سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 10 - 11

8 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 81

9 رواه البخاري 88، 2641

ولا من أقاربها فيحتمل أن المرأة كذبت لتفرق بينه وبينها ليتزوجها غيره، ويحتمل أن تكون أرضعتهما في مناسبة من المناسبات ولم يتفق أن ينتشر خبر إرضاعها وبقي منسيا إلى أن تزوج بها فكان الأحوط والأحزم أن يفارقها. 1
وعرف المستحب في علم الأصول؛ فقال: «ما في فعله ثواب وليس في تركه عقاب». 2
والمكروه: «هو ما نهى الله أو نهى رسوله ﷺ عنه نهيا مخففا، بحيث إذا ترك يكون في تركه أجر وإذا فعل فلا يكون في فعله عقاب». 3

والحكم الشرعي لا يكون إلا لله ﷻ، فهو مستمد من خطابه الديني في القرآن والسنة؛ قال محمد تقي الدين: «كل من جعل له التحليل والتحرير والإيجاب والإباحة والاستحباب من المخلوقين فقد اتخذ ربا، حاشا رسل الله الذين يبلغون رسالات الله، ولا ينطقون عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80] فالرسل لا يطالبون بالدليل، لأن كلامهم في الدين نعم الدليل، وغيرهم لا يجوز قبول قوله إلا بدليل». 4
وقال: «كما أن الصلاة والدعاء والذبح والنذر والاستغائة والحج والصدقة والحلف والتوكل والرجاء والخوف والرغبة وما جرى مجراها لا يكون شيء من ذلك إلا لله، فكذلك الحكم وهو التحليل والتحرير والإيجاب والكرهية والاستحباب، هذه الأحكام خاصة بالله وحده». 5

وقال: «التحليل والتحرير والإيجاب والاستحباب والكرهية إذا قيدها المتعصب بالمذهب، ولم يبال بمخالفة الدليل عن النبي ﷺ، فقد اتخذ ذلك المذهب وثنا معنويا يدرك بالعقل». 6

ومن أمثلة ذلك كما ذكر الهلالي: «إن أهل المغرب الذين ينتسبون إلى المذهب المالكي يذبحون الذئب ويأكلونها، لأنهم يزعمون أن أكل كل ذي ناب من السباع كالكلب والذئب والثعلب والنمر والأسد، وكل ذي مخلب من الطير كالغراب والصقر والنسر والحدأة من سباع الطير، فيه ثلاثة أقوال في المذهب، ينسبونها إلى مالك رحمه الله: الإباحة، والكرهية التنزيهية، والحرمة.

ويرجحون القول الثاني، وهو: الكراهية التنزيهية، ويزعمون أنه المشهور في المذهب المالكي، فمن ترك أكل السباع المذكورة أثيب على تركه، ومن أكل لحومها فلا شيء عليه ولا يأثم، وقد روى مالك في "الموطأ" عن النبي ﷺ أنه قال: «كل ذي ناب من السباع [فأكله] حرام». 7، وكيف يروي مالك هذا عن النبي ﷺ ثم يقول بالإباحة أو الكراهية التنزيهية!! وهذا طعن في تمسك مالك

بالسنة، والصحيح كما قاله ابن عبد البر: إن مالكا وسائر الأئمة يقولون بتحريم أكل لحوم السباع 8. 9

قال الهلالي: «قال في "النهاية": هو ما يفترس الحيوان ويأكله قسرا كالأسد والنمر والذئب ونحوها 10. 11

1 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 83

2 الهلالي: مقام القاضي عياض في محبة النبي واتباع ما جاء به. ص 3

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 467

4 المصدر نفسه. 3 / 169-170

5 المصدر نفسه. 3 / 243-244

6 المصدر نفسه. 1 / 480، قال محمد علي فركوس: «الأصل في الأشياء والمنافع والمكاسب والعادات العفو؛ فلا يحظر منها إلا ما حرمه الله تعالى، وإلا دخلنا في معنى معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ [يونس: 59]، أما العبادات فالأصل فيها التوقيف؛ فلا يشرع منها إلا ما شرعه، وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21].» الإنارة شرح كتاب الإشارة. ص 420

7 البخاري 5530، و مسلم 1933

8 انظر: ابن عبد البر: التمهيد. 11 / 6

9 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 480-481

10 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 415

11 المصدر السابق. 1 / 482

وتسميات الأحكام الشرعية مستمدة من الخطاب الديني، وهي دلالات طلبية إلا المباح، ومن الألفاظ الدالة على الحكم الشرعي غير الأمر والنهي والاستفهام الطلبي التصريح بلفظه كالفرض أو الواجب أو الحرمة أو الكراهة أو الإباحة؛ قال الهلالي: «فرضت بمعنى وجبت.»¹، أو عد الأمر من رضى الله تعالى أو سخطه، أو الوعد أو الوعيد، أو عده من الفضائل أو الكبائر..

ب- الأحكام الوضعية²:

إِنَّ الْأَسْبَابَ وَالشُّرُوطَ وَالْمَوَانِعَ مَوْجُودَةٌ فِي الْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: 13]

وفسر ابن كثير الآية، فقال: «﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ وهو المطر الذي يخرج به من الزرع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعمومه وروائحه وأشكاله وألوانه، وهو ماء واحد، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء.»³

قال الهلالي: «ما أحسن ما قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ فإن المطر الذي ينزل من السماء سبب والأرض الطيبة شرط، والزرع وتنظيف الأرض مما يضر المزروعات شرط أيضا، وزوال الموانع التي تمنع بلوغ الثمرة إلى الينع والزرع إلى إدراك الحب شرط آخر، ومع ذلك لا يتم شيء من ذلك إلا بإذن الله تعالى الذي هو ﴿خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 102، الرعد: 16، الزمر: 62، غافر: 62]

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ⁴

ولو كان النبات والخضر والفواكه كل ذلك ينمو بطبعه لما وجدت هذه الفروق الكثيرة بين الثمرات والخضر والمقائمي من اختلاف في الحجم والشكل واللون، فسبحان المنعم العظيم، وقد خاب وخسر من كفر به.⁵

ووضع الله سبحانه في خطابه أسبابا وشروطا وموانع، قال الإمام عبد الحميد بن باديس: «وضعه تعالى: هو جعله الشيء سببا من وجوده الوجود، ومن عدمه لعدم لذاته، كدخول الوقت لوجوب الصلاة وصحتها، أو شرطا يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، كالوضوء لصحتها، أو مانعا يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته، كالحيض لوجوب الصلاة وصحتها.»⁶

وبما أن استمداد الأسباب والشروط والموانع من الخطاب الديني، فهي أحكام شرعية.

1 الهلالي: الصبح السافر في حكم صلاة المسافر. ص 9

2 قال ابن باديس: «تسمى هذه الأحكام وضعية نسبة للوضع والجعل.» خلاصة في علم الأصول. ص 17

3 تفسير بن كثير. 7/ 134، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 236

4 البيت من المتقارب، وهو لأبي العتاهية في ديوانه. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. 1406 هـ/ 1986م. ص 122

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 236-237

6 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 16-17

المبحث الثاني:
فقه الخُصام الديني:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:
الإيمان

المطلب الثاني:
الإسلام.

المطلب الثالث:
الإحسان.

قال محمد تقي الدين الهلالي: الدين: «الجزء»، قال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: 25]، وقال الحماسي:

فلما صرح الشرح ولم يبق سوى العودوا
فأمسى وهو عريان دنياهم كما دانوا²

وقال: «الدين: في اللغة: الجزء، وفي الاصطلاح: ما يعتقده الإنسان.»³

وقال: «المراد بالتفقه في الدين: معرفة معاني كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ، وكل علم يوصل إلى ذلك، أما الفروع المولدة التي يسميها المتأخرون فقها، فهي فقر وجهل ولا تمت إلى الفقه بصلة.»⁴

عن عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.» قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.» قال فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.» ثم انطلق فلبث مليا، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت الله ورسوله أعلم قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.»⁵

1 البيت من الهزج، وهو للفنذ الزماني (شهل بن شيبان) في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 8 / 105

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 150

3 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 82

4 المصدر السابق. 3 / 180

5 رواه مسلم 8، و: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 66-67

المطلب الأول: الإيمان

تعريف الإيمان:

قال الأستاذ عبد الحميد الفراهي: «الإيمان تصديق وتسليم، وضده: التكذيب، والجحود، والكفر¹، و"الإيقان" ضده: الظن والشك؛ فليس كل من أيقن صدق، بل ربما يكذب المرء عتوا ومكابرة وقد أيقن بالشيء، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: 13 - 14] وكذلك ليس كل من آمن فقد أيقن، فربما يؤمن الرجل بغلبة الظن، ثم يوقفه الله، فيخرج عن الظن، ولكن لا يكمل الإيمان إلا بالإيقان.

فالإيمان جزءان: علم وتسليم، وبكاملها يكمل.

وآمن له: أذعن لقوله، آمنه: أعطاه الأمن، فهذا هو الأصل لغة.

وهو اصطلاح ديني قديم؛ في العبرانية "آمن" معناه: الصدق والاعتقاد، والمتعدي منه: إيمان وتصديق وثبت، ومنه "آمين" 2 كلمة تصديق.

ثم علمنا القرآن فروع هذا الأصل: (1) فمنها أن المؤمن لا بد أن يتوكل على الله، كما قال تعالى: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: 2]، (2) ومنها أن الإيمان لكونه جزما واعتقادا لا بد أن يسوق إلى العمل، كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْتَمِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: 3] 3

ويلخص محمد تقي الدين تعريف الإيمان، فيقول: «الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح»⁴، فالإيمان «لا يثبت إلا بالعمل مع التصديق»⁵.

زيادة الإيمان ونقصانه:

قال الهلالي: «إن أهل السنة كلهم متفقون على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، تزيد الأعمال بزيادته وتنقص بنقصانه»⁶.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: 2] وقال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»⁷.

وزيادة الإيمان ونقصانه هو قول الصحابة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «الإيمان يزداد وينقص»⁸.

وعقد الهلالي مبحثا في "سبيل الرشاد" في زيادة الإيمان ونقصانه، ضمنه الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف على ذلك ناقلا عن "شرح الطحاوية"⁹.

1 قلت: يجتمع في القلب التصديق والكفر، ككفر إبليس مع تصديقه بوجود الله، ولا يجتمع الإيمان والكفر.

2 وردت كلمة آمين 12 مرة في سفر التثنية. 27 / 15-26

3 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 158-159-160

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 111

5 المصدر نفسه. 6 / 104

6 المصدر نفسه. 2 / 371

7 الأجرى: الشريعة. ت: الوليد بن محمد. مؤسسة قرطبة. ط 1. 1417 هـ / 1996 م. 1 / 269، وإسناده حسن.

8 المرجع نفسه. 1 / 260

9 انظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 101-104

عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»¹
 قال الهلالي: «في هذا الحديث نفي الإيمان عن كل شخص لا يحب لإخوانه المسلمين من الخير مثل ما يحب لنفسه»²
 ثم قال: «فإن كان الشخص الذي لا يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه خالياً من محبة الخير للمؤمنين بالمرّة بحيث يستوي عنده
 المؤمن وغيره فهذا لا يكون إلا كافراً قطعاً وإن أظهر الإسلام فهو منافق، وأما إن كان يحب الخير للمؤمنين في الجملة ويهتم بشؤونهم
 ولكنه قد يقصر في حق المؤمنين لسبب من الأسباب فإن ذلك نقص في إيمانه فيكون النفي في حقه للكمال»³
 فخطاب الهلالي موافق للخطاب الديني في القرآن والسنة المقرر لزيادة الإيمان ونقصانه.

الكفر:

قابل الله ﷻ بين الإيمان والكفر، فقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: 29]،
 قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32]: «الكافر: هو الذي
 يستر الشيء ويغطيه، ومنه سمي الليل كافراً، لأنه يستر الأشياء، والزراع كافراً، لأنه يغطي الحب في الأرض، كما قال: ﴿أَعْجَبَ
 الْكُفَّارَ نَبَأُهُ﴾ [الحديد: 20]»⁴

قال محمد تقي الدين: «قول ابن كثير: «والكافر الذي يستر الشيء ويغطيه»، ولذلك سمي الكافر بالله تعالى الجاحد بما جاءت به
 رسل الله: كافراً، لأنه ستر الحق وغطاه بجحوده، قال لبيد في "معلقته":

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ
 وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الْبُيُوتِ ظَلَامَهَا⁵

يريد بقوله: «ألقت يداً في كافر». غروب الشمس فشبها بإنسان وأثبت لها يداً، على طريق الاستعارة وجعل غروبها إلقاء يدها في
 الكافر وهو الليل، وقال لبيد أيضاً:

في ليلة كفر النجوم ظلامها⁶

وقال الشاعر:

لِي فِيكَ أَجْرٌ مُّجَاهِدٍ
 إِنْ صَاحَّ أَنَّ اللَّيْلَ كَافِرٌ⁷

وجحود ما جاءت به الرسل أنواع⁹

الكبائر:

يخاطبنا الله ﷻ في كتابه المبين بأن المحرمات كبائر وصغائر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرُ عَنْكُمْ سَعِيَاتِكُمْ
 وَتُدْخِلِكُمْ مَدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]،

قال الهلالي: «اختار شارح الطحاوية في حد المعصية الكبيرة أنها: «ما يترتب عليها حد أو توعده عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب،
 وهذا أمثل الأقوال»¹⁰

1 رواه البخاري 13

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 87

3 المصدر نفسه. ص 88

4 تفسير ابن كثير. 4/ 136، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 479

5 البيت من الكامل، وهو للبيد في معلقته وديوانه. ص 114، وفيها: الثُّغُورِ بَدَلَ الْبُيُوتِ.

6 البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة في معلقته وديوانه. ص 111

وفيه: عَمَّا مَهَا بَدَلَ ظَلَامَهَا، وصدر البيت: يَغْلُو طَرِيقَةَ مَنِّيهَا مُتَوَاتِرًا

7 البيت من مرفل الكامل، وهو للبهاء الزهير بن محمد المهلب في ديوانه. دار صادر، ودار بيروت. بيروت. لبنان. 1383هـ/1964م. ص 156

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 482-483

9 المصدر نفسه. 2/ 289-290

10 ابن أبي العز الطحاوي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. ت: أحمد محمد شاكر. مكتبة الرياض الحديثة. السعودية. ص 318

والصغيرة ضدها، وهي ما لم يترتب عليها حد أو توعدها بالنار أو اللعنة أو الغضب. 1
 ثم قال: «وترجيح هذا القول من وجوه:
 أحدها: أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل رضي الله عنهم وغيرهم.» 2
 ولا أقول ذلك تصويبا لخلق اللحية أو تهوينا لشأنه فإن الواجب على كل مسلم أن تكون له في رسول الله أسوة حسنة، وأن يبذل
 جهده في موافقة قدوته وإمامه صلوات الله وسلامه عليه في الظاهر والباطن. 3
 و«أكبر الكبائر: الإشراف بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور.» 4
 ومن الكبائر عدم الاستتار من البول والنميمة؛ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، فسمع
 صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «يعذبان وما يعذبان في كبير»، ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان
 الآخر يمشي بالنميمة»، ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منها كسرة. فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟
 قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا.» 5
 قال محمد تقي الدين: «لا يقال: إن الإنسان الذي سمع النبي ﷺ صوتهما كانا كافرين، [ففي] حديث أبي أمامة عند أحمد أنه ﷺ
 مر بـ "البقيع" قال: «من دفنتم اليوم ههنا؟»، فهذا يدل على أنها كانا مسلمين؛ لأن البقيع مقبرة المسلمين والخطاب للمسلمين، مع
 جريان العادة بأن كل فريق يتولاه من هو منهم، ويقوي كونها مسلمين رواية أبي بكره عند أحمد والطبراني بإسناد صحيح: «يعذبان
 وما يعذبان في كبير»، و«بلى، وما يعذبان إلا في الغيبة والبول»، فهذا الحصر ينفي كونها كانا كافرين؛ لأن الكافر وإن عذب على ترك
 أحكام الإسلام، فإنه يعذب على الكفر بلا خلاف. 6
 وتزعم المعتزلة أن الكبائر تحبط الطاعات، والخوارج بجمهورهم على أن كبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات، 7 ويرد عليهم الهلالي،
 الهلالي، فيقول: «شفاة النبي ﷺ في خروج الموحدين من النار، أخبر بها الرسول ﷺ واستحسنها وهي في نفسها حسنة، واستقبلتها
 عقول المعتزلة فهم مخطئون في ذلك، وملومون عليه، ومثل ذلك إيجابهم على الله أن يعذب المذنبين، واستقباحهم عفو الله عنهم، وهم
 في ذلك مخطئون، والكريم إذا وعد أنجز وإذا أوعده عفا، فتلك صفة كما قال الشاعر:
 وإنني إذا أوعدته أو وعدته
 لمخلف إيعادي ومنجز موعدي 8
 وقاله الشاعر يفتخر بأنه كريم حلیم، وإذا وعد لا يخلف وعده وأما إذا أوعده بالعقاب فإنه يعفو ويصفح.
 قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنْبِ وَأَلْكَنَ يُؤَخَّرُهُمَ إِنَّ أَجَلَ
 مُّسَمًّى﴾ [فاطر: 45] وإذا عفا عنهم وأخر عقابهم فهو سبحانه جدير أن يعفو عنهم يوم القيامة أيضا، كما قال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن
 يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [الفتح: 14] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: 48]. 9
 فالهلالي يوافق خطاب القرآن الذي ينص على أن مرتكب الكبيرة باستثناء الشرك بالله تحت مشيئة إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه،
 ومآله إلى الجنة، قال: «قد تواترت الأحاديث التي هي كالشمس في رابعة النهار عن النبي ﷺ أنه يشفع لأهل الكبائر، فيخرجون من
 النار بشفاعته، وقد أنكر هذه الشفاة الخوارج والمعتزلة لقللة علمهم بالكتاب وجهلهم بالسنة، وما ذكر من الآيات وما أشرت إليه

1 الطحاوي: شرح الطحاوية. ص 318

2 المرجع نفسه. ص 319، وقال: «هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.»

3 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 41-44

4 رواه البخاري 6871

5 رواه البخاري 216، وترجم له: «من الكبائر أن لا يستتر من بوله»

6 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة النيجانية. ص 118-119

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 4/ 129

8 البيت من الطويل، وهما بلا نسبة في نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري. 6/ 90

9 المصدر السابق. 2/ 284-285

من الأحاديث حجة عليهم، وفي هذه الآية نفسها من الحجة عليهم ما لا يخفى، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيَةٌ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ ٥١ ﴾ [الأنعام: 51] أي: ﴿ أَنْذِرْ ﴾ يا محمد بالقرآن المؤمنين ﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ غير واجدين من دونه وليا ينصرهم ولا شفيعا يشفع لهم، فإن خوفهم من الله دليل على إيمانهم، والخوارج والمعتزلة يقولون: إن الشفاعة خاصة بالمؤمنين في رفع الدرجات، أما من مات كافرا أو مصرا على الكبائر فلا شفاعة له، وهذه الآية تدل على نفي الشفاعة عن المؤمنين الذين يخافون الله، فهذا النفي مطلق وعام يخصه قوله تعالى فيما سبق ذكره: ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: 255] ﴿ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصُرَ ﴾ [الأنبياء: 28] ﴿ إِلَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ١٨ ﴾ [طه: 109]، ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٣٦ ﴾ [البقرة: 213، النور: 46] 1

فالهلالي لا يكفر أهل القبلة بالمعاصي، لأنه يصدر في أقواله عن خطاب الله وخطاب رسوله، خلافا للخوارج والمعتزلة الذين يصدرون عن التحسين والتقيح العقليين.

أصول الإيمان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِبْرَاهِيمَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ٥ ﴾ [المائدة: 5]

1 - الإيمان بالله:

قال محمد تقي الدين: «أهم أمور الدين توحيد الله تعالى في ربوبيته، فلا رب غيره، وفي عبادته فلا يعبد غيره، وفي أسمائه وصفاته فلا يشاركه فيها غيره، وفي الاتباع فلا يتبع إلا وحيه وهو القرآن والحديث الثابت». 2

ودونك بعض أقوال الهلالي في توحيد الربوبية:

• «لم يكن عند المشركين من العرب شك في أن الله هو الخالق والرازق والمحيي المميت، المعطي المانع الخافض الرافع المتصرف في السموات والأرض، وهذا توحيد الربوبية، وإنما كانوا يشركون بالله في توحيد الألوهية؛ باتخاذهم وسائل شفعاء تقرهم إلى الله، وتقضي حاجاتهم عند الله، فأخبرهم الله تعالى أن ذلك العمل الذي يعملونه لأولئك الشفعاء من ذبح ونذر ودعاء واستغاثة وخوف ورجاء، وهو كذب وكفر شديد، يستوجب ضلالهم وخسرانهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٣ ﴾ [الزمر: 3]، وإنما يتأن ما عند الله من خيرى الدنيا والآخرة بعبادته وحده لا شريك له، والكفر بكل معبود سواه، والتبرؤ من عبادته». 3

فتوحيد الربوبية هو انفراد الله ﷻ بالخلق والملك والتصرف والحكم، أو: توحيد الله بأفعاله.

أما توحيد الألوهية، فهو إفراد الله بالعبادة؛

قال ابن جرير في تفسير ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ﴾ [الفاتحة: 5] ما نصه: ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ﴾ لك اللهم نخشع ونذل ونستعين إقراراً لك يارب بالربوبية لا غيرك. «ثم روى بسنده إلى عبد الله بن عباس: قال جبريل لمحمد ﷺ: قل يا محمد ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ﴾: «إياك نوحى ونخاف ونرجو ياربنا لا غيرك»، و«ذلك من قول ابن عباس بمعنى ما قلنا، وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستعين، دون البيان عنه بأنه بمعنى: نرجو ونخاف، وإن كان الرجاء والخوف لا يكونان إلا مع ذلة، لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة، وإنما تسمى الطريق المذل الذي وطئته الأقدام وذلتته السابلة 4 معبداً، من ذلك قول طرفة بن العبد:

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدى خير العباد. 1/ 333-334

2 المصدر نفسه. 1/ 361، قال الهلالي: «اللهم أدم علينا نعمة التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد السباء والصفات، وتوحيد اتباع كتابك وهدى نبيك محمد ﷺ إلى أن نموت، وأنت عنا راض». المصدر نفسه. 1/ 517

3 المصدر نفسه. 2/ 220 بتصرف يسير.

4 قال محمد تقي الدين: المراد بالسابلة: «أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حاجاتهم». سبيل الرشاد في هدى خير العباد. 1/ 136، عن لسان العرب. ص 1930 وفيه "حوائجهم" بدل "حاجاتهم".

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ
وَزَيْفًا وَزَيْفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدٍ 1
يعني بـ "المور" الطريق، وبـ "المعبّد" المذلل الموطوء، ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوائج: معبد، ومنه سمي العبد عبداً، لذلتة لمولاه. 2

هذا في اللغة، وفي الشرع: «لا تتم العبادة بالخضوع والتذلل فقط حتى يصحبها الحب والتعظيم والإجلال، وتوحيد الله بذلك، وعليه يقال: العبادة غاية التذلل في غاية الحب، مع التوحيد واتباع سنة النبي ﷺ، وأداء جميع الواجبات وترك المحرمات. 3
ومن أنواع العبادات: الدعاء، والذبح، والنذر، والحلف، والخوف بالغيب، والتوكل، والرجاء، والصدقة، والاستغاثة، والاستعاذة، والتحاكم إلى شرعه 4، والصلاة، والزكاة، والصوم والحج، وكل ما يحبه الله ويرضاه.

وتوحيد الربوبية حجة على توحيد العبودية لله؛ قال الهلالي: «قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَتَأْخُذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ لَا قُلْ مَنْ نَقَمًا وَلَا صَرَخًا﴾ [الرعد: 16] الآية من الآيات الجامعة بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة، وهي كثيرة، وتوحيد الربوبية دليل توحيد العبادة، فمن اعترف بأن الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت والضار النافع، كيف يعبد غيره؟ أو يسأل حاجته من غيره؟ 5

وتوحيد الأسماء والصفات هو: إثبات ما أثبتته الله لنفسه في خطابه الديني الذي بلغه رسوله محمد ﷺ من أسمائه الحسنی وصفاته العليا على الحقيقة لا المجاز، مع تنزيهه عن مشابهة خلقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. 6 [11]

أما توحيد الاتباع: فهو إفراد رسول الله ﷺ بالاتباع، قال الهلالي: «الرسول لا يطالبون بالدليل، لأن كلامهم في الدين نعم الدليل، وغيرهم لا يجوز قبول قوله إلا بدليل. 7

الشرك ومظاهره:

معنى الشرك:

لغة:

قال ابن دريد: «الشرك: مصدر شَرَكْتُ الرجل في ماله أشركه شِرْكَاً، وشارك فلان فلاناً شِرْكَاً عِناناً أو شِرْكَاً مفاوضةً، فالعنان في صنف من المال بعينه، والمفاوضة في جميعه. 8

ويوضح العلامة مبارك الميلي أن «اجتماع الشركاء في شيء لا يقتضي تساوي أنصبتهم منه، ولا يمنع زيادة قسط على آخر؛ فموسى يسأل ربه إشراك أخيه له في الرسالة، وقد أجيب سؤله، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 36]، وضروري أن حظ هارون من الرسالة دون حظ موسى، ولهذا تقول: فلان شريك لغيره في دار أو أرض أو بضاعة، ولو لم يكن له إلا معشار العشر. 9
وشرعا:

قال ابن دريد: «الإشراك بالله جل وعز: مصدر أشرك إشراكاً، وهو أن يدعو الله شريكاً، تبارك ربنا وتعالى. 10

1 البيت من الطويل، وهو لطرفة بن العبد في معلقته وديوانه. ص 66

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 135

3 المصدر نفسه. 1/ 139

4 المصدر نفسه. 1/ 284، 1/ 446، 5/ 313

5 المصدر نفسه. 1/ 573

6 انظر: المصدر نفسه. 2/ 38، 2/ 281، 5/ 16، 5/ 202

7 المصدر نفسه. 3/ 169-170

8 ابن دريد: جمهرة اللغة. ص 732

9 مبارك الميلي: الشرك ومظاهره. ص 103

وذكر الميالي أنّ استعمال القرآن مادة الشرك بالمعنى الشرعي تفصح عن موافقتها لأصل المعنى اللغوي؛ سنة الحقائق الشرعية في ابنائها على الحقائق اللغوية 2، وقال: «كما لا تقتضي الشركة لغة تساوي الشركاء في الحصص، لا يقتضي- الشرك شرعا مساواة الشريك لله في جميع صفاته أو في صفة منها.» 3

قال ابن الأثير: «الشرك: الكفر.» 4، وهو على ضربين كما يقول الراغب:

«أحدهما: الشرك العظيم؛ وهو إثبات شريك لله تعالى، يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر؛ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: 116]، قال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 116]، ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: 72]، ﴿بِإِيعَتِكَ عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكَنِّي بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [المتحنة: 12]، وقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: 148].

والثاني: الشرك الصغير؛ وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: ﴿شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 190]، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106]، 5 وهذا ما يقرره الهلالي كما سيأتي.

من المباحث اللغوية المتصلة بمظاهر الشرك:

- "ما شاء الله ثم شئت"، لا: "وشئت":

قال محمد تقي الدين: «أخرج ابن سعد عن قتيبة بنت صيفي قالت: «جاء خبر من الأخبار إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لو لا أنكم تشركون! قال: «كيف؟» قال: يقول أحدكم: لا، والكعبة، فقال النبي ﷺ: «من حلف فليحلف برب الكعبة»، فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لو لا أنكم تجعلون لله ندا! قال: «وكيف ذلك؟» قال: يقول أحدكم ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: «فمن قال منكم: ما شاء الله، فليقل: ثم شئت» 6، 7؛ لأن العطف بـ "ثم" لا يقتضي المساواة.

قال الهلالي: «هذه إذا كان القائل يعتقد أن المخاطب بذلك له إرادة مع الله، فهو من الشرك الأكبر، وأما إذا قال ذلك غفلة وهو يعتقد أن المشيئة لله وحده، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فحينئذ يكون من الشرك الأصغر.» 8

- العدوى والطيرة والهامة وصفر:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا صفر، ولا هامة» فقال أعرابي: ما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجر بفيجرها؟! قال: «فمن أعدى الأول؟!» 9

قال الزهري: فحدثني رجل عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يُوردن ممرض على مُصَّح» 10، قال: فراجع الرجل، فقال: أليس قد حدثنا أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى، ولا صفر، ولا هامة؟» قال: لم أجدنكموه.

قال أبو سلمة: قد حدث به، وما سمعت أبا هريرة نسي حديثاً قطُّ غيره. 11

1 ابن دريد: جمهرة اللغة. ص 733

2 مبارك الميالي: الشرك ومظاهره. ص 104

3 المرجع نفسه. ص 106

4 ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر. ص 476

5 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. 1/ 432

6 الألباني: الصحيحة. حديث رقم 1166. 3/ 154

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 145

8 المصدر نفسه. 2/ 190-191

9 انظر: صحيح البخاري 5770

10 انظر: صحيح البخاري 5771

11 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 3911. 2/ 474-475

وعن عبد الله بن عمر وعن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة.»¹
عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، ولا صفر، وفر من المجذوم كما نفر من الأسد.»²
الأسد.»²

فهل النفي على الحقيقة أو على المجاز؟

قال محمد تقي الدين الهلالي: «نبحث في كل واحد من هذه الستة على حدة؛

فأما "العدوى":... المنهي عنه هو اعتقاد أن هناك قوة مستقلة تضر بدون مشيئة الله ولا تخضع لإرادته.³

وأما "الطيرة": فهي التشاؤم بالطير إذا طارت عن اليمين، وهي السوائح، أو عن اليسار وهي البوارح، أو غيرها من الحيوان، كالغراب والبومة، أو بإنسان يعتقد أنه مشئوم، رؤيته تجلب شرا، أو بالأيام والشهور، أو بالطوالع من الكواكب، يعتقد أن بعضها طالع نحس وبعضها طالع ميمون، كل ذلك شرك، لا يرضى به المؤمن ولا يخافه، فإذا وجد في نفسه شيئا من ذلك فليقل: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك، ويمضي لحاجته ولا يبالي بذلك.

وأما "الصفر": فعلى القول أنه شهر صفر، فهو داخل في التشاؤم بالشهور...، وعلى القول بأنه حية في البطن فذلك باطل لا وجود له.

وأما "الهامة": فعلى القول بأنها البومة هي داخلة في التشاؤم بالحيوان، وعلى القول أنها طائر هو روح القتيل لا يزال يزقو أي يصيح: اسقوني ماء، اسقوني ماء، حتى يؤخذ بثأر القتيل، وذلك مشهور عند العرب في جاهليتهم.

قال ذو الإصبع العدواني:

أَضْرِبِكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي⁴

يَا عَمْرُو أَلَا تَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي

وقال غيره:

عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ

إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ⁵

لَسَلَّمَتْ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ رَقَا

وذلك من خيالهم وأوهامهم ولا وجود له.

وأما "التولة": فهي من الشرك، وهي سحر يزعم فاعله أنه يؤثر في قلب البعل، فيحب امرأته حبا شديدا ويطيعها طاعة عمياء، أو في قلب المرأة فتحب بعلها كثيرا كذلك، وهذا كفر لأن مقلب القلوب واحد، وهو الله ولا يستطيع غيره ذلك.

وأما "الغول": فالنهي في الحديث موجه لعينها، إذ لا وجود لها، وإنما هي من صنع الخيال الجاهلي، وكذلك العنقاء يزعمون أنه طائر عظيم الجسم كالرّخ المذكور في كتاب "ألف ليلة وليلة" الذي تعلق به سندباد البحري، فطار به من جزيرة خالية إلى بلد آخر، وزاد الأدباء على الغول والعنقاء الخل الوفي. قال الشاعر:

الغول والعنقاء والخل الوفي⁶

فعلّمت أن المستحيل ثلاثية

والحق أن الخل الوفي موجود إلا إذا أريد به الخل الكامل المبرأ من جميع العيوب الذي لا نقص فيه أصلا فهو صحيح.

وقال بعض شراح الحديث أن تلك الأشياء الستة موجودة، وتوجيه النفي لذواتها مجاز، والمراد نفي ما كانت العرب تعتقده فيها. والصحيح التفصيل على نحو ما ذكرته. والله أعلم.⁷

1 رواه البخاري 5772، 5776

2 رواه البخاري 5707، والهلالي: رأي في تحديد النسل والعدوى. 2/ 5

3 بدليل الخطاب النبوي؛ قال ﷺ: «فر من المجذوم كما نفر من الأسد»، وقال: «لا يُوردنَّ مرض على مُصِّح».

4 البيت من البسيط، وهو لذي الإصبع العدواني في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 8/ 244

5 البيتان من الطويل، وهما لتوبة بن الحمير في ديوانه. ت: د. خليل إبراهيم العطية. دار صادر. بيروت. لبنان. ط. 1998م. ص 47-48

6 البيت من الكامل، وهو لصفي الدين الحلبي في ديوانه. ص 568

7 الهلالي: رأي في تحديد النسل والعدوى. 2/ 6

- القبور:

لما كان منشأ الشرك من الغلو في الصالحين، وتقديس قبورهم 1، سد رسول الله ﷺ هذا الباب، وغلظ في من عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؛ فدعاه واستغاث به؟ 2، ونهى عن البناء على القبور، واتخاذها مساجد، قال ﷺ: «ألا، وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك.» 3
وقد عم بناء المساجد على القبور وعندها، واتخاذ القبور مساجد، وقبر الأموات في المساجد عند الشيعة أولاً على قبور آل البيت، ثم عند الصوفية على قبور شيوخهم.

وقد جرت مناظرة بين الهلالي ومجتهد الشيعة مهدي الكاظمي في القبور، أورد منها الاحتجاجات اللغوية في فقه الخطابات الدينية من كتاب الله وسنة رسوله الناهية عن اتخاذ القبور مساجد؛

قال الإمام الصادق رضي الله عنه: «كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر؛ فهو ثقل على الميت.» 4

قال مهدي الكاظمي القزويني: «جميع ما جاء من بناء المساجد، أو اتخاذها على القبور أو فيها أو عندها حسب اختلاف النقل، إنما يراد به النهي عن جعل نفس القبر 5 مسجداً، أي: موضعاً يسجد عليه.» 6

قال الهلالي: «أقول: فيه اعترافكم بأن الإمام الصادق عليه السلام أفتى بأن لا يبنى على القبور مساجد وهو صريح في المنع من بناء المساجد على القبور، ولكن تأولتموه على أن النهي إنما هو عن جعل القبر مسجداً أي محلاً للسجود لا عن بناء المسجد على القبر. أقول هذا تأويل بعيد جداً كنت أربأ بكم عن ارتكابه ويرده:

أولاً: أن قوله: «لا يبنى عليها مساجد» نهي عن البناء وليس عن السجود، فإن السائل سأله عن الزيارة والبناء، فأثبت الزيارة ونفى البناء، ولم يتعرض السائل ولا المجيب للسجود على القبر ولا تشتم رائحته من كلامهما، فحمل كلام الصادق عليه من أبعد التأويل، بل هو سلب لمعنى اللفظ الذي يدل عليه دلالة مطابقة وتحميله معنى آخر لا علاقة بينه وبينه.

ويرده ثانياً: ... لا يعقل أن يريد الصادق وجده ﷺ النهي عن السجود على القبر، ويعبر عن ذلك بالنهي عن بناء المساجد على القبور والنبي ﷺ أفصح العرب، والصادق من أفصح العرب، ولو أراد عالم اليوم أن ينهى عن السجود على موضع، فقال للمخاطب: لا تبن مسجداً على هذا الموضع، لعيب عليه ذلك، وعد غالطاً، أو جاهلاً باللغة، فكيف يقع ذلك من أبلغ الناس.

ويرده ثالثاً: أنكم اعترفتم أن أحاديث الباب وردت بألفاظ في بعضها النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وفي بعضها النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، وفي بعضها النهي عن اتخاذها عندها، وفي بعضها النهي عن اتخاذها فيها، وفي بعضها النهي عن بناء المساجد عليها، فهذه خمسة ألفاظ.

اللفظ الأول: يحتمل معنيين:

أولهما: النهي عن بناء المساجد عند القبور، كما تدل عليه بقية الألفاظ.

الثاني: ما ذكرتم وهو اتخاذ القبور نفسها موضعاً للسجود، ويتوجه أن يكون دالاً عليها معاً فتكون فيه فائدة زائدة على ما عبده. اللفظ الثاني: النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، هذا اللفظ واضح المعنى، وهو يفسر سائر الألفاظ ويقطع النزاع لورود مثله في

كتاب الله تعالى وذلك قوله سبحانه: ﴿ قَالَ الَّذِينَ عَلِمُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۖ ﴾ [الكهف: 21]

قال الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير في تفسيره عند هذه الآية ما نصه: «حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين:

1 انظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 425، 2/ 350، 2/ 377، 2/ 396

2 انظر: المصدر نفسه. 2/ 378

3 رواه مسلم 232، وانظر: صحيح البخاري 1330، وصحيح مسلم 528

4 الكاظمي القزويني: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 1. مجلة المنار. 28/ 349، قال الهلالي: «كلام الإمام يقتضي قطعاً أنه لا يوضع على القبر شيء إلا تراب القبر سواء أكان ذلك الشيء تراباً أم حصاً أم تابوتاً وستوراً ومباخر وشموعاً وغيرها؛ لأن الإمام لم يقل: كل تراب يهال على القبر من غير تراب القبر، فهو ثقل بل عبر بـ "ما" التي هي من ألفاظ العموم، فلا يصح تخصيصها بجنس التراب بلا دليل.» مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 2. المنار. 28/ 439

5 الصواب: القبر نفسه.

6 مهدي الكاظمي القزويني: مسألة القبور والمشاهد 1. المنار. 28/ 355

أحدهما: أنهم المسلمون منهم.

والثاني: أهل الشرك منهم، والله أعلم.

والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون في ذلك؟ فيه نظر لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيتهم مساجد»¹، وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه لما وجد قبر دانيال دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى على الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شيء من الملاحم وغيرها.² قال الهلالي: «ولم يفهم أحد من المفسرين فيما علمت أنهم أرادوا أن يسجدوا على أجسادهم أو يبنوا فوقها مسجداً، بل فهموا ورووا عن قبلهم أنهم أرادوا أن يتخذوا مسجداً؛ أي يبنون عند باب كهفهم تبركا بهم وتعظيماً لهم، وذلك محل بالتوحيد، ولذلك رجح الحافظ ابن كثير أنهم مذمومون على ذلك، ويظهر لي أن الذين غلبوا على أمرهم هم أهل الشرك، لأن أهل التوحيد لا يتخذون المساجد عند قبور الأنبياء والصالحين، لأن الله حرم ذلك ولعن فاعله على لسان نبيه. وهذا من دقة نظر الإمام ابن كثير وسعة اطلاعه وجمعه بين الكتاب والسنة.

وقد اتضح أن المراد بنهي النبي ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور هو بناؤها حولهم أو بالقرب منهم خوفاً عليهم من الفتنة والوقوع في الشرك كما وقع للذين من قبلنا، وقد اتبع سننهم من أراد الله فتنته من هذه الأمة، فوقعوا في مثل ما وقع فيه من قبلهم من الشرك، ومن تأول الحديث على النهي عن السجود فوق القبر لزمه أن يفسر الآية بذلك، وتأويلها بذلك ظاهر الاستحالة. اللفظ الثالث: النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور وإذا أردنا أن نعرف معنى هذا اللفظ على التحقيق، ينبغي لنا أن ننظر علام يدل لفظ "عند" في اللغة؟

قال المختار بن بونا في أرجوزته الممزوجة بألفية ابن مالك:

وعند للحضور والقرب وقد

تضم عينها وفتحها ورد

قال في حاشيتها: «للحضور حساً أو معنى، واجتمعاً في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: 40]، والقرب نحو: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ النَّارِ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: 14 - 15]»⁴

4 [15]

وإذا تحقق هذا فكلمة "عند" في الحديث إما بمعنى القرب أو الحضور وكلا المعنيين موجود فالقباب والمشاهد المبنية حول القبر أو بقربه فهي داخلة في النهي، وهذا واضح لا يحتاج للتأويل.

اللفظ الرابع: النهي عن اتخاذ المساجد في القبور هو بمعنى اللفظ الثاني، لأن "في" فيه بمعنى "على"، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَا صَلْبَيْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71]، وقد تقدم بيانه.

واللفظ الخامس: النهي عن بناء المساجد على القبور، وهو بمعنى اللفظ الثاني سواء لأن المراد باتخاذ المساجد عليها بناؤها عليها. فتضافرت الألفاظ الخمسة على معنى واحد؛ وهو النهي عن بناء المساجد عند القبور؛ أي بحضرتها أو بقرتها، وإذا صحب البناء قصد التبرك والتعظيم، اشتد تحريمه لعظم مفسدته حيثئذ، وكونه ذريعة موصلة لا محالة إلى اتخاذ قبر ذلك النبي أو الصالح وثناً يعبد، كما هو واقع في غالب الأقطار التي ينتسب أهلها إلى الإسلام، وهم عاكفون على عبادة الخشب وستور الحرير والجدران تبعاً لعبادة القبور فيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويرده رابعاً: أننا لو سلمنا أن أحد الألفاظ وحده لا يدل على تحريم بناء القباب على القبور، لكانت الألفاظ بمجموعها دالة أوضح دلالة على ذلك، ومن عرف المعنى الذي لأجله خص النبي ﷺ قبور الأنبياء والصالحين بالذكر دون سواهم، وإن كان داخلاً في

1 رواه البخاري 1330 دون لفظ: وصلحيتهم.

2 تفسير ابن كثير. 5 / 147

3 أحمد بن محمد المامي البعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. 1 / 307

4 المرجع نفسه. 1 / 308

النهي، علم يقينا أن هذه القباب المشيدة المزخرفة بأنواع الزخارف على قبور الأنبياء والصالحين وغير الصالحين شر على الإسلام من سقم على بدن، وعرف مقدار حماية النبي ﷺ لجانب التوحيد، إن في ذلك لآيات لقوم يفقهون. 7
فينبغي تحذير الناس من اتخاذ القبور مساجد بالخطابات الدينية المبيئة لهذا الحكم الشرعي.

2 - الإيمان بالملائكة:

لا يصح إيمانٌ إلا بالإيمان بالملائكة، وقد خلقهم الله قبل آدم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: 30]، ومن صفاتهم الخلقية أنهم ﴿ أُولُو أَجْنِحَةٍ مِّثْقَىٰ وَتَلَكَ وَرِيعَ ﴾ [فاطر: 1]، ومن صفاتهم الخلقية أنهم ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: 6]، وذكر الهلالي أن كل حركة في العالم هي ناشئة عنهم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَالْمَلٰئِكَةُ أَمْرًا ۝٥ ﴾ [النازعات: 5]، وقد دل الكتاب والسنة على أصنافهم وأنهم موكلون بأصناف المخلوقات، فالله ﷻ وكل بالشمس والقمر ملائكة، وبالأفلاك ملائكة يحركونها، وبالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كِنِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: 10 - 12]، وقال ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم - والله أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون.» 2 ووكل بالموت ملائكة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة: 11]، وقال: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام: 61]، ووكل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكل بالنار ملائكة، وبالجنة ملائكة.

ورؤساء الأملاك ثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل موكلون بالحياة؛ فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم 3.

"ما" في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هِرُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ [البقرة: 102]:

قال محمد تقي الدين: «جميع الملائكة الذين أنزلهم الله على الرسل نزلوا قبل كل شيء بالتوحيد.» 4، فالملائكة لا تنزل بالشرك ومنه السحر، فهذا من عمل الشياطين كنا يذهب الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطٰنُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمٰنَ وَمَا كَفَرُوا سُلَيْمٰنَ وَلٰكِنَّ الشَّيْطٰنَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخَرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هِرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَجِيهِ وَمَا هُمْ بِضٰرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَصْنَعُونَ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [البقرة: 102 - 103]

وقد بنى تفسيره هذا على الخطاب الديني المنزه للملائكة عن المعصية، وترجيح لغوي؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطٰنُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمٰنَ ﴾ [البقرة: 102]، يعني أن اليهود نبذوا ما جاء في التوراة والقرآن من وجوب الإيمان

1 الهلالي: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 2 المنار. 28 / 446-449

2 رواه البخاري 555، ومسلم 632

3 انظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 116-120

4 المصدر نفسه. 1 / 590

بجميع رسل الله تعالى، واتباع ما جاؤوا به من توحيد الله وطاعته، واتباعوا ما علمتهم الشياطين من السحر الذي نسبته إلى سليمان كذبا وزورا! وسليمان رسول أمين بريء من السحر.¹

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ [البقرة: 102].

قال محمد تقي الدين: لا أعلم آية في كتاب الله تحيرت في تفسيرها كما تحيرت في تفسير هذه الآية، لأن الناس من زمان الصحابة إلى يومنا هذا اختلفوا في تفسيرها، وأنا أستعين بالله وأختار القول الذي أراه صحيحا مطابقا للأصول، وما أبرئ نفسي من الخطأ، فأقول وبالله التوفيق:

أكثر المفسرين على أن "ما" موصولة، فمعناها أن الشياطين كانوا يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين اللذين أنزلهما الله في بابل بأرض العراق ليعلمان الناس السحر فتنة لهم، للتمييز بين من يؤمن بالله ويطيع الله ويلتزم حدوده، وبين من اتبع هواه وكفر بالله وعصى أمره، وكانا لا يعلمان أحدا حتى ينصحاها ويخبراها بالعاقبة الوخيمة لمن يتعلم السحر المشتمل على الكفر، فإذا أبى إلا التعلم والعمل به علماه، قالوا: ولا مانع أن يبتلي الله عباده بمثل هذا.

وقال آخرون، منهم ابن جرير الطبري² سيد المفسرين في زمانه أن "ما" نافية، أي: لم ينزل الله السحر على الملكين، وهما جبريل وجبريل وميكائيل، أو هما ملكان آخران، لأن الله حرم السحر وجعله كفرا وشرا وفسادا، فكيف ينزله على الملكين ليعلماه الناس، وقد أخبر أن الشياطين هم الذين كفروا، وهم الذين يعلمون الناس السحر، فكيف يفعل الملكان ما تفعله الشياطين، والله لطيف بعباده؟ وهذا القول هو الذي انشرح له نفسي، واطمأن إليه قلبي.

أما هاروت وماروت، فعلى القول الأول، هما اسما للملكين، وعلى القول الذي اخترته وتبعت فيه ابن جرير، اسما لرجلين من أهل بابل كانا يفعلان ذلك وكانا مع ذلك ينصحان الناس بعدم التعلم، فمن أبى علماه وأدليا حبله على غاربه وحملاه إثم ذلك، ومن هذا السحر ما يفرقون به بين الرجل وامرأته بإيقاع البغض بينهما.³

3- الإيمان بالرسول:

النبوة والرسالة:

قال الهلالي: «هو صادق فيما ادعاه من النبوة والرسالة»⁴

﴿النَّبِيُّ﴾ [التحريم: 1]:

قال الهلالي: «في "اللسان": قال سيوييه: ليس أحد من العرب إلا ويقول: تنبأ مسيلمة بالهمز 5، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخابية 6، ثم قال: «ويقال: تنبى الكذاب إذا ادعى النبوة، وتنبى كما تنبى مسيلمة الكذاب وغيره من الدجالين المتنبين»⁷ ثم قال: «وتنبأ الرجل: ادعى النبوة»¹

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 164 قال محققه مشهور حسن: «لا تلتفت إلى ما يسمى بـ "العهود السليمانية" وما ينسجه القصاص عن "خاتمه" من من أساطير، وكذا عن "بساطه"».

2 انظر: تفسير الطبري. 2/ 419

3 المصدر السابق. 1/ 164-165-166

4 أهل الحديث 2

5 سيوييه: الكتاب. 3/ 460 وترجمة الباب وقاعدته: «هذا باب تحقير كل حرف كان فيه بدل فإنك تحذف ذلك البدل وترد الذي هو من أصل الحرف إذا حقرته، كما تفعل ذلك ذلك إذا كسرتة للجمع». والنص فيه: «فأما النبي فإن العرب قد اختلفت فيه، فمن قال: النبأ، قال: كان مسيلمة نبيي سوء، وتقديرها تبييع، وقال العباس ابن مرداس:

يَا خَاتِمَ النَّبِيَّاءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ بِالْحَقِّ كُلُّ هَدَى السَّبِيلِ هَذَاكَ

ومن قال: أنبياء، قال: نبي سوء، كما قال في عبيد حين قالوا: أَعْيَادُ عَيْيِدُ؟

وأما النبوة فلو حقرتها لمزت؛ وذلك قولك: كان مسيلمة نبوته نبيته سوء؛ لأن تكسير النبوة على القياس عندنا؛ لأن هذا الباب لا يلزمه البدل، وليس من العرب أحد إلا وهو يقول: تَنَبَّأَ مُسَيْلِمَةً؛ وإنما هو من أنبأت.»

6 تنمة كلامه: «إلا أهل مكة فإنهم يهزمون هذه الأحرف ولا يهزمون غيرها.» لسان العرب. ص 4315

7 ابن منظور: لسان العرب. ص 4316

وقال شاعر أندلسي في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي يخاطب أحد أمراء الأندلس حين رآه ينشد شعر المتنبي:

تنبأ عجباً بالقرىظ ولو درى بأنك تروى شعره لتألهما»²

قال الزجاج: «القراءة المُجتمَع عليها في النبيين والأنبياء طَرَحَ الهمز، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا، واشتقاقه من نَبَأٌ وَنَبَأٌ أَي أَخْبَرَ، قال: والأجود ترك الهمز، لأن الاستعمال يوجب أن ما كان مهموزاً من فَعِيلٍ فَجَمَعُهُ فَعَلَاءً، مثل ظريف وظرفاء، فإذا كان من ذوات الياء فجمعه أفعلاء نحو غني وأغنياء، ونبي وأنبياء، بغير همز، فإذا همزت قلت: نَبِيٌّ وَنُبَاءٌ، كما تقول في الصحيح، قال: وقد جاء أفعلاء في الصحيح، وهو قليل، قالوا: خميس وأخمساء، ونصيب وأنصباء، فيجوز أن يكون نبي من أنبأت مما ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجوز أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع، فيكون فعيلاً من الرفع». ³

فالنبي من النبوة، أي: الرفع، فالله رفعه عن سائر الناس، والنبوء من النبأ أي الخبر، بمعنى المنبئ عن الله.

﴿الرَّسُولُ﴾ [البقرة: 143]:

قال ابن منظور: «الإرسال التوجيه، وقد أُرْسِلَ إليه والاسم الرِّسَالَةُ والرِّسَالَةُ والرَّسُولُ». ⁴

قال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 35]

وقال ابن دريد: «الرَّسُولُ: معروف، والجمع رُسُلٌ وأرسل، والرِّسَالَةُ: ما حملة الرسول، والجمع رسائل». ⁵

فالرسول لغة هو المبعوث برسالة من المرسل إلى المرسل إليه.

أما في الشرع؛ فيوجد فرق بين النبوة والرسالة كما يذهب الهلالي في قوله: «بعدما أنزل على النبي ﷺ أول سورة العلق في غار حراء حيث كان يتعبد صار نبياً ولم يكن رسولا، إذ لم يأمره الله تعالى بالتبليغ ولا بالإنذار ولا بالصدع بما يؤمر، وفتى الوحي، أي: توقف، وبعد فترة الوحي نزل أول سورة المدثر، كما في حديث جابر: «ثم همى الوحي وتتابع» ⁶. ⁷

فالفرق عند الهلالي هو الأمر بالتبليغ وعدمه، وهذا التفريق غير مرضي، والمحققون من العلماء على خلافه، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: 52]، وقال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم». ⁸

فدللت الآية أن النبي مُرْسَلٌ، ودل هذا الحديث أن الواجب على النبي الدلالة والتبليغ، وأحسن الفروق عند المحققين أن النبي بعث للدعوة إلى شريعة رسول قبله؛ ولذا كان علماء هذه الأمة بمثابة أنبياء بني إسرائيل. ⁹

عصمة الأنبياء:

إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا يجب الإيمان بكل ما أتوه ¹⁰، وقد وردت خطابات دينية فيها نسبة الذنوب إليهم ولا تتعلق بتبليغ الدين، فهل حملها الهلالي على الحقيقة أو أولها؟ وما موقف لغويي السلف منها؟

1 ابن منظور: لسان العرب. ص 4316

2 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 67

3 ابن منظور: لسان العرب. ص 4333

4 المرجع نفسه. ص 1644

5 ابن دريد: جمهرة اللغة. ص 720

6 رواه البخاري 4926، ومسلم 256

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 364

8 رواه مسلم 1844

9 قاله الأستاذ مشهور حسن في هامش تحقيق "سبيل الرشاد" للهلالي. 6 / 131

10 انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 10 / 289

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَقَّقَ الْوَعَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُجْحِكُمُ اللَّهُ مَائِدَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ [الحج: 52]

قال محمد تقي الدين الهلالي: «عندي عشرة من التفاسير، وقد اختلفت أقوال المفسرين فبعضهم برأ الأنبياء من الذنوب وتأول ما ورد فيهم من نسبة الذنب إليهم من القرآن، وبعضهم يفهم منه نسبة الذنب إليهم من القرآن.»¹
وقال: «أنا أرجح مذهب القائلين بالتأويل وأعتقد عصمة الأنبياء كلهم من الذنوب الصغائر والكبائر، وتسمية بعض أعمالهم ذنوباً هي من باب "حسنات الأبرار سيئات المقربين" والأدلة على ذلك كثيرة نذكر قليلاً منها، فمن ذلك:
حكم النبي ﷺ لبني أبيرق بالبراءة اجتهاداً منه لما لم يقد دليل على أنهم سرقوا، فعاتبه الله على ذلك وأمره بالاستغفار.

وكذلك قصة أسارى بدر، وقد ذكرها الله تعالى في آخر سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَرِيٌّ حَتَّى يُتَخَذَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: 67]، فقد عاتب الله نبيه ﷺ على أخذ الفدية من أسارى بدر، وقال له: ﴿ تَوَلَّأ كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَكُمْ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ [الأنفال: 68]، مع أن النبي ﷺ استشار أصحابه كما أمره الله تعالى بقوله في سورة آل عمران: ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: 159] وذلك فيما لم يأمره فيه بشيء، فأشار أكثرهم بأخذ الفدية من الأسارى، وإطلاق سراحهم وهذا ليس فيه أي ذنب، وكذلك قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الْإِيمَانُ صَادِقًا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [التوبة: 43]، فقد أمره الله تعالى بالعفو في غير ما آية، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَرَارًا حَسَكًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة المائدة الآية (13): ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١٣]

وآية التوبة نزلت في المنافقين، لما عزم النبي ﷺ على الخروج لغزوة تبوك دعا الناس كلهم لذلك، فاعتذر له المنافقون بأعذار كاذبة، فقبل ظواهرهم واستغفر لهم، ووكّل سرائرهم إلى الله، وهذا ليس بذنب، ويقاس على هذا ما أشبهه.
وعندي دليل نظري هو حجة قاطعة، وذلك أن الرسول لو جاز عليه ارتكاب الذنوب، وقد أمرنا الله باتباعه اتباعاً مطلقاً، فإذا عمل ذنباً كنا مأمورين باتباعه فيه، ومنهين عنه، فيقع التناقض، وهو الأمر بالشيء، والنهي عنه في وقت واحد، فكأن الله يقول: اتبعوه ولا تتبعوه، فطريق السلامة هو تبرة الأنبياء من الذنوب صغيرها وكبيرها، والله أعلم.»²

وقال: «إذا كان رسول الله ﷺ، وهو سيد العلماء وإمام الأئمة وهو معصوم من الخطأ أحجم عن الحكم برأيه احتراماً للنص القرآني، عملاً بقوله تعالى في هذه السورة: ﴿ أَلْبَسَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 106] فإذا وجب على النبي ﷺ أن يدع رأيه لكتاب الله، فكيف لا يجب على غيره من الناس - وهم ليسوا بأنبياء معصومين - ترك رأيهم إذا خالف نص الكتاب والسنة؟»³

وقد وردت نصوص مصرحة بنسبة الذنوب للأنبياء، منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتَبِّعْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُضِرِّكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ [الفتح: 1-3]

وأولها الهلالي، فقال: «المراد بالذنب هنا: خلاف الأولى الذي يفعله النبي ﷺ اجتهاداً منه كأخذ الفدية من أسارى بدر، والإذن للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ونحو ذلك.»⁴

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 133

2 المصدر نفسه. 6 / 137-138

3 المصدر نفسه. 3 / 131

4 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 33

وقال: «قول الله تعالى لخليله محمد صلوات الله عليه: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ [النساء: 106]، وقوله له في سورة القتال: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: 19] هذا كلام السيد مع عبده بل خير عباده، فللسيد أن يسمي اجتهاد عبده ذنبا ويأمره بالاستغفار منه، وليس ذلك في الحقيقة ذنبا كذنوب العباد غير المعصومين، والدليل على ذلك أن هذه القضية لو وقعت لأحد الصحابة أو التابعين أو من بعدهم من الحكام فلم يجد فيها نصا من كتاب الله ولا سنة من سنن رسول الله واستشار علماء بلده فلم يجد عندهم شيئا فحكم برأيه، ثم جاء عالم من بلد يحفظ حديثا صحيحا يخالف ما قضى- به ذلك الحاكم لم يكن ذلك الحاكم مذنبا لقول النبي ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم وأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد»⁶، والأجر إنما يكون على الطاعة لا على الذنب، هذا على التنزل، لأن ذلك الحاكم يمكن أن يكون مقصرا في البحث، لأن الحكم كان موجودا عند غيره، ولكنه عذر لأنه بذل جهده، وبأذل جهده لا جناح عليه.

أما النبي ﷺ فلم يكن عنده وحي ولا عند غيره، في أي مكان من بلاد الله، فهو أولى بالعدر، والاستغفار عبادة نتيجتها محبة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222]، ولذلك كان النبي ﷺ يستغفر الله في اليوم سبعين مرة²، وفي حديث آخر «يستغفر الله مائة مرة»³، وينبغي أن يسلك هذا المسلك في كل موضع من كتاب الله وحديث الرسول جاء فيه نسبة الذنب إلى النبي ﷺ، فشد يدك على هذا فإنه مهم⁴.

وهذا التأويل يرده ابن قتيبة (ت: 276 هـ)، قال: «يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا، ويحملهم التنزيه لهم صلوات الله عليهم على مخالفة كتاب الله جل ذكره، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي لا تخيل عليهم أو على من علم منهم أنها ليست لتلك الألفاظ بشكل، ولا لتلك المعاني بلفق⁵». ثم قال: «وقد أكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها، باستزلال إبليس وخداعه إياه الله، والقسم به إنه لمن الناصحين، حتى دلاه بغرور، ولم يكن ذنبه عن إرصاد وعداوة وإرهاص كذنوب أعداء الله.

فنحن نقول: عصى وغوى، كما قال الله تعالى، ولا نقول: آدم عاص وغاوى؛ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد مقدم ولا نية صحيحة. كما تقول لرجل قطع ثوبا وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا تقول: خائط ولا خياط، حتى يكون معاودا لذلك الفعل، معروفا به⁶. ومن أمثلة التأويلات هربا من نسبة الذنوب إليهم: «تأولهم في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِرَبِّهِمْ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: 24] أنها همت بالمعصية وهم هو بالفرار منها! وقال بعضهم: وهم بضربها! والله تعالى يقول: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أفترأه أراد الفرار منها، أو الضرب لها، فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها؟!»⁸

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: 224 هـ): «وقد زعم من يتكلم في القرآن برأيه أن يوسف ﷺ لم يهم بها؛ يذهب إلى أن الكلام انقطع عند قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِرَبِّهِمْ﴾ [يوسف: 24] قال: ثم استأنف فقال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: 24]، بمعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، واحتج بقوله ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: 52]، ويقول: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾

1 رواه البخاري 7352 بلفظ يقاربه.

2 رواه البخاري 5948

3 رواه مسلم 2702

4 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 94 / 3

5 اللفق: الملاءمة.

6 ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن. ت السيد أحمد صقر. المكتبة العلمية. ط 3. 1401 هـ. ص 402

7 المرجع نفسه. ص 403

8 المرجع نفسه. ص 403-404

وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ ﴿ يوسف: 25 ﴾، وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه همّ بها، وهم أعلم بالله، وتأويل كتابه، وأشد تعظيماً للأنبياء، من أن يتكلموا فيهم بغير علم. 1

من الأنبياء والرسل عيسى ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللّٰقِيْ اٰخَصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهَا مِنْ رُّوْحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعٰلَمِيْنَ ﴿٩١﴾ [الأنبياء: 91] عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.» 2

قال محمد تقي الدين: «في هذا الحديث تفسير وبيان لقوله تعالى: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيْهَا مِنْ رُّوْحِنَا ﴾ لأنه سماه عبد الله ورسوله، فدل ذلك على أن روح عيسى مخلوقة كسائر الأرواح، وإنما أضافها الله تعالى إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، فتعالى الله أن يحل في خلقه أو يحل فيه شيء من خلقه ﴿ اِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا ءَاتِي الرِّحٰنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ ﴾ [مريم: 93]. 3

وقد ذكر الهلالي قصة قدوم وفد نصارى نجران على رسول الله ﷺ، فقال: «فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحرث: جباب وأردية، من رجال بني الحارث بن كعب، قال: يقول من رأيهم من أصحاب النبي ﷺ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه» صلوا إلى المشرق، قال: فكلّم رسول الله ﷺ منهم أبا حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والسيد الأيهم وهم من النصرانية على دين التثليث، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً فهم يحتجون في قولهم: هو الله، بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير ينفخ فيه فيكون طائراً؛ وذلك كله بأمر الله، وليجعل الله آية للناس، ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله، يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة، بقول الله تعالى: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا.

فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا: فعلت، وأمرت، وقضيت، وخلقنا، ولكنه هو عيسى ومريم، تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن، فلما كلمه الحران، قال لهما رسول الله ﷺ: «أسلما»، قالوا «قد أسلمنا»، قال: «إنكما لم تسلما، فأسلما»، قالوا: «بلى قد أسلمنا قبلك»، قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام ادعوا كما لله ولداً،

وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير»، قالوا: «فمن أبوه يا محمد؟»، فصمت رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم من سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال: «فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم 4 إن ردوا ذلك عليه دعاهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم! دعنا نظرك في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح ماذا ترى؟! فقال: «والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً [نبي] مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه الاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أحوالنا، فإنكم عندنا رضا، قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: «أتتوني العشيّة أبعث معكم القوي الأمين»، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها، فرحت إلى الظهر مهجراً فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله فجعلت أظفاله ليراني فلم يزل يبصره، حتى رأى أبا عبيدة بن

1 أبو جعفر النحاس: معاني القرآن. 3 / 413

2 رواه البخاري 3435، ومسلم 46

3 الهلالي: دواء الشاكين وقامع المشككين 24 / 25

4 قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَقَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِيْنَ ﴿١١﴾

﴿ آل عمران: 61 ﴾

الجراح، فدعاه، فقال: « اخرج معهم، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه »، قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه . هذه القصة رواها البخاري ومسلم وغيرهما باختصار وشيء من الزيادة. 2

قال محمد تقي الدين الهلالي: « احتجاج وفد نجران على التثليث، بأن الله تعالى يقول: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، دليل على جهلهم بلغتهم العربية أو تجاهلهم، فإن الضمير في: فعلنا ونفعل لا ينحصر في المتكلم ومعه غيره، بل يستعمل كذلك في كلام المعظم نفسه، والله تعالى عظيم يعظم نفسه ويعظمه الصالحون من خلقه، إلا أنهم لا يعظمونه بخطاب الجمع مراعاة لجانب التوحيد، وهذا واضح. 3

ولم يبعث عيسى ﷺ بنسخ كل شريعة موسى ﷺ، بل بعث لينسخ بعضها؛ أما دلالة بعض فقال الهلالي في قوله تعالى: ﴿ وَوَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴾ ﴿١٧٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾ [الشعراء: 198 - 199]: «بعض هنا تدل على واحد». 4

وأما قول الشاعر:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفْرِي 5

فقال الهلالي: «فلا أسلم أن بعض هنا تدل على واحد فقط، والقرينة والواقع يُحْتَمَنُ أنه يدل على أكثر من واحد، أما الواقع: فإن الذين يرسمون الخطط لعمل من الأعمال، ويعزمون على تنفيذها فريقان؛ فريق ذوو عزائم ماضية وهمم عالية، ينفذون كل ما رسموا له حُطَّةً، وفريق ذوو عزائم واهية وهمم سافلة يقولون ما لا يفعلون ويعزمون على ما لا ينفذون، ولا يمكن أن ينحصرُوا في واحد.

وأما القرينة: فإنَّ الشاعر يريد أن ممدوحه من ذوي الهمم العالية الذين إذا قالوا فعلوا، وإذا وعدوا أنجزوا، وكثير من الناس تقصر همهم عن التخلق بهذا الخلق. 6

ولا تدل بعض على واحد في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿١٦٦﴾ [الزخرف: 63] وقوله: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ ﴿٥٠﴾ [آل عمران: 50]

قال ابن كثير: ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ قال ابن جرير: «يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية». وهذا الذي قاله حسن جيد، ثم رد قول من زعم أن ﴿ بَعْضَ ﴾ هاهنا بمعنى «كل» واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال:

تَرَاكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَها أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضُ النَّفْسِ جِئَامَهَا 7

وأولوه على أنه أراد جميع النفوس، قال ابن جرير: «إنما أراد نفسه فقط، وعبر بالبعض عنها». وهذا الذي قاله محتمل. 8

قال محمد تقي الدين: «قوله تعالى: ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ ليس ﴿ بَعْضَ ﴾ هاهنا بمعنى "كل" لأن عيسى ابن مريم عليه السلام لم يجيء بنسخ شريعة موسى كلها كما جاء محمد ﷺ بنسخ جميع الشرائع التي قبله، وإنما جاء بنسخ بعضها كالعمل

1 رواه البخاري 3745، ومسلم 2420

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 255-256-257

3 المصدر نفسه. 1/ 261

4 الهلالي: تقويم اللسانين. 174

5 البيت من الكامل، وهو لزهير في ديوانه ص 56

6 المصدر السابق. 174-175

7 البيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة، وهو في معلقته وديوانه. ص 113

8 تفسير ابن كثير. 7/ 236-237، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2/ 275

يوم السبت إذا كان فيه خير وفي تركه شر، كإنقاذ الغريق، وعلاج المريض، وإعانة المحتاج، ويؤيد هذا قوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿ وَمَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: 50]. 1

وقال الراغب في "غريب القرآن": «قال أبو عبيدة: ﴿وَلَا يَبِينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: "كل الذي" كقول الشاعر:

أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضُ النَّفْسِ حِمَامَهَا 2

وفي قوله هذا قصور نظر منه، وذلك أن الأشياء على أربعة أضرب:

ضرب في بيانه مفسدة، فلا يجوز لصاحب الشريعة أن يبينه كوقت القيامة، ووقت الموت،

وضرب معقول يمكن للناس إدراكه من غير نبي كمعرفة الله ومعرفته في خلق السماوات والأرض، فلا يلزم صاحب الشرع أن

يبينه، ألا ترى أنه كيف أحال معرفته على العقول في نحو قوله: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101]، ويقوله:

﴿أَوْلَمْ يَنْفَكُرُوا﴾ [الأعراف: 184]، وغير ذلك من الآيات،

وضرب يجب عليه بيانه كأصول الشرعيات المختصة بشرعه،

وضرب يمكن الوقوف عليه بما بينه صاحب الشرع كفروع الأحكام.

وإذا اختلف الناس في أمر غير الذي يختص بالنبي بيانه فهو مخير بين أن يبين وبين أن لا يبين حسبما يقتضي اجتهاده وحكمته، فإذا

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَبِينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ لم يرد به كل ذلك، وهذا ظاهر لمن ألقى العصبية عن نفسه. 3

قال الهلالي: «قول الراغب: «ضرب في بيانه مفسدة.» الخ. خطأ؛ لأن صاحب الشريعة لا يعرف وقت القيامة لقوله تعالى في سورة

الأعراف: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف: 187]، وقوله سبحانه في سورة لقمان: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ

أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34].

وقوله: «وضرب معقول يمكن للناس إدراكه.» الخ. جرى في ذلك على مذهبه الاعتزالي أن العقل وحده كاف لمعرفة الله، والحق أن

العقل وحده لا يكفي في ذلك، فلا بد من بيان الرسل،

وسائر كلامه لا إشكال فيه. 4

ونقل الهلالي عن القنوجي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَأَجَلٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 50]؛ قال: «عن الربيع

قال: كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى، وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الإبل والشروب، فأحلها لهم على

لسان عيسى وحرم عليهم الشحوم فأحلت لهم فيما جاء به عيسى، وفي أشياء من السمك، وفي أشياء من الصيد، وفي أشياء أُخِر

حرما عليهم، وشدد عليهم فيها، فجاءهم عيسى بالتخفيف منه في الإنجيل. 5

• رفع المسيح عيسى ﷺ إلى الله ﷻ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَارْفَعْكَ إِلَىٰ مَطَهْرِكِ مِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ

الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْكَ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: 55]

قال الهلالي: «يموه النصراني على الجهال من المسلمين، فيقولون لهم: أنتم تدعون أن عيسى لم يمت ولم يقتل وكتابكم يشهد بأنه

مات، ففي سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَارْفَعْكَ إِلَىٰ﴾ وهذا موافق لاعتقاد النصراني، فأقول وبالله التوفيق: هذا

التمويه مردود من وجوه:

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 275

2 عجز بيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة في معلقته وديوانه. ص 175

3 الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. 1 / 68-69، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 175-176

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 176

5 القنوجي: فتح البيان. 2 / 243، والمصدر نفسه. ص 176-177

الأول: إن التوفي لا يدل دائما على الموت، قال تعالى في سورة الأنعام الآية (60): ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾، أي: يستوفي مدة يقظتكم فتنامون بالليل، ثم تستيقظون بالنهار، والله يعلم ما تفعلون بالنهار من خير وشر، بدليل: ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام: 60]، وقال تعالى في سورة الزمر الآية (42): ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾، فقد أطلق الله تعالى التوفي على التي ماتت وعلى التي لم تمت، وأخبر أنه يرسلها فتستيقظ، وتعيش إلى أن ينقضي- أجلها، فمعنى ﴿ مُتَوَفِّكَ ﴾: مستوف مدة إقامتك في الأرض. 1

قال عبد الحميد الفراهي: «ومن أنفع شيء في هذا الباب معرفة تفسير الصحابة والتابعين فإنهم كثيرا ما فسروا كلمة بمرادفها حسبما أريد في موضع خاص، وظن المتأخرون أنها متحdan ومتطابقان من جميع الوجوه، فأخطوا صحيح معنى الكلمة، وهذا يقع كثيرا في تفسير كلمة جامعة، فإنهم يفسرونها بلفظ مرادف لها ببعض الوجوه، مثلا: "توفاه الله" تفسيره: أماته فتظنها متطابقتين، وهو وهم، فإن "التوفي" أعم من "الإماتة". 2»

الدليل الثاني: «هو أن التوفي إذا قُدِّر أنه هنا بمعنى الإماتة، فمن المعلوم عند جميع العرب والنحاة أن الواو لمطلق الجمع لا تفيد تعقيبا ولا ترتيبا، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: 7] الخطاب في ﴿ مِنْكَ ﴾ لمحمد ﷺ، فمن توهم أن الواو تفيد تعقيبا يلزمه أن يقول: إن الله أخذ الميثاق من محمد ﷺ قبل أن يأخذه من نوح، وكفى بقول يفضي إلى هذا إسفافا وبطلانا. 3»

وهذا ما فهمه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿ مُتَوَفِّكَ ﴾: مُمِيسِكَ. 4
وأخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ ﴾ يعني رافعك ثم متوفيك في آخر الزمان. 5

الدليل الثالث: «قوله تعالى سورة النساء: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: 157-158]. 6»

الدليل الرابع: الأدلة على أن قصة الصلب موضوعة من الإنجيل:

1 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 43، قال الهلائي: «إن قيل: قوله: ﴿ تَوَفَّيْتَنِي ﴾ دليل على موت عيسى كما تدعي النصارى واليهود، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: 55] فالجواب: إن التوفي في لغة العرب لا يدل دائما على الموت، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام: 60] فالتوفي هنا بمعنى النوم.

وكذلك قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: 42] أخبر الله سبحانه أنه يقبض أرواح الناس بالموت والنوم، فالأرواح التي قبضها بالموت يمسكها إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة، ثم يردها إلى أجسادها لتجزي على أعمالها، وأما التي يقبضها بالنوم، فإنه يرسلها بالاستيقاظ من النوم، فتبين أنه لا حجة لهم في الآيتين، فالتوفي في الحقيقة هو استيفاء المدة، أي: إتمامها وإكمالها. المصدر نفسه. 1/ 320

2 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. 104-105

3 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 43-44

4 صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة المائدة، باب رقم 13.

5 عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. طبع جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ص 170

6 الهلائي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 44، قال الهلائي: «في قوله تعالى: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ ﴾ [آل عمران: 55] وقوله تعالى: ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: 158]

دليل واضح على أن الله في السماء على عرشه. المصدر نفسه. 5/ 47

يجمع اليهود والنصارى أن عيسى قُتل على الصليب. 7، ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: 157] وقد أثبت الهلالي أن أحداث قصة الصلب في الإنجيل غير موضوعية، قال الهلالي بعد إيرادها إنجيل متى الفصل (26) و(27): 2: «لماذا سأل الله أن يصرف عنه تلك الكأس - يعني القتل -؟ ولماذا صاح وهو على الصليب يا إلهي لماذا غدرتني؟ كيف يسكت عن بيان الحق ولو لم تكن فيه تبرئة نفسه وأتباعه وتبرئة الحق، وهو الفصيح اللسان الذي كان يخطب الخطب الطويلة ويملؤها تقريباً وتوبيخاً لعلماء اليهود؟ لا يستطيع عاقل أن يصدق ذلك، وإذا بطلت قصة الصلب والفداء انهدم جميع ما يبني عليه النصارى عقيدتهم من الأساس.» 3

الدليل الخامس: «قال البخاري في "صحيحه": "باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام"، وقال بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» 4، ثم يقول أبو هريرة: واقروا إن شئتم: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا الَّذِينَ يَدِينُونَ بِمَا نَزَّلْنَا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159]، وروى بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟». تابعه عقيل والأوزاعي 5. قال الحفاظ في "الفتح": قوله: «والذي نفسي بيده.» فيه الحلف في الخبر مبالغة في تأكيده.

قال محمد تقي الدين: هذا كلام من أنزل عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَارْفَعْكَ﴾ الآية [آل عمران: 55]، ولو كان معنى التوفي الإمامة، فكيف ينزل في آخر الزمان والله تعالى يقول حكاية عن قول المشركين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَاكَ وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْتَنَا﴾ [غافر: 11]؟ فلو مات عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى الله تعالى ثم أُحْيِيَ، ونزل إلى الأرض في آخر الزمان وحكم بشريعة محمد ﷺ مدة إقامته معهم، ثم مات ولا بد من الموت لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185] يكون قد مات ثلاث موتات؛ مودة قبل أن تنفخ فيه الروح، ومودة قبل رفعه، ومودة ثالثة عند انقضاء أجله، فالذين حكوا أنه مات ثلاث ساعات قبل رفعه أو أكثر من ذلك ليس لهم دليل، وقد غفلوا غفلة عظيمة ووافقوا النصارى في زعمهم، ولا يختلفون معهم إلا في ادعاء الصلب والقتل. 6

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا الَّذِينَ يَدِينُونَ بِمَا نَزَّلْنَا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159]. 7 نقل الهلالي: «قال ابن أبي حاتم بسنده إلى جويرية بن بشير قال: سمعت رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا الَّذِينَ يَدِينُونَ بِمَا نَزَّلْنَا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: 159].» 7

1 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 38، والعجيب أن في رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة.» انظر: العهد الجديد. الرسالة إلى أهل غلاطية. الإصحاح الثالث. سطر 13. ص 307

2 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 41
3 المصدر نفسه. ص 22

4 رواه البخاري 3448، ومن الإنجيل: قال محمد تقي الدين: «في الفصل (20) رقم (16) من إنجيل يوحنا: «قال لها يسوع: يا مريم، فالتفتت تلك وقالت له: ربوني - ومعناه يا معلم -، قال يسوع: لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت السيد، وأنه قال لها ذلك.»

أقول: فقد شهد المسيح أن الله إله وإلههم، ولا فرق بينه وبينهم في العبودية فمن زعم أن المسيح إله فقد كذب المسيح، وكذب جميع الأنبياء والمرسلين. البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 20

وفي 16 / 16 من إنجيل يوحنا: «بعد قليل لا تبصرونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأنني ذاهب إلى الأب.» المصدر نفسه. ص 18

5 رواه البخاري 3449

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 44-45

7 المصدر نفسه. 5 / 45

أَلَكْتَبِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴿١﴾ قال: قبل موت عيسى 1، إن الله رفع إليه عيسى، وهو باعته قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر والفاجر. 2

قال الأستاذ عبد الحميد الفراهي: «إن المسيح لم يجيء إن إلا للبشارة بملكوت الله الذي يأتي بعد، وضرب له أمثالا تطابق نبوة محمد ﷺ، ولذلك جاء في وصف المسيح عليه السلام في القرآن: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَتَمَّهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6] فالنبوة قد ختمت بالمسيح في بني إسرائيل، ولكن بقيت لبني إسماعيل، ثم ختمت بمحمد ﷺ للأبد، ولذلك قال النبي ﷺ: «لا يكون بعدي إلا الرؤيا الصالحة» 3. 4

4- الإيمان بالكتب:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «نكل علم عددها وتفصيلها إلى الله تعالى ونؤمن بجميع ما أنزله الله من الكتب إجمالاً وما ذكره الله لنا بالتفصيل أربعة: التوراة لموسى، والإنجيل لعيسى، والزبور لداود، والقرآن لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. 5» وقد حرف اليهود والنصارى كتبهم، وتكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، ومن أمثلة التناص فيها:

الله ﷻ:

وصف الله تعالى في أسفار التوراة والإنجيل أنه هو الإله الواحد الأحد؛ قال محمد تقي الدين الهلالي: قال محمد تقي الدين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: 45]: «قوله تعالى: ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ الآية، معناه: إن كل رسول أرسله الله جاء بتوحيد الله تعالى وإنكار عبادة غيره، كائنا من كان، وهذا مبين في التوراة والأنجيل أتم تبين. 6»

فلا بد من وجود خالق متصف بجميع صفات الكمال المطلق الذي لا حد له، ومن صفاته العلم والقدرة والإرادة والحياة التي لا أول لها ولا آخر، وهي غير مستمدة من غيرها كسائر صفاته تعالى؛ هذه الصفات المذكورة في الكتب السماوية وموضحة في القرآن أتم توضيح في سورة الإخلاص وآية الكرسي ومواقع أخرى 7.

ونقل الهلالي بعض الأدلة من الأناجيل الأربعة التي يؤمن بها النصارى في هذا الزمان، وهي واضحة الدلالة على أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس لها ولا ابن الله:

الأول: في الباب التاسع عشر من "إنجيل متى" رقم (16) و(17): «وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد؛ وهو الله» 8.

ففي قوله: «لا صالح إلا واحد وهو الله» اعترف بعبودية المسيح لله تعالى، لأنه أراد بالصالح الكامل الذي لا يعتره النقص بحال، وليس ذلك إلا لله تعالى. 9

1 سياق الآيات يبين على من يعود الضمير: قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء: 158 - 159]

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 45

3 قال ﷺ: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة.» رواه البخاري 6990

4 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 181

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 143

6 المصدر نفسه. 2 / 274.

7 الهلالي: نقد مقال العوائق النفسانية للخطيئة 10. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة. العدد الرابع. شوال 1385 فيفري 1966. ص 20

8 المعهد الجديد. ص 35

9 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 310

إلا أنه لا يوصف الله ﷺ بالصالح في القرآن والسنة؛ والمعنى المقصود يؤديه اسم العلي والمتعالى، والإنسان يكون صالحا ويكون فاسدا.

وقال الهلالي: «وفي "إنجيل متى" الفصل (23) رقم (8): «وأما أنتم فلا تدعوا أحدا سيديكم، فإن سيديكم - حتى المسيح - واحد»¹ يعني: وهو الله، لأن المسيح نهى الرجل أن يسميه سيديا، وأخبر أن السيد هو الله تعالى، وكل من سواه حتى المسيح عبيد، وقد حرفت هذه الآية في الترجمة العربية، أما الترجمة الانكليزية فليس فيها تحريف.²

ولا يعلم الغيب إلا الله؛ قال الهلالي: «في الفصل (24) رقم (36): «أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد من الناس ولا ملائكة السماء، ولكن أبى وحده هو يعلمها.»³ فهذا دليل قاطع على أن تلك الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، ففيه دليل على أن علم المسيح قاصر كسائر البشر، والله وحده هو الذي أحاط بكل شيء علما.⁴

فإذا كان الله وحده هو من يتصف بصفات الربوبية فحقه أن يوصف وحده بصفات الألوهية؛ قال الهلالي: «في الفصل 20 رقم 16 من "يوحنا": «قال لها يسوع: يا مريم، فالتفتت تلك، وقالت له: ربوني، ومعناه: يا معلم، قال يسوع: لا تلمسيني، لأنى لم أصعد بعد إلى أبى، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهي وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية، وأخبرت التلاميذ أنها رأت السيد، وأنه قال لها ذلك.»⁵

أقول: فقد شهد المسيح أن الله إلهه وإلههم، ولا فرق بينه وبينهم في العبودية، فمن زعم أن المسيح إله فقد كذب المسيح، وكذب جميع الأنبياء والمرسلين.

قال محمد تقي الدين: ولم أنقل هنا كل البراهين التي في الأناجيل، وهي تدل دلالة قطعية على عبودية المسيح، وأن الألوهية خاصة بالله سبحانه، ولا حظ فيها للمسيح، ولكن القسيسين والرهبان يخدعون أتباعهم، ويضلونهم وهم يعلمون أنهم كاذبون خادعون.⁶

محمد ﷺ في التوراة والأناجيل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٨﴾ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٩﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٥٧﴾ وَلَا تُطِيعِ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: 45 - 48]

عن عطاء بن يسار قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ وحرزا للأمين، أنت عبدي ورسولي، وسميتك المتوكل.

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيتة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا.⁷

قال محمد تقي الدين الهلالي: «رواية هذا الحديث عن عبد الله بن سلام أولى من روايته عن عبد الله بن عمرو، لأن عبد الله بن سلام حبر عالم بالتوراة وقد كان قبل إسلامه أكبر علماء اليهود في المدينة، وإسلامه حجة على اليهود، لأنه لم يسلم إلا بعد أن سأل النبي ﷺ

1 العهد الجديد. ص 42، ونصها فيه: «أما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح.»، لم يتيسر لي الحصول على النسخة الانكليزية.

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 310-311

3 العهد الجديد. ص 45

4 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. 15-16، وسبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 311

5 العهد الجديد. ص 186

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 312

7 رواه البخاري 2125

عن أصعب المسائل الواردة في الكتب السابقة، فأجابه عن كل ذلك بما بهرته، وهذه القصة التي ذكرها عبد الله بن سلام 1 للنبي ﷺ في التوراة بذلت كل ما استطعت من الجهد أن أجدها في مجموعة العهد القديم فلم أجدها، وقرأت البشارات التي ذكرها مؤلف كتاب "إظهار الحق" رحمه الله علي بن خليل الرحمان الهندي مما وجدته في التوراة والإنجيل، وهي ثماني عشرة بشارة، ولم يذكر فيها حديث عبد الله بن سلام المتقدم الذكر.

فلعل اليهود حذفوه؛ فإن من أمعن في قراءة التوراة يعلم يقيناً أن اليهود حذفوا كثيراً منها، وقد بقي فيها كثير مما هو حجة عليهم. 2

وقد سمي محمد باسمه في التوراة العبرية في نشيد سليمان الإصحاح الخامس رقم (16)، إلا أنهم ترجموا اسمه في النسخة العربية، ولا يصح ترجمة أسماء الأعلام.

وقال الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا مِمَّا هُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَمْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ [الفتح: 29]: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ أي صفتهم في التوراة وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى وفيها ذكر محمد ﷺ وأصحابه، وقد أقام البرهان على ذلك الشيخ عبد الحق السبتي في كتابه "السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود" وكان حبر اليهود الأعظم فأسلم وألف ذلك الكتاب وذكر فيه نصوص التوراة ثم ترجمها بالعربية. 3

وقد ورد ذكر رسول الله محمد ﷺ في الإنجيل؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُ فَازْرَهُ فَاسْتَعْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ١٣ ﴾ [الفتح: 29]

قال محمد تقي الدين الهلالي: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ وصفتهم في الإنجيل ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُ ﴾ أي فراخه ﴿ فَازْرَهُ ﴾ أي قوى الشيطان ﴿ فَاسْتَعْلَطَ ﴾ أي صار غليظاً بعد أن كان دقيقاً ﴿ فَاسْتَوَى ﴾ أي قام وارتفع ﴿ عَلَى سُوقِهِ ﴾ وهي قصبه و صار جميلاً ﴿ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ شبه الله سبحانه محمداً وأصحابه في دعوتهم للإسلام بالحجة والبرهان زهاء خمس عشرة سنة، ثم شفّعوا البرهان بالسيف والسنان من عاداتهم وتعرض لهم بالسوء، ولم يزالوا في نمو كما ينمو الزرع وتلك علامة دعوة الحق لا تزال في نمو لا يستطيع أحد من أعدائها أن يقفه وإن كان له من القوة المادية والجيوش الحرارة ما لا يقاوم حتى تبلغ أشدها وتؤتي أكلها. 4 وما زالت الإشارة إليه ﷺ واضحة إلى يومنا؛ قال الهلالي: «في إنجيل يوحنا الفصل (14) رقم (15) و (16): «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. 5

قال علماء الإسلام: وهذا المعزي الآخر هو محمد رسول الله، وبقاؤه إلى الأبد معناه: بقاء شريعته والكتاب الذي أنزل عليه. وفي الفصل (15) رقم (26) و (27) ما نصه: «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب؛ روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء. 6

وفي الفصل (16) رقم (5) إلى (8): «وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني، وليس أحد منكم يسألني أين تمضي، لأنني قلت لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبكم لكوني أقول لكم الحق؛ إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذلك بيكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. 7

1 اعترض الأستاذ مساعد بن سليمان الطيار على جعل عبد الله بن سلام من أقطاب رواة الإسرائيليات. انظر: التفسير اللغوي. ص 62

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 4 / 5-6

3 الهلالي: قيسة من أنوار الوحي. ص 54

4 المصدر نفسه. ص 54-55

5 العهد الجديد. ص 175

6 المرجع نفسه. ص 177

7 المرجع نفسه. ص 178

ومن (12) إلى (14): «إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم»¹،

و(16): «بعد قليل لا تبصروني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني لأني ذاهب إلى الأب.»²
قال علماء الإسلام: وهذه الصفات التي ذكرها المسيح في الذي يأتي بعده لم تجتمع في شخص إلا في محمد رسول الله، وقد سمي هذا الشخص الذي بشر به المسيح في الإنجيل "بارقليط" وحذفها المترجمون المتأخرون وأبدلوها تارة بروح الحق، وتارة بالمعزي وتارة بروح القدس؛ وهي كلمة يونانية، ومعناها: الذي يحمّد كثيراً، وذلك ينطبق على لفظ محمد.³

الوصايا العشر:

مما نُصّ عليه في التوراة والإنجيل والقرآن عشر وصايا خاطب الله بها عباده، وقد فذكر الهلالي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ بِرِيثَهُمْ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمْنَاهُ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [البقرة: 124] أن الكلمات عشر؛ قال: «الكلمات العشر التي امتحن الله بها إبراهيم فرائض فرضها عليه فوفى بها وعمل بها وأتمها، وقد اختلف المفسرون في تعيينها اختلافاً كثيراً، ولم يثبت عن النبي ﷺ في تعيينها شيء كما قاله ابن جرير، فنفوض أمرها إلى الله تعالى، إذ لا سبيل إلى معرفة أعيانها إلا بالرواية عن النبي ﷺ كأمره ببناء البيت مع ابنه إسماعيل، وأمره بتطهيره، وأمره بذبح ابنه، وقد فعل كل ما أمره ربه به على أحسن وجه، ولذلك جعله الله إماماً لأهل الحنيفية يقتدي به من بعده، والله أعلم.»⁴

أ- الوصايا العشر في التوراة:

• في سفر الخروج 2 / 17-17:

ورد ما يلي: «ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلًا:

- 1- أنا الربُّ إلهُك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية؛ لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.
- 2- لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما يما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهنَّ ولا تعبدنَّ لأنِّي أنا الربُّ إلهُك إله غيور أفتقدُ ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مُبْغِضِي، وأصنع إحساناً إلى ألوفٍ من مُحِبِّي و حافِظِي وَصَايَاي.
- 3- لا تَنطِقُ بِاسْمِ الرَّبِّ إلهِكَ باطلاً، لأن الرب لا يُبرئ من نطق باسمه باطلاً.
- 4- اذكر يوم السبت لِتُقَدِّسه، ستَّة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سببت للرب إلهك؛ لا تصنع عملاً ما أنت وابنتك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزبلتك الذي داخل أبوابك، لأن في ستَّة أيام صنع الربُّ السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الربُّ يوم السبت وقَدَّسه.
- 5- أكرم أباك وأُمَّك لكي تطول أيامك على الأرض التي يُعطيكَ الربُّ إلهك.
- 6- لا تقتل.
- 7- لا تزُن.

1 العهد الجديد. ص 178

2 المرجع نفسه والصفحة.

3 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 17 - 18

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 192

8 - لا تسرق.

9 - لا تشهد على قريب شهادة زور.

10 - لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك. 1

ب- الوصايا العشر في الإنجيل:

قال محمد تقي الدين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ١٦﴾ [الزخرف: 63 - 64]: «قول عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ الآية، انظر أيضاً "البراهين الإنجيلية" فقد جاء فيها أن سائلا سأل عيسى عليه السلام عن الوصية الأولى من الوصايا العشر التي في التوراة فأجاب قائلاً: «اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك.» 2.

وذكر الهلالي في "البراهين الإنجيلية" الوصية الأولى، فقال: «في إنجيل مرقس فصل (12) رقم (28) إلى (30) وما بعده ما نصه: «فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل، فأجابه يسوع: «إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك» هذه هي الوصية الأولى.» 3

وفي رقم (32) ما نصه: «فقال له الكاتب: جيد يا معلم قلت وقد نطقت بالحق لأن الله واحد ولا إله غيره.» 4

وفي رقم (34): «قال يسوع: لست بعيداً عن ملكوت الله.» 5.

أقول: فقد شهد المسيح عليه السلام بأن الله إله واحد لا إله غيره وأن من وحده فهو قريب من ملكوت الله، إذن فيكون من أشرك به أو جعله ثالث ثلاثة بعيداً عن ملكوت الله فهو عدو الله. 6

وقد وردت بعض الوصايا في إنجيل متى 19 / 19: «لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك وأحب قريبك

كنفسك.» 7

ت- الوصايا العشر في القرآن والسنة:

قال محمد تقي الدين الهلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَّانَا أَنْتَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَدَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام: 151]: «اشتملت هذه الآية على خمس وصايا: الأولى: توحيد الله تعالى والنهي عن الشرك به، والثانية: بر الوالدين. والثالثة: النهي عن قتل الأولاد الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، وفي هذا الزمان يقتلون النطف في الأرحام منعا من الحمل خوفاً من قلة الرزق، وهذا يؤول بهم إلى إنكار القرآن، وقد قال الله تعالى في مواضع كثيرة أنه متكفل برزق كل مخلوق، كقوله تعالى في أول سورة هود: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]،

7 العهد القديم. ص 119-120، ووردت بشكل مختلف في سبب تقديس يوم السبت في سفر التثنية 6 / 6-18 ص 287-288

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 275

3 العهد الجديد. ص 79

4 المرجع نفسه والصفحة.

5 المرجع نفسه. ص 79-70

6 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 19

7 العهد الجديد. ص 35

وكقوله في هذه الآية: ﴿مَنْ نَزَقُكُمْ وَإِنَّا هُمْ﴾ [الأنعام: 151] إلى غير ذلك ولم يقتصر على قتل النطف بمنعها من الوصول إلى الرحم من أن النبي ﷺ قال في العزل: «إنه المؤودة الصغرى»¹، أي: قتل الأولاد الأصغر حتى أضافوا إلى ذلك قتل الجنين في رحم أمه، مخافة أن يأكل معهم.

وليس العجب من الأوروبيين إذا فعلوا ذلك فإنهم جاهلون بالله وبصفاته، ولكن العجب ممن يدعي الإسلام، ويؤمن بهذا الضلال ويقتبسه منهم كأنه فضيلة، وقد كانت حكومة «هتلر» تقرض كل رجل وامرأة يريدان الزواج خمسة آلاف مارك ألماني بشرط أن يفحصها طبيب ويجدهما صالحين للتناسل، أما الغرباء الذين ليسوا جرمانيين ولا أوروبيين فكانوا يمنعونهم من التناسل ويجبرونهم على الاختصاص تعصبا منهم لجنسهم، وهؤلاء الجاهلون يقطعون نسل أبناء جنسهم، وقد ألفت مقالة طويلة في حكم منع النسل، وأقمت البراهين على بطلانه من الوجهة الشرعية ومن الوجهة الاقتصادية، إلا إذا كان فيه ضرر محقق على الوالدين أو الأولاد، فيكون بقدره ونشر هذا المقال في صحيفة "دعوة الحق" 2 المغربية.

الرابعة: النهي عن إتيان الفواحش وهي الكبائر ما ظهر منها وما بطن.
الخامسة: تحريم قتل النفس التي حرم الله إلا من أوجب الشرع قتله لإقامة العدل بين الناس.
وهناك خمسة وصايا أخرى لم نثبت آياتها وتفسيرها اختصارا، وهي: أكل مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان، والتزام العدل في القول والعمل، والوفاء بالعهد، واتباع الصراط المستقيم، وهو ما كان عليه النبي ﷺ من أمور الدين؛
فهذه عشر وصايا جمعت الخير كله، ما من أمة تحافظ عليها إلا سعدت في دنياها وآخرتها، وما من أمة تضيعها إلا شقيت في عاجلها وآجلها، وبالله التوفيق.»³

5 - الإيمان باليوم الآخر:

في الحديث: «إنَّ القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه.»⁴
الموت والبرزخ:
قال الهلالي:

ومن يقل سنوات الرسول فإنه يعذب في الدنيا وفي فتنة القبر⁵

فأهل السنة ومنهم الهلالي يثبتون عذاب القبر لأن الخطاب الديني يثبته، فقد تواترت السنة في إثباته، ومنها:

عن ابن عباس قال: «مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «يعذبان وما يعذبان في كبير»، ثم قال: «بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة»، ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منها كسرة. فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا.»⁶

قال محمد تقى الدين: «لا يقال: إن الإنسان الذي سمع النبي ﷺ صوتها كانا كافرين، [ففي] حديث أبي أمامة عند أحمد أنه ﷺ مر بـ "البقيع" قال: «من دفنتم اليوم ههنا؟»، فهذا يدل على أنها كانا مسلمين؛ لأن البقيع مقبرة المسلمين والخطاب للمسلمين، مع جريان العادة بأن كل فريق يتولاه من هو منهم، ويقوي كونها مسلمين رواية أبي بكره عند أحمد والطبراني بإسناد صحيح: «يعذبان

1 انظر: صحيح مسلم 1442 بلفظ: «ذلك الواد الحفي».

2 وعنوانه: رأي في تحديد النسل والعدوى.

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 374-375، وانظر لزاما الآيات من 23 إلى 39 من سورة الإسراء.

4 الألباني: صحيح سنن ابن ماجه. حديث رقم 4343. 3/ 388

5 الهلالي: أتوعد سنوات الرسول بمحوها؟! ص 24

6 رواه البخاري 216

وما يعذبان في كبير»، و«بلى وما يعذبان إلا في الغيبة والبول»، فهذا الحصر ينفي كونها كانا كافرين؛ لأن الكافر وإن عذب على ترك أحكام الإسلام، فإنه يعذب على الكفر بلا خلاف.¹

علامات الساعة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُنَا لَوْ قُنَا إِلَّا هُوَ نَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: 187]

فساعة القيامة لا يعلمها إلا الله ﷻ، قال الهلالي عن إنجيل متى ومعلقا: «في الفصل (24) رقم (36): «أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد من الناس ولا ملائكة السماء، ولكن أبي وحده هو يعلمها.»²

فهذا دليل قاطع على أن تلك الساعة لا يعلمها أحد إلا الله، ففيه دليل على أن علم المسيح قاصر كسائر البشر، والله وحده هو الذي أحاط بكل شيء علماً.³ وهو عين ما نطق به القرآن في أن الساعة لا يعلمها إلا الله.⁴

لكن الله جعل لها أمارات لتعرف قربها بها، ففي حديث جبريل في الإيمان والإسلام والإحسان والساعة: «قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.» قال فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة رببتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.»⁵

قال محمد تقى الدين: «الأمارات - بفتح الهمزة - العلامات، ووقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله ولكن له علامات تسمى: "العلامات الصغرى" وعلامات أخرى تسمى "العلامات الكبرى"، والمراد بالأمارات هنا العلامات الصغرى.»⁶ فالأمور المذكورة في حديث جبريل من العلامات الصغرى، أما العلامات الكبرى؛ فكخروج الدجال، ونزول عيسى ﷺ، وطلوع الشمس من مغربها.

وقد قسمها الهلالي في موضع آخر إلى ثلاثة أقسام؛ ففي قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 158] قال: «قوله: ﴿أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: الدالة على قرب قيام الساعة وهو طلوع الشمس من مغربها، وطلوعها من مغربها هو أحد أشراط الساعة الكبار، وأمارات الساعة ثلاثة أقسام:

1- قسم ظهر وانقضى: كبعثة النبي ﷺ، ووقعة الجمل، وصفين، ونحوهما، وملك بني أمية والعباسية، ونار الحجاز التي أضاءت منها أعناق الإبل ببصرى، وخروج الكذابين المدعين النبوة، وكثرة المال والزوال.»⁷

ومن العلامات الصغرى التي انقضت آية الروم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1-4]

قال البيضاوي في تفسيره: «﴿الَّذِي غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ﴾ أرض العرب منهم، لأنها الأرض المعهودة عندهم، أو في أدنى أرضهم من العرب، واللام بدل من الإضافة ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أي من إضافة المصدر إلى المفعول. وقرئ غَلَبِهِمْ، وهو لغة كالحلب والحلب ﴿سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 1-4]

1 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 118 - 119

2 الإصحاح 24 رقم 36 من إنجيل متى. ضمن: الكتاب المقدس. العهد الجديد. ص 45

3 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 15-16

4 المصدر نفسه. ص 20

5 رواه مسلم 8

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 97

7 المصدر نفسه. 5/ 17 عن "الكواشف الجلية عن معاني الواسطية" للأستاذ عبد العزيز محمد السلطان. رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. السعودية. ط 11. 1402 هـ/ 1912 م. ص 230-231

روي أن فارس 7 غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبُصْرَى، وقيل بالجزيرة؛ وهي أدنى أرض الروم من الفرس، فغلبوا عليهم، وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتموا بالمسلمين، وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، وَلَنْظَهْرَنَّ عليكم، فنزلت، فقال لهم أبو بكر: لا يُقِرَّنَّ الله أعينكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين، فقال له أبي ابن خلف: كذبت، اجعل بيننا أجلاً أَنَا حِبُّكَ عليه، فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منها، وجعلنا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال: «البضع ما بين الثلاث إلى التسع»، فزايدة في الخطر وماده في الأجل، فجعلناه مائة قُلُوص إلى تسع سنين.

ومات أبي من جرح رسول الله ﷺ بعد قفوله من أُحد.

وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: «تصدق به»، واستدلت 2 به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب، وأجيب بأنه كان قبل تحريم القمار. والآية من دلائل النبوة، لأنها إخبار عن الغيب.

وقرى ﴿عَلَبْتَ﴾ بالفتح، و﴿مَسْغِبُوتٌ﴾ بالضم، ومعناه: أن الروم غلبوا على ريف الشام، والمسلمون سيغلبون، وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون، وفتحوا بعض بلادهم، وعلى هذا تكون إضافة الغلب إلى الفاعل. 3 قال الهلالي: «توضيحات لكلام البيضاوي»:

• قوله: «واللام بدل من الإضافة» يعني أن أداة التعريف في «الأرض» بدل من الضمير المضاف إليه، والتقدير: غَلَبَتِ الروم في أقرب أرضهم، وهي أرض العرب التي كانوا مستولين عليها، لأن أذرعات وبُصْرَى هما من بلاد الشام، وبلاد الشام ليست ملكا للروم، وإنما استولوا عليها بالتسلط والقهر، هذا على القول بأن المراد بالأرض بصرى وأذرعات، وأما على القول بأنها الجزيرة، فهي كذلك ليست للروم، بل هي من بلاد العرب، لأنها واقعة بين دجلة والفرات.

• قوله: «من إضافة المصدر إلى المفعول» يعني: وهم من بعد غلبة الفرس لهم سيغلبون الفرس في مدة لا تتجاوز البضع، وهو ما بين ثلاث إلى تسع.

• قوله: «رُويَ أن فارس غزوا الروم» من المعلوم أن البيضاوي مع علمه بالنحو والصرف واللغة والفقهاء الشافعي والأصول وعلم الكلام مزجى البضاعة في علم الحديث؛ ففي تفسيره أحاديث موضوعة يذكرها في فضائل السور، و«رُويَ» بصيغة الفعل المبني للنائب لا يستعملها أهل الحديث إلا إذا كان المروي ضعيفا، فلذلك أردت أن ألم بتخريج هذا الحديث وبيان رتبته؛ أما تخريجه: فقد رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير بطرق تختلف ألفاظها، ويتفق معناها في الجملة، ورواه كذلك سنيد ابن داوود في تفسيره، وروايته أقرب إلى ما ذكره البيضاوي، وأما رتبته: فقد قال الترمذي في بعض طرقه: حسن غريب، وفي بعضها: حسن صحيح. 4

• قوله: «أناحبك عليه» أي أراهنك وأخاطرك، والقُلُوص الشابة من النوق.

• قوله: «ومات أبي بن خلف من جرح رسول الله ﷺ». قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» ج (2) ص (93): أدرك رسول الله ﷺ أبي بن خلف (يعني في غزو أُحد) على جواد له، يقال له العود، زعم عدو الله أنه يقتل رسول الله ﷺ، فلما اقترب منه، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها، فجاءت في ترقوته، فكَرَّ عدو الله منهزما، فقال له المشركون: والله ما بك من بأس، فقال: والله، لو كان ما بي بذي المجاز لماتوا أجمعون.

1 في الأصل: الفرس.

2 في الأصل: واستدل.

3 حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. 6 / 525-527، والهلالي: تقويم اللسانين. ص 24-25

4 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 25-26

وكان يعلف فرسه بمكة ويقول: أقتل عليه محمدا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى، فلما طعنه، تذكر عدو الله قوله: أنا قاتله، فأيقن بأنه مقتول من ذلك الجرح، فمات منه في طريقه بسرف مرجعه إلى مكة. «1»

• قوله: «وظهرت الروم على فارس يوم الحديدية» الخ. الحديدية بصيغة التصغير وتخفيف الياء على الصحيح عند أهل اللغة

موضع يبعد عن مكة بنحو عشرة أميال، وقع فيه الصلح بين النبي ﷺ وبين أهل مكة في ذي القعدة سنة ست للهجرة. «2»

• قوله: «والآية من دلائل النبوة» الخ. هذه معجزة باقية خالدة يستوي في إدراكها من كان في زمان النبي ﷺ وشاهدها

بنفسه، ومن يأتي بعد ذلك إلى يوم القيامة، لأن سورة الروم مكية، وكان المسلمون عند نزولها في غاية القلة والضعف يسخر منهم

أعداؤهم ولا يأبه بهم أحد. «3»، «وقد أخبر الله سبحانه في أول هذه السورة أن الروم البيزنطيين هزمهم الفرس شرَّ هزيمة، وكان

الروم أعظم دولة في الغرب، والفرس أعظم دولة في الشرق الأدنى على الأقل، ولم تجر العادة أن دولة عظيمة تُمنى بهزيمة مُنكرة تُلْمُ

شَعَثَهَا وتجمع شملها، وتعيد الكُرَّة في بضع سنين فتهاجم على الدولة التي هزمتها وتكبل لها صاعًا بضاع. «4»

• قوله: «وقرىء غلبت» بالفتح، ﴿وَسَيُغْلِبُونَ﴾ بالضم» الخ. هذه قراءة ضعيفة خارجة عن السبع شاذة، والمعنى

على هذه القراءة: غلبت الروم فارس، وسيغلبهم العرب المسلمون، وقد غزا المسلمون الروم قِصَاصًا منهم في السنة التاسعة من

نزولها، والقراءة الأولى هي المعتمدة. «5»

• قوله: «وعلى هذا تكون إضافة الغلب إلى الفاعل» يعني على القراءة الشاذة، يكون المصدر مضافا إلى فاعله، والتقدير: من

بعد أن غلب الروم الفرس سيغلبون - بضم الياء وفتح اللام - أي يغلبهم المسلمون. «6»

2 - قسم متوسط:

قال الهلالي: «وقسم متوسط: ككون أسعد الناس بالدنيا كعب بن لعب، وإماتة الصلاة، وإضاعة الأمانة، والتباهي بالمساجد، وأكل

الربا، ونحو ذلك، وكره العلم وكثرة الجهل، وكثرة الزنا، وشرب الخمر، وقلة الرجال، وكثرة النساء، وتوسيد الأمور إلى غير

أهلها، ولحوق حي من الأمة بالمشركين، وعبادة فئام من الأمة الأوثان، وغير ذلك. «7»

وقال في شرح حديث جبريل السابق: «معنى: «أن تلد الأمة ربتها» وفي رواية أبي هريرة: «ربها» مختلف فيه؛ فقال أكثر الشراح:

معناه أن يكثر السبي والتسري بالسبايا، فتلد المرأة لسيدها أولادا يكونون سادتها تبعا لأبيهم، وهذا الشرح لا يعجبني وليس

بصحيح لأنه كان واقعا في زمان النبي ﷺ وفي زمان الصحابة، والمفهوم من الحديث أنه يكون في آخر الزمان، ويرده أيضا أن الأم كيفما

كانت فهي في الإسلام سيدة لأولادها، قَالَ تَمَّالِي: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]، فيجب على كل ولد أن

يتخذ أمه سيدة له وإن كانت قبل ذلك أمة مملوكة ولا يمكن أن تكون له عليها سيادة أبدا، والذي أختاره أن معنى ذلك: أن يكثر

العقوق في آخر الزمان، حين يضعف تمسك الناس بالإسلام، ويعم الجهل والفسق ويكثر عقوق الأولاد لأبائهم وأمهاتهم، حتى أن

الأم تضطر أن تعامل أولادها حين يكبرون ويستغنون عنها وتفتقر هي لهم معاملة الأمة لسادتها، وذلك مشاهد في هذا الزمان، فإن

المحافظين على التمسك بالدين يكرمون آبائهم وأمهاتهم ويعظمونهم، وضعفاء الدين والمعرضون يحتقرون آباءهم وأمهاتهم،

خصوصا إذا كانوا شيوعيين لا يرون لوالديهم عليهم فضلا، هذا هو الذي تحقق عندي، وبحثت في "فتح الباري شرح البخاري"

للحافظ ابن حجر، فوجدت رأيه يطابق رأيي تماما. «8»

1 الهلالي: تقويم اللسانين. 26

2 المصدر نفسه والصفحة

3 المصدر نفسه. ص 27-28

4 المصدر نفسه. ص 28

5 المصدر نفسه والصفحة

6 المصدر نفسه والصفحة

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 17 عن "الكواشف الجلية عن معاني الواسطية" لعبد العزيز السلطان. ص 231

8 المصدر نفسه. 6/ 97-98، قال ابن حجر: «قد اختلف العلماء قديما وحديثا في معنى ذلك؟...»

ومن الأمور الواقعة في هذا الزمان ما أخبر به رسول الله ﷺ حين قال: «والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عدبته سوطه وشرأك نعله، ويخبره فخذُه بما حدث أهلُه بعده.»¹
 وآخر العلامات الصغرى هي الملحمة بين المسلمين والروم، وفيها ينصر الله المسلمين.
 3 - القسم الثالث: العلامات العظام التي تعقبها الساعة وهي عشر نظمها السفاريني بقوله:

وما أتى بالنص من أشراط	فكله حـق بلا شطاط
منها الإمام الخاتم الفصيح	محمد المهدي والمسيح
وأنته القاتل للرجال	يباب «لُدَّ» خَلَّ عن جدال
وأمر ياجوج ومأجوج أثبت	فإنه حـق كهدم الكعبة
وأن منها آية الدخان	وأنته يُذهب بالقرآن
طلوع شمس الأفق من دبور	كذات أجياد على المشهور
وآخر الآيات حشر النار	كما أتى في محكم الأخبار
فكلها صحت بها الآثار	وسطرت آثارها الأخبار ²

وقد أول بعض الفرق طلوع الشمس من مغربها بيزوغ الحضارة الغربية الحديثة، فيقال لهم: أين قرينة المجاز التي صرفت اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي؟ وأولوا الأعور الدجال بالنظام العالمي الفاسد، وأولوا نزول عيسى ﷺ بمجيء نبي أو مهدي يشبهه؛ وهذا التأويل مخالف للسنة؛

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها؛ يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: 38].³
 فهل هذه الشمس التي تذهب حتى تسجد تحت العرش هي الحضارة الغربية؟!

البعث:

تدل نصوص القرآن والسنة على أن البعث يكون بالروح والجسد⁴، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَّا خَلَقْنٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾﴾ [طه: 55]، وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: 7]
 قال محمد تقي الدين: «قد نظرت في الكتب السابقة فلم أجد في التوراة ذكر يوم القيامة والجزاء الأخروي، أما الأناجيل فالبعث موجود فيها، ولكن علماء النصراني ينكرون بعث الأجساد والتمتع بالأكل والشرب والجماع في الجنة.»⁵

المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة، ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المرئي مريباً والسافل عالياً وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى أن تصير الحفاة ملوك الأرض. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ت: عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب. دار المعرفة. بيروت. لبنان. 1/ 122-123

1 الألباني: الصحيحة. حديث رقم 122. 1/ 241

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 17 عن "الكواشف الجلية عن معاني الواسطية" لعبد العزيز السلیمان. ص 231، وقد ساق الإمام الألباني قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ مضافاً إليه ما صح عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم. انظر: قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه مضافاً إليه ما صح عن الصحابة رضي الله عنهم. المكتبة الإسلامية. عمان. الأردن. ط. 1. 1421 هـ. ص 129-149، وانظر فيها تخريج فقرات الحديث وشرح غريبه.

3 رواه البخاري 3199، ومسلم 250 واللفظ للبخاري.

4 انظر: الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 144-149

والروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام: أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينا. الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه. الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقت وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقا كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة. الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد؛ وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً. 2.

قال ﷺ: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم ومنه يركب». 3، وقال: «ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ويبلى كل شيء في الإنسان إلا عجب ذنبه، ومنه يركب الخلق». 4، فشبّه رسول الله ﷺ بعث الموتى بخروج النبات، ووجه الشبه هو خروج الحي من الميت في الحالتين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَفَالًا سَفَقْنَاهُ لِيلًا رِّبًّا فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾ [الأعراف: 57]، وهذا مشاهد.

واستدل الهلالي على العرض وقراءة الكتاب والحساب بقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّمُوا لَإِنْسَانٍ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَيْتَهُ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ نَّجُوزَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ [الانشقاق: 6-15]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُؤْتِلَنَّا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٦﴾ [الكهف: 48-49]، وحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته: «اللهم حاسبني حسابا يسيرا»، فلما انصرف قلت: يا رسول الله! ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك». 5

قال محمد تقي الدين: سؤال النبي ﷺ ربه ﷻ أن يحاسبه "حسابا يسيرا" تعبد وتذل لله تعالى، لأن العبودية أشرف المقامات؛ ... وفي ذلك الدعاء أيضا تعليم لأمته، وإلا فهو مقطوع له بأعلى درجات الجنة، لقوله تعالى في سورة الإسراء الآية (79): ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾، و﴿ عَسَىٰ ﴾ من الله واجبة؛ روى البخاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة». 6، فقد ثبت بالآية والحديث أن المقام المحمود أعلى الدرجات، وقد وعد الله خير خلقه محمدا ﷺ ذلك المقام، والله لا يخلف الميعاد، ومع ذلك سأل الله تعالى أن يجعل حسابه يسيرا تعبدا وشرع ذلك لأمته دعاء. 7

الميزان:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: 8-9]

قال محمد تقي الدين: «قد ذكر الله تعالى وزن أعمال العباد في مواضع كثيرة من كتابه العزيز كما في سورة الأعراف وسورة المؤمنين وسورة القارعة، وثبتت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في وزن الأعمال، ومن استبعد وزن الأعمال من سفهاء المتفلسفة، وقال: إنها معان، والمعاني لا توصف بالخفة والثقل ولا توضع في الميزان، فهو من الجهال الواقعيين في أسر العادات والمألوفات الذين يقيسون عالم

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 146

2 انظر: المصدر نفسه. 6 / 123، عن "شرح الطحاوية" لابن أبي العز. ص 348

3 رواه البخاري 4935

4 رواه البخاري 4814

5 الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح. ت: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت. لبنان. ط. 2. 1399 هـ / 1979 م. حديث رقم 5562. قال محققه الشيخ الألباني: إسناده

جيد. ص 1544

6 رواه البخاري 614

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 154-155

الغيب على الشهادة، وأمور الآخرة على أمور الدنيا، وهؤلاء سفهاء لا يعقلون، فإن استحالة المأكولات والمشروبات المختلفة الأنواع في معدة الإنسان إلى لحم ودم وعصب وعظام وتعويضها ما فقده الجسم من ذلك هو أعجب بكثير من وزن الأعمال. 1

وفي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قُرْآنًا عَظِيمًا ۝﴾ [الفتح: 5] قال محمد تقي الدين الهلالي: «﴿وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي يغفر لهم ذنوبهم، والواو لا تفيد تعقيبا ولا ترتيبا، وإنما هي للجمع؛ وتكفير الذنوب في الحقيقية سابق لدخول الجنة.» 2

الجنة والنار:

عقد الهلالي مبحثا في إثبات أن الجنة والنار موجودتان الآن، وردّ على من خالف في ذلك 3.

قال محمد تقي الدين: «قال الذين قل نصيبهم من فهم الكتاب والسنة واتباع السلف الصالح: لو كانت الجنة والنار موجودتين الآن؛ لفنيتا عندما يفنى كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88] آخر سورة القصص، وقد أجاب الإمام ابن القيم رحمه الله عن ذلك بما نصه: «وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فإننا أوتيتم من عدم فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائها وخرابها وموت أهلها، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية: قال البخاري في "صحيحه": "يقال: كل شيء هالك إلا وجهه: إلا ملكه، ويقال: إلا ما أريد به وجهه" 4. 5

قال الإمام أحمد: «وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقها الله ﷻ وخلق الخلق لها ولا تفنيان ولا يفنى ما فيها أبدا فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص 88]، ونحن هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهالك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء لا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا والخور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا يمتن أبدا، لأن الله ﷻ خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل.» 6

وأهل الكتاب يؤمنون بالجنة والنار، ففي القصة اليهودية التي ترجمها الهلالي ما نصه: «قالت [سارة] لأبينا إبراهيم: أنمكث في عدن منعمين، وأنا أعلم أن آفا من أولادي من بني إسرائيل يتضورون جوعا يوما بعد يوم، أنا أسمع صلوات أحفادي يطلبون المعونة وهم في سوء وفي شدة؛ ما أعظم رحمتي لهم وحزني عليهم، كل بني إسرائيل محتاجون للمعونة؛ للدواء، أتعلم يا إبراهيم لمن أدخر هذه الكعكة المقدسة؟» 7

وقال الهلالي: «علماء النصراني ينكرون بعث الأجساد والتمتع بالأكل والشرب والجماع في الجنة، ويزعمون أن المؤمنين يشتغلون بالغناء والمعازف ويسبحون الله.» 8

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 164-165

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 35

3 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 165

4 رواه البخاري 4771، وفيه: إلا ما أريد به وجه الله.

5 المصدر السابق. 6 / 166-167 عن "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" لابن القيم. ت: محمد خالد العطار. ط1. المكتبة الشرقية. الجزائر العاصمة. 1432هـ/2010م. ص 47

6 المصدر نفسه. 6 / 167-168 والمرجع نفسه. ص 47

7 الهلالي: كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟ ص 24

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 146-147

وبين الهلالي عقيدة المسلمين في أصحاب الجنة وأصحاب النار، فقال: « عقيدة المسلمين أن لا يقطعوا لأحد منهم بالجنة، وإن بلغ من الصلاح كل مبلغ، إلا إذا نص الله على شخص بعينه أنه يدخل الجنة، فإنهم يؤمنون بذلك، وأما من لم ينص الله عليه ولا نص عليه رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، فإنهم يسكتون عنه ويكلمون أمره إلى الله، لكن إن كان في حياته من أهل الأعمال الصالحات رجوا له الجنة والسعادة ولم يقطعوا، وإن كان على خلاف ذلك خافوا عليه من العذاب ولم يقطعوا. »¹

والمؤمنون لا يخلدون في النار؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا ﴿ فاطر: 32 - 33 ﴾

قال محمد تقي الدين: « ذكر الحافظ ابن كثير 2 في معنى الظالم أحاديث كثيرة تدل على أن أهل هذا القسم لا يدخلون جهنم، ولكن ولكن يطول وقوفهم في المحشر، ويصيبهم الحزن والخوف وذلك هو عذابهم، وهذه الأحاديث كلها ضعيفة لكنه استأنس بها لكثرة طرقها، وهذا القول لا يتفق أبدا مع ما نطقت به آيات الكتاب والأحاديث الصحيحة، وأجمع عليه أهل السنة من أن طائفة من الموحيين يدخلون النار، ويخرجون منها بشفاعة النبي ﷺ.

ومن الأدلة على ذلك ما جاء في "جامع الصغير" للسيوطي في حرف اللام: « ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا رأيتهم وعرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: يا رب، أصيحابي، أصيحابي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. »³ رواه أحمد والبخاري ومسلم عن أنس بن مالك، وعن حذيفة بن اليمان.⁴

وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله ﷻ، أما الكفار فمحبوبون؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: 15]،⁵ وقد جعل اللغويون والنحاة من المعتزلة "لن" لنفي التأييد انتصارا لمذهبهم.

• رؤية الله تبارك وتعالى:

ذكر الهلالي أن من عقيدة أهل السنة والجماعة رؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم يوم القيامة يتجلى لهم ضاحكا ويتنعمون برؤيته ويخاطبهم ويخاطبونه⁶

ونقل عن ابن كثير تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام: 103]؛ قال: « قال آخرون: لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك، فإن الإدراك أخص من الرؤية، ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم، وقال آخرون: الإدراك أخص من الرؤية وهو الإحاطة، قالوا: ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية، كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم، قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه: 110]. »⁷

ثم قال: « قوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ أي: يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه، لأنه خلقها كما قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: 14]. »⁸

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي لِئَظُنُّكَ إِنِّي إِلَهِكُمْ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوَقًا فَلَمَّا أَبَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُتُّ إِلَهِكُمْ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأعراف: 143]: « يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى حصل له التكليم من الله، سأل الله تعالى أن

1 الهلالي: مع نخبة من رجال الصحافة والعلم. مجلة الفتح. السنة السادسة. العدد 281. الخميس 7 شعبان 1350 هـ. ص 11

2 انظر: تفسير ابن كثير. 6/ 548-549

3 رواه البخاري 6582

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 4/ 20

5 انظر: المصدر نفسه. 5/ 68

6 المصدر نفسه. 6/ 5

7 تفسير ابن كثير. 3/ 310، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 57

8 المصدر نفسه. 5/ 58

ينظر إليه فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرِنِي ۗ ﴾ وقد أشكل حرف ﴿ لَنْ ﴾ ههنا على كثير من العلماء، لأنها موضوعة لنفي التأييد، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة، وهذا أضعف الأقوال، لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: 22 - 23]، وقوله تعالى إخبارا عن الكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّيهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ [المطففين: 15]،

وقيل: إنها لنفي التأييد في الدنيا، جمعا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة، وقيل: إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأنعام: 103]، وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: «يا موسى إنه لن يراني أحد إلا مات، ولا يابس إلا تدهده»، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: 143].¹

ونبه الهلالي إلى أنه يجب المصير إلى التفسير بالسنة قبل اللغة؛ «إن المتناظرين في معاني آيات الكتاب العزيز يغفلون عن حقيقة لو انتبهوا لها لتركوا كثيرا من جدالهم، وهذه الحقيقة هي أن الله سبحانه لو كتب القرآن في كتاب وألقاه إلينا بلا رسول، لأمكن أن تختلف الفهوم فيما تدل عليه آياته حين يتوهم التعارض في آيتين مثلا، كآية: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: 103]، وآية: ﴿ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: 23]، ولكن الله أنزل هذا القرآن على رجل من البشر، وأمره أن يبينه لنا، فقال تعالى في سورة النحل الآية (44): ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾؛ فجاءنا النبي ﷺ بهذا القرآن ومثله معه من وحي السنة، وبقي معنا ثلاثا وعشرين سنة، نسأله ويحينا، ويبين لنا بأقواله وأفعاله مسائل الاعتقاد ومسائل العبادة ومسائل المعاملات ومسائل الأخلاق، فإذا توهم متوهم تعارض آيتين كالآيتين المتقدم ذكرهما، ثم جاءت السنة ووضحت لنا المعنى الذي يريده ربنا سبحانه كل التوضيح لم يبق مجال للجدال، ولكن المصيبة كل المصيبة هي أن قوما قرؤوا القرآن ودرسوا علوم العربية وأهملوا السنة، فالتبس عليهم الأمر، وأخذوا يضربون القرآن بعضه ببعض، فمسألة الرؤية وضحاها النبي ﷺ كل التوضيح، فلم يبق فيها إلا الإيمان أو التكذيب، ومن زعم أنه يؤمن بالقرآن ويرفض السنة فهو كاذب زنديق، فأين في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات والحدود وسائر مسائل الشريعة؟

فأكثر الخلاف سببه الجهل بالسنة، إما جهلا تاما، كجهل الخوارج والمعتزلة ومتأخري الأشعرية وجملة المتصوفة، وإما أن يكون العالم من السلف مقلا في الحديث، لأنه لم يجمع بحذافيره إلا بعد زمانه، أو لم يرحل في طلبه، واقتصر على ما سمعه من أهل بلده، أو كان ضعيف الحفظ.²

وقال الهلالي أيضا: «أما جدال المناق بالقرآن فلا يقطعه إلا العلم بسنة النبي ﷺ كما إذا احتج المعتزلي بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام: 103] على عدم رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة، وتناول قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: 22 - 23] يسئل عليه المتبع للسنة سيفا صقيلا من حديث رسول الله ﷺ وهو قوله: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، ليس دونه غمام»³، وهو حديث في غاية الصحة.⁴

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: 26] قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: إن لكم عند الله موعدا، يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم يبيض وجوهنا، وينجنا من النار، ويدخلنا الجنة، قال: فيكشف الحجاب، قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه.» وفي رواية قال: «يقول تبارك وتعالى:

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5/ 59-60-61 عن تفسير ابن كثير. 3/ 468-469

2 المصدر نفسه. 5/ 63

3 رواه البخاري 554، ولفظه: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته.» وقال ﷺ: «إنكم سترون ربكم عيانا.» رواه البخاري 7435

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 30

تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ. زاد في رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ زِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] 1 وأثبت الزجاج اللغوي النظر إلى الله تعالى؛ قال: «قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّضْرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: 22 - 23]: نظرت بنعيم الجنة، والنظر إلى ربه، قال الله ﷻ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: 24]. 2 وقال: «وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنِهِمْ زِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26] ﴿لِحُسْنِهِ﴾ الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ في التفسير: النظر إلى وجه الله جل وعز.

ويجوز أن تكون تضعيف الحسنات؛ لأنه قال جل وعز: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا﴾ [الأنعام: 160] والقول في النظر إلى وجه الله كثير في التفسير، وهو مروى بالأسانيد الصحاح، لا يشك في ذلك. 3 في حين نفاه الأخفش، فقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: 23]: «يعني، والله أعلم، بالنظر إلى الله: إلى ما يأتيهم من نعمه وورقه، وقد تقول: والله ما أنظر إلا إلى الله وإليك؛ أي: أنتظر ما عند الله وعندك.» 4 وفنده الأزهري بقوله: «من قال: إن معنى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: 23] بمعنى: منتظرة، فقد أخطأ؛ لأن العرب لا تقول: نظرت إلى الشيء، بمعنى انتظرته، إنما تقول: نظرت فلانا؛ أي: انتظرته، ومنه قول الحطيئة:

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ أَبْنَاءَ صَادِرَةٍ لِلْوَرْدِ
طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنَسَّاسِي 5

فإذا قلت: نظرت إليه، لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرت في الأمر احتمال أن يكون تفكراً وتدبراً بالقلب. 6

وهذا ما فهمه الهلالي ففي قول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: 210] نقل تفسير عبد العزيز السلطان، فقال: «هَلْ﴾: حرف استفهام، ﴿يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون، قال امرؤ القيس:

فَإِنْ كُنَّا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً
مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعُنِي لَدَى أُمَّ جُنْدُبٍ 7

فإذا كان النظر مقروناً بذكر "الوجه"، أو معدي بـ "إلى" لم يكن إلا بمعنى الرؤية. 8

أما دلالة "لن" فقد بينها الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان؛ قال: «دعوى المعتزلة أن "لن" تفيد تأكيد النفي وتأييده، واستدلالهم بذلك على نفي الرؤية وإنكار وقوعها، دعوى فاسدة من وجهين:

الأول: إنها لو كانت للتأييد المطلق لما جاز تحديده الفعل بعدها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُنزِلَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي﴾ [يوسف: 80] قال الشيخ جمال الدين ابن مالك رحمه الله:

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِـ "لَنْ" مُؤَبِّدًا
فَقَوْلُهُ ارْدَدَ وَسِوَاهُ فَاغْضَبَا 8

1 رواه مسلم 181، 297، 449

2 الزجاج: معاني القرآن وإعرابه. 5 / 203

3 المرجع نفسه. 3 / 15

4 الأخفش: معاني القرآن. 2 / 721

5 البيت من البسيط، وهو للحطيئة في ديوانه برواية وشرح ابن السكيت. ص 46 والرواية فيه هكذا:

وَقَدْ نَظَرْتُكُمْ أَغْشَاءَ صَادِرَةٍ لِلْخُمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنَسَّاسِي

6 الأزهري: تهذيب اللغة. 14 / 371

7 البيت من الطويل، وهو لامرؤ القيس في ديوانه. 1 / 362

8 عبد العزيز المحمد السلطان: الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية. ص 227، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 5 / 14

الثاني: إنها لو قيّدت بالتأبيد لم يدل ذلك على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلّقت؟! ودليل هذا الوجه قوله تعالى في 7
المُشْرِكِينَ فِي كُرْهُهِمْ لِلْمَوْتِ وَعَدَمِ تَمَنِّيهِمْ لَهُ: ﴿وَكُنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: 95] لكتّهم في النَّارِ يَتَمَنَّوْنَهُ وَيَدْعُونَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى فِي
بَيَانِ حَالِهِمْ هَذَا: ﴿وَقَادُوا بِكَفْرِكَ لِيَقْضَىٰ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: 77]
فثبت بهذا أنّ "لَنْ" لا تقتضي النفي المؤبد، وبطل بذلك استدلال المعتزلة بها على نفي الرؤية. 2

6- الإيمان بالقدر:

قال كريسي مورسن: «إن هناك شروطا لازمة لوجود الحياة على أرضنا هذه، وهذه الشروط لا يمكن أبدا من الواجهة الحسابية أن
توجد كلها بالنسب المطلوبة بالمصادفة المجردة على أي أرض، في أي أرض، في أي زمان، لذلك يتحتم أن يكون وراء الطبيعة كائن
عالم مدبر؛ إذا علمت ذلك، وهو حق، تعلم يقينا أن خلق العالم مقصود ومقرر قبل وجوده تقديرا دقيقا.» 3
تعريف القدر:

لغة: قال ابن دريد: «المقدور كل ما قُدِّرَ على الإنسان.» 4

شرعا: هو الإيمان بعلم الله تعالى السابق، وإرادته ومشيتته، وكتابته، وخلقته لأفعال عباده 5 مع إثبات قدرتهم المؤثرة في هذه
الأفعال.

واقترضت حكمته أن يكتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، قال الهلالي: «أما اللوح المحفوظ فالذي يجب على كل مسلم أن
يعتقده، هو ما فسره به رسول الله ﷺ والمفسرون والأولون من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وقد ذكر المفسرون فيه
أقوالا تقتصر منها على ما ذكره الحافظ ابن كثير نقلا عن الطبراني بسنده إلى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق
لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه من نور وكتابه نور، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق
ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء.» 6، 7

والكتابة شرعية وكونية؛ فالكتابة الشرعية الأمرية كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ
النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: 45]، والكونية القدرية كقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21] 8

8[21]

العمر والرزق:

ظاهر الخطابات الدينية في هذه المسألة يوهم التناقض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: 11]، وَقَالَ تَعَالَى:
﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 4]، وفي الحديث: «صلة الرحم
تزيد في العمر» 9، و: «صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يُعَمِّرَنَّ الدِّيَارَ، وَيَزِدَنَّ فِي الْأَعْمَارِ» 10
وجمع بينها الهلالي، فقال: «الذي عليه المحققون، وبه نطق كتاب الله: أن العمر الذي قدره الله تعالى لكل إنسان لا يزيد ولا ينقص،
قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: 61] وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ

1 في الأصل: "عن".

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 60 / 5

3 المصدر نفسه. 306-305 / 2

4 ابن دريد: جمهرة اللغة. ص 536

5 المصدر السابق. 72 / 6

6 الألباني: ضعيف الجامع الصغير. رقم 1806. ص 233-232

7 الهلالي: الهدية الهادية إلى الطريقة التبجانية. ص 113

8 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 48 / 6

9 الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته. حديث رقم 3766. ص 703

10 المرجع نفسه والصفحة. حديث رقم 3767

أجلها ﴿ [المنافقون: 11]، وفي الحديث الصحيح: «إن الله تعالى يأمر الملك أن يكتب رزق الإنسان وأجله وعمله وشقي أو سعيد»¹ وفق ما علمه الله تعالى في الأزل.

والبدء مستحيل على الله تعالى، وكل ما جاء بخلاف هذا وجب تأويله ورده إلى هذا الأصل، فمعنى الزيادة في العمر أن الله يبارك في عمر الإنسان الذي يعمل الصالحات حتى يعمل في المدة القصيرة ما لا يعمله غيره في المدة الطويلة، ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ [نوح: 4].. 2

وجمع بينها ابن تيمية، فذهب إلى أن الزيادة في العمر حقيقية في علم الملك الموكل بالعمر، والأجل الذي لا يتأخر هو ما في علم الله ﷻ؛ قال ابن تيمية: «الأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد؛ وبهذا يتبين معنى قوله ﷻ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه.»؛ فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا، وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر.»³

1 رواه البخاري 3208، ومسلم 2643

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 2 / 349-350

3 ابن تيمية: مجموع الفتاوى. 8 / 517

المطلب الثاني: الإسلام

تعريف الإسلام:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «أسلم في اللغة إذا كان لازماً، معناه: انقاد واستسلم، وأما في اصطلاح الشريعة فمعناه: انقاد إلى ما جاء به رسول الله ﷺ وقبله كله في الظاهر، فإن كان قبوله له ظاهراً وباطناً فهو مسلم حقاً ومؤمناً، وإن كان قد قبل ما جاء به النبي ﷺ وانقاد له في الظاهر فقط فهو منافق، تجري عليه أحكام الإسلام وهو في الحقيقة كافر، قال تعالى في سورة الحجرات (14): ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾

وإن كان الفعل مُتَعَدِّياً فمن معانيه: إخلاص التوجه إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: 125] 7، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: 14] قال محمد تقي الدين الهلالي: «الخطاب للنبي ﷺ، المراد بالإسلام هنا إسلام القلب والجوارح بالقصد والتوجه لله وحده لا شريك له في العبادة والدعاء، وكل مقومات التوحيد المضادة للشرك، وليس المراد الإسلام الظاهر فقط الذي يشترك فيه المؤمن والمنافق.» 2

فالإسلام: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح؛ فالإيمان والإسلام اسمان مترادفان. لكن؛ في حديث جبريل المتقدم فسر رسول الله ﷺ الإيمان بأنه الإيمان بالقلب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، في حين فسر الإسلام بإقامة الشرائع الظاهرة من النطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج. وقال الهلالي: «صح عن حذيفة أنه قال: «الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والزكاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، والسهم الثامن الحج، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وخاب من لا سهم له» 3، وخرجه البزار مرفوعاً والموقوف أصح، ورواه أبو يعلى عن علي مرفوعاً، والموقوف على حذيفة أصح، قاله الدار قطني وغيره 4. قال محمد تقي الدين: وهو في حكم المرفوع، لأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي.» 5

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.» 6

قال محمد تقي الدين: «وبهذا يظهر إن الإسلام ليس منحصرًا في الأمور الخمسة المذكورة في حديث جبريل، وإنما اقتصر النبي ﷺ عليها؛ لأن أكثر الناس يستطيعونها، ولأن النيابة لا تجزئ فيها، فلا يفعلها أحد عن أحد في الجملة بخلاف غيرها كقضاء الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله إذا لم يكن فرض عين، وإقامة العدل بين الناس، وأيضاً فإن تلك الخمسة لا تصح إلا بالنية وغيرها يصح ولو بلا نية كقضاء الدين مثلاً، وإلا فكل ما أخبرنا النبي ﷺ أنه فرض لا يتم الإسلام إلا به.» 7

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 31-32، وقال: «العرب لا تقول أبداً: إعتنق الإسلام أو اعتنق النصرانية أو اعتنق الفكرة وإنما تقول: أسلم وتنصر واعتقد كذا وكذا، ولا يوجد التعبير باعتناق الإسلام في أي موضع.» ص 31

2 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 325-326

3 الألباني: صحيح الترغيب والترهيب. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط 1. 1421هـ/2000م. حديث رقم 1.741 / 457، وقال فيه: حسن لغيره، وهو مرفوع إلى رسول الله ﷺ.

4 قال الألباني: «وصله ابن أبي شيبة 5/ 352 و 7/ 11، والطيالسي 413، والبزار 337 بسند صحيح عنه، وله شاهد قوي مرفوع من حديث أبي هريرة وزاد: «فمن ترك من ذلك شيئاً فقد ترك سهماً من الإسلام، ومن تركهن كلهن، فقد وثى الإسلام ظهره.» «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني. 1/ 457، وانظر: حديث رقم 333 في السلسلة الصحيحة للألباني. 1/ 651

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 69-70

6 رواه البخاري 10، 11، 6484، ومسلم 40، 41، 42

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6/ 68

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان.»¹
 قال الهلالي: «(على خمس) أي: على خمس قواعد، شبه الإسلام بالخيمة التي لا تقوم إلا على أعمدة.»²
 عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رجلا سأل رسول الله ﷺ فقال: «أ رأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا، أدخل الجنة؟» قال: «نعم.»³
 قال محمد تقي الدين: «(المكتوبات): الصلوات الخمس، ومعنى المكتوبات المفروضات، لأن غيرها ليس بفرض.»
 و«أحللت الحلال»: اعتقدت حله.
 و«حرمت الحرام»: تجنبت معتقدا حرمة.

ولم يذكر بقية الأركان؛ وهي الحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 أما الحج؛ فلعله لم يكن قد فرض أو كان مفروضا ولكن على غيره إذا لم يكن له ما يحج به من زاد وراحلة.
 وأما الجهاد؛ فلا يكون فرضا إلا إذا أمر الإمام بالنفير العام.
 وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهو من فروض الكفايات إذا قام به بعض المسلمين سقط عن سائرهم.
 وكذلك يقال في الزكاة؛ فلعل الرجل لم يكن عنده من المال ما يزيه، فاقصر على الفرائض التي لا تسقط عن أحد إلا في النادر عند فقدان العقل وعند الهرم الذي لا يستطيع الشيخ والشيخة أن يصوما فيه.»⁴
 فالإيمان والإسلام في هذه النصوص اسمان متباينان.

وقد جمع الهلالي بين القولين في تفسير قوله ﷺ: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: 14]
 قال محمد تقي الدين: «إن أولئك المذكورين في آخر سورة الحجرات وهم الأعراب 5 كان عندهم شيء من الإيمان، وهذا أحد القولين لأهل السنة،

والقول الثاني: أنهم كانوا منافقين لا حظ لهم في الإيمان، وهو الذي رجحه ابن جرير، وإليه أميل، لأن الله تعالى نفى عنهم الإيمان بقوله: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فلا يجوز أن يقال: بل دخل الإيمان في قلوبهم.»⁶
 قال الهلالي: «الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.»⁷
 ثم شرح قوله، فقال: «يعني إذا ذكر الإسلام والإيمان في موضع واحد افترقا في الدلالة، فيدل الإسلام على الأعمال الظاهرة ويدل الإيمان على ما ذكر في حديث جبريل، وهو التصديق، وأما إذا ذكر كل واحد منهما وحده فإنهما يجتمعان، فالإسلام الصحيح يدل على الأعمال الظاهرة وتصديق القلب، والإيمان كذلك يدل عليها.»⁸
 ومن آثار فقه الهلالي لهذه الخطابات الدينية تحليله للوضع التالي:

1 رواه البخاري 8

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 78

3 رواه مسلم 18

4 المصدر السابق. ص 102

5 قال الهلالي: «الأعراب أهل البادية، وأهل البادية ليسوا أهل قرى كما شاع على ألسنة الناس في هذه الأيام، بل هم الذين يسكنون في الخيام ويرحلون من مكان إلى مكان، وفيهم الغلظة والحفاء وقلة الأدب وضعف الدين، ولا نقول كلهم بل يغلب على أكثرهم.»، وقال: ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ أي: خضعنا لهذا الدين لتأريته غلب وسيطر على الأرض والتشهر؛ خضعنا له في الظاهر.» خطبة صوتية مسجلة في الإيمان والإسلام للهلالي.

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 6 / 77-78

7 المصدر نفسه. 6 / 75

8 المصدر نفسه. 6 / 76

قال محمد تقي الدين: «تذكرتُ» كلاما جرى بيني وبين أحد العلماء في شأن المسلمين من الإنجليز في الهند، قال ذلك العالم: إنني لقيت هؤلاء المسلمين الإنجليز وحدثتهم فوجدتهم صادقين يفيضون غيرة وحماسة للإسلام، لكن من حيث العمل...، وسكت؛ يريد أنهم لا يعملون، فقلتُ له: ما أدراك بالعمل؟ فقال: الصلاة والصوم، فقلتُ له: هنا أمر غفلنا عنه فكان سبب هلاكنا، لقد حصرنا الدين الإسلامي في الصلاة والصوم، وعدد المسلمين 400 مليون، وأكثرهم يصلون ويصومون، فما أغنت عنهم صلاتهم وصومهم، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ومنعهم الله ما أعطى سلفهم من النصر والاستخلاف، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22]، ﴿وَلَنْ جُنْدًا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 173]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الْحَيَوَاتِ وَيَوْمَ نَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: 51]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]، ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]، 2، إلى غير ذلك ذلك من الآيات، ومعلوم أن وعد الله حق، وأنه لا يُخلف وعده، فلو كانت الصلاة والصوم فقط هما الإيذان، لكان المسلمون غالبين منصورين عالين، لكننا نراهم مغلوبين مخذولين سافلين، فعلمنا أن إيذانهم ليس هو الإيذان الكامل الموجب لنيل السعادة، وقد قال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان.»³ رواه مسلم وأصله متفق عليه، ثم قلت له: هذا الأستاذ محمد مار ماديوك ألف كتابا قيمة، كل واحد منها كتيبة محمدية تغزو أعداء الإسلام، ثم هو يصدر مجلة كل ثلاثة أشهر اسمها: إسلاميك كلتشر، يعني التهذيب الإسلامي، أليس هذا عملا؟! هذا والله هو العمل النافع الرافع للإسلام أحسن من صلاة ملايين من الإسلام، فكيف يصح أن يسمى صاحب هذا العمل لا عمل له، ورجل منافق ينقر ركعات ويحبس نفسه عن الطعام أويقات مخصوصة عادتين تعودهما، يسمى عاملا.

أوردَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ مَا هَكَذَا يَا سَعْدُ تُورِدُ الْإِبِلَ 4

بل عمل هؤلاء هو سنام الدين، وهو الجهاد في سبيل الله الذي تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. إن الصلاة والصوم لا ينفعان إلا صاحبهما إذا كان مخلصا فيهما ومتبعا للسنة، وأما الجهاد فإنه ينفع جميع المسلمين. على أننا لا نسلم أن هؤلاء الإخوان الإنجليز لا يصلون ولا يصومون، وكيف يمكنك أن تعرف أن فلانا لا يصلي ولا يصوم في جلسة واحدة تجلسها معه، والواجب حسن الظن بالمسلمين، خصوصا هؤلاء الذين تحملوا في حب الإسلام رزايا وتشنيعات وحرمانا من حقوق كانوا يتمتعون بها وهم نصارى، وذلك ما لا يحمله إلا الجبال الرواسخ الراسيات، ولا يعلمه إلا من عرف ما يصيب من بدل دينه من المصائب، هذا إذا تدبّر بدين قوم أحياء مساوين لأمته، فكيف إذا تدبّر بدين قوم مغلوبين صاغرين أذلة.⁵

أذلة.⁵

أركان الإسلام:

1 - شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ:

من صيغ الحصر النفي والإثبات ففي "لا إله إلا الله" حصرت الألوهية وهي العبودية في الله ﷻ وحده؛ فلا يستحق العبادة أحد؛ عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق ثلاثا، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر. قال: فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره، وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر يحدث بهذا بعد، ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر.»⁶

1 في الأصل: هم الغالبون، وهو سهو.

2 في الأصل: ولا تخافوا، وهو سهو.

3 رواه مسلم 109

4 البيت من الرجز، وهو للتوار في لسان العرب (ختطل) ص 1228

5 الهلاي: في ترجمة القرآن أيضا. ص 7

6 البخاري 5827، ومسلم 145

قال محمد تقي الدين: «قول النبي ﷺ: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة.» يجب أن يقيد بما دلت عليه الأدلة الأخرى، ويفهم منها شروط ثلاثة: أولها: أن يقولها بلسانه، إن كان قادرا، وثانيها: أن يعرف معناها ويعتقده بقلبه،

ثالثها: أن يعمل بمقتضاها، أما قولها بدون مراعاة هذه الشروط، فلا تنفع صاحبها شيئا، لأن المنافقين كانوا يقولونها بألسنتهم، وهم في الدرك الأسفل من النار، وهم شر من الكفار والمسيئين لكفرهم، ونرى في هذا الزمان كثيرا من الناس يقولون: لا إله إلا الله، وهم يشركون بالله بالدعاء، والذبح، والنذر، والحلف، والخوف بالغيب، والتوكل، والرجاء، والصدقة لغير الله، والاستغاثة بغير الله، والاستعاذة بغيره، والتحاكم إلى غير شرعه، وتحليل ما حرم الله، إلى غير ذلك من أعمال الكفر، وبعض هؤلاء يجهل معناها، فيظن أن الإله المنفي فيها، هو الرب الخالق الرازق المحي المميت! وهذا جهل عظيم، فإن هذا توحيد الربوبية، وقد كان المشركون في زمان النبي ﷺ يوحدون الله تعالى في ربوبيته، ويشركون به في عبادته، فلم ينفعهم ذلك التوحيد شيئا، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: 25] وقال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: 63].¹

فالنطق بها شرط من شروطها للقادر على الكلام؛ أما الشرط الثاني وهو معرفة معناها؛ فيقرر الهلالي أن معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ قال: «إن معنى إله معبود، ولذلك كان مفتاح الإسلام "لا إله إلا الله" فقائلها بالصدق يشهد على نفسه ويعاهد ربه أنه لا يعبد إلا الله، ولكن أكثر من يقولها في هذا الزمان لا يعرفون معناها ولا يفكرون فيه، ولا يبحثون عنه، فتكون أفواهم وعقائدهم وأفعالهم مضادة لـ "لا إله إلا الله" ويكونون أعداءها وهم لا يشعرون، فالمغربي حين يقول: يا فكاك الوحائل، يا مناع الرحايل، يا غياث أصحابه في الضيقات، يا مولاي عبد القادر الجيلاني. معناه: يا من يتقذ من استغاث به في الشدائد، ويغيث من التجأ إليه عند الضيق، يا مولاي يا عبد القادر الجيلاني، فهذا يهدم "لا إله إلا الله" ويقضي عليها قضاء تاما، لأن تلك الصفات التي جعلها أولئك الجهال لعبد من عباد الله هي خاصة بالله تعالى، فمن جعلها لغيره فقد كفر به.»²

2- إقام الصلاة:

تعريف الصلاة:

الصلاة في اللغة:

قال رسول الله ﷺ: «خيار أئمتكم 3 الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم تبغضونهم ويبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم ويلعنونكم.» قيل: يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولا تكلم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة.»⁴

قال محمد تقي الدين الهلالي في قوله ﷺ: «ويصلون عليكم وتصلون عليهم.»: «الصلاة هنا: على معناها الوضعي اللغوي لا على المعنى الشرعي، فإن الصلاة في اللغة الدعاء، قال الأعشى:

وَأَبْرَرَهَا وَعَلَيْهَا خَتْمٌ

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيَّهَا

وصلى على دنها وارتسم⁵

وقابلها الريح في دنها

فقوله: «وصلى على دنها.» أي دعا للخمر أن لا تحمض ولا تفسد، والدن هو الذي يسمى بالعامية "البرميل" تحفظ فيه الخمر.

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 283-284، وانظر: 6/ 67-68

2 المصدر نفسه. 2/ 306-307

3 قال الهلالي: «يعني الخلفاء والأمراء.» ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلاله الحسن الثاني إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها؟ ص73

4 رواه مسلم 1855

5 البيتان من المتقارب، وهما للأعشى في ديوانه. ص 35

وقال تعالى يخاطب نبيه الكريم في سورة التوبة رقم (103): ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة: 103] فمعنى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ ادع لهم، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ صَلَاتَكَ ﴾ أي: إن دعواتك رحمة لهم، وقد امتثل النبي ﷺ أمر ربه سبحانه، فكان يصلي على من جاءه بالزكاة. 1

الصلاة في الشرع:

قال الطيار: «تطلق على أعمال مخصوصة بصفة مخصوصة؛ كصلاة الفرض، وصلاة الكسوف والخسوف، وصلاة العيدين، والصلاة على الميت.

فالأصل اللغوي باق في هذه الأعمال، ولكنها غير محدودة فيه، بل فيها زيادة أقوال وأعمال، فمن الأقوال التكبير، والتسبيح لله، والتشهد، والصلاة على النبي ﷺ، ومن الأعمال القيام، والركوع والسجود، والجلوس بين السجدين، والتسليم، وهذه بمجموعها هي الصلاة الشرعية. 2»

وبناء على قاعدة: الأمر بالشيء أمر بما لا يتم ذلك الشئ إلا به بدأت بالطهارة ومواقيت الصلاة، فالصلاة.

قال الهلالي: قال الهلالي: «يجب على المصلي أن يجتنب النجاسة. 3»، فالأمر بالصلاة الواجبة أمر بتحقيق شروطها، أي أن ما لا يتأتى الواجب إلا به فهو واجب. 4.

أ- الطهارة:

عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها. 5»

قال الهلالي: «الشرط النصف؛ فإذا تطهر المسلم وصلى صلاة كاملة مرضية فقد تم إيمانه، والدليل على ذلك قوله تعالى في سياق الكلام على الصلاة في سورة البقرة: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ [البقرة: 143] ولما كانت الصلاة لا تصح إلا بطهارة فالطهارة نصفها. 6»

• المياه:

قال الهلالي: «المياه جمع ماء وأصله مَوَّه ولذلك ظهرت الهاء في جمعه، والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها، وقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كقيام أصله قوام. 7»

وكل ماء صلحت تسميته ماء مطلقاً دون تقييد كان طاهراً مطهراً؛ قال الهلالي: «المياه ثلاثة:

طاهر مطهر؛ وهو الذي لم يتغير لونه ولا طعمه ولا ريحه بنجس أو بطاهر.

والثاني: الطاهر غير المطهر؛ وهو الذي تغير لونه أو طعمه أو ريحه بشيء طاهر، كالسمن والزيت واللبن وغيرها من الطاهرات، وهو صالح للغذاء يتغذى به، ولا يصلح لإزالة الحدث والخبث.

والثالث: ليس بطاهر ولا مطهر؛ وهو الذي تغير لونه أو طعمه أو ريحه بنجاسة تحدث فيه. 8»

1 الهلالي: ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني أيده الله إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها؟ ص 73

2 مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. ص 636

3 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 308

4 ابن خطيب الدهشة: مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي. ت: مصطفى محمود البنجويني. مطبعة الجمهور. الموصل. العراق. 1984 م. ص 87-88

5 رواه مسلم 223

6 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. 103

7 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 21

8 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 21

وعليه: يجوز الوضوء بفضلة طهارة الرجل والمرأة ولو كان فاضلا عن اغتسالها من الجنابة، كما يجوز الوضوء بالماء الذي لاقته النجاسة فلم يتغير لونه ولا طعمه ولا ريحه لكثرتة¹؛ لأن وصف الماء المطلق يعمهما.

وقول الهلالي: «لكثرتة» إشارة إلى قوله ﷺ: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا.»²، وهو يدل بمفهومه على أن ما دون القلتين ينجس ينجس بملاقاة النجاسة³، وبولوج الكلب، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا»⁴، وفي حديث آخر: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أو لاهن بالتراب»⁵؛ قال الهلالي: «لا يجوز الوضوء بما ولغ فيه كلب إن كان قليلا يسعه إناء يستعمل عادة للطهارة، وقاس بعض الأئمة الخنزير على الكلب وهو قياس وجيه لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: 145]»⁶

• النجاسات:

قال الهلالي: «يجب على المصلي أن يجتنب النجاسة.»⁷

والنجاسات: بول الآدمي ورجيعه والمذي ورطوبة فرج المرأة وأبوال ما لا يؤكل من الدواب وأرواثها والكلب والخنزير والميتة وجلودها إلا إذا دبغت، وكل جلد دبغ فهو طاهر، وما قطع من البهيمة وهي حية فله حكم الميتة، ويتعين الماء لغسل جميع النجاسات⁸.

ونبحث هنا مسألتين لها صلة وثيقة باللغة:

- الخمر:

يتفرع على الواو العاطفة التي بحثناها في حروف العطف الترجيح في نجاسة الخمر؛ قال الهلالي: «الخمر نجسة، اختلف العلماء في نجاستها، أهي حسية إذا أصابت ثوب رجل أو بدنه وجب عليه أن يغسلها أم نجاستها معنوية وهي ما فيها من السكر الذي يذهب بالعقل وتنشأ عنه جرائم كثيرة؟»

وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١١﴾﴾ فقد سمى الله تعالى الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسا؛ الثلاثة المذكورة مع الخمر نجاستها معنوية بالاتفاق، فكذلك الخمر، لأنه سبحانه علل تحريم هذه الأشياء الأربعة بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾

1 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الخليل. ص 17

2 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 63. 7 / 28

3 ابن خطيب الدهشة: مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسوي. ص 71

4 رواه البخاري 172

5 رواه مسلم، وعند الترمذي (91): «أولاهن أو أخراهن بالتراب.» انظر: الألباني: صحيح سنن الترمذي. 1 / 68

6 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الخليل. ص 17

7 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخرج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 308

8 المصدر السابق. ص 18، وقال: «[إن] المؤذن كان شافعيًا فلما رأي قررت في الدرس أن بول ما يؤكل لحمه طاهر غضب وقال في غيبيتي: إذا كان بول البقرة عنده طاهر فليشربه، فقلت له في أثناء الدرس: يا ملا أحمد! والملا كلمة فارسية يوصف بها أهل العلم كالفقيه عند العرب أو الشيخ، فقلت له: ما حكم المخاط في مذهبه أهو طاهر أم نجس؟ فقال: طاهر. ثم قلت له: ما حكم الأوساخ طاهرة أم نجسة؟ قال: طاهرة. فقلت له: فاشرب المخاط وكل الأوساخ. فقال لي: يا شيخ لا يليق بمثلك أن يخاطب أحدا بمثل هذا الكلام، فقلت له: أنت بدأت بما هو أقيح من هذا والبادئ أظلم، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40]، وأنا تكلمت بالعلم وأنت تكلمت بالجهل، وذكرت الأدلة على طهارة ما يؤكل لحمه.» الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 192-193

وقال: «ومن أعجب العجب أن بعض شرار الدواب زعم أن بول أهل البيت طاهر، لقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ الْفِتْنَةَ الْأُولَىٰ لِلَّذِينَ هَلَّلُوا بَلَّتِ الْبَيْتَ وَيَطْهَرُكَ تَطْهِيرًا﴾ [33] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [34] ﴿الرُّوم: 59﴾. سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1 / 539 وقال: «المغاربة لا يصلون على الجنائز في المسجد، ويزعمون أن ذلك مكروه ويعلمونه بنجاسة الميت، وذلك جهل ومخالفة للسنة الصحيحة؛ فإن النبي ﷺ صلى على ابن بيضاء في المسجد.» المصدر نفسه. ص 83

فالخمر والميسر تعاطيها تنشأ عنه العداوة والبغضاء والتشاجر والتقاتل، والأنصاب شرك، والأزلام طلب لمعرفة الغيب والغيب لا يعلمه إلا الله، فسبب نجاسة المشركين هو الشرك.¹

- الخنزير:

الضمير إذا سبقه مضاف ومضاف إليه وأمكن عوده إلى كل منهما على انفراده كقولك: «مررت بـغلام زيد فأكرمته» فإنه يعود إلى المضاف دون المضاف إليه؛ لأن المضاف هو المحدث عنه، والمضاف إليه وقع ذكره بطريق التبع وهو تعريف المضاف أو تخصيصه.

فلا يسلم استدلال ابن حزم والماوردي على نجاسة الخنزير بقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: 145]، لأن الضمير يعود على لحمه؛ قَالَ تَقَالِي: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: 145] 2

وقد استدلل الهلالي على القول بنجاسته ونجاسة ما ولغ فيه بالقياس على الكلب لا على نص الآية؛ قال الهلالي: «قاس بعض الأئمة الخنزير على الكلب وهو قياس وجيه لقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: 145]»³؛

• سنن الفطرة:

قال الهلالي: «من سن الفطرة: حلق شعر العانة، والختان ويسمى بالعامية "الطهارة"، وقص الشارب، وإعفاء اللحية، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، ولا تترك هذه الأشياء أكثر من أربعين ليلة، دليله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر»⁴»⁵

وعن أنس بن مالك قال: «وقت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة»⁶

وقد حمل الهلالي الأمر في سنن الفطرة على الحقيقة وهي الوجوب دون تأويل؛ قال: «كنت مدة إقامتي في ألمانيا أحلق لحيتي متأولا حديث الأمر بعفو اللحي على أن الأمر للندب، وقد خيل إلي في ذلك الزمان أن الأوامر الواردة في خصال الفطرة كإحفاء الشوارب وعفو اللحي ونتف الإبط وتقليم الأظافر ينبغي أن يسلك بها مسلك واحد؛ فإما أن تحمل على الوجوب كلها وإما أن تحمل على الندب كلها، وأن حمل الأمر الوارد في اللحية وحده على الوجوب وحمل سائرهما على الندب تناقض.

وكذلك قول النبي ﷺ في صيغ الشعر: «خالفوا اليهود والنصارى فإنهم لا يصبغون»، واستأنست بقول بعض العلماء الذين سلكوا هذا المسلك...

ثم ظهر لي أن الداعي إلى الله لا ينبغي له أن يعتمد على التأويل ولا يكون له عليه تعويل، بل يجب عليه أن يكون قدوة حسنة في أقواله وأفعاله وسيرته، فعفوتها والله الحمد، ولا آخذ منها شيئا.⁷

• نواقض الوضوء:

من نواقض الوضوء: «خروج الريح: دليله: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» فقال رجل من أهل حضر موت: ما الحدث يا أبا هريرة؟ قال: فُسَاءٌ أو ضراط.»⁸

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 475-476

2 انظر: ابن خطيب الدهشة: مختصر من قواعد العلائي وكلام الإسنوي. ص 101-102

3 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. ص 17

4 رواه البخاري 5889-5891. ومسلم 257

5 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 122

6 رواه مسلم 258، والهلالي: مفتاح التفقه الأصيل. ص 125

7 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 41-44

8 رواه البخاري 135-6554 ومسلم 225

فهذا من تفسير الصحابي، وهو حجة، وكل الفقهاء على قوله.

ويستثنى لحم الإبل من لحوم ما مسته نار؛ قال الهلالي: «وينقض بأكل لحم الإبل، دليله: عن جابر بن سمرة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أنتوضأ من لحم الغنم؟ قال: «إن شئت توضأ، وإن شئت فلا تتوضأ.» قال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم، توضأ من لحوم الإبل.»³ 2»³

فلأن الأمر يفيد الوجوب استنبط الهلالي من وجوب الوضوء من لحم الإبل كونه من نواقض الوضوء.

أما مس الذكر؛ فقال الهلالي: «في لمس الذكر حديثان عن النبي ﷺ، وأقوامهما إسنادا المتضمن لوجوب الوضوء، دليله: عن طلق بن علي، قال: قال رجل: مسست ذكري، أو قال: الرجل يمس ذكره في الصلاة؛ أعلية وضوء؟ فقال النبي ﷺ: «لا إنها هو بضعة منك»⁴، [و] عن بسرة بنت صفوان رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من مس ذكره فليتوضأ»⁵ 6

فرجح الهلالي الحديث الأقوى إسنادا عنده وألغى الثاني، وهو أحد المذهبين في تأويل الحديثين؛ قال ابن رشد: «ذهب العلماء في تأويل هذه الأحاديث أحد مذهبين: إما مذهب الترجيح، أو النسخ، وإما مذهب الجمع؛ فمن رجح حديث بسرة، أو رآه ناسخا لحديث طلق بن علي قال بإيجاب الوضوء من مس الذكر، ومن رجح حديث طلق بن علي أسقط وجوب الوضوء من مسه، ومن رام أن يجمع بين الحديثين أوجب الوضوء منه في حال، ولم يوجب في حال، أو حمل حديث بسرو على الندب، وحديث طلق بن علي على الوجوب.»⁷

ودونك تفصيل مذاهبهم من كلام ابن رشد؛ قال: «منهم من رأى الوضوء فيه كيفما مسه، وهو مذهب الشافعي وأصحابه، وأحمد، وداود، ومنهم من لم ير فيه وضوء أصلا، وهو أبو حنيفة وأصحابه، ولكلا الفريقين سلف من الصحابة والتابعين، وقوم فرقوا بين أن يمسه بحال، أو لا يمسه بتلك الحال، وهؤلاء افرقوا فيه فرقا؛ فمنهم من فرق فيه بين أن يلتذ، أو لا يلتذ، ومنهم من فرق بين أن يمسه بباطن الكف أو لا يمسه، فأوجبوا الوضوء مع اللذة، ولم يوجبوه مع عدمها، وكذلك أوجبوه قوم مع المس بباطن الكف، ولم يوجبوه مع المس بظاهرها، وهذان الاعتباران مرويان عن أصحاب مالك، وكأن اعتبار باطن الكف راجع إلى اعتبار سبب اللذة، وفرق قوم في ذلك بين العمد والنسيان؛ فأوجبوا الوضوء منه مع العمد، ولم يوجبوه مع النسيان، وهو مروى عن مالك، وهو قول داود وأصحابه، ورأى قوم أن الوضوء من مسه سنة لا واجب»⁸.

وقد حمل الهلالي قوله تعالى: ﴿لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: 43]، المائدة: 6] على الجماع لا اللمس؛ قال: «ولا ينتقض بلمس المرأة»⁹، في حين ذهب الشافعي إلى أنه يجوز الجمع في اللفظ الواحد بين الحقيقة والمجاز، فحمل الآية على اللمس باليد وعلى الجماع، ثم استثنى من عموم الآية المحارم لأن العلة في النقض إنها هو ثوران الشهوة المفضية إلى خروج المذي منه وهو لا يعلم، وذلك مفقود في المحارم¹⁰.

1 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 182

2 رواه مسلم 36

3 المصدر السابق. ص 186

4 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 85 / 1 / 64

5 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 82 / 1 / 63

6 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 187

7 ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وبهامشه: السبيل المرشد إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد. شرح وتحقيق وتخريج: عبد الله العبادي. دار السلام. ط 1. 1416هـ/

1995 م. ص 90

8 المرجع نفسه. ص 88-89

9 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الخليل. ص 21

10 ابن خطيب الدهشة: مختصر من قواعد العلائي وكلام السنوي. ص 77-78

• الوضوء:

ليست النية كلاماً، بل قصد؛ قال الهلالي: «النية هي قصد أداء الواجب، أو استباحة الصلاة وغيرها من المنوعات، ولا يحتاج الإنسان إلى استحضارها بالتلفظ والتكلف، بل يكفي أن يكون خاطراً ببال المتوضئ.

ذلك؛ ولا يقصد ما ينافيه كالوضوء للتبرد وحده.» 1

وخطاب رسول الله ﷺ خطاب لنا، إلا إذا دل دليل على خلاف ذلك؛ ومنه:

قال الهلالي: يندب الوضوء لكل صلاة، دليبه: عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يتوضأ عند كل صلاة، قيل له: فأنتم كيف تصنعون؟ قال: كنا نصلي الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث.» 2، 3، ففهم الهلالي الندب من مداومة رسول الله عليه.

• الغسل:

إذا اجتمع نصاب ولم يمكن الجمع بينهما وعرف التاريخ نسخ آخرهما أولهما، يتفرع على هذا ما يلي:

قال الهلالي: «قول علي ومعاذ بوجوب الغسل هو الصواب؛ لأن عائشة وافقتهم، وهذا هو الأمر الأخير الذي أمر به النبي ﷺ، وفي أول الأمر كانوا لا يغتسلون إلا إذا خرج الماء اعتماداً على ما رواه أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إنما الماء من الماء.» 4 رواه مسلم وأصله في البخاري، وهذا الحديث منسوخ نسخه ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها، فقد وجب الغسل.» 5 متفق عليه. زاد مسلم: «وإن لم ينزل.» 6

وقال: «يجب الغسل إذا التقى الختانان؛ ختان الرجل وختان المرأة.» 7

ومن ألفاظ الوجوب التصريح بلفظه أو الأمر بالفعل؛

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم.» 8، وقال: «من أتى الجمعة

فليغسل» 9، ولمسلم: «إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة فيغتسل» 10، وقول الصحابي: «إن رسول الله ﷺ أمرنا بالغسل.» 11

قال الهلالي: «ومن اغتسل للجنابة ونوى مع ذلك غسل يوم الجمعة أجزأه، دليبه: إن الغسل هو غسل جميع الجسد بالماء على الصفة التي علمنا رسول الله ﷺ، فغسل الجنابة وغسل يوم الجمعة لا يختلفان إلا في النية فإذا نواهما من كانت عليه جنابة زالت عنه الجنابة وحصل له فضل اغتسال يوم الجمعة، ويكون مؤدياً للواجب، لأن تكرار الغسل للجسم مرة أو مرتين أو ثلاثاً شيء واحد، فلا فائدة في التكرار إذا وجدت النية.» 12

1 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 134

2 رواه البخاري 214

3 المصدر السابق. ص 191

4 رواه مسلم 343، والبخاري 180

5 رواه البخاري 291، ومسلم 348، 349

6 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 80

7 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 195

8 رواه البخاري 879-895 ومسلم 846.

9 البخاري 894-919 ومسلم 844

10 رواه مسلم 844 ص 705-706

11 البخاري 878- مسلم 845

12 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 707

• التيمم:

لا يبيح الهلالي التيمم بغير التراب كالأحجار والمعادن¹؛ ويستدل بأدلة لغوية؛ قال: «التيمم طهارة ترابية، وهي فرض من لم يجد يجد ماء أو كان مريضاً يخاف أن يضره استعمال الماء، قال تعالى في سورة النساء: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء: 43]، قال ابن كثير: «الصعيد عند الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأصحابهما: التراب فقط، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ فَصَبِّحْ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [الكهف: 40] أي: تراباً أملس طيناً، وبما ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن البيان قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ؛ جَعَلَتْ صَفْوُنَا كَصَفْوِ الْمَلَائِكَةِ، وَجَعَلَتْ لَنَا الْأَرْضَ كُلَّهَا مَسْجِدًا، وَجَعَلَتْ تَرَبَّتْهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»²»³ الماء»²»³

وقال النبي ﷺ: «جعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء.»⁴
فتخصيص التراب بالذكر دل على حصر التيمم به؛ قال الهلالي: «يتعين التراب للتيمم.»⁵

ب- مواقيت الصلاة:

الحمد لله الذي جعل الشمس والقمر آيتين فمحا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة ليعلم عباده عدد السنين والحساب وأوقات الصلوات التي يتقربون بها إلى الملك الوهاب؛
تنبني على معرفة معنى الشفق في اللغة العربية معرفة وقتي صلاة المغرب وصلاة العشاء:
- وقت صلاة المغرب:

قال الهلالي في تحديد بداية وقت صلاة المغرب: «أما المغرب فوقته حين يغيب قرص الشمس في الأرض المستوية أو في البحر كما قال بعضهم:

وعند غروب الشمس قم صلي مغرباً
فذاك ابتداء الوقت يا صاح فاعقل»⁶

ويمتد وقت المغرب إلى مغيب الشفق؛ قال الهلالي: «وقد توهم بعض الفقهاء من قوله في المغرب «وقتا واحداً» أن صلاة المغرب لا تمتد إلى مغيب الشفق، ونظمه بعضهم فقال:

وعند غروب الشمس قم صلي مغرباً
فليس لها وقت سوى ذلك مفرد

والصحيح أن وقت المغرب يمتد إلى غروب الشفق لحديث ابن عباس في الصحيحين: «جمع النبي ﷺ بين العشاءين؛ آخر هذه وعجل هذه، قيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال: أراد ألا يخرج أمته.»⁷

قال بعض الفقهاء القاصرين: هذا الحديث لا يعمل به،

وقال المحققون: بلا، يعمل به بشرط ألا يدوام عليه، ولا تفوت الجماعة،

وحمله بعضهم على الجمع الصوري؛ وهو تأخير المغرب إلى أن لا يبقى من وقتها إلا مقدار ثلاث ركعات، وتعجيل العشاء في أول وقتها، ورد بأن ذلك فيه حرج وضيق، وقد صرح ابن عباس راوي الحديث بخلافه، وقال بهذا القول بعض المالكية ونظمه بعضهم فقال:

1 محمود سعد ناصح: موقف الخميني من الشيعة والتشيع. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المغرب. ص 41

2 رواه مسلم 522

3 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 220

4 رواه مسلم 522

5 المصدر السابق. ص 225

6 الهلالي: أوقات الصلاة عن النبي ﷺ. ص 10

7 لم أعره عليه بهذا اللفظ، وفي صحيح البخاري: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «جمع النبي ﷺ بين المغرب والعشاء بجمع كل واحدة منهما بإقامة ولم يسح بينهما ولا ولا على إثر كل واحدة منهما.» 1589

- وقت صلاة العشاء:

قال الهلالي: «صلاة العشاء يدخل وقتها عند مغيب الحمرة التي تبقى في ناحية المشرق بعد غروب الشمس، وتسمى الشفق، وهذا مذهب جمهور الأئمة، وقالت الحنفية حين يزول البياض الذي يعقب الحمرة وهو خطأ، لأن العرب تقول: ثوب أحمر كالشفق.»²
وقال: «الحنفية يزعمون أن البياض الذي يكون بعد الحمرة هو الشفق، ولم يوافقهم على ذلك أحد؛ لا من أهل اللغة ولا من أهل الحديث.»³

فسبب الاختلاف بين الجمهور والحنفية التنازع في معنى الشفق هل هو البياض أم الحمرة؟
أما أثره: الاختلاف في نهاية وقت صلاة المغرب وبداية وقت صلاة العشاء.
فالشفق عند الحنفية: البياض الذي بعد الحمرة، وهو عند الجمهور: الحمرة.

وقد روى أهل اللغة أن الشفق هو الحمرة؛ قال الخليل: «الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء.»⁴، وقال ابن دريد: دريد: «الشفق: التّداؤة التي في السماء عند غروب الشمس؛ وهي الحمرة.»⁵
فالصحيح هو مذهب الجمهور، وبناء عليه: يمتد وقت المغرب إلى مغيب الحمرة، وبها يبدأ وقت العشاء، وهو ما رجحه الهلالي.

يتفرع على كون مفهوم الصفة والشرط حجة، أي يدلان على نفي الحكم عند انتفاء الصفة والشرط تفسير الهلالي لقوله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها، فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها.»⁶؛ قال الهلالي: «من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها ولا إثم عليه، وليست قضاء بل هي أداء، أما من تركها عمدا حتى خرج وقتها فلا ينفعه قضاء.»⁷؛ فالهلالي هنا عمل بمفهوم الحديث وذهب إلى أن التارك عمدا لا يقضي⁸.

ت-الأذان:

يتفرع على مسألة أقل الجمع أهو اثنان أم ثلاثة أن الجماعة في الصلاة هل تبدأ من اثنين أو ثلاثة؟
والذي ذكره الهلالي أن أقل الجمع ثلاثة، إلا أن الجماعة في الصلاة تبدأ من اثنين، وهو معنى الجمع لغة، قال الهلالي: «يجب الأذان على كل جماعة اثنين فصاعدا، وكذلك الإقامة في الحضر والسفر، دليله: عن مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﷺ أنا وابن عم لي، فقال: «إذا سافرتما فأذنا وأقيما وليؤمكما أكبركما.»⁹»¹⁰
وفي الحديث أمر رسول الله ﷺ للثنتين بالأذان والإقامة وصلاة الجماعة.

ولأن العرب لا تقف على متحرك؛ قال الهلالي: «ألفاظ الأذان مسكنة الأواخر موقوفة.»¹¹

1 الهلالي: مفتاح التنفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التنفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 271

2 الهلالي: أوقات الصلاة عن النبي ﷺ. ص 10

3 الهلالي: مفتاح التنفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التنفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 283

4 الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين. 5 / 45

5 ابن دريد: جمهرة اللغة. ص 874

6 رواه مسلم 684

7 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. ص 25

8 انظر: ابن خطيب الدهشة: مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي. ص 130-131-132

9 رواه البخاري 628-630-658، ومسلم 674

10 الهلالي: مفتاح التنفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التنفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 287-288

11 المصدر نفسه. ص 294

ث- ستر العورة:

قال الهلالي: «ستر العورة مع القدرة شرط في صحة الصلاة»¹، ومن الخطاب الديني الخاص بالنساء: عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار»²؛ قال الهلالي: «المراد بالحائض هنا من بلغت المحيض من الفتيات، والخمار ما تغطي به المرأة رأسها وعنقها قال الله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31]»³

ج- المساجد:

المسجد اسم مكان؛ وهو مكان السجود، والجمع: المساجد؛ قال الهلالي: «المساجد: معابد المسلمين»⁴ وما تصان عنه المساجد البيع والشراء ونشدان الضالة؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك.»؛ قال الهلالي: «من رأى رجلاً يبيع أو يبتاع في المسجد، فليقل له: لا أربح الله تجارتك، ومن نشد ضالة في المسجد فهو ضال، ومن سمعه فليقل: لا ردها الله عليك.»⁶، فالقول هنا حملة الهلالي على حقيقته؛ وهو النطق باللسان.

ح- صفة الصلاة:

- قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة:

الأمر يفيد الوجوب إلا للقرينة تصرفه إلى غيره، وهذا يشمل أوامر الله تعالى في القرآن وفي السنة، وفرق الحنفية بين ما ثبت وجوبه من القرآن وهو الفرض عندهم، وما ثبت وجوبه من السنة وهو الواجب عندهم، ويتفرع على هذه المسألة ما يلي:
قال الهلالي: «قال البخاري في صحيحه: "باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت"»

ثم خرج بسنده إلى جابر بن سمرة قال: «شكا أهل الكوفة سعدا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمارة، فشكوا، حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أحرمت منها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخيرتين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلا أو رجلا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه ويشنون معروفًا، حتى دخل مسجدا لبني عبس، فقام رجل منهم يُقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال: أما إذا نشدنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث؛ اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن، وكان بعدُ إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد. قال عبد الملك: فأنا رأيتُه بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وأنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن»⁷

ثم خرج بسنده إلى أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ فرد وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل»، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل - ثلاثا -»، فقال: والذي

1 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 304

2 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 377. 1/ 218

3 المصدر السابق. ص 305

4 الهلالي: الموازين والضوابط. ص 1

5 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 1321. 2/ 63-64

6 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الخليل. ص 29

7 رواه البخاري 755

بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما ييسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راعكاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها» 1. 2

قال ابن حجر: «قال بوجوب قراءة الفاتحة في الصلاة الحنفية، لكن بنوا على قاعدتهم أنها مع الوجوب ليست شرطاً في صحة الصلاة، لأن وجوبها إنما ثبت بالسنة، والذي لا تتم الصلاة إلا به فرض، والفرض عندهم لا يثبت بما يزيد على القرآن.

وقد قال تعالى: ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: 20] فالغرض قراءة ما تيسر من القرآن، وتعيين الفاتحة إنما ثبت بالحديث فيكون واجباً يأتى من يتركه وتجزئ الصلاة بدونه، وإذا تقرر ذلك لا ينقض عجي ممن يتعمد ترك قراءة الفاتحة منهم وترك الطمأنينة فيصلى صلاة يريد أن يتقرب بها إلى الله تعالى وهو يعتمد ارتكاب الإثم فيها مبالغة في تحقيق مخالفته لمذهب غيره. 3

قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله: «لا ينقض عجي.» من يفرق بين طاعة الله وطاعة الرسول فيجعل طاعة الله تعالى في الدرجة الأولى تبطل بتركها الصلاة ويجعل طاعة الرسول ﷺ في الدرجة الثانية ولا تبطل بتعمد تركها الصلاة، ولم يفرق الله قط بين طاعته وطاعة رسوله ومعصيته ومعصية رسوله. 4

- قراءة الفاتحة للمأموم:

ذكر الهلالي أن قراءة الفاتحة في الصلاة فيها ثلاثة مذاهب:

- الأول: قال الهلالي: «من ترك حرفاً واحداً من الفاتحة ولو في ركعة واحدة سواء أكان إماماً أو مأموماً أو منفرداً فصلاته باطلة، استدل على ذلك الحافظ في الفتح بقول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: «وافعل ذلك في صلاتك كلها» 5، وفي رواية لأحمد وابن حبان: حبان: «ثم افعَل ذلك في كل ركعة»، واستدل به البخاري على وجوب قراءة الفاتحة على المأموم سواء أسر الإمام أو جهراً. 6
- الثاني: قال الهلالي: «واستدل من أسقطها عن المأموم مطلقاً كالحنفية بحديث: «من صلى خلف الإمام فقراءة الإمام له قراءة» 7، لكنه حديث ضعيف عند الحفاظ، وقد استوعب طرقه وعلله الدارقطني وغيره. 8
- الثالث: قال الهلالي: «واستدل من أسقطها عنه في الجهرية كالمالكية بحديث: «وإذا قرأ فأنصتوا» 9، وهو حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري. 10

القول المختار عند الهلالي:

قال الهلالي في التعقيب على القول الثالث: «لا دلالة فيه لإمكان الجمع بين الأمرين فينصت فيما عدا الفاتحة أو ينصت إذا قرأ الإمام ويقرأ إذا سكت، وعلى هذا فيتعين على الإمام السكوت في الجهرية ليقراً المأموم لئلا يوقعه في ارتكاب النهي حيث لا ينصت إذا قرأ الإمام، وقد ثبت الإذن بقراءة المأموم الفاتحة في الجهرية بغير قيد وذلك فيما أخرجه البخاري في "جزء القراءة" والترمذي وابن

1 رواه البخاري 757

2 الهلالي: إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 13

3 ابن حجر: فتح الباري. 2/ 242

4 المصدر السابق. ص 16-17

5 رواه البخاري 757

6 الهلالي: إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 17

7 الألباني: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. حديث رقم 500 / 2، 268، ولفظه: «من كان له إمام فقراءته له قراءة.»، قال الألباني: حسن.

8 المصدر السابق. ص 17

9 رواه مسلم 404

10 الهلالي: إعلام الخاص والعام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 17

حبان وغيرهما من رواية مكحول عن محمود بن الربيع عن عبادة «أن النبي ﷺ ثقلت عليه القراءة في الفجر، فلما فرغ قال: لعلمكم تقرؤون خلف إمامكم؟ قلنا: نعم. قال: فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها» 1. 2

واختار القول الأول؛ قال: «روى الحافظ البيهقي بسنده إلى عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب إمام وغير إمام.»

قال محمد تقي الدين: وفي هذه الرواية نص من النبي ﷺ على وجوب قراءة فاتحة الكتاب على كل مصل إماما كان أو مأموما أو منفردا، والحمد لله رب العالمين» 3

ثم قال: «روى الحافظ البيهقي حديث عبادة من طريق محمود بن الربيع وهو من صغار الصحابة من ثمانية طرق بألفاظ متقاربة وكلها تدل على أن عبادة بن الصامت قرأ الفاتحة خلف الإمام فيما يجهر به واحتج على ذلك بما سمعه من النبي ﷺ.

ثم روى الحديث نفسه باثني عشر طريقا كلها تثبت أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة في حق الإمام والمأموم والمنفرد بعضها مرفوع متصل وبعضها مرسل وبعضها موقوف، والعمدة على ما تقدم من الطرق الصحيحة وهذه لا تزيدها إلا قوة» 4

وأضاف الهلالي: «ثم روى بسنده إلى أنس قال: إن رسول الله ﷺ صلى بأصحابه فلما قضى صلاته أقبل على القوم بوجهه، وقال: أ تقرؤون في صلاته والإمام يقرأ؟ فسكتوا، فقالها ثلاث مرات، فقال قائل أو قائلون: إنا لنفعل. قال: «فلا تفعلوا وليقرأ أحدكم بفاتحة

الكتاب في نفسه.» احتج به البخاري في جملة ما احتج به في كتاب «القراءة خلف الإمام» فرواه عن يحيى بن يوسف.

ثم روى أحاديث مرفوعة في معنى ما تقدم، وهي ثلاثة وعشرون أكثرها مسند وقليل منها مرسل، وكلها بمعنى ما تقدم، وفي أثناء ذلك قال الحافظ البيهقي ما نصه: «وفي إجماع هؤلاء الرواة الثقات عن عبيد الله بن عمرو على رواية هذا الحديث بتمامه

دليل على تقصير يوسف بن عدي في روايته حيث انتهى بالرواية إلى قوله: «فلا تفعلوا» ولم يذكر ما بعده من الأمر بقراءة فاتحة الكتاب في نفسه، وهو فيما أخبرناه أبو عبد الله الحافظ وذكر السند إلى عبيد الله بن عمر، فذكر بنقصان هذا الاستثناء وهو تقصير منه وسهو

منه فيه وليس من النقصان الذي يتجوزه في الخبر بعض الرواة، فإنه يغير الحكم الذي هو مقصود صاحب الشريعة ﷺ بالنهي عن القراءة خلف الإمام واستثناء قراءة الفاتحة سرا في نفسه ومثل هذا النقصان لا يجوز بحال وبالله التوفيق.»

قال محمد تقي الدين: وإذا شذ أحد الرواة فترك الاستثناء فالحجة في رواية الجم الغفير والشاذ يطرح» 5

وعن أبي السائب مولى هشام بن زهرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن؛ فهي خداج، فهي خداج، فهي خداج، غير تمام»

قال: فقلت: يا أبا هريرة! إني أكون أحيانا وراء الإمام؟! قال: فغمز ذراعي، وقال: اقرأ بها يا فارسي! في نفسك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل.» قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا، يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾ يقول الله: حمدني عبدي، يقول العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾

يقول الله: أثنى علي عبدي، يقول العبد: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٣﴾ يقول الله: مجدي عبدي، يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ تَعَبَّدُ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ﴾ ﴿٤﴾ فهذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٦﴾ [الفاتحة: 6 - 7] فهو لاء لعبدي ولعبدي ما سأل» 6

1 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 312 / 1. 185

2 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 17

3 المصدر نفسه. ص 21 - 22

4 المصدر نفسه. ص 22

5 المصدر نفسه. ص 23

6 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 821 / 1. 231 - 232

وخلص الهلالي إلى القول: «قراءة فاتحة الكتاب ركن في كل ركعة في الفريضة والنافلة لا تتم الصلاة إلا بها.»¹

القول المختار:

قال الهلالي: «روى بسنده إلى أبي عياض عن أبي هريرة قال: كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: 204]

ثم روى بسنده إلى ابن عباس في هذه الآية ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَهُ ﴾ قال: نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة وفي الخطبة يوم الجمعة وفي العيدين فنهوا عن الكلام في الصلاة.»²

ذكر الهلالي أن أبا هريرة رضي الله عنه هو أحفظ من روى الحديث في دهره روى هذا الحديث بتامه مقيدا ومفسرا بذكر ما كانوا يفعلون في الصلاة قبل نزول هذه الآية حتى نزلت في النهي عن ذلك فوجب المصير إليه والاقتصار عليه، ثم قال: «دون السكوت عن القراءة التي وجبت بأصل المشرع في الصلاة مع إمكان الجمع بين قراءتها والاستماع لقراءة الإمام.»³ وعرف الإنصات المأمور به في الآية بقوله: «الإنصات في اللغة هو السكوت، وإنه في عرف الشريعة لا يطلق إلا على السكوت وترك النطق أصلا؛ فقد وردت أخبار صحيحة في إطلاق اسم الإنصات والإسكات على ترك الجهر دون الإخفاء، وعلى ترك كلام الناس دون الذكر في النفس.»⁴ أي أن الإنصات يكون مع القراءة في السر.

في حين ذهب الإمام الألباني إلى أن القراءة وراء الإمام في الجهرية نسخت؛ قال الألباني: «كان قد أجاز للمؤمنين أن يقرؤوا بها وراء الإمام في الصلاة الجهرية حيث كان في صلاة الفجر فقراً فثقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: لعلمكم تقرؤون خلف إمامكم. قلنا: نعم هذا يا رسول الله! قال: لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها.

ثم نهاهم عن القراءة كلها في الجهرية، وذلك حينما «انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة، فقال: «هل قرأ معي منكم أحد أنفا؟!»، فقال: رجل: نعم؛ أنا يا رسول الله! فقال: إني أقول ما لي أنزع؟! فأنتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ» وجعل الاستماع له مغنيا عن القراءة وراءه فقال: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»⁵ ⁶ فيبقى وجوب القراءة في السرية دون الجهرية.

- إدراك الركعة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجدوا فاسجدوا ولا تعدوها شيئا ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة.»⁷

قال الهلالي: «حديث أبي هريرة سكت عنه أبو داود، ثم المنذري في مختصره، وفيه يحيى ابن أبي سليمان المدني،⁸ قال أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في "جزء القراءة": ويحیی هذا منكر الحديث روى عنه أبو سعيد مولى بني هاشم وعبد الله بن رجاء البصري مناكير، ولم يتبين ساعه من زيد ولا من ابن المغيرة ولا تقوم به الحجة.»⁹

1 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطلان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 35

2 المصدر نفسه. ص 27

3 المصدر نفسه والصفحة

4 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطلان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 27 - 28

5 حسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. حديث رقم 500. 2 / 268

6 الألباني: صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها. ص 98-99-100

7 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم 893. 1 / 251-252

8 قال ابن حجر: «يحيى بن أبي سليمان المدني، أبو صالح لئن الحديث.» تقريب التهذيب. ترجمة رقم 7615. ص 1057، وهذا الحديث حسنه الألباني لشواهد المرفوعة والموقوفة.

9 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطلان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 30

قال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في كتابه "عون المعبود شرح سنن أبي داود" ما نصه: «ونحن سجود» جمع ساجد والجملة حالية، «فاسجدوا» فيه مشروعية السجود مع الإمام لمن أدركه ساجدا، «ولا تعدوها شيئا» بضم العين وتشديد الدال أي لا تحسبه شيئا والمعنى: وافقوه في السجود ولا تجعلوا ذلك ركعة، «ومن أدرك الركعة» قيل المراد به ههنا الركوع فيكون مُدرك الإمام راكعا مدركا لتلك الركعة، وفيه نظر لأن الركعة حقيقة لجمعها وإطلاقها على الركوع وما بعده مجاز لا يصار إليه إلا لقريظة كما وقع عند مسلم من حديث البراء بلفظ: «فوجدت قيامه فركعته فاعتداله فسجدته»، فإن وقوع الركعة في مقابلة القيام والاعتدال والسجود قريظة تدل على أن المراد بها الركوع، وههنا ليست قريظة تصرف عن حقيقة الركعة فليس فيه دليل على أن مدرك الإمام راكعا مدرك لتلك الركعة. 1

وبناء على هذا كتب الهلالي: «من أدرك الإمام راكعا وفاتته قراءة الفاتحة والقيام لها لا يعتد بتلك الركعة». 2

خ- لا يجوز الكلام في الصلاة:

قال الهلالي: «لا يجوز الكلام في الصلاة، دليله: عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة؛ يُكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقَوْمًا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ [البقرة: 238]؛ أمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام». 3
وقال: «لا يرد المصلي السلام إلا بالإشارة... دليله: عن ابن عمر قال: «قلت لبلال كيف كان رسول الله ﷺ يرد عليهم حين يسلمون عليه وهو في الصلاة؟ قال: يشير بيده. 5». 6

د- صلاة الجماعة:

أقل الجمع عند الهلالي ثلاثة، إلا أن قرر أن صلاة الجماعة تتعقد باثنين بناء على قول رسول الله ﷺ لمالك بن الحويرث وابن عم له: «إذا سافرتما فأذنا وأقيما وليؤمكما أكبركما». 7 «8؛ قال الهلالي: «يحصل فضل الجماعة باثنين». 9

ذ- صلاة المسافر:

قال محمد تقي الدين في شيخ صلي المغرب قصرًا:
أَبَا الْعِلْمِ إِنَّ الْعِلْمَ عَنْكَ بِمَعْرَلٍ
وَلَمْ تَرَفِي فِي أَرْضِ الْمَغَارِبِ قَاصِرًا
فَقَصِرَ الصَّلَاةُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الرَّبَاعِيَةِ.

- مسافة القصر:

ينبغي على قاعدة تقييد المطلق لا يكون إلا بالشرع ما يلي:

قال الهلالي: «متى انفصل المسافر البدوي عن حيه أي: مجموعة الخيام التي يسكنها قومه، أو عن قريته وبساتينها المحيطة بها إن كان قرويا، وعن مدينته إن كان من سكان المدن، وإن كانت كبيرة كلندن ونيويورك؛ متى انفصل على نية أن يسير ثلاثة أميال-الميل اثنا

1 الهلالي: إعلام الخاص و العام ببطان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. ص 28-29

2 المصدر نفسه. ص 35

3 رواه البخاري 4534، ومسلم 539

4 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 472

5 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 368. 1/ 213-214

6 المصدر السابق. ص 479

7 رواه البخاري 628-630-658، ومسلم 674

8 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 287-288

9 المصدر نفسه. ص 598، 607

10 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 103

عشر ألف قدم، وقيل: ألف باع - صلى الرباعية ركعتين حتما، وأفطر في رمضان إن شاء الله، ويسمى ذلك سفرا لغة وشرعا. 1
وقال: «إن الإقامة تطلق ويراد بها الاستيطان غير المحدود، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: 80]، وقالت العرب: «مناظعن ومنا أقام»، أي بعضنا سافر وبعضنا لم يسافر، فالإقامة غير المحدودة والاستيطان معناهما واحد، وتطلق الإقامة على الفترة التي تعرض للمسافر أثناء سفره للاستراحة أو لإصلاح آلة يتوقف عليها سفره في البر والبحر، كإصلاح سفينة مثلا في الزمان الماضي، وإصلاحها وإصلاح سيارة وطائرة وغيرها في الزمان الحاضر، وهذه الإقامة الطارئة المؤقتة المحدودة لا ترفع عن المسافر اسم السفر ولا تقطع حكمه، سواء أكانت ساعة أم ساعات أم شهورا أم سنين حتى ينوي الاستيطان غير المحدود كما نواه في وطنه الأصلي. 2

وقال: «ما شرعه الله ورسوله مطلقا لا يجوز تقييده إلا بنص من الوحي صريح لأن التقييد شرع والشرع خاص بالله تعالى وتبليغه خاص بالنبي ﷺ، وقد أطلق الله ورسوله القصر في صلاة السفر ولم يقيد مسافته ولا نهايته بإقامة طارئة في أثناءه فلا يجوز لأحد أن يقيد ذلك برأيه ولا برأي غيره. 3

وأشار الهلالي إلى أقل ما قيد به السلف السفر وأكثره؛ فقال: «اختلف السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين في مسافة القصر اختلافا كثيرا؛ أكثره يزيد على مائة وخمسين ميلا (150)، وأقله ميل واحد. 4»، والذي رجحه الهلالي قول أنس: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين. 5

قال الهلالي: «المراد من قوله إذا خرج: إذا كان قصد مسافة هذا القدر، لا أن المراد أنه كان إذا أراد سفرا طويلا فلا يقصر إلا بعد هذه المسافة، وقوله: «أميال أو فراسخ» شك فيه شعبة. 6

وحدد الفرسخ فقال: «هو ثلاثة أميال وهو فارسي معرب. 7

أما مقدار الميل، فقال الهلالي: «وجدت في كلام السلف ما يدل على أن الميل ألف وخمسمائة (1500) متر، لأنهم نصوا على أن المسافة بين جدة ومكة أربعون ميلا، وهي محصاة الآن ومعلومة فهي ستون كلمترا. 8

- حكم قصر الصلاة في السفر:

من الألفاظ الدالة على الوجوب "فرض"، يتفرع عليها المسألة التالية:

عن عائشة أم المؤمنين قالت: «فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر - والسفر، فأقوت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر. 9

قال محمد تقي الدين الهلالي: «في الحديث دليل على وجوب القصر في السفر، لأن فرضت بمعنى وجبت، ووجوبه مذهب الحنفية وغيرهم وقال الشافعي وأحمد وجماعة: إنه رخصة، والتام أفضل. 10

1 الهلالي: مفتاح التفقه الأصول، ومعه شفاء العليل في تحريج أحاديث مفتاح التفقه الأصول، لعبد القادر منير. ص 684

2 الهلالي: الصبح السافر في حكم صلاة المسافر. 27-28

3 المصدر نفسه. 24-25

4 الهلالي: مفتاح التفقه الأصول، ومعه شفاء العليل في تحريج أحاديث مفتاح التفقه الأصول، لعبد القادر منير. ص 687

5 رواه مسلم 1615

6 المصدر السابق. ص 688

7 المصدر نفسه. ص 689

8 المصدر نفسه. ص 688

9 رواه البخاري 350، ومسلم 685

10 الهلالي: الصبح السافر في حكم صلاة المسافر. ص 9، وقال: «أئمة الإسلام قد اختلفوا في هذه المسألة، فهي رخصة أو عزيمة؛ فالذين قالوا أنها عزيمة اختلفوا في قصر الرباعية أ هو فرض، أم سنة مندوب إليها؟، والذين قالوا إن القصر رخصة، اختلفوا أيضا في وجوب قبول هذه الرخصة وجوازه. ص 8

ر- صلاة الجمعة:

قال الهلالي: «تجب على كل جماعة يسكنون قرية، ولا دليل على تحديدهم بعدد دليhle: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجوآثى يعني: قرية من البحرين.» 1»

وينبني على مسألة أقل الجمع ما يلي:

قال الهلالي: «إن أقل من تصح بهم الجمعة أربعة مع الإمام ذكور أحرار مقيمون غير مسافرين وهو قول الأزاعي، دليhle: إن الجمعة مأخوذة من الجمع وأقل الجمع ثلاثة،

وإن الإمام يقول: أيها الناس، ولا يقول: أيها الرجال، فوجب أن يكون المستمعون ثلاثة فأكثر،

ولا يوجد دليل عن النبي ﷺ في تحديد عدد من تصح بهم الجمعة وتجب عليهم،

وقال أبو حنيفة: لا تصح إلا في مصر لا في قرية،

وذهبت الشافعية والحنابلة إلى اشتراط أربعين رجلا، فيقال لهم: إن هذا كان مصادفة فقط، وما يدرينا أن لو كانوا تسعة وثلاثين أو

أقل من ذلك لم يصلوا الجمعة،

وقالت المالكية: أقل من تجب عليهم الجمعة وتصح بهم إثنا عشر رجلا، واحتجوا بما رواه البخاري أن عدد الذين بقوا مع النبي

ﷺ ولم ينفصوا عنه حين جاءت القافلة من الشام كان اثني عشر رجلا منهم الخلفاء الراشون الأربعة، وهو مردود بما تقدم من أنه كان

مصادفة، ولم يشترطه النبي ﷺ،

وكون الجمعة تصح بأربعة مع الإمام وتجب عليهم هو مذهب الأزاعي، ولا بد أن يكون هؤلاء الأربعة ساكنين في بيوت من

حجر أو طين أو خشب أو غير ذلك لا في خيام.» 3

ومن أثر السياق اللغوي في فقه دلالة اللفظ قول الهلالي: «من السنة الاجتهاد في الدعاء... دليhle: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

ذكر يوم الجمعة، فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي؛ يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها.» 4

يقللها: أي يبين قصرها، وليس المراد بالساعة ستين دقيقة، وإنما هو جزء من الزمان غير محدود.» 5

وقال ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم.» 6؛ قال الهلالي: «لفظ اليوم المذكور في الحديث يشمل الزمان من الفجر إلى

صعود الإمام على المنبر.» 7

أما الكلام في الجمعة، فقرر الهلالي: «يحرّم الكلام ويبطل به فضل الجمعة، دليhle: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا

قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت.» 8» 9

وينبغي أن يخاطب الناس بما يفهمون، دليhle: قول النبي ﷺ: «خاطبوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله.» 10

1 رواه البخاري 852، وأبو داود 1068 واللفظ له، انظر: الألباني: صحيح سنن أبي داود. 1/ 294

2 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 704

3 المصدر نفسه. ص 771-772، وقال: «ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري في عدد من تصح بهم الجمعة وتجب عليهم خمسة عشرة قولاً، اخترت منها هذا القول، وهو قول الأزاعي إن أقل من تصح بهم الجمعة أربعة مع الإمام ذكور أحرار مقيمون.» ص 769

4 رواه البخاري 935، ومسلم 852

5 المصدر السابق. ص 718

6 رواه البخاري 879-895 ومسلم 846.

7 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 707

8 البخاري 934، ومسلم 851

9 المصدر السابق. ص 756

10 رواه البخاري 127

قال تقي الدين الهلالي: «أما أن تكون الخطبة بالعجمية كما يفعله أهل الحديث في الهند وباكستان فهذا لا يجوز لأنه خلاف عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين فإنهم فتحوا بلاد فارس وبلاد السريانيين في العراق والشام وبلاد الأكراد، وبلاد مصر والمغرب الأكبر من مصر إلى آخر شنقيط ولا أسميها موريطانيا لأنه اسم استعماري، فعلموا الناس لغة القرآن والرسول ﷺ حتى صاروا يفهمون كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ وخطب الجمعة والأعياد بلا ترجمان وبقي الإسلام يسير على لغة القرآن في جميع بلدان الإسلام، ومن فضائل الممالك في المغرب الأكبر، كالمرابطين والموحدين وبني مرين أنهم لم يختلفوا عن العرب السابقين في نشر الإسلام بلغة الرسول ﷺ في بلادهم وفي بلاد الأندلس، وخلفوا لنا ثروة عظيمة من كتب الأدب العربي زيادة على كتب الدين.

أولئك أسلافنا في فجننايهم بمثلهم إذا جمعتنا يا جريير المجمع

ولو أباح الإسلام لأهل كل لغة أن يترجموا كتب الإسلام بلغتهم ويستغنوا عن لغة القرآن لم يبق الإسلام ديناً واحداً بل يصير مئات الأديان، وقد بسطت القول في هذا المعنى في موضع آخر لا أستطيع إثباته هنا لطوله، فعسى الله أن يوفق أهل الحديث الأتراك وغيرهم من الشعوب التي تهمل لغة القرآن وتظن أنها على صواب عسى الله أن يوفقهم للرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح، لكن إذا عزموا على نشر لغة القرآن فلا بأس أن يترجموا خطب الجمعة لقومهم بلغاتهم مع الجد والاجتهاد في تعليمهم لغة القرآن» 1

3- إيتاء الزكاة:

قال الهلالي معرفاً الزكاة في اللغة: «الزكاة: الطهارة والنماء.» 2

وفي اصطلاح الشريعة؛ قال الهلالي: «الزكاة فرض على كل مسلم ملك نصاباً دار عليه الحول، وإن كان يتيماً، ويتولى إخراجها وليه.» 3، فلا يشترط التكليف في خطاب الوضع 4.

أ- زكاة المواشي:

يتفرع على الاحتجاج بمفهوم المخالفة عند الهلالي إسقاط الزكاة عن المعلوفة؛ فعن أنس أن أبا بكر كتب لهم فرائض الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، قال: «في صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين شاة...، وإذا كانت سائمة الرجل ناقصة عن أربعين شاة واحدة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها.» 5؛ قال الهلالي: «زكاة الغنم إنما تجب في السائمة، وهي التي ترعى بنفسها لا المعلوفة.» 6

وقال الهلالي أيضاً: «لا شيء في سائمة البقر ما لم تبلغ ثلاثين.» 7

ب- زكاة الزرع والثمار:

قال الهلالي: «اختلف الأئمة رحمهم الله فيما تجب فيه الزكاة من ذلك، وهل لا بد له من نصاب أم لا، والذي نختاره من ذلك ما حكاه عياض عن داود وسكت عليه الحافظ، بل أشار إلى استحسانه، وهو أنها تجب في جميع ما يقتات به الإنسان، وإن لم يدخر.» 8؛ فكان الهلالي عمل بعموم قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: 103].

1 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 751

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 79

3 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. ص 62

4 ابن خطيب الدهشة: مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي. ص 218

5 رواه البخاري 1448-1450-1451-1453

6 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. ص 63

7 المصدر نفسه. ص 64

8 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. ص 64-65

ت - من تصرف إليه الزكاة:

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِقُوا وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: 272]: «قال أبو عبد الرحمن النسائي بسنده: عن ابن عباس، قال: «كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا، فرخص لهم» 1. قال محمد تقي الدين الهلالي: «الرضخ: هو العطاء القليل، وفي هذا الزمان قلب معناه جهال الكتاب، فصاروا يقولون: رضخ له، يعني أذعن وخضع له، وهذا زمان محنة اللغة العربية وشقائها بالمتكلمين بها، وفي هذا الحديث دليل على جواز الإحسان إلى الكافر إذا كان قريبا، وكذلك إذا كان بعيدا، قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨١﴾﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ أَن تُولَّوهُمْ وَمَن يُولَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩١﴾﴾ فعلى هذا يجوز الإحسان إليه.

ثم قال ابن كثير بسنده إلى ابن عباس عن النبي ﷺ: «إنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلى آخرها، فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين» 2. قال محمد تقي الدين: وهذا كله في صدقة التطوع، أما الزكاة المفروضة فقد بين الله تعالى من تصرف لهم في سورة التوبة، فلا يعطاها الفقير الكافر إلا إذا كان من المؤلفة قلوبهم، لقول النبي ﷺ في حديث معاذ حينما بعثه إلى اليمن: «ثم أخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» 3 أي على فقراء المسلمين. 4 وهنا يظهر أثر معرفة سبب النزول في فقه الخطاب وما فيه من الأحكام والحكم. 5

وما يختص به رسول الله ﷺ وآل بيته حرمة الصدقة عليهم؛ قال الهلالي: «تحرم الصدقة فريضة كانت أم نافلة على بني هاشم...، دليله: عن أبي هريرة قال: أخذ الحسن بن علي تمر من تمر الصدقة في فيه، فقال رسول الله ﷺ: «كخ كخ ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟» متفق عليه، ولمسلم: «إننا لا نأكل لنا الصدقة» 6. وأخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة من "صحيحه" 8 عن يزيد بن حبان قال: «انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه قال له حصين: «لقد لقيت يا يزيد خيرا كثيرا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي! والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعني من رسول الله ﷺ؛ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بقاء يدعى "خما" بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد؛ ألا أيها الناس إنما أنا بشر، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به؛ فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، وأذكركم الله في أهل بيتي. فقال حصين: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. وقال: من هم؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.» 9

1 تفسير ابن كثير. 1/ 703

2 المرجع نفسه. 1/ 704، قال مشهور حسن: إسناده صحيح.

3 رواه مسلم 19

4 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 244-245

5 المصدر نفسه. 1/ 245-246

6 رواه البخاري 1485-1491-1069 مسلم

7 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 1006

8 رواه مسلم. 2408

9 الهلالي: الحسام الماحق لكل مشرك ومناق. ص 123-124

قال الهلالي: « الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنهم، وقد جمعهم بعض العلماء في بيت واحد فقال: علي وعباس، عقیل وجعفر وحزمتهم آل النبي بلا نكر وهوؤلاء هم الذين تحرم عليهم الزكاة في مذهب مالك رحمه الله ويرى الشافعي زيادة بني المطلب. »¹

4- صوم رمضان:

قال الهلالي: « الصوم: في اللغة هو الإمساك عن أي شيء، وفي الشرع هو الإمساك عن الطعام والشراب ومباشرة النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في أيام رمضان، إلا المريض والمسافر فإنهما يفطران ويقضيان ما أفطراه من الأيام. »²
ومما يتفرع على تعريف القول قول الهلالي: « يجب على الصائم أن يحفظ لسانه من الشتم والقول القبيح واللغو، فإن سابه أحد فليقل إني صائم، دليله: عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن شاتمته أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم أحدكم أطيّب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر، وإذا لقي ربه فرح بصومه. »³ 4
فالقول عند الهلالي لا يطلق إلا على اللساني وهو اللفظ، ولا يطلق عنده على المعنى القائم بالنفس.

ومما يختص به رسول الله ﷺ الوصال؛ قال الهلالي: « يحرم الوصال... إلخ، دليله: عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « لا تواصلوا فأياكم أراد يواصل فليواصل حتى السحر، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله! قال: إني لست كهياتكم، إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني. »⁵ 6

ومن دلالة السياق اللغوي معنى الخيط في قوله تعالى: ﴿ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187]؛ قال الهلالي: « لا يجوز صيام شيء من الليل... إلخ، دليله: قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: 187]

قلت: لما نزلت هذه الآية كان الرجل إذا أراد الصوم ربط أحداهم في رجله الخيط الأسود والخيط الأبيض فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رأيها فأنزل الله بعد ذلك: ﴿ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ فعلموا إنها يعني بذلك الليل والنهار. »⁷ 8

ومن أثر معرفة الناسخ والمنسوخ قول الهلالي: « يجوز للشيخ والشيخة والحامل والمرضع إذا شق عليهم الصيام أن يفطروا، ويعطوا الفدية وهي إطعام مسكين على كل يوم، وعلى الحامل والمرضع القضاء، ولا قضاء على الشيخ والشيخة لاستمرار عجزهما، دليله: عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ [البقرة: 184] قال ابن عباس: « ليست بمنسوخة، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا. »⁹ 10

1 الهلالي: ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلاله الحسن الثاني أيده الله إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها؟ ص 74

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 79

3 رواه البخاري 1904، ومسلم 1151

4 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 1029

5 رواه البخاري 1963

6 المصدر السابق. ص 1039

7 انظر صحيح البخاري 1917، وصحيح مسلم 1091

8 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 1041

9 رواه البخاري 4505

10 المصدر السابق. ص 1047

وفي رواية أبي دود قال: «عن ابن عباس: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ [البقرة: 184] فكان من شاء منهم أن يفتدي بطعام مسكين افتدى، وتم له صومه، فقال الله ﷻ: ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: 184]، وقال: ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الثَّمَرَةَ فَلْيَصُصْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: 185]»¹

وأخرجه النسائي عن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ﴾ [البقرة: 184] قال: «يطيقونه: يُكَلِّفُونَهُ، فدية طعام مسكين واحد، ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ طعام مسكين آخر، ليست بمنسوخة، ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: 184] لا يرخص في هذا إلا للذي لا يطيق الصيام أو مريض لا يشفى»²

أما المريض الذي يرجى شفاؤه والمسافر، فقال الهلالي: «يجب عليه قضاء ما أفطر من الأيام، دليله قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: 185] قلت: هذا على الذي يرجى شفاؤه.

أما إن كان مرضه مزمنًا ولا يستطيع أن يصوم فعليه أن يطعم مكان كل يوم مسكينًا»³

5 - حج البيت:

قال ابن خطيب الدهشة: «أصله في اللغة: القصد، ويقال: القصد للزيارة، ويقال: للشيء المعظم.

وفي الشرع: الإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق إن جعلناه نسكا»⁴

- الوقوف بعرفة:

قال محمد تقي الدين: «من صبح الحصر: «الحج عرفة»، أي: أهم أركانه الوقوف بعرفة؛ فمن وقف بها أمكنه أن يتدارك كل ما فاته من مناسك الحج ومن فاته الوقوف بها فقد فاتته الحج في تلك السنة»⁵

- طواف الإفاضة:

قال الهلالي: «لا يصح الطواف إلا بوضوء وستر عورة»⁶

- السعي بين الصفا والمروة:

قال الهلالي: «إذا قضى طوافه يأتي مقام إبراهيم ويقول: ﴿ وَأَنْجِدُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: 125]، ثم يصلي فيه ركعتين؛ يقرأ في كل ركعة بالفاتحة ويقرأ بعدها ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الكافرون: 1] في الأولى و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ [الإخلاص: 1] في الثانية، يجهر فيهما بالقراءة، ثم يخرج إلى الصفا من باب الصفا فإذا وصلها صعد عليها واستقبل البيت، ثم يقول: «أبدأ بما بدأ الله به لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»، ثم يدعو بما شاء ثم يعيد التهليل، ثم يدعو، يفعل ذلك ثلاث مرات، ثم ينزل ويمشي إلى المروة فإذا حاذى العلم الأخضر هرول حتى يجاذي العلم الآخر وهما عن يمينه ثم يمشي إلى المروة ويصعد عليها ويقول مثل ما قال على الصفا وقد تم الشوط الأول، ثم يتم سبعة أشواط كالأول يكون انتهاؤها عند المروة فإذا كان محرماً بالعمرة وحدها يقصر رأسه والمرأة تأخذ شيئاً قليلاً من شعر رأسها وقد انتهت العمرة فيلبس ثيابه ويصير حلالاً»⁷

1 الألباني: صحيح سنن أبي داود. حديث رقم. 2316 / 2 / 48

2 الألباني: صحيح سنن النسائي. حديث رقم 2316 / 2 / 144

3 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 1046

4 ابن خطيب الدهشة: مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي. ص 229 باختصار وتصرف يسير.

5 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 84

6 الهلالي: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الخليل. ص 75

7 الهلالي: دليل الحاج الحنيف. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. 1369 هـ. ص 13-14

الفريخ! إن المسلم إذا تزوج يهودية أو نصرانية يؤمن برسالتها، ويقدر كتبها، ويحترم دينها، لأنه لو طعن في رسلها وكتبها لكفر بالإسلام، أما اليهودي والنصراني، فإنه كافر بمحمد ﷺ وبالقرآن فهو إنما يعيش معها على المداينة والخداع لو تزوجها. 1
قال ﷺ: «لا نكاح إلا بولي». 2

قال الهلالي: «ثبت عن النبي ﷺ من حديثه، ومن دلالة كتاب الله، أنه لا يصح نكاح بلا ولي، وقالت الحنفية: يجوز للمرأة أن تزوج نفسها». 3؛ فالهلالي هنا يحمل الحديث على نفي الصحة لا التمام، وهو خبر بمعنى الطلب.

من موانع الاحتجاج بمفهوم المخالفة معارضة النص؛ قال الهلالي: «ذهب أحمد والشافعي وإسحاق إلى أن للأب إجبار ابنته البكر البالغة على النكاح عملاً بمفهوم: «الثيب أحق بنفسها». فإنه دل أن البكر بخلافها وأن الولي أحق بها ويرد بأنه مفهوم لا يقاوم المنطوق». 4

وقال محمد علي فركوس: «ما يذهب إليه الجمهور من أن للأب إجبار ابنته البكر البالغة على الزواج، استدلالاً بمفهوم الصفة في قوله ﷺ: «الثيب أحق بنفسها من وليها»، فإن مفهومه أن غير الثيب لا تكون أحق بنفسها، فيكون وليها أحق منها، لذلك كان له أن يجبرها، وخالف في ذلك أبو حنيفة حيث إنه لم ير للأب ولاية الإيجار على ابنته البكر البالغة، لأن مفهوم المخالفة ليس عنده حجة». 5

ورد هذا القول الهلالي بقوله: «يرد بأنه مفهوم لا يقاوم المنطوق». 6، ثم أورد النص الصريح في ذلك فقال: «إنهن إذا كن بالغات سن الرشد لا يتزوجن إلا برضاهن ولا يستطيع أحد أن يكرههن على الزواج بمن لا يرغبن فيه، ودونك الدليل: أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله وكيف إذن؟ قال: «أن تسكت». 7، وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأمر وإذنهما سكوتهما». 8. 9

ومن كتابات القرآن الكريم قول الهلالي في انتقاد التعبير بالجنس 10 عن الجماع: «إن الجماع نفسه كناية، وقد كُنت العرب بعبارات متعددة من هذا الفعل، منها الجماع، ومنها المباشرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُنَّ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: 187]، والمس كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: 237] والإتيان كما جاء في الحديث أن: «من أتى امرأة في دبرها فقد كفر» 11، والعرب ليسوا فقراء في الألفاظ فإن لغتهم أغنى اللغات ولا في الأدب فإنهم سبقوا المستعمرين إليه بقرون، بقرون كثيرة، وإنما ذلك مسخ للغة وخنوع للمستعمرين. نسأل الله العافية». 12

1 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 219-220

2 صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 1101. 1/ 557-558

3 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل. 3/ 214

4 الهلالي: الثقافة التي نحتاج إليها. ص 29، وقال محمد علي فركوس: «البكر يزوجه أبوها من غير استئثار عملاً بإجماع أهل المدينة، وعليه مالك وكذا الشافعي وأحمد رحمهم الله مع اختلاف مأخذهما، أما الأحناف فيقرون وجوب الاستئثار وهو شرط في صحة النكاح.» محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة. ص 308

5 محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. ص 353

6 الهلالي: الثقافة التي نحتاج إليها. ص 29

7 رواه البخاري 5136، ومسلم 1419

8 رواه مسلم 1421

9 الهلالي: الثقافة التي نحتاج إليها. ص 29

10 مشترك لفظي في اللغات الأجنبية بين جنس الإنسان هل هو ذكر أو أنثى، وبين الجماع.

11 الألباني: الصحيحة. حديث رقم 3378. ج 7 / القسم 2 / ص 1128، ولفظه فيه: «من أتى النساء في أعجازهن فقد كفر.»

12 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 21

وأول الهلالي الخوف بالعلم واليقين في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَى نَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنَّ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبِعُوا عَلَيْهِمْ سَكِينًا﴾ [النساء: 34]

قال القرطبي: «قال ابن عباس: تعلمون وتيقنون، وقيل: وهو على بابه.»¹
قال الهلالي: «قوله: «على بابه.» أي الخوف على بابه لا يراد به العلم واليقين، والصواب ما قاله ابن عباس، إذ لا ينبغي للرجل أن يحكم على المرأة بالنشوز بمجرد الظن والوهم، حتى تبين أمارات النشوز، وهو العصيان مأخوذ من النشز وهو الارتفاع، فكأن أحد الزوجين تعالى على الآخر وارتفع عن مستواه، فأساء العشرة، ومنه قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿وَإِذَا قِيلَ أُنْشِرُوا فَأَنْشِرُوا﴾ [المجادلة: 11] أي: قوموا، والنشوز يكون من كل واحد من الرجل والمرأة، كما قال تعالى في هذه السورة نفسها رقم 128: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.²

وقد ذكر مقاتل بن سليمان أربعة أوجه للخوف في القرآن الكريم، قال: «الثالث: الخوف يعني العلم، فذلك قوله في البقرة: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ﴾ [البقرة: 182] يعني: فمن علم، وكقوله فيها: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 229] يعني: علمتم، وقال فيها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: 128] يعني: علمت من زوجها نشوزا، وقال في الأنعام: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَيْنَا رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: 51] يعني: يعلمون.»³

ومن الأسماء المتباينة الحكم والوكيل؛ قال الهلالي في قول الله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 35]: «هذا نص من الله سبحانه بأنها قاضيان لا وكيلان ولا شهدان، وللوكيل اسم في الشريعة ومعنى، وللحكم اسم في الشريعة ومعنى.»⁴

والأمر للوجوب كما مر، ولا يصرف عنه إلا لقرينة؛ قال الهلالي: «اعلم أن الأئمة اختلفوا، هل يجوز للزوج أن يأخذ في الخلع أكثر مما أعطاه من الصداق أو لا؟»⁵

عن ابن عباس «أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكنني أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أتردين عليه حديثه؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: اقبل الحديقة، وطلقها تطليقة.»⁶

وفي رواية أخرى: «قال: تردين حديثه؟ قالت: نعم، فردتها، وأمره يطلقها.»⁷
قال محمد تقي الدين الهلالي: «قوله: «وأمره يطلقها» يبطل قول من قال: إن الأمر في قوله عليه السلام: «اقبل الحديقة وطلقها.» أمر إرشاد وإصلاح، لا أمر وجوب، وهذا عجيب؛ إذ كيف تبغض المرأة زوجها أشد البغض حتى تخاف إن أجبرت على البقاء معه أن تكفر بالله، وترفع أمرها إلى الحاكم، وهو النبي ﷺ، فيأمره بقبول الحديقة التي كانت صداقتها، ويقول له طلقها، ثم يكون ذلك كله

1 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 26

2 المصدر نفسه والصفحة.

3 مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ص 55

4 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 19

5 المصدر نفسه. ص 58

6 رواه البخاري 5273

7 رواه البخاري 5274

إرشادا وإصلاحا لا إلزاما، فإليت شعري أكان يجوز لثابت ابن قيس أن يقول للنبي ﷺ لا أقبل ولا أطلق؟ وهو مُقتضى. قول من قال إن الأمر للإرشاد والإصلاح، ثم جاءت الرواية الأخرى صريحة في الأمر، فلم يبق لم تناول مجال. 1

ومن العام المخصوص ما يلي: قال الهلالي: «ليس في الآية دليل صريح على جواز الزيادة على الصداق، لأن قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: 229] معناه لا حرج على الرجل في أخذ ما أعطته المرأة، ولا حرج على المرأة فيما أعطت زوجها، ومن المعلوم أن لفظ "ما" من ألفاظ العموم يحتمل الصداق ويحتمل أقل منه ويحتمل أكثر منه، وقد خصصته السنة المتقدمة التي صرح النبي ﷺ فيها بعدم الزيادة وكراهتها، وجعل الإمام ابن قدامة الكراهة للتنزيه فيه نظر، فإن الأصل في الكراهة إذا جاءت في الكتاب والسنة أن تكون للتحريم.

ومجموع الأحاديث التي جاء فيها النهي عن أخذ الزيادة حجة ناهضة على المنع من أخذ الزيادة، ولم يصح شيء في معارضتها. 2

7- الأطمعة:

الأمر للوجوب والنهي للتحريم إلا إذا صرفتها قرينة عن حقيقتهما، يتفرع على ذلك الأمر بذكر اسم الله عند الذبح، والنهي عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه؛

وقد ذكر ابن كثير ثلاثة مذاهب في هذه المسألة عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِرُحُونَ إِيَّتَا أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُ لَهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: 121] - المذهب الأول:

قال ابن كثير: «منهم من قال: لا تحل هذه الذبيحة بهذه الصفة، وسواء متروك التسمية عمدا أو سهوا، وهو مروى عن ابن عمر، ونافع مولاه، وعامر الشعبي، ومحمد بن سيرين، وهو رواية عن الإمام مالك، ورواية عن أحمد بن حنبل، واحتجوا المذهب هذا بهذه الآية، ويقولون في آية الصيد: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 4] ثم أكد في هذه الآية بقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ والضمير قيل: عائد على الأكل، وقيل: عائد على الذبح لغير الله، وبالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد، كحديثي عدي ابن حاتم 3 وأبي ثعلبة 4: «إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه، فكل ما أمسك عليك» [وهو] في «الصحيحين» أيضا، وحديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال للجن: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه» 5 رواه مسلم. 6 - المذهب الثاني:

قال ابن كثير: «المذهب الثاني في المسألة: أنه لا يشترط التسمية بل هي مستحبة، فإن تركها عمدا أو نسيانا لا يضر، وهذا مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، وجميع أصحابه ورواية عن الإمام أحمد نقلها عن حنبل، وهو رواية عن الإمام مالك، ونص على ذلك أشهب، وحمل الشافعي الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: 121] على ما ذبح لغير الله، كقوله تعالى: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [الأنعام: 145]. 7

قال الهلالي عن ابن كثير: «وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل الواو في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: 121] حالية أي: لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقا، ولا يكون فسقا حتى يكون قد أهل به لغير الله، ثم ادعى أن هذا متعين، ولا يجوز أن تكون الواو عاطفة، لأنه يلزم فيه عطف جملة اسمية خبرية على جملة فعلية طلبية، وهذا ينتقض عليه بقوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ

1 الهلالي: أحكام الخلع في الإسلام. ص 46-47

2 المصدر نفسه. ص 60-61، وقال الهلالي: «روي عن عطاء عن النبي ﷺ أنه كره أن يأخذ من المختلعة أكثر مما أعطاه». ص 60

3 رواه البخاري 175، ومسلم 1929 واللفظ له

4 رواه البخاري 5478، ومسلم 1930

5 رواه مسلم 450

6 تفسير ابن كثير. 3/ 324، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 362

7 المرجع نفسه. 3/ 324-325، والمصدر أيضا. 1/ 363

لِيُحَوِّنَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ ﴿ [الأنعام: 121] فإنها عاطفة لا محالة، فإن كانت الواو التي ادعى أنها حالية بطل ما قال من أصله، والله أعلم. » 1
- المذهب الثالث:

قال ابن كثير: «المذهب الثالث في المسألة: إن ترك البسملة على الذبيحة نسيانا لم يضر، وإن تركها عمدا لا تحل، هذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك، وأحمد بن حنبل، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه وإسحاق بن راهويه، وهو يحكى عن علي وابن عباس وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمان بن أبي ليلى وجعفر بن محمد وربيعه بن أبي عبد الرحمان. » 2
الترجيح:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «الذي نختاره من هذه الأقوال الثلاثة هو أن الذبيحة إذا ترك ذابحها التسمية سهوا يجوز أكلها، وإن تركها عمدا لا يجوز أكلها. » 3
فالهلالي بنى ترجيحه على أن النهي للتحريم، مع رفع القلم عن الناسي.

ومن حمل كلام السلف على الاصطلاحات الحادثة ما يلي:

قال الهلالي: «استمر الحديث في ذكر ما يأكل من الحيوان حتى ذكر أكل سباع الوحش كالذئب والنمر والأسد، فاندفع الفقيه الطود يسرد ما قاله خليل في مختصره، ومختصر خليل عند المغاربة هو كل شيء؛ هو القرآن والحديث والعلم متى جرى ذكر مسألة فقهية فالسعيد منهم هو الذي يورد عليها نص مختصر خليل وحين يسمع نصه فهو القول الفصل عندهم، فقال الطود: قال صاحب المختصر: «وَكِرَهُ هِرٌّ وَذَيْبٌ وَنَمْرٌ وَأَسَدٌ»، وانطلق بسرعة السهم يسرد مختصر خليل، فسنحت حينئذ فرصة أخرى للكلام، فقلت له: اتقوا الله ولا تكذبوا على مالك! فإنكم أبحتم أكل لحوم السباع مع الكراهة التنزيهية ونسبتم ذلك إلى مالك، ومالك بريء من ذلك فقد روى في موطئه بسنده إلى أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، ثم روى بسنده المتصل إلى أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام.» قال محمد بن الحسن في موطئه عقب هذا الحديث: «بهذا نأخذ؛ يكره أكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، وهو قول أبي حنيفة والعامية من فقهاءنا وإبراهيم النخعي.»
أبعدا يصرح مالك في روايته عن النبي ﷺ أنه قال: «أكل كل ذي ناب من السباع حرام.» تنسبون إليه القول بالإباحة مع الكراهة التنزيهية وتزعمون أنه هو مشهور مذهبه؟! وقد جلبتم بذلك سبة على مذهبكم حتى نسب إليكم خصومكم أنكم تبيحون أكل لحم الكلاب وهم في ذلك صادقون لأن شراح المختصر ذكروا أن الكلاب من جملة السباع. » 4
وتقييد المطلق لا يكون إلا بنص الشرع، يتفرع عليه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة.» 5

قال الإمام عبد الرحمن المباركفوري في شرحه جامع الترمذي: «قد ورد في أحاديث العقيدة لفظ الشاة والشاتين مطلقا من غير تقييد، فإطلاق لفظ الشاة والشاتين يدل على أنه لا يشترط في العقيدة ما يشترط في الضحية، وفيه وجهان للشافعية وأصحابها يشترط، قال الحافظ: وهو بالقياس لا بالخبر.»

قال الهلالي: «لم يثبت الاشتراط بحديث صحيح أصلا بل ولا بحديث ضعيف، فالذين قالوا بالاشتراط ليس لهم دليل غير القياس.» 6

1 تفسير ابن كثير. 3/ 325، والهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 363

2 المرجع نفسه. 3/ 325-326، والمصدر أيضا. 1/ 364

3 المصدر نفسه. 1/ 367

4 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 97

5 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 1513. 2/ 163-164

6 الهلالي: مفتاح التفقه الأصيل، ومعه شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصيل، لعبد القادر منير. ص 1189

8 - البيوع:

من أثر معرفة الناسخ والمنسوخ قول الهلالي: « إن الحنفية استدلووا بمراهنة أبي بكر الصديق مع أبي بن خلف، وعلم النبي ﷺ بذلك وإقراره عليه، وأمره أبا بكر أن يتصدق بما ربحه من الإبل، استدلووا بذلك على جواز القمار وغيره من العقود المحرمة، مع أعداء الإسلام في دار الحرب، ومنع ذلك الشافعية، وأجابوا عن الاحتجاج بفعل أبي بكر أن ذلك كان قبل أن يحرم القمار، وحيث لا حجة فيه على جواز القمار مع المحاربين ولا غيره من المحرمات كالربا، فلا يجوز التعامل بالربا، لا مع المسلمين، ولا مع المسلمين، ولا مع المحاربين، وهذا هو الصحيح لأن المراهنة على ما يظهر كانت في مكة قبل الهجرة، ويؤيد ذلك ما جاء في بعض روايات الحديث أن هزيمة الروم وقعت بعد المراهنة بسبع سنين.

ومن المعلوم أن آية تحريم القمار، وهي قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَسْهَابُ وَالْأَذْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ [المائدة: 90] نزلت بالمدينة، والخمر التي حرمت مع القمار في الآية كانت حلالا عندما قدم النبي ﷺ المدينة، وكانت تشرب ويتجر فيها، ثم حرمت بعد ذلك أولا في أوقات الصلاة بقوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾ [النساء: 43] ثم حرمت بآية المائدة. 1

ومن التأويل الذي لا قرينة عليه تأويل التفرق بانتهاء الكلام في العقد إيجابا وقبولا في قوله ﷺ: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا». 2 وقد ذهب جماهير العلماء والمحدثين ومنهم الشافعي وأحمد إلى القول بثبوت خيار المجلس، بمعنى أنه إذا تطابق الإيجاب والقبول يقع العقد جائزا غير لازم، ويكون لكل من العاقدین الخيار في فسخ العقد أو إمضائه ما دام العاقدان في مجلس العقد، ولا يكتسب هذا الأخير صفة اللزوم إلا بعد تفرق العاقدین بأبدانهما.

وذهب أبو حنيفة ومالك وأكثر أصحابهما إلى القول بعدم ثبوت خيار المجلس، بل يلزم البيع بنفس الإيجاب والقبول أو ما يقوم مقامهما من فعل ودلالة، فمنعوا خيار المجلس، وأثبتوا خيار الرجوع عن إمضاء العقد إذا أوجب أحدهما البيع، فكل منهما بالخيار حتى ينتهي كلامهما في العقد إبراما أو تركا. 3

قال الهلالي في شرح الحديث: «معناه: إن كل واحد من المتبايعين يجوز له أن يرجع عن البيع أو الشراء ما دام في المجلس الذي وقع فيه البيع، وقالت المالكية: لا يجوز، وأولوا التفرق بالتفرق في الكلام تعصبا لمذهبهم، مع أن عبد الله بن عمر الذي روى الحديث عن النبي ﷺ كان إذا باع شيئا وأراد أن يثبت البيع فارق ذلك المجلس 4، ثم يرجع إن شاء». 5

9 - الفرائض:

سئل ابن الزبير عن الجد والإخوة فقال: «أما الذي قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلا لاتخذته خليلا.» - يريد أبا بكر -، فإنه أنزله أبا». 6

قال الهلالي: «يقول تعالى محتجا على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفار من بني إسرائيل؛ وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال لهم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [البقرة: 133] وهذا من باب التغليب؛ لأن إسماعيل عمه، قال النحاس: والعرب تسمى العم أبا. نقله القرطبي، وقد استدل هذه الآية الكريمة من جعل الجد أبا، وحجب به الإخوة، كما هو قول الصديق، حكاه البخاري عنه من طريق ابن عباس وابن الزبير، ثم قال البخاري: ولم يختلف عليه، وإليه ذهب عائشة أم المؤمنين، وبه يقول الحسن البصري وطاوس وعطاء، وهو مذهب أبي حنيفة وغير واحد من السلف والخلف، وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه: إنه يقاسم الإخوة، وحكي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت. 7

1 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 27

2 الألباني: صحيح سنن النسائي. حديث رقم 4484. 3/ 205

3 محمد علي فركوس: مختارات من نصوص حديثية في فقه المعاملات المالية. دار الرغائب والنفايس. القبة. الجزائر. 1419 هـ / 1998 م. ص 160-161

4 قال نافع: «فكان عبد الله إذا اشترى شيئا يعجبه، فارق صاحبه.» انظر: صحيح سنن النسائي. 3/ 205

5 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 3/ 213

6 رواه البخاري 3658، وأورده الهلالي في المصدر نفسه. 4/ 214

7 الهلالي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 196-197

المطلب الثالث:

الإحسان

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125]

قال الأستاذ عبد الحميد الفراهي: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي أحسن إسلامه بالاستقامة وبالأعمال الصالحة ورضى القلب، فدل على تمام معناه، لا على أمر زائد، فإن من أسلم وجهه لله لا بد أن يكون محسناً.¹

عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبيحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته.»²

وقد استدلل المهلالي على وجوب الإحسان بالأخذ بالحقيقة الشرعية للفظ "كتب"، وتفسير معنى حرف الجر "على"، وعموم لفظ "كل"؛ قال: «إن الله كتب الإحسان أي: فرضه، على كل شيء؛ أي: في كل حال؛ فـ "على" هنا بمعنى "في"، فإذا قتلتم إنسانا قصاصا لأنه قتل نفسا بغير حق فأحسنوا هيئة قتله ولا تعذبه في القتل وذلك بأن تكون آلة القتل حادة لا يتألم المقتول بها كثيرا عند القتل وإذا ذبحتم حيوانا للأكل فأحسنوا هيئة ذبحه بأن تكون السكين حادة لا تعذبه كما صرح بذلك بقوله «وليحد أحدكم شفرته» أي: سكينه، و«ليرح ذبيحته»، وإذا كانت الرحمة واجبة حتى في حق المقتول والمذبح فما بالك بها في غيرهما من الضعفاء المحتاجين إليها، فالإسلام دين الرحمة وقد قال الله تعالى في سورة الأنبياء خطابا لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧) [الأنبياء: 107] ولم يقل للمسلمين.³

1 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 151

2 رواه مسلم 1955

3 المهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 94

المبحث الثالث:
من تَهْبِيقات علوم اللسان عند الهلالي:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:
تعليم اللغة العربية

المطلب الثاني:
ترجمة الخصاب الكيني

المطلب الأول: تعليم اللغة

أولاً: تعريف تعليمية اللغة:

التعليمية مصدر صناعي من التعليم، وهي مقابل اللفظ الإغريقي " *Didaskein* " : عَلِمَ أو تَعَلَّمَ من أجل أن يتكوّن، ومنه الشعر التعليمي، وهو أشبه بالمنظومات الشعرية عندنا أو الشعر التعليمي الذي كان يهدف إلى تسهيل التعلّم عن طريق حفظ المعلومات المنظومة شعراً، كالمنظومات النحويّة والفقهية.

أما معناها الاصطلاحي في العصر الحديث فقد انتقلت من النظم والفنية إلى العلميّة، بحيث أصبحت علماً يبحث موضوعه الطرائق التعليمية بصفة عامة، وبتعبير آخر: الميدان العلمي الذي يتناول بالبحث والتحليل مسائل تتعلق بإيصال اللغات وتحصيلها، في إطار نظاميّ في الغالب، اعتماداً على برامج محدّدة وطرائق فعّالة، كفيلة بتحقيق الغايات والأهداف المسطرة لتعليم هذه اللغة أو تلك. 1

و"تعليمية اللغة" فرع أساسي من فروع اللسانيات التطبيقية، غايته وضع الطرائق والوسائل التي تساعد المدرسين والمتعلمين على اكتساب وأداء اللغة وتعليمها، وذلك بالاستفادة من نتائج البحث اللساني العام، والارتكاز على أهم النظريات التعليمية الحديثة.

ثانياً: طريقة الهلالي في تعليم اللغة لغير الناطقين بها:

1 - لغة المنشأ:

قال الهلالي: «لا ريب أن الأديب لا يكون كاملاً في الأدب العربي إلا إذا حفظ القرآن وجوده، لأن كتب الأدب تستشهد بألفاظ من القرآن فلا يستطيع الأستاذ ولا المتأدّب أن يعرف وجه الاستشهاد إلا بمعرفة ما قبلها وما بعدها، وذلك ظاهر في شروح "الألفية" مثلاً وفي غيرها من كتب علوم اللسان العربي، وقد بلغني أن ليسوعيين في لبنان شهادة في الأدب العربي لا يمنحها إلا من حفظ القرآن، ولا يخلو منهاج تعلم اللغة العربية في الجامعات الجرمانية من نصيب لا بأس به من القرآن.» 2
وقال: «لا يخفي أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بلغنا من كلام العرب بيقين، فلا بد لمتعلم هذه اللغة من تعلمه كله أو بعضه للاطلاع على الأسلوب العربي وتذوق بلاغته وإلا كان ناقص الأدب.» 3

2 - لغات الفصيحة الواحدة:

قال الترمذي في جامعه "باب تعليم السريانية" ثم روى بسنده إلى زيد بن ثابت قال: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلّم كلمات من كتاب يهود، وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي. قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له»، قال: «فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليهم قرأت له كتابهم.» 4
كيف استطاع زيد أن يتعلّم هذه اللّغة في نصف شهر؟

قال الهلالي: «الجواب عن هذا الإشكال حسبما يظهر لي: أن زيدا لم يتعلّم اللّغة السريانية في نصف شهر وإنما تعلم كتابتها وقراءتها لأن هذه اللغات الثلاث: العربية والعبرانية والسريانية، متقاربة جداً في جملها ومفرداتها حتى في هذا الزمان.» 5

1 يحي يعطيش: تعليمية اللغات الحية النشأة والتطور. مجلة الدراسات اللغوية. جامعة منتوري. العدد الثالث. قسنطينة. 2005م. ص 321-322

2 الهلالي: قبسة من أنوار الوحي. ص 27

3 المصدر نفسه والصفحة

4 الألباني: صحيح سنن الترمذي. حديث رقم 2715. 3/ 85

5 الهلالي: حديث مع زائر كريم. ص 21

3- اللغات الأخرى:

قال الهلالي: «بليت اللغة العربية جماعة من العلماء شرعوا يترجمون كتب العلم منذ مائة سنة فبدؤوا بالقرآن ثم بالتفاسير ثم كتب الحديث والفقه والعقائد والتصوف، ثم جاء من بعدهم خلفٌ جعلوا همتهم في الترجمة فزادوا في الطين بلة، وظنوا أنهم يمكنهم الاستغناء عن اللغة العربية بما تُرجم منها، فترجموا كتب الأدب أيضا، فبعيني رأيت المدرسين يُدرِّسون المعلقات والحامسة والمنتبي بترجماتها، وههنا مدارس عربية اسما تنفق عليها أموال طائلة، ولا يوجد في مدرسيها - وهم يُدرِّسون شعر الجاهلية والإسلام وكتب البلاغة - من يستطيع قراءة صحيفة "الفتح" وفهم معانيها إلا النادر، لعقم التعليم وجعله باللغة الأردية.»¹

وقال في موضع آخر: «كان الأستاذ إذا تصدى لتدريس كتب النحو أو كتب الأدب كديوان الحامسة وديوان المنتبي والمقامات الحريية والمعلقات، يدرس الطلاب ترجمة هذه الكتب، ولا يدرسه الكتب نفسها.»²

وهذا ما جعل أحد الأساتذة من زملاء الهلالي يسأل الأستاذ التركي الروسي موسى جار الله وقد زار ندوة العلماء: «بأي لغة تُعلم اللغة العربية في بلادكم وفي تركستان، فقال: أما في السنوات الأولى فبالتركية، وأما فيما فوقها فإن علوم اللغة العربية تُعلم بالعربية نفسها.»³

ولما عُيِّن الهلالي رئيسا لأساتذة الأدب العربي في "كلية ندوة العلماء" بقي فيها ثلاث سنين ونيفا يبذل كل جهد في تعليم أدب اللغة العربية من أول درس إلى آخر درس بدون استعمال لغة أخرى؛ قال: قد كتب المربي الجرمانى برلتس في مقدمة كتبه في تعليم اللغات الحية كلاما موزونا مفيدا جدا أقتبس منه قليلا قال: «يجب على كل معلم للغة ما أن يعلم تلك اللغة بنفسها من أول درس إلى آخر درس ويمتنع من الترجمة امتناعا كلياً، فإن تعلم لغة بلغة أخرى عقيم وفيه مفاسد:

أولها: أن أكثر الوقت يمضي في استعمال لغة غير مقصودة بالذات، فيشتغل اللسان والفكر بشيء غير مقصود لذاته وذلك تضييع للوقت.

وثانيها: أن المتعلم بتوسط لغة أخرى يضطر إذا أراد أن يكتب أو يتكلم إلى التفكير باللغة المتوسطة ثم ينتقل منها إلى اللغة المقصودة؛ ولنضرب لذلك مثلا: طالب عربي يريد أن يتعلم اللغة الإنجليزية إذا علمناه اللغة الإنجليزية بواسطة اللغة العربية وأراد أن يتكلم بالإنجليزية أو يكتب مقالا فلا بد أن يفكر أولا بالعربية ثم ينتقل منها إلى اللغة الإنجليزية فيجيء كلامه وإنشاؤه ركيكين خاليين من الفصاحة وحسن البيان.

ثالثها: أن مدة تعليمه تطول لأن اللغة المقصودة بالذات لا تنال من وقته إلا القليل كما تقدم، وضرب لذلك مثلا بالأطفال الصغار كل طفل يتعلم لغة أمه بدون ترجمة مع ضعف إدراكه في مدة قصيرة فينطق بها بغاية الفصاحة ولا يشعر بأدنى تكلف، وهذا هو الأسلوب الصحيح لتعلم اللغات وهو تكرر السماع على أذني المتعلم يعقبه النطق الصحيح، والكبير أحوج إلى هذا الأسلوب وأكثر انتفاعا به لكمال إدراكه وكم رأينا من رجل غريب حل بأرض قوم وهو لا يعرف من لغتهم شيئا وفي بضع سنين صار فصيحاً في لغتهم دون استعمال ترجمة.

ومن نصائح العالم الجرمانى برلتس لمن يريد أن يعلم الناس لغة أن يبدأ بالمرييات فيأخذ الكتاب مثلا، ويشير إليه وينطق بلفظ «كتاب» فيسمعه المتعلم فينطق مثله ويكرر ذلك حتى يرسخ اسم الكتاب في ذهنه، ثم ينتقل إلى القلم والقرطاس والمسطرة وهكذا دواليك، أما في الأفعال فيقوم المعلم وينطق بلفظ أقوم، ويجلس وينطق بلفظ أجلس ويمشي وينطق بلفظ أمشي، وهكذا إلى أن يتعلم الطالب ما يكفي السؤال والجواب فينتقل معه إلى طريقة السؤال والجواب، وهي أحسن الطرق في تعليم اللغات وقد شاع هذا

1 الهلالي: لماذا تأخر المسلمون؟ صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 258. الخميس 23 صفر 1350 هـ. ص 5

2 محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم. ص 212

3 الهلالي: مع الأستاذ الشيخ موسى جار الله العالم التركي الروسي الشهير. ص 11

الأسلوب في هذا الزمان، وقد استعملت هذا الأسلوب ولقيت صعوبة في أول الأمر لأنني كنت أدرس كتب النهايات وبعد شهرين زالت الصعوبة وصار الطلبة يفهمون، وكنت أعلم الإنشاء والخطابة مرتين في الأسبوع في مقصورة واسعة معدة لإلقاء الخطب وفي ثلاث سنين وبضعة أشهر تخرج في الأدب العربي جماعة من الشباب أذكر منهم: مسعود عالم الندوي وأبا الحسن علي الندوي ومحمد ناظم الندوي وأبا الليث شير محمد الندوي.¹

وهذه الطريقة التعليمية تسمى الطريقة المباشرة؛ قال الأستاذ يحي بعيطيش: «الطريقة المباشرة: تأسست كرد فعل ضد طريقة النحو والترجمة، انتشرت بسرعة في أوروبا ثم انتقلت إلى أمريكا، لتستقر هناك بهجرة رائديها: الألماني برليز (Berlitz) والفرنسي كوين (Cowin) اللذين هاجرا إلى الولايات المتحدة، وبعدها انتشرت على نطاق واسع في العالم. وأساس هذه الطريقة أن التعلّم السليم للغة، لا يكون إلا بالاتصال مباشرة مع اللغة الهدف، وهي مُشخّصة في مواقف مادية محسوسة.

ومن مبادئها أنها لا تلجأ إلى الترجمة إطلاقاً إذا كان الأمر يتعلق بتعلم لغة أجنبية، ولا إلى أي مستوى لغوي آخر، إذا كان الأمر يتعلق بتعلم لغة المنشأ، فمثلاً أثناء تعليم اللغة الفصحى، يمنع منعاً باتاً استعمال العامية، أو أي لهجة أخرى، ولتلافي هذه العملية كانت الطريقة تعتمد على الوسائل التوضيحية والرسوم والصور والوسائل السمعية والبصرية لتحقيق الفهم وشرح الكلمات وتفسير العبارات.²

لذا كان من نصائح الهلالي التركيز في تعلم اللغات على مشافهة العالمين بها³؛ قال الهلالي: «أقترح على وزارة التربية والتهذيب المحترمة أن تختار المعلمين الفصحاء والمعلمات الفصيحات من روضة الأطفال إلى الجامعة وتلزمهم بإصلاح السنة تلاميذهم وإزالة ما ذكرناه من الفساد بعد إزالته من ألسنتهم أعني المعلمين أنفسهم. وكل تهاون من بهذا النوع من الإصلاح يترك أبناء المغرب متخلفين في اللغة العربية مستعجمين، وأما العلوم العصرية واللغات الأجنبية فالأفضل أن نأخذها رأساً من أوروبا وأمريكا بلا واسطة.⁴

واللغة التي لا تشتغل في كل يوم بالتكلم والكتابة والقراءة لا بد أن تنقص بنسيان بعض ألفاظها، ويقل انطلاق اللسان بها⁵.

وكان من نتيجة اعتماد الهلالي على طريقة برلتس، وتركه التعليم بالترجمة قوله: «تخرج على يدي تلاميذ هم نخبة رجال الأدب العربي في بلاد الهند وباكستان في هذا الزمان.⁶

1 الهلالي: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. ص 240-241

2 يحي بعيطيش: تعليمية اللغات الحية النشأة والتطور. ص 333-334

3 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضاً. ص 6

4 الهلالي: القرآن والثقافة العربية. ص 5

5 الهلالي: كلمة في فضائل الإسلام ألقيتها على وفد ألماني. مجلة دعوة الحق. السنة الثامنة عشر. العدد الرابع. 1397 هـ/ 1977 م. ص 34

6 الهلالي: عود إلى موضوع تحديد النسل. مجلة دعوة الحق. السنة السابعة. العدد الثاني. جمادى الثانية 1383 هـ/ نوفمبر 1963 م. ص 3

المطلب الثاني: ترجمة الخطاب الديني

قال محمد تقي الدين الهلالي: «الترجمة إنما هي تفسير». 1؛ وهي: شرح علامات لغة بعلامات لغة أخرى 2. أو لا: الترجمة؛ رؤية تاريخية:

إذا كان اللغويون اليهود والنصارى يعتقدون أن اختلاف اللغات هو نتيجة «لعنة إلهية» 3، فإن المسلمين يؤمنون أن اختلافها آية من آيات الله ﷻ.

جاء في التوراة: «وكانت الأرض لسانا واحدا ولغة واحدة، وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك، وقال بعضهم لبعض: «هلم نصنع لبنا ونشويه شيا.» فكان لهم اللبن مكان الحجر، وكان لهم الحمر مكان الطين، وقالوا: هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء، ونصنع لأنفسنا اسما لئلا تنبدد على وجه كل الأرض، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنيونهما، وقال الرب: هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداءؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن ببناء المدينة، لذلك دُعي اسمها بابل، لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض، ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض». 4

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّغَاتِ لَكُمْ وَالْوَكُوفُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: 22]

- لماذا الترجمة؟

نترجم لأن اللغة الأصلية ليست أو لم تعد مفهومة.

في القرن الثالث قبل الميلاد إذا كان اليهود المستوطنون في الإسكندرية قد ترجموا إلى اللغة اليونانية التوراة (الترجمة السبعينية)، فلأجل أن تصير سهلة البلوغ إلى أكبر عدد من الناس، وهذا يتضمن اللجوء إلى اللغة المسيطرة في ذلك الوقت. ولأجل أسباب مماثلة سيكتب العهد الجديد 5 فيما بعد باليونانية وليس بلغة المسيح؛ الآرامية. تماما مثلما تُرجمت أو كُتبت النصوص التوراتية والإنجيلية باللغة اليونانية؛ سترجم بدورها منها إلى اللغة اللاتينية التي أصبحت اللغة المسيطرة للنصرانية.

الوظيفة الأولى للترجمة إذن هي ذات نظام تطبيقي، بدونها، التواصل صعب أو مستحيل. 6

قال الهلالي في كتاب "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟" "لأمير البيان شكيب أرسلان: «بعد أن ينشر النشر اللائق به بلغة القرآن والإسلام ينبغي أن يسعى في نشره بكل لغة يتكلم ويكتب بها جماعة من المسلمين كلغات الهند والتبت والتركستان والصين وبخارى وقازان والترك والسودان والجاوى وغيرها». 7

ومن فوائد الترجمة أيضا حل رموز اللغات الميتة، فلو كان حجر رוסات لا يحتوي ترجمة نص مكتوب بالهيروغليفية إلى لغة معروفة: اليونانية، شامبليون لم يكن ليتمكن من فك رموزه، ولغة الفراعنة دون شك تبقى غير مفهومة. 8

1 الهلالي: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. ص 28

2 Charles Bouton: La linguistique appliquée. Presses Universitaires de France. 1979. p 60

3 Ibid. p 58

4 التكوين. الإصحاح 11. ص 17

5 العهد الجديد يشمل الأنجيل المعترف بها وبعض الرؤى.

6 Michael Oustinoff: La traduction. Presses Universitaires de France. 2003. p 10

7 الهلالي: لماذا تأخر المسلمون؟ ص 4

8 Michael Oustinoff: La traduction. p 11. بتصرف واختصار

ثانيا: صعوبة الترجمة:

الهلاي مترجم بارع ترجم من العربية وإليها، قال في إحدى ترجماته: « لا يخلو كلام المصنف كريسسي مورسن من تعقيد يجعل إدراك معناه عسيرا، ولذلك سبيان:

أحدهما: أنه يخوض في علوم وبحوث دقيقة تحتاج إلى دراسة واختصاص ولا يُبلغ مداها ويُعرف كنهها بالمطالعة وحدها، والثاني: وحقه أن يكون الأول ضيق اللغة العربية في هذا الزمان بسبب عجز أهلها وتقاعسهم عن النهوض بها إلى أن تبلغ مستوى اللغات المتقدمة في العصر الحاضر، فقد توقف نموها بتوقف تقدم أهلها منذ نحو ست مئة سنة، وأنت إذا قرأت مثل هذه المباحث بلغة أوربية سهل عليك فهمها إلى حد بعيد وإن لم تكن من أهل الاختصاص، بخلاف ما إذا قرأتها بالعربية العصرية، فإذا انضم إلى ذلك قصور المترجم في إحدى اللغتين أو كليهما فهنالك الطامة الكبرى، ومع ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِيبَا وَابِلٌ

فَطَلٌ ﴾ [البقرة: 265].¹

فقد اشترط الهلاي إتقان المترجم لللغتين؛ فإن وجد الضعف في اللغة المترجم منها أو إليها ظهرت الأخطاء؛ قال الهلاي: «وإنما وقع جهلة المترجمين في هذا الاستعمال الفاسد لضعفهم في اللغتين أو إحداهما، فلا يستطيعون إدراك معنى الجملة مجتمعة ليصوغوا في اللغة الأخرى جملة تؤدي المعنى المطلوب بألفاظ جيدة الاستعمال، واقعة في مواضعها التي يقتضيها النظم الفصيح، وهذا العجز هو الذي يلجئهم إلى أن يُبدلوا كل مفرد في إحدى اللغتين بمفرد آخر في اللغة الأخرى، فيجيء التركيب فاسدا معوجا، لا تستسيغه أذواق الفصحاء في اللغة التي ينقل إليها المعنى.»²

وقال في موضع آخر: «وسبب وقوع مثل هذه الأخطاء أن المترجم يكون مُتمكِّناً من اللغة الأجنبية ضعيفاً في اللغة العربية يترجم كلمة بكلمة، والمترجم الكامل يقرأ الجملة من اللغة التي يترجمها، ويستوعب معناها في ذهنه، ثم يصوغ لها جملة فصيحة في اللغة التي يترجم بها، حتى إذا قرأ القارئ العربي كتاباً مترجماً، لا يشعر أنه مُترجم حتى يخبر بذلك، كما نرى في ترجمة ابن المقفع لكتاب "كليلة ودمنة"، وترجمة البنداري لـ "الشاهنامة".»³

ويضاف إلى قصور المترجمين في إحدى اللغتين أو كليهما اختلاف المعاني في الكلمة ومقابلها في اللغة الأخرى؛ قال الأستاذ حسين خمري: «الكلمة المفردة ليست موضوعا يمكن نقله من لغة إلى أخرى دون التعرض إلى مجموعة من المضايقات والإحراجات، ذلك لأن الكلمة تخزن سياقاً معرفياً وحضارياً وتراثياً وتحمل دلالات وإيحاءات لا يمكن نقلها بصورة دقيقة إلى لغة أخرى.»⁴

واختلاف نسق الجملة في اللغتين؛ قال الهلاي: «وإنما جاء هذا الاستعمال الفاسد من اقتباس المترجمين معاني الألفاظ الأعجمية واستعمالها في اللغة العربية ظناً منهم أن ما جاز في لغة يجوز في لغة أخرى، وهذا في غاية الفساد؛ فإن المترجم لو ترجم كلاماً أعجمياً بكلام عربيّ بدون مراعاة لطبيعة كل من اللغتين وأسلوبها وقواعدهما، بل أبدل كل كلمة أعجمية بكلمة عربية، لجاءت عبارته في غاية الركاكة والقبح وبعضها لا يكاد يفهم.»⁵

وقال حسين خمري: «نظام الجملة في اللغة العربية يختلف عن نظام الجملة في الفرنسية والإنكليزية.»⁶

وأكثر النصوص حظوظاً في الترجمة هي الكتب الدينية المقدسة لأنها تعتبر وعاء روحياً وحضارياً يحوي نظاماً من القيم والمعاملات.⁷

1 الهلاي: تقويم اللسانين. ص 105-106

2 المصدر نفسه. ص 12-13

3 المصدر نفسه. ص 93

4 حسين خمري: نظرية النص. ص 89

5 المصدر السابق. ص 134-135

6 المرجع السابق. ص 90

7 حسين خمري: نظرية النص. ص 92

ثالثاً: ترجمة التوراة والأنجيل:

إن بداية اهتمام الهلالي بأخطاء تراجم التوراة والإنجيل هي مناظرة بينه وبين قس، هذا مقتطف منها:
قال الهلالي: «قال سميث: ولكن الأنجيل تدل على أنه ابن الله، وأنه ثالث ثلاثة.

فقلت له: أنا ما قرأت الإنجيل، ولكني أعتقد جازماً أن الإنجيل حق وأنه من الله، وما كان من الله لا يختلف فلا بد أن يكون موافقاً للقرآن في توحيد الله، وعبودية عيسى بن مريم.

فقال لي: هذا شأنكم يمنعكم التعصب عن قراءة التوراة والإنجيل، وأما أنا فإن القرآن عندي بثلاث لغات.

فقلت له: أما الإنجيل بالعربية فلغته ركيكة لا تفهم، وأما بالانكليزية فأنا أدرسها لأقرأها بها.

فقال لي: عدي أن تقرأه وأنا أطلب لك نسخة من لندن تصلك بعد شهر.

فوعده فلما وصلته النسخة كتب إليّ معها كتاباً بالانكليزية جاء فيه: «أسأل الله أن يعطيك في هذا الكتاب بركات كثيرة.»، فأخذت في قراءته واستخرجت الكلمات التي لم أفهمها من المعاجم ثم قرأته المرة الثالثة.

وذكرت تلك المسائل في جزء سميت به "حواشي شتى على إنجيل متى"، ونشرت هذا الجزء في "مجلة الشبان المسلمين" التي تصدر في البصرة، وكان يصدرها صديقنا الحاج طه الفياض رحمه الله عليه.

ولما أخبرت بهذه الحواشي الأمير شكيب أرسلان رحمه الله سألتني عنها، فقلت: ضاعت في المطبعة، فتأسف كثيراً على ضياعها، وأنا الآن مستعد أن أؤلف حواشي مثلها أو أحسن منها، ولكن الكثير من إخواننا المسلمين لا يهتمون بالدفاع عن دينهم ولا يعينون من أراد أن يدافع عنه بل يخذلونه.

ففي مثلهم ينشد:

بنو اللقيطة من ذهل بن شيباناً
طاروا إليه زرافاتٍ ووحداناً
في النائبات على ما قال برهاناً
ومن إساءة أهل السوء إحساناً
شنوا الإغارة فرساناً وركباناً

لو كنت من مازن لم تستبح إلي
قومٌ إذا الشُّرُّ أبدى ناجديهم
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
يجزون من أظلم أهل الظلم مغفرة
فليت بهم قوماً إذا ركبوا

ولما وصلني الكتاب، أجبته سميث بالشكر، فلما قرأته وفهمت معناه، كتبت إليه كتاباً آخر وقلت له فيه: «إن الله قد استجاب دعاءك وأعطاني في هذا الكتاب بركات كثيرة ولكنها تحالف ما عندك وتبطله فقد قلت لي في أثناء المناظرة كذا وكذا ووجدت في الكتاب في الفصل الفلاني برقم كذا وكذا أن ما قلت غير صحيح، وأن الإنجيل يدل كما يدل القرآن على توحيد الله تعالى وبشرية عيسى وعبوديته دلالة في غاية الوضوح في مواضع كثيرة.» وعددت له منها سبعة فكان ذلك آخر العهد به.

وأشهد لهذا القسيس الشاب أنه كان مخلصاً لدعوته متحمساً غاية التحمس وكنْتُ كُلِّمًا قَلْتُ له: إن هذا يخالف العقل، يقول لي:

إن العقل ناقص وكلام الله كامل، والله يعلم ما لا نعلم.»²

1- الأب والإبن في التوراة والأنجيل وترجمتهما:

قال محمد تقي الدين الهلالي: «لم يُسمَّ المسيح نفسه ابن الله، فيما أعلم، وإنما كان يسمي نفسه ابن الإنسان، إلا أنه سمع تسميته بذلك فلم ينكرها بزعم الأنجيل، ولا خصوصية له في ذلك.

1 الأبيات من البسيط، وهي لقريط بن أنيف العنبري. قاله إميل يعقوب في المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. 4/ 20، 22

2 الهلالي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. ص 28-29-30

ففي لغة التوراة والأنجيل: كل تقي برّ يُسمى ابن الله، وفي الآية التاسعة من الفصل الخامس من إنجيل متى: «طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون»¹،

وجاء في الفصل نفسه رقم (45): «لتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء»²،
وفي رقم (48): «فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذي في السماء كامل»³،
وفي الفصل السادس رقم (1): «وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السماء»⁴،
وفي الفصل (23) رقم (9): «ولا تدعوا لكم أبا على الأرض، لأن أباكم واحد وهو الذي في السماء»⁶.
ومن هنا يعلم أن: «إطلاق الأب على الله جاء في مواضع لا تخص في الإنجيل، وليس خاصا بالمسيح»⁷.
قال الهلاي في معنى الأب والابن فيما تقدم: «ومن ذلك تعرف أن الأبوة والبنوة بمعنى: العلاقة بين الرب والعبد ثابتة في الإنجيل في جميع الناس، لا خصوصية للمسيح في ذلك»⁸.

إلا أن التعبير بالأب والابن عن الرب والعبد خطأ في اللغة العربية، ويظهر لي أنه من المشترك اللفظي عندهم يطلق على الأب والابن في النسب، وعلى الرب والعبد، فلما ترجموه إلى العربية ترجموا ما ذكر فيه عيسى عليه السلام بمعنى البنوة والأبوة الحقيقية تعالى الله عن الصاحبة والولد، وما ذكر فيه غيره بمعنى العبودية؛ قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُمْ فَلَمَّ يَعَذِّبِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة: 18]: «أي نحن مُتَسَبِّون إلى أنبيائه وهم بنوه، وله بهم عناية، وهو يُحِبُّنا، ونقلوا عن كتابهم أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل: «أنت ابني بكري». فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه، وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عُقلائهم، وقالوا: هذا يُطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى من كتابهم أن عيسى قال لهم: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم»، يعني: ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البُتوة ما ادعوه في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه، وحظوتهم عنده، ولهذا قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُمْ﴾⁹.

قال الهلاي: «لله در الحافظ ابن كثير! ما أوسع اطلاعه! فمع تبحره في علوم الكتاب والسنة والتاريخ، درس عقيدة النصارى واليهود فصار يرميهم بأحجارهم ويأخذهم بإقرارهم.

ونص ترجمة ما جاء في الإنجيل أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

فقوله: «وإلهي وإلهكم». يثبت أن الله ربه وربهم، وكلهم عبده فلا فرق بين المسيح وبين أتباعه في العبودية»¹⁰.

ويؤيد ما سبق ما قرره عبد الحميد الفراهي؛ قال: «كلمة الابن في العبرانية تستعمل لمعنيين:

أ- للنسبة، كابن السبيل، وابن الليل، أو كابن صبح، وابن حول وسنة.

ب- للعبد، كالرجل، والفتى، والغلام.

ولفظ "الابن" ليس كلفظ "الولد"، فإن "الولد" صريح في الإبنية، ولذلك ترى في القرآن لم يشنع إلا على لفظ "الولد"، وبين

أن في استعمال لفظ "الابن" مضاهاة بالكفر، فينبغي أن يجتنب.

1 العهد الجديد. ص 8

2 المرجع نفسه. ص 10

3 المرجع نفسه والصفحة.

4 المرجع نفسه والصفحة.

5 الهلاي: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. 11-12

6 المرجع السابق. ص 42

7 المصدر السابق. ص 13

8 المصدر نفسه. ص 15

9 تفسير ابن كثير. 3/ 68-69

10 الهلاي: سبيل الرشاد في هدي خير العباد. 1/ 296-297

كما أن لفظ "الرب" يشابه المعبود، فبين في القرآن أنهم أفرطوا في هذين اللفظين.¹ وخلص إلى ما خُلف إليه الهلالي: «كل ما نجد في الإنجيل من "ابن الله" فهو "عبد الله" في المعنى، وكل ما فيه من "أبونا" أو "أبونا وأبوكم"، فهو "ربنا وربكم"، كما ترجمه القرآن.²

2- ساكن الصحراء:

قال الهلالي بعد سرد قصة هاجر عليها السلام من التوراة: «قال لها ملك الرب: «ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه وأمام جميع أخواته يسكن.»³ وهذه بشارة جاءت في العهد القديم بأن الله يكثر أولاد إسماعيل، وقول المترجمين للتوراة: «إنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه.» من أفسد الترجمات التي ارتكبتها أولئك المترجمون تعصبا وتحريفاً للكتاب، ولم يتفطنوا إلى التناقض الذي بين الصفتين، فالإنسان الوحشي لا يتصل بالناس ولا يألفهم ولا يألفونه، ويجهم ويحبونه. ولا يستغرب التحريف من المترجمين فقد أخبر العالم اللغوي الأديب المحقق إبراهيم اليازجي أنهم دعوه إلى لندن ليعينهم على ترجمة التوراة، فكان يختلف معهم كثيراً؛ فكلما ذكر لهم عبارة فصيحة تؤدي المعنى يرفضونها، ويقولون: «إنها تشبه عبارات القرآن.» وهم يريدون أن يتعدوا عن عبارات القرآن كل الابتعاد، وقد نظرت في الكلمة التي ترجموها وهي: «بري آدم» في معجم "روبين أفنيومكوسمن" فوجدت لها المعاني التالية أنقلها بأمانة من الإنكليزية إلى العربية: 1- الحمار الوحشي، 2- الحيوان الوحشي، 3- ساكن الصحراء، 4- خشن الطبع، 5- وحشي، 6- همجي، 7- إنسان وحشي سيء الخلق.

فأي هذه الألفاظ يصلح لترجمة ذلك اللفظ الوارد في مقام البشارة والمدح والثناء على مولود، علم الله أنه يكون رسولا نبيا، أبا لأمة عظيمة، ولأفضل خلق، وهو محمد ﷺ؟ لا شك أن اللفظ الوحيد الذي تصح به الترجمة هو الثالث، وهو أنه ساكن الصحراء وهو المطابق للواقع، فإن إسماعيل كان يسكن بمكة - شرفها الله - ويعيش في الصحراء على لحم الصيد، وفي الحديث: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً»⁴، وفي صحيح البخاري أن إبراهيم توجه لزيارة ابنه إسماعيل في مكة فلم يجده، فسأل زوجته عنه فأخبرته أنه ذهب للصيد، ثم ذهب لزيارته مرة ثانية وثالثة فلم يجده، إنه كان غائباً يصطاد للمعيشة لا للتزهد، وفي كل مرة كان يوصي زوجته بشيء تقوله له إذا رجع.

وقد تبين أن أولئك المترجمين أخطؤوا خطأ فاحشاً في ترجمة ذلك اللفظ، وأغلب الظن أن يكونوا متعمدين، فقبّح الله التعصب، فإنه ما دخل شيئاً إلا أفسده.⁵

رابعا: ترجمة القرآن والحديث:

قال عبد العزيز بن عبد الله بن باز: «إن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي والدكتور محمد محسن خان قد قاما بترجمة "معاني القرآن الكريم" و"صحيح الإمام البخاري" وكتاب "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه البخاري ومسلم" ترجمة صحيحة.»⁶ أما سبب توليه بنفسه لترجمة خطاب الله تعالى ورسوله ﷺ للعالمين، فيوضحه قوله: «إن التراجم المشوهة لمحاسن القرآن التي خطتها أيدي أعدائه الأئمة وزورتها قلوبهم الجاحدة الظالمة المظلمة قد لعبت دوراً عظيماً في التضليل والصد عن سبيل الله، وكتابه ينادي عليهم بقوله: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: 14]

1 عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن. ص 249-250

2 المرجع نفسه. ص 251

3 العهد القديم. سفر التكوين. الإصحاح 16. رقم 12. ص 24-32

4 رواه البخاري 2899

5 الهلالي: أخلاق الشباب المسلم. ص 31-32

دونك أيها الأخ المشارك في الأسف على ذلك فقرة واحدة مما قاله أحد المترجمين له، وعلى ذلك من أوسط - أي أمثل - من ترجم القرآن من أعدائه، ألا وهو جورج سيل الانكليزي الشهير الذي كان لترجمته الحظ الأوفر من الرواج والانتشار، وقد مضى على ما حدثني به بعض المحققين نحو قرن كامل طبعت في أثنائه عدة طبعات.

قال في مقدمة ترجمته: «لا أراني في حاجة إلى أن أعتذر إلى رجال الدين ولا إلى رجال الحكومة عن عملي هذا (ترجمة القرآن) لأنه لا يُخشى منه أدنى خطر - يعني على العقائد النصرانية - لأن كونه مفتعلا أمر واضح.»¹ انتهى.

ولو أنشر "سيل" ونظر بعينه إلى الخطر العظيم الذي صادم النصرانية من انتشار القرآن، لعلم أنه كان مخطئا في ظنه وخاطئا في جحوده لبراهين صدق القرآن المدهشة رياء ونفاقا ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8]. مضت قرون والمترجمون يعبثون بالقرآن ولا شعور للمسلمين بمكايدهم، أما في هذا الزمان فقد انتبه قليل من علماءنا لهذا الخطر وعالجوا المسألة، فألف بعضهم وكتب بعضهم في الصحف، ولكن إلى الآن لم ينتبه لذلك أكثرهم، ولم يقوموا بهذا الواجب حق القيام، ولا أعطوه حقه من الاهتمام.²

فالأخطاء الجهلية والخطيئات العمدية هي سبب شعوره بأهمية تولي ترجمة معاني القرآن الكريم.

وقال الهلالي: «جورج سايل أول من ترجم "القرآن" إلى الإنكليزية، وهو أحد الثلاثة الذين شهد لهم العلامة أحمد بن فارس الشدياق رحمه الله بالمعرفة الحقيقية للغة العربية، وحكم على سائر المدّعين لمعرفتها على عهده في البلاد البريطانية أنهم لا يعلمون، ولذلك قرأت شيئا من ترجمته، فوجدت في الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة، وكتبت في ذلك مقالات نشرتها في مجلة الضياء الهندية في السنة الماضية (1352 هـ).

ومثال آخر: "رسائل أبي العلاء المعري" ترجمها إلى الإنكليزية عالم انكليزي نسيت اسمه، وطبعت في أوردية، طالعتها فوجدتها مشحونة بالأغلاط.

ومثال ثالث: ترجمة محمد مار ماديوك العالم الأديب الشهير صاحب مجلة "اسلميك كلتشر" أي الثقافة الإسلامية، وله تصانيف جيا، قرأت شيئا من ترجمته للقرآن فوجدت فيها أغلاطا واضحة جدا، وكتبت إليه بشيء منها فاعترف وأجابني شاكرا وطالبا المزيد.³

وهذا من جواب محمد مر مديوك بكتول: «ما تفضلتم به من تنقيد التراجم السابقة هو فوق المنتظر من شخص ما درس اللغة الانكليزية إلا منذ ستة أشهر وأنا موافق آراءكم وفاقا كاملا.»⁴

وقال: «الترجمة الكاملة للقرآن حقيقة هي ليست في الإمكان، ولكن واجب علينا أن نبلغ رسالات الله ﷺ بحقيقة معانيها من لا يقرأ الخط العربي ولا يفهم كلمة من اللغة العربية.»⁵

قال الهلالي: «إن الأستاذ مار ماديوك باكتول سمى ترجمته اسما يشعر بأنه يريد بها تفسير القرآن وتبليغه للأمة الانكليزية تفسيرا إسلاميا خاليا من التحريف والكيد؛ إنه سمى ترجمته "ذي مينيك أف ذي كلوريس قرآن" معناه: معاني القرآن المجيد، فلم يقل كما قال سيل وغيره "ذي قرآن أف محمد" يعني: قرآن محمد.»⁶

1 قال جورج سال 1: «I imagine it almost needless either to make an apology for publishing the following translation, or to go about to prove it a work of use as well as curiosity. They must have a mean opinion of the Christian religion, or be but ill grounded therein, who can apprehend any danger from so manifest a forgery; and if the religious and civil institutions of foreign nations are worth our knowledge, those of Mohammed, the lawgiver of the Arabians...» THE KORAN: commonly called ALKORAN OF MOHAMMED. Translated into English from the original Arabic By GEORGE SALE. LONDON: FREDERICK WARN AND CO.,s Publicatins, AND NEW YORK. p. v

2 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضا. ص 4

3 الهلالي: مأساة أميرة شرقية. المنار. 34/ 536-537

4 الهلالي: من محمد مر مديوك بكتول محرر أجود ترجمة تفسيرية للقرآن. صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 293. الخميس 29 ذي الحجة 1350 هـ. ص 15

5 المرجع نفسه والصفحة.

6 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضا. ص 5

إلا أن ترجمة الأستاذ مار ماديوك لم تسلم من أغلاط بينة كما لم يسلم غيرها وهي كثيرة، منها: في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: 13]، وقوله: أنه قال: "ار ذي نُت انديد ذي فوليش" 1، "ار ذي نُت انديد ذي مستشيف ميكرز" 2 معناه: أليسوا في الحقيقة سفهاء؟ أليسوا في الحقيقة مفسدين؟

وسبب هذا الخطأ أن المترجمين ظنوا أن ألا في الآيتين مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: 14]، والحقيقة أن ألا كلمة واحدة غير مركبة وأنها حرف استفتاح تذكر للتنبيه. 3

ومنها: أنه ترجم قوله تعالى: ﴿وَوَجَّهَ يُومِئِينَ بِآيَاتِهِ﴾ [القيامة: 24-25] بما معناه: تعم أنت مصيبة عظيمة حول أن تقع عليهم.

وسبب هذا الوهم أن "تَظُنُّ" تستعمل للمخاطب وللغائبة، ففاعلهما في الأول مستتر وجوبا تقديره "أنت"، وفي الثاني مستتر جوازا تقديره "هي"، وهذا الثاني هو المراد في الآية، فإن الضمير المستكن في ﴿تَظُنُّ﴾ عائد على "الوجوه"، فظنه المترجم للمخاطب، فرأى حيثئذ أن المناسب هو تفسير الظن بالعلم، فقال: تعلم أنت أن مصيبة عظيمة حول - أي قريب - أن تقع عليهم. 4

وقال في في موضع آخر: «قد أحصيت الأخطاء الموجودة في ترجمة جورج سيل للقرآن الكريم بالانكليزية، فوجدت في الجزء الأول وحده وهو حزيران بتجزئة المغاربة ستين خطأ، وجورج سيل مُستشرق انكليزي كبير، وقد تبعه من بعده من المترجمين في أخطائه، حتى الأستاذ محمد مار ماديوك باكتال المسلم الانكليزي تبعه في أول خطأ كبير ارتكبه، وقد ناظرته في ذلك مُناظرة طويلة حتى اقتنع ورجع عن خطئه، وكان ذلك في ترجمة قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13]، فإنها ترجمها بما معناه: أليسوا سفهاء؟ وسبب وقوعها في هذا الخطأ عدم التمييز بين "ألا" الاستفهامية البسيطة، و"ألا" المركبة من همزة الإستفهام و"لا" النافية؛

فإن ﴿أَلَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ استفهامية خالية من النفي، يجب أن تُترجم بلفظ انكليزي يدل على التوكيد. ومثال المركبة الذي أوردته على الأستاذ الانكليزي المذكور فاقنتع بوجود الفرق بين الكلمتين قوله تعالى في سورة الملك: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14]. 5

وقد اختلف رواد النهضة الإسلامية المعاصرة في جواز ترجمة معاني القرآن الكريم، ومعاني القرآن مترجمة ولا بد؛ سواء أقام بها المسلمون أم الكافرون؛ قال الهلالي: «إذا عَلِمَ أن القرآن لا بد أن يُترجم إلى اللغات الأجنبية سواء أحببنا أم كرهنا، فلأن نترجمه بأنفسنا ترجمة صادقة صحيحة ونشره خير من أن نترك ترجمته لأعدائنا يدسون فيها السم في الدسم». 6 فرجح جواز الترجمة بشروط؛ قال: «الذي أراه هو جواز الترجمة للضرورة بشرط: أحدها: أن يصرح المترجم بأن هذه معانٍ مقتبسة من القرآن بقدر الطاقة، ونقل معانيه حقيقة غير ممكن. ثانيها: تضلعه في اللغتين المنقول منها والمنقول إليها.

1 لفظه: «Are not they indeed the mischief-makers?». انظر:

The meaning of THE GLORIOUS KORAN; an explanatory translation, by MARMADUKE PICKTHAL. Alfred. A. Knopf. New York. 1930. P. 25

2 لفظه: «Are not they indeed the foolish?». المرجع نفسه والصفحة.

3 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضا. ص 5

4 المصدر نفسه والصفحة.

5 الهلالي: تقويم اللسانين. ص 13

6 المصدر السابق. ص 6

ثالثها: أن لا تعتمد طائفة من المسلمين على الترجمة وتتخذها عوضا عن القرآن راضية قانعة بعملها هذا زاعمة أنها تهتدي بالقرآن الاهتداء المطلوب بالنظر في ترجمته، كما عليه أكثر المسلمين في الهند، فإنهم قانعون بترجمة القرآن والحديث لا يرون ضرورة تعلم اللغة العربية ولا تعليمها لأطفالهم، ولا يرون أن الإسلام ينهدم ويضمحل بفقد لغة القرآن، وأنهم كلما ازدادوا جهلا بلغة القرآن والهدي النبوي ازدادوا بعدا من الإسلام، وقد صرّح لي أكثر من لقيته من كبار العلماء هنا أنه إذا ترجم القرآن والحديث والفقهاء فلا حاجة بالناس إلى اللغة العربية، وهذه طامة عظيمة ليس هذا محل الكلام فيها.

والذي ينبغي أن يقصد بالترجمة؛

أولا: هو بيان ما في تراجم الأعداء من البهت والتحريف.

وثانيا: ترغيب واستمالة غير المسلمين وتنوير أذهانهم والسعي في محو ما علق بأفكارهم من العقائد الفاسدة في القرآن والنبوي والإسلام مما أشاعه الأفاكون من أعدائه.

وثالثا: عرض عقيدة التوحيد براهينها الساطعة الجاذبة للقلوب القاضية على التثليث والوثنية قضاء مبرما، الداحضة لجيوش أباطيلها، الغاسلة لأدرانها من قلوب من أراد الله أن يطهرهم ويزكيهم، ومتى اهتدى أحدٌ من هؤلاء إلى الإسلام بما ترجمناه له نبين له حيثئذ أن الترجمة لا تُسَمِّن ولا تغني من جوع، فإن كان قادرا على درس اللغة رغبناه في ذلك، وإلا علمناه ما تيسر من القرآن بألفاظه ومعانيه، وأمرناه أن يُعَلِّمَ أولاده العربية ليكرعوا بأنفسهم من بحور القرآن والهدي النبوي.¹

لذا لما قدر الله له ترجمة معاني القرآن امتازت ترجمته عن غيرها بأمر منها:

أولها: ترجمة معاني آيات الصفات، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] بما يطابق عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين دون تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل.

ثانيها: إصلاح ما ارتكبه الترجمات السابقة من الأخطاء الفاحشة وسببها في الغالب قصور المترجم، وعدم تمكنه من معرفة المعنى الذي تدل عليه الآية، لضعف إدراكه للغة العربية.

ثالثها: إيضاح ما أبهمه المترجمون السابقون في ترجماتهم من معاني الآيات وذلك بترك القارئ الإنكليزي متحيرا في المعنى المقصود من اللفظ ولا يكاد يعرفه على الحقيقة².

وترجمة المعنى التي ينادي بها الهلالي تعني الابتعاد عن الترجمة الحرفية؛ وهي تبديل كل لفظ بمقابله، ولا تعني بحال تعطيل دلالات الألفاظ؛ فالخروج على النص الأصلي مقيد بالمفردات الضرورية التي تقتضيها قواعد اللغة الهدف ومعنى النص المترجم، والتقييد بالنص، طالما أنه ليس على حساب المعنى شرط أساسي للترجمة السليمة، وعدم التقييد بالنص ينتج عنه عدم الدقة في المعنى³.

كما أن الخلاف في فهم الخطاب وحمله على الحقيقة أو المجاز يؤدي إلى الخلاف في ترجمته، وقد جرت محاوره في ترجمة معاني القرآن بين مصطفى أحمد الرفاعي اللبان وتقي الدين الهلالي؛

قال اللبان: «ماذا يقال في ترجمة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]؟، أظنهم يقولون: *God has sat on the throne* وبهذه الترجمة يكفر المترجم والمترجم لأجله⁴.

وماذا يقولون في ترجمة قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]؟، ربما قالوا: *His two hands are not tied*

1 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضا. ص 5

2 عبد الرحمن بن محمد عميسان: جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني في تقرير عقيدة السلف. ح. خ

3 سعيد عطية علي مطاوع: إشكالية الترادف في الترجمة العربية لمعاني القرآن. ص 13، 95

4 قال اللبان: «القول بكفر المترجم والمترجم له مبني على ما قد توهمه الترجمة الحرفية لآية الاستواء من معنى التجسيم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ إذ معنى استواء الله على العرش مرادف لقولنا: وطد الملك ملكه، أو ظهرت سلطة الملك على مملكته، أو تجلى جلال الملك وهيئته، وشتان ما بين المعنيين.» ترجمة القرآن الكريم أيضا. الفتح.

السنة السادسة. العدد 295. 27 المحرم 1351 هـ. ص 13

وتأويله هذا تحريف لمعنى الاستواء الذي فهمه سلف الأمة والعرب الأولون، والتجسيم شبهة المأولة المحرفة لصفات رب العالمين.

وهذه ترجمة مضحكة مفزعة مضیعة للمعنى مكفرة.¹

قال الهلالي: «قولكم: ماذا يقال في ترجمة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]؟

جوابه: أنه يقال في ترجمتها ما يقال في تفسيرها، وما تدل عليه في اللغة وتفسير السلف وهو معلوم، وقد خاطب الله العرب به، وفيهم من ظن أن الخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: 187] هما عقلاان أحدهما أسود والآخر أبيض.

وقولكم: «أظنهم يقولون - تعنون في ترجمة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] -: *God has sat on the throne*، وبذلك يكفر المترجم والمترجم له.» فيه نظر ظاهر من جهة الترجمة ولا شأن لنا فيه، ومن حيث المعنى: فكيف ينبغي لنا إذا مال انكليزي إلى القرآن وآمن بجميع ما فيه وصدق الرسول أن تكفره بخطأ واحد في لفظ واحد لا يريد به نقصا، هذا إذا جزمنا أن ترجمة ﴿اسْتَوَى﴾ ب: *sat* من المعلوم في الدين بالضرورة كونه كفرا، وفي ذلك ما فيه.²

وترجم الهلالي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] فقال: 3:

The Most Gracious (Allah) rose over (Istawa) the (Mighty) Throne (in a mannar that suits His Majesty)

وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِيهِمَا يَبْسُطُكُنَانَ﴾ [المائدة: 64] بقوله 4:

Nay, both His Hands are widely outstretched.

ولأن الترجمة تفسير، ومن التفسير تفسير القرآن بالسنة، ترجم الهلالي تفسير السنة للآية:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ (الأرضين)، وتكون السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك.»⁵

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض.»⁶ ونص الترجمة:

«Narrated Ibn Umar Allah's Messenger said : On the day of Resurrection Allah will grasp the whole (planet of) earth by His Hand and all the heavens in His Right and then He will say : I am the king.

Abu Hurairah said : Allah's Messenger said : Allah will grasp the (planet) of earth.»⁷

ومهما نجحت الترجمة تبقى قاصرة في حمل معاني كلام الله؛ قال حسين خمري: «بينت الدراسات اللسانية الحديثة أن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى أمر مستحيل، فحتى لو نجحت في نقل المعاني جزئيا فإنها لا تستطيع أن تنقل نظمه الذي هو سر إعجازه، فإذا نقلت المعاني إلى لغة أخرى فإنها قد تكون تفسيراً، وترجمة القرآن لا تكون قرآناً.»⁸

1 اللبان: بحث في ترجمة القرآن الكريم. مجلة الفتح. السنة السادسة. العدد 290. الخميس 17 ذو القعدة 1350 هـ. ص 14

2 الهلالي: في ترجمة القرآن أيضا. ص 6

3 محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان: القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانكليزية. ص 414

4 المصدر نفسه. ص 154-155

5 رواه البخاري 7412

6 رواه البخاري 4812، وعن عبد الله أن «يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! إن الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَمُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67]» رواه البخاري 7414، وانظر أيضا: 7418

7 محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان: القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانكليزية. ص 414-415

8 حسين خمري: نظرية النص. ص 195

وقال ابن قتيبة: « وللعرب المجازات في الكلام ومعناها: طرق القول ومآخذه؛ ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى.

وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب»¹

وقال: « ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال: 58] لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هُدنة وعهد، فحَفَّتْ منهم خيانة ونقضاً، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم؛ وأذنهم بالحرب؛ لتكون أنت وهم في العلم والنقض على استواء»².

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ عَادَاتِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ﴾ [الكهف: 11] إن أردت أن تنقله بلفظه، لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أئمتناهم سنين عدداً، 3، لُكُنْتُ مترجماً للمعنى دون اللفظ.

وكذلك قوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣ ﴾ [الفرقان: 73] إن ترجمته بمثل لفظه استغلق، وإن قلت: لم يتغافلوا⁴، أدبت المعنى بلفظ آخر»⁵

لهذا لم يسلم الطبيب الفرنسي مورييس بوكاي إلا بعد قراءته القرآن باللغة العربية؛ قال الهلالي: «كان من أشد أعداء القرآن والرسول ﷺ، وكان كلما جاءه مريض مسلم محتاج إلى علاج جراحي يعالجه، فإذا تم علاجه وشفى يقول له: ماذا تقول في القرآن، هل هو من الله تعالى أنزله على محمد، أم هو من كلام محمد نسبة إلى الله افتراء عليه؟ قال: فيجيبني هو من الله ومحمد صادق، قال: فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من الله وأن محمداً ليس صادقاً، فبسكت، ومضيت على ذلك زماناً حتى جاءني الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، فعالجته علاجاً جراحياً حتى شفي، فألقيت عليه السؤال المتقدم الذكر، فأجابني بأن القرآن حق، وأن محمداً رسول الله ﷺ صادق، قال: فقلت له: أنا لا أعتقد صدقه، فقال لي الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟ فقلت: نعم، قرأته مراراً وتأملمته.

فقال لي الملك فيصل: هل قرأته بلغته أم بغير لغته؟ أي بالترجمة، فقلت: أنا ما قرأته بلغته، بل قرأته بالترجمة فقط، فقال لي: إذن أنت مقلد للمترجم، والمقلد لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصوم من الخطأ والتحريف عمداً، فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية وتقرأها بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطيء.

1 ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن. ص 20-21

2 ترجمها الهلالي بقوله:

If you (O Muhammad) fear treachery from any people, throw back (their covenant) to them (so as to be) on equal terms (that there will be no more covenant between you and them).

الهلالي وخان: القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الانكليزية. ص 239

3 ترجمها الهلالي، فقال: Therefore, We covered up their (sense of) hearing (causing them to go in deep sleep) in the Cave for a number of years.

المصدر نفسه. ص 386

4 قال الهلالي: And those who, when they are reminded of the Ayat (proofs, evidences, verses, lessons, signs, revelations, etc.) of their Lord, fall not deaf and blind thereat.

المصدر نفسه. ص 488

5 ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن. ص 21-22

قال: فتعجبت من جوابه، فقلت له: سألت كثيرا قبلك من المسلمين فلم أجد جوابا إلا عندك، ووضعت يدي في يده وعاهدته على أن لا أتكلم في القرآن ولا في محمد إلا إذا تعلمت اللغة العربية، وقرأت القرآن بلغته، وأمعت النظر فيه، حتى تظهر لي النتيجة بالتصديق أو بالتكذيب، فذهبت من يومي ذلك إلى الجامعة الكبرى بباريس؛ إلى قسم اللغة العربية، واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي ويعلمني اللغة العربية ساعة واحدة كل يوم حتى يوم الأحد الذي هو يوم الراحة، ومضيت على ذلك سنتين كاملتين لم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه سبعمائة وثلاثين درسا، وقرأت القرآن بإمعان ووجدته هو الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله، لا يزيد حرف ولا ينقص، أما التوراة والأنجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها. 7

الخاتمة

لقد آن أوان جمع شتات أهم نتائج البحث بعد هذا العرض التفصيلي للدراسات اللغوية لمحمد تقي الدين الهلالي، وأثرها في تحليل الخطاب الديني؛ الذي ينظر إليه على أنه كلام قاله الله سبحانه وتعالى أو رسوله ﷺ موجه إلى مخاطبين محددتين في سياقات معينة، وهو مؤسس على روابط لغوية تعكس سمات دلالية تتجاوز سياقه اللغوي إلى السياق الخارجي، الذي يسهم بدوره في بناء المخاطب خطابه، وتأويل المخاطب له.

ومدونات الهلالي تمثل خلاصة لما وصل إليه علماء النحو والبلاغة وأصول الفقه في التنظير لفهم المعنى والمراد من الخطاب الديني استناداً إلى شواهد اللغة العربية وقواعدها، ومعرفة صفات المخاطب والمخاطب وأزمة الخطاب وأمكته؛ هذه القواعد التي طبقها المفسرون والفقهاء، واعتمدها الهلالي في فقه الدين بمراتبه الثلاث: الإبان والإسلام والإحسان.

وبهذا ظهر لي أنه لا غنى عن الدراسات اللغوية في تحليل الخطاب الديني، ويستحيل فقهه دون الاستناد إليها أو إغفال جانب منها؛ وجهل هذه الدراسات يؤدي إلى سوء فهم الخطاب وتحريف معناه.

أما السياق الخارجي للخطاب الديني؛ فالخطاب نفسه يصرح عنه؛ إن صفات المخاطب والمخاطب وأزمة الخطاب وأمكته نُقلت إلينا في القرآن والسنة والآثار، ودلنا على أزمة الخطاب الديني وأمكته أسماء الزمان والمكان الجامدة والمشتقة، وزمان الفعل في اللغة العربية، والظروف وأسماء الإشارة في حالة الإشارة إلى زمان أو مكان، وحروف الجر الظرفية والتواريخ والأعلام من الأزمنة والأمكنة.

كما أن النحو يتضمن بعض خصائص السياق الخارجي؛ فأضرب الخبر تبين صفة المخاطب من حيث التصديق أو التكذيب أو التردد، وكلما زادت درجة الإنكار عند المخاطب زاد المخاطب أدوات التوكيد، والألف واللام العهدية تدل على المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وهكذا؛ أي: إن النحو العربي يكشف بعض خصائص السياق الخارجي الذي قيل فيه الخطاب الديني؛ وما لم يكشف عنه تركيب الخطاب كشف عنه ما نقل إلينا مما يحيط بالخطاب كسبب النزول أو مكانه أو زمانه..

ولا غنى عن الدراسات اللغوية في تحليل السياق الخارجي للخطاب الديني؛ فدراسة أسماء الله تعالى وصفاته وصفات رسوله ﷺ هي من صلب التفسير اللغوي، ولبحث الحقيقة والمجاز الدور الأكبر في فهمها، ومعرفة أصناف المخاطبين وصفاتهم وعلاقاتهم مبحث له صلة وثيقة بالعموم والخصوص من دروس اللغة، وللإسرائيليات صلة قوية بمبحث التناسخ، أما المكّي والمدني وأسباب النزول والنسخ فهي من مباحث الزمان والمكان التي لا يمكن فقهها دون اللجوء إلى اللغة، مع التركيز على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص سبب نزول القرآن أو قول الحديث.

وقد توصلت الدراسة إلى الجمع بين البحث اللغوي كصيغة الأمر مثلاً، والبحث السياقي كعلو المخاطب مثلاً وإرادته الجازمة وكون الأمر غير منسوخ، وفي إمكان المخاطب تنفيذه، وهو غير حاصل وقت الطلب، إلى معنى طلبي هو الوجوب؛ في حين أن خفوت درجة الإرادة يصرفه إلى الاستحباب؛ ومثل ذلك النهي بين الحرمة والكراهة، وهي أحكام شرعية، استثمرتها في فقه الخطاب الديني في الأوامر والنواهي الواردة في مباحث الإبان والإسلام والإحسان.

ومن هنا خلصت إلى كفاءة مصطلحات العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، والدينية من ترتيل وأصول فقه التي وظفها الهلالي في التحليل، ووصل عبرها إلى فقه الخطاب الديني عقيدة وفقها وسلوكاً، وهذا لا ينافي الاستعانة بالعلوم الحديثة الجادة من

أجل مزيد تحليل وفهم؛ فقد استعان الهلالي نفسه بالمنهجية الفيلولوجية الألمانية في تأصيل كثير من الألفاظ القرآنية التي عدت معربة إلى أصولها السامية والعربية.

وأخيراً لا يفوتني أن أوصي بضرورة استكمال البحث في تحليل الخطاب الديني عند الهلالي وغيره من علماء مغربنا الكبير مصداقاً لقول ابن باديس رحمه الله: «الاتباع هو أخذ قول المجتهد مع معرفة دليله، ومعرفة كيفية أخذه للحكم من ذلك الدليل، حسب القواعد المتقدمة، وأهله هم المتعاطون للعلوم الشرعية واللسانية، الذين حصلت لهم ملكة صحيحة فيهما، فيمكنهم عند اختلاف المجتهدين معرفة مراتب الأقوال في القوة والضعف، واختيار ما يترجح منها، واستثمار ما في الآيات والأحاديث من أنواع المعارف المفيدة في إنارة العقول، وتزكية النفوس وتقويم الأعمال.»¹

هذا؛ وكل خطأ في البحث مرده الضعف البشري، وخير الخطأين التوابون، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

1 عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ص 59

فهرس المصاخر
والمراجع

• القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة. السعودية.

أ- المصادر 1:

- 1) الهلالي؛ محمد تقي الدين: أئمة الدولة العلوية وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم ﷺ. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الحادية عشر. العدد الرابع. ذو القعدة 1387هـ/ فيفري 1962م.
- 2) الهلالي؛ محمد تقي الدين: أتوعد سنوات الرسول بمحوها؟! مجلة الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. السنة الخامسة. العدد الثاني، شوال 1392هـ/ نوفمبر 1972م.
- 3) الهلالي؛ محمد تقي الدين: أحكام الخلع في الإسلام. طبع المكتب الإسلامي. دمشق. سوريا.
- 4) الهلالي؛ محمد تقي الدين: أخلاق الشباب المسلم. مجلة الجامعة الإسلامية. السنة الأولى، العدد الثاني، رجب 1388هـ/ تشرين أول 1968م.
- 5) الهلالي؛ محمد تقي الدين: آراء وأحاديث مع تقي الدين الهلالي. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الأولى. العدد الثالث. صفر 1377هـ، سبتمبر 1975م.
- 6) الهلالي؛ محمد تقي الدين: أسماء الله الحسنى (منظومة). دون معلومات نشر.
- 7) الهلالي؛ محمد تقي الدين: إعلام الخاص والعام ببطلان الركعة لمن فاتته الفاتحة والقيام. دار الكتاب والسنة. القاهرة. مصر. ط 1. 2007م.
- 8) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الإسلام والمذاهب الاشتراكية. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة الثالثة. العدد الثاني. 1390هـ/ 1970م.
- 9) الهلالي؛ محمد تقي الدين: البراهين الإنجيلية على أن عيسى عليه السلام داخل في العبودية ولا حظ له من الألوهية. مكتبة الهدى المحمدي. القاهرة. مصر. ط 1. 1431هـ/ 2010م.
- 10) الهلالي؛ محمد تقي الدين: التعصب للجنس أو الدين. دون معلومات نشر.
- 11) الهلالي؛ محمد تقي الدين: التقدم والرجعية 1. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة الثانية. العدد الأول. رجب 1389هـ.
- 12) الهلالي؛ محمد تقي الدين: التمسك بالكتاب والسنة في تاريخ ملوك المغرب ونتائجه الحسنة. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة العشرون. العدد الثاني والثالث. 1399هـ/ 1979م.
- 13) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الثقافة التي نحتاج إليها. مجلة الجامعة الإسلامية. السنة الأولى. العدد الثالث. ذو القعدة 1388هـ/ شباط 1969م.
- 14) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الحسام الماحق لكل مشرك ومناق. دار الفتح. الشارقة. ط 1. 1415هـ/ 1994م.
- 15) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة. مكتبة الصحابة. الشارقة. الإمارات العربية المتحدة. ط 1. 1424هـ/ 2003م.
- 16) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الدين والسنن الكونية. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة الرابعة. العدد الثالث. محرم 1392هـ / فبراير 1972م.

- 17) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الزمان. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الخامسة. العدد الخامس. رمضان 1381 هـ/ فيفري 1962م.
- 18) الهلالي؛ محمد تقي الدين: السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم. دون معلومات نشر. طبع سنة 1399 هـ/ 1979 م.
- 19) الهلالي؛ محمد تقي الدين: السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة عشر. العدد الثاني والثالث. 1398 هـ/ 1978 م.
- 20) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الشمس في نصف الليل. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الحادية عشر. العدد الخامس. ذو الحجة، محرم 1388 هـ/ مارس، أبريل 1968 م.
- 21) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الصبح السافر في حكم صلاة المسافر. دون معلومات نشر.
- 22) الهلالي؛ محمد تقي الدين: القرآن والثقافة العربية. مجلة دعوة الحق المغربية. العدد الأول. السنة الخامسة. ربيع الثاني 1381 هـ/ أكتوبر 1961 م.
- 23) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الموازين والضوابط. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الخامسة. العدد الرابع. شعبان 1381 هـ/ جانفي 1962 م.
- 24) الهلالي؛ محمد تقي الدين: الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية. دار الكتاب والسنة. القاهرة. مصر والدار الأثرية. عنابة. الجزائر. ط 1. 2005 م.
- 25) الهلالي؛ محمد تقي الدين: أهل الحديث 2. مجلة الوعي الإسلامي. السنة السابعة. العدد 76. ربيع الثاني 1390 هـ/ ماي 1971 م.
- 26) الهلالي؛ محمد تقي الدين: تجديد الدعوة إلى عقيدة السلف. دون معلومات نشر.
- 27) الهلالي؛ محمد تقي الدين: تعليق على مقالين. السنة الرابعة. العدد الثاني. جمادى الثانية 1380 هـ/ نوفمبر 1960 م.
- 28) الهلالي؛ محمد تقي الدين: تقويم اللسانين. مكتبة المعارف، الرباط، المغرب. ط 2. 1404 هـ/ 1984 م.
- 29) الهلالي؛ محمد تقي الدين: جلالة الملك الحسن الثاني جدير بأن يبنى كما بنوا ويفعل فوق ما فعلوا. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الخامسة عشر. العدد الأول. 1392 هـ/ 1972 م.
- 30) الهلالي؛ محمد تقي الدين: جمعية العلماء المسلمين 1. جريدة الصراط السوي. السنة الأولى. العدد الأول. 23 أكتوبر 1933 م.
- 31) الهلالي؛ محمد تقي الدين: حديث مع زائر كريم. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة السادسة. العدد الرابع. ربيع الثاني 1394 هـ/ أبريل 1974 م.
- 32) الهلالي؛ محمد تقي الدين: حقوق آل البيت ما لهم وما عليهم 1. جريدة الميثاق. العدد الأول. شوال 1382 هـ/ فيفري 1963 م.
- 33) الهلالي؛ محمد تقي الدين: حكم تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها. دون معلومات نشر. طبع سنة 1402 هـ/ 1982 م.
- 34) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دار الحديث وفضل علم الحديث. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة السابعة. العدد السابع. ذو الحجة 1383 هـ/ أبريل 1964 م.
- 35) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دسائس بعض اليسوعيين يدسونها حتى في اللغة. صحيفة الفتح. السنة الخامسة. العدد 218. الخميس 03 جمادى الأولى 1349 هـ.

- 36) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دعاية كاذبة خاطئة. صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 288. الخميس 18 شوال 1350 هـ.
- 37) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دليل الحاج الحنيف. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. 1369 هـ.
- 38) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 4. مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة. العدد السابع. شوال 1379 هـ/ أفريل 1960 م.
- 39) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 5. مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة. العدد الثامن. ذو القعدة 1379 هـ/ مايو 1960 م.
- 40) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 6. مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة. العدد التاسع. ذو الحجة 1379 هـ/ جوان 1960 م.
- 41) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 8. مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة. العدد الأول. جمادى الأولى 1380 هـ/ أكتوبر 1960 م.
- 42) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 12. مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة. العدد السادس. شوال 1380 هـ/ مارس 1961 م.
- 43) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 13. مجلة دعوة الحق. العدد السابع. السنة الرابعة. ذو القعدة 1380 هـ/ أفريل 1961 م.
- 44) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 14. مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة. العدد الثامن. ذو الحجة 1380 هـ/ ماي 1961 م.
- 45) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 20. مجلة دعوة الحق. السنة الخامسة. العدد السابع. ذو القعدة 1381 هـ/ أفريل 1962 م.
- 46) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 21. مجلة دعوة الحق. السنة الخامسة. العدد الثامن والتاسع. ذو الحجة 1381، محرم 1382 هـ/ ماي، جوان 1962 م.
- 47) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 23. مجلة دعوة الحق. السنة السادسة. العدد الثاني. جمادى الثانية 1382 هـ/ نوفمبر 1962 م.
- 48) الهلالي؛ محمد تقي الدين: دواء الشاكين وقامع المشككين 24. مجلة دعوة الحق. السنة السادسة. العدد الثالث. رجب 1382 هـ/ ديسمبر 1962 م.
- 49) الهلالي؛ محمد تقي الدين: رأي في تحديد النسل والعدوى 1. مجلة دعوة الحق، السنة السادسة، العدد السادس. شوال، 1382 هـ/ مارس 1963 م.
- 50) الهلالي؛ محمد تقي الدين: رأي في تحديد النسل والعدوى 2. مجلة دعوة الحق. السنة السادسة. العدد السابع. ذو القعدة 1382 هـ/ أفريل 1963 م.
- 51) الهلالي؛ محمد تقي الدين: سبيل الرشاد في هدي خير العباد، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. الدار الأثرية، عمان. الأردن. ط 1. 1427 هـ/ 2006 م.
- 52) الهلالي؛ محمد تقي الدين: صدى الحركة الإسلامية في الخارج؛ صوت من العراق. البصائر، السنة الأولى. العدد 29. 5 جمادى الأولى 1355 هـ/ 24 جويلية 1936 م. ط 1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. 1426 هـ/ 2005 م.

- 53) الهلالي؛ محمد تقي الدين: صيانة العرض؛ لا دين ولا شرف إلا بصون العرض. مكتبة الرضوان. البحيرة. مصر. ط 1. 1427 هـ / 2006 م.
- 54) الهلالي؛ محمد تقي الدين: عناية ملوك الدولة العلوية ورجالها بالكتاب والسنة تعلمًا وتعليمًا وعملاً. مجلة دعوة الحق. السنة العاشرة. العدد الرابع. 1386 هـ / 1967 م
- 55) الهلالي؛ محمد تقي الدين: عود إلى موضوع تحديد النسل. مجلة دعوة الحق. السنة السابعة. العدد الثاني. جمادى الثانية 1383 هـ / نوفمبر 1963 م.
- 56) الهلالي؛ محمد تقي الدين: في ترجمة القرآن أيضا. مجلة الفتح. السنة السادسة. العدد 293. الخميس 29 ذي الحجة 1350 هـ.
- 57) الهلالي؛ محمد تقي الدين: قبسة من أنوار الوحي. مكتبة المعارف. الرباط. المغرب. 1405 هـ / 1985 م.
- 58) الهلالي؛ محمد تقي الدين: كلمة في فضائل الإسلام ألقيتها على وفد ألماني. مجلة دعوة الحق. السنة الثامنة عشر. العدد الرابع. 1397 هـ / 1977 م.
- 59) الهلالي؛ محمد تقي الدين: كيف نعظم النبي ﷺ ونقيم البرهان على محبته التي بها سعادتنا؟ مجلة دعوة الحق. السنة الثالثة عشر. العدد الخامس والسادس. 1390 هـ / 1970 م.
- 60) الهلالي؛ محمد تقي الدين: كيف يربي يهود الولايات المتحدة أولادهم؟. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المغرب. 1403 هـ / 1983 م.
- 61) الهلالي؛ محمد تقي الدين: لماذا تأخر المسلمون؟ صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 258. الخميس 23 صفر 1350 هـ.
- 62) الهلالي؛ محمد تقي الدين: ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلاله الحسن الثاني إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحماتها؟. مجلة دعوة الحق. السنة الرابعة عشر. العدد الثالث. 1391 هـ / 1971 م.
- 63) الهلالي؛ محمد تقي الدين: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب. مجلة الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة. السنة الثالثة. العدد الثالث. 1390 هـ / 1970 م.
- 64) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مأساة أميرة شرقية. مجلة المنار. 29 رمضان 1353 هـ / 5 يناير 1935 م. الجزء 34
- 65) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مباحث في القرآن. مجلة دعوة الحق. السنة الحادية عشر. العدد الثالث. شوال 1387 هـ / جانفي 1968 م.
- 66) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل. دار الطباعة الحديثة. الدار البيضاء. المغرب.
- 67) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مظهر الضلال في كتاب الأغلال. نشر ضمن كتاب: سليمان الخراشي: عبد الله القصيمي؛ وجهة نظر أخرى. روافد للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط 1. 1429 هـ / 2008 م.
- 68) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مقام القاضي عياض في محبة النبي واتباع ما جاء به. دون معلومات نشر.
- 69) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مع الأستاذ الشيخ موسى جار الله العالم التركي الروسي الشهير. صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 267. الخميس 27 ربيع الثاني 1350 هـ.
- 70) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مع نخبة من رجال الصحافة والعلم. مجلة الفتح. السنة السادسة. العدد 281. الخميس 7 شعبان 1350 هـ.
- 71) الهلالي؛ محمد تقي الدين: معنى دعوة الحق. مجلة دعوة الحق. السنة الأولى. العدد الرابع والخامس. ربيع الثاني 1377 نوفمبر 1957 م.

- 72) الهلالي؛ محمد تقي الدين: من محمد مر مديوك بكتول محرر أجود ترجمة تفسيرية للقرآن. صحيفة الفتح. السنة السادسة. العدد 293. الخميس 29 ذي الحجة 1350 هـ.
- 73) الهلالي؛ محمد تقي الدين: من مكائد الاستعمار في بلاد المغرب. ضمن: رسائل مسجد الجامعة لجامعة من العلماء. المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط 2. 1405 هـ/ 1985 م.
- 74) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 2. مجلة المنار. 29 صفر 1346 هـ/ 27 أغسطس 1927 م. الجزء 28
- 75) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 3. مجلة المنار. ربيع الأول 1346 هـ/ 26 سبتمبر 1927 م. الجزء 28
- 76) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 4. مجلة المنار. 30 ربيع الآخر 1346 هـ/ 26 أكتوبر 1927 م. الجزء 28
- 77) الهلالي؛ محمد تقي الدين: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 5. مجلة المنار. 29 جمادى الأولى 1346 هـ/ 24 نوفمبر 1927 م. الجزء 28
- 78) الهلالي؛ محمد تقي الدين: منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار الهلالي. ت: مشهور بن حسن آل سلمان. الدار الأثرية. عمان. الأردن، ودار الجيل. الدار البيضاء. المغرب.
- 79) الهلالي؛ محمد تقي الدين: منقبة للملك فيصل قدس الله روحه. مجلة البحوث الإسلامية. العدد 11. ذو القعدة، ذو الحجة 1404 هـ، محرم، صفر 1405 م.
- 80) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 1. مجلة دعوة الحق. السنة الثامنة. العدد الثاني. شعبان 1384 هـ/ ديسمبر 1964 م.
- 81) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 2. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد الثالث. رمضان 1384 هـ/ جانفي 1965 م.
- 82) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 3. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد الرابع. شوال 1384 هـ/ فيفري 1965 م.
- 83) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 4. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد الخامس. ذو القعدة 1384 هـ/ مارس 1963 م.
- 84) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 5. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة الثامنة. العدد السادس والسابع. ذو الحجة 1384 هـ، محرم 1385 هـ/ أبريل، ماي 1965 م.
- 85) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 10. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة. العدد الرابع. شوال 1385 هـ/ فيفري 1966 م.
- 86) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 11. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة. العدد الخامس. ذو القعدة 1385 هـ/ مارس 1966 م.
- 87) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 13. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة التاسعة. العدد الثامن. صفر 1386 هـ/ جوان 1966 م.

88) الهلالي؛ محمد تقي الدين: نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط 15. مجلة دعوة الحق المغربية. السنة العاشرة. العدد الأول. رجب 1386 هـ/ نوفمبر 1966م.

89) Muhammad Taqi-ud-Din al-Hilali and Muhammad Muhsin Khan: Translation of the meanings of the Qur'an in the english language. King Fahd Complex for the printing of the Holy Qur'an.

ب-المراجع:

- 90) إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط 3. 1983م.
- 91) إبراهيم المارغني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع. دار الفكر. بيروت. لبنان. 1415 هـ/ 1995م.
- 92) إبراهيم بن عمر الجعبري: شرح نظم مثلثات قطرب، ويليه: تدميث التذكير في التأنيث والتذكير. ت: الشيخ ابن أبي شنب. منشورات ثالة. الجزائر. 2011 م
- 93) الإبراهيمي؛ محمد البشير: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان. ط 1. 1997م.
- 94) الأبشيهي المحلي؛ أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد: المستطرف في كل فن مستظرف. مكتبة الجمهورية العربية. القاهرة. مصر.
- 95) ابن الأثير؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجَزَري: النهاية في غريب الحديث والأثر. ت: علي بن حسن الحلبي. دار ابن الجوزي. السعودية. ط 1. 1421 هـ.
- 96) ابن الأنباري: الأضداد. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. 1411 هـ/ 1991م.
- 97) الآجري؛ أبو بكر محمد بن الحسين: الشريعة. ت: الوليد بن محمد. مؤسسة قرطبة. ط 1. 1417 هـ/ 1996م.
- 98) أحمد العلانة: ذيل الأعلام. دار المنارة للنشر والتوزيع. جدة. السعودية. ط 1. 1418 هـ/ 1998م.
- 99) أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط 3. 1423 هـ/ 2002م.
- 100) أحمد بن محمد المامي اليعقوبي: تقريب طرة ابن بونا على ألفية ابن مالك في النحو. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. 1427 هـ/ 2006م
- 101) أحمد مومن: اللسانيات؛ النشأة والتطور. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون. الجزائر. ط 3. دون تاريخ.
- 102) أحمد يوسف داود: الميراث العظيم؛ إعادة بناء المنجز الحضاري العربي بين الألف الرابع قبل الميلاد وظهور الإسلام. دار المستقبل. دمشق. سوريا. ط 1. 1997م.
- 103) الأخفش سعيد بن مسعدة: معاني القرآن. ت: محمد أمين الورد. عالم الكتب. بيروت. ط 1. 1405 هـ/ 1985م.
- 104) إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استشهاده. المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان/ الدار البيضاء. المغرب. ط 1. 1994م.
- 105) الأزهري؛ أبو منصور: تهذيب اللغة. ت: عبد السلام هارون وآخرين. الدار المصرية للتأليف والنشر. القاهرة. مصر.
- 106) الأصمعي؛ أبو سعيد عبد الملك بن قريب (217 هـ): الأصمعيات. ت: محمد نبيل طريفي. دار صادر بيروت. ط 2. 1425 هـ/ 2005م.

- 107) الأّفوه الأودي: الديقوان. ت: محمد التونجي. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. 1998م.
- 108) الألباني؛ محمد ناصر الدين: آداب الزفاف في السنة المطهرة. طبعة دار السلام. 1423هـ/ 2002م.
- 109) الألباني؛ محمد ناصر الدين: إرواء الغليل في تحريج أحاديث منار السبيل. المكتب الإسلامي. بيروت ودمشق. ط1. 1399هـ/ 1979م.
- 110) الألباني؛ محمد ناصر الدين: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان. حديث رقم 6180. دار باوزير. جدة السعودية. ط1. 1424هـ/ 2003م.
- 111) الألباني؛ محمد ناصر الدين: الضعيفة. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1 الجديدة. 1412هـ/ 1992م.
- 112) الألباني؛ محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1. 1415هـ/ 1995م.
- 113) الألباني؛ محمد ناصر الدين: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري. مكتبة الدليل. الجبيل الصناعية. السعودية. ط4. 1418هـ/ 1997م.
- 114) الألباني؛ محمد ناصر الدين: صحيح الترغيب والترهيب. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1. 1421هـ/ 2000م.
- 115) الألباني؛ محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته. المكتب الإسلامي. دمشق. ط3. 1408هـ/ 1988م.
- 116) الألباني؛ محمد ناصر الدين: صحيح سنن ابن ماجه. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1 الجديدة. 1417هـ/ 1997م.
- 117) الألباني؛ محمد ناصر الدين: صحيح سنن أبي داود. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1 الجديدة. 1419هـ/ 1998م.
- 118) الألباني؛ محمد ناصر الدين: صحيح سنن الترمذي. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1 الجديدة. 1420هـ/ 2000م.
- 119) الألباني؛ محمد ناصر الدين: صحيح سنن النسائي. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1 الجديدة. 1419هـ/ 1998م.
- 120) الألباني؛ محمد ناصر الدين: ضعيف الترغيب والترهيب. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1. 1421هـ/ 2000م.
- 121) الألباني؛ محمد ناصر الدين: ضعيف سنن أبي داود. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1 الجديدة. 1419هـ/ 1998م.
- 122) الألباني؛ محمد ناصر الدين: قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه مضافا إليه ما صح عن الصحابة رضي الله عنهم. المكتبة الإسلامية. عمان. الأردن. ط1. 1421هـ.
- 123) الألباني؛ محمد ناصر الدين: مختصر العلو للعلي الغفار للذهبي. المكتب الإسلامي. دمشق. سوريا. ط1. 1401هـ/ 1981م.
- 124) الألباني؛ محمد ناصر الدين: مختصر صحيح الإمام البخاري. مكتبة المعارف. الرياض. السعودية. ط1 الجديدة. 1422هـ/ 2002م.
- 125) الإمام أحمد بن حنبل: الرد على الزنادقة والجهمية. ت: محمد حسن راشد. المطبعة السلفية. القاهرة. مصر. 1393هـ.
- 126) امرئ القيس: ديوان امرئ القيس وملحقاته، بشرح: أبي سعيد السكري (275هـ). ت: أنور عليان أبو سويلم، و: محمد علي الشوابكة. مركز زايد للتراث والتاريخ. العين. الإمارات العربية المتحدة. ط1. 1421هـ/ 2000م.
- 127) إميل يعقوب: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1417هـ/ 1996م.
- 128) أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية. تر: خليل أحمد خليل. منشورات عويدات. بيروت. لبنان. و: باريس فرنسا. ط2. 2001م.

- (129) أنطوان الدحداح: معجم قواعد العربية العالمية؛ عربي فرنسي. راجعه: إلياس مطر. دقق فيه: جورج متري. مكتبة لبنان. بيروت. لبنان. ط1. 1991 م.
- (130) بزمول؛ محمد بن عمر: تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن. دار الهجرة. الرياض. السعودية/ دار ابن عفان. القاهرة. مصر. ط1. 1426 هـ / 2005 م.
- (131) الباقلائي؛ القاضي أبو بكر (ت: 403 هـ): كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل. ت: عماد الدين أحمد حيدر. مؤسسة الكتب الثقافية. ط3. 1414 هـ / 1993 م.
- (132) البخاري: الجامع الصحيح. دار الحديث. القاهرة. مصر. 1425 هـ / 2004 م.
- (133) بكر بن عبد الله أبو زيد: معجم المناهي اللفظية. دار العاصمة. الرياض. السعودية.
- (134) البهاء الزهير بن محمد المهلبى: الديوان. دار صادر، ودار بيروت. بيروت. لبنان. 1383 هـ / 1964 م.
- (135) أبو تمام: الديوان بشرح الخطيب التبريزي. ت: راجي الأسمر. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط2. 1414 هـ / 1994 م.
- (136) التهانوي؛ محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ت: علي دحروج وآخرين. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. ط1. 1996 م.
- (137) توبة بن الحمير: الديوان. ت: د. خليل إبراهيم العطية. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. 1998 م.
- (138) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. 1417 هـ / 1997 م.
- (139) ابن تيمية: شرح العمدة. ت: خالد بن علي بن محمد المشيقح. دار العاصمة. الرياض. السعودية. ط1. 1418 هـ / 1997 م.
- (140) ابن تيمية: عرش الرحمن. ت: عبد العزيز السَّيروان. دار العلوم العربية. بيروت. لبنان. ط1. 1415 هـ / 1995 م.
- (141) ابن تيمية: مجموع الفتاوى. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة. السعودية. 1425 هـ / 2004 م.
- (142) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية. ت: د. محمد رشاد سالم. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط1. 1406 هـ / 1986 م.
- (143) الجاحظ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان. ت: عبد السلام محمد هارون. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- (144) ابن الجزري؛ شمس الدين محمد (ت: 833 هـ): النشر في القراءات العشر. ت: علي محمد الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت.
- (145) ابن الجزري؛ شمس الدين محمد: متن الجزرية في التجويد. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط1. 1423 هـ / 2002 م.
- (146) ابن جنبي؛ أبو الفتح عثمان: الخصائص. ت: محمد علي النجار. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.
- (147) ابن الجوزي؛ أبو الفرج عبد الرحمن: فنون الأفتنان في عجائب علوم القرآن. ت: صلاح بن فتحي هليل. مؤسسة الكتب الثقافية.
- (148) الجيلاني؛ عبد القادر بن موسى بن عبد الحق (ت: 561 هـ): الغنية لطالبي الحق ﷺ. ت: محمد خالد عمر. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. ط1. 1416 هـ / 1996 م.
- (149) حاتم الطائي: الديوان. دار صادر. بيروت. 1401 هـ / 1981 م.
- (150) ابن حجر العسقلاني؛ الحافظ أحمد بن علي: تقريب التهذيب. ت: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني. تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار العاصمة للنشر والتوزيع. السعودية.

- (151) ابن حجر العسقلاني؛ الحافظ أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ت: عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب. دار المعرفة. بيروت. لبنان.
- (152) الحريري؛ أبو محمد القاسم بن علي البصري (ت: 516 هـ): شرح ملححة الإعراب. ت: د. فائز فارس. دار الأمل للنشر والتوزيع. إربد. الأردن. ط1. 412 هـ/ 1991 م.
- (153) الحريري؛ أبو محمد القاسم بن علي البصري (ت: 516 هـ): ملححة الإعراب. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط1. 1423 هـ/ 2002 م.
- (154) حسام أحمد قاسم: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة؛ مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف. دار الآفاق العربية. القاهرة. ط1. 1428 هـ/ 2007 م.
- (155) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة. دار ابن زيدون. بيروت. لبنان. ط1. دون تاريخ.
- (156) حسن بن علي قويدر الشافعي الخليلي: نيل الإرب في مثلثات العرب. المطبعة الكبرى الميرية ببولاق. مصر. ط1. 1301 هـ.
- (157) حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال. منشورات الاختلاف. الجزائر العاصمة/ الدار العربية للعلوم. بيروت. لبنان. ط1. 1428 هـ/ 2007 م.
- (158) الخطيئة: الديوان برواية وشرح ابن السكيت (246 هـ). ت: نعمان محمد أمين طه. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر. ط1. 1407 هـ/ 1987 م.
- (159) حماد الأنصاري: تعريف أهل الإيمان بصحة حديث إن آدم خُلِقَ على صورة الرحمان. ضمن: رسائل في العقيدة. مكتبة الفرقان. السعودية.
- (160) الحماوي؛ أحمد: شذا العرف في فن الصرف. الشركة الجزائرية اللبنانية. الجزائر العاصمة. ط1. 1428 هـ/ 2007 م.
- (161) الخازن؛ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: لباب التأويل في معاني التنزيل. مكتبة المثنى. بغداد. العراق.
- (162) خالد بن عبد الله الأزهرى: شرح التصريح على التوضيح. ت: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1421 هـ/ 2000 م.
- (163) الخضرى: حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- (164) الخطيب التبريزي؛ محمد بن عبد الله: مشكاة المصابيح. ت: محمد ناصر الدين الألباني. بيروت. لبنان. ط2. 1399 هـ/ 1979 م.
- (165) ابن خطيب الدهشة؛ أبو الثناء نور الدين محمود بن أحمد الحموي: مختصر من قواعد العلائي وكلام الأسنوي. ت: مصطفى محمود البنجوني. مطبعة الجمهور. الموصل. العراق. 1984 م.
- (166) الخطيب القزويني؛ جلال الدين محمد بن سعد الدين: الإيضاح في علوم البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- (167) الخلوقي؛ محمد بن أحمد البهوتي (ت: 1088 هـ): حاشية الخلوقي على الإقناع. ت: حاتم بن فالح المدرع. مخطوط
- (168) الدارمي: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على بشر المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷺ من التوحيد. ت: رشيد بن حسن الألمعي. مكتبة الرشد. الرياض. السعودية. ط1. 1418 هـ/ 1998 م.
- (169) داروين تشارلز: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي. تر: مجدي محمود المليجي. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر. ط1. 2005 م.
- (170) دراز؛ محمد عبد الله: النبأ العظيم. دار القلم. الكويت. دون تاريخ نشر.

- (171) ابن دريد: جبهة اللغة. ت: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط1. 1987 م.
- (172) الذهبي؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء. ت: حسان عبد المنان. بيت الأفكار الدولية. لبنان. 2004 م.
- (173) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ت: محمد علي البجاوي. دار المعرفة. بيروت. لبنان.
- (174) ذو الرمة: ديوان ذي الرمة بشرح الخطيب التبريزي. ت: مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط2. 1416هـ/1996 م.
- (175) الرازي؛ زين الدين محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح. مؤسسة الرسالة. 1421 هـ/ 2001 م.
- (176) الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. نشر مكتبة نزار مصطفى الباز.
- (177) ابن رشد الحفيد؛ أبو الوليد محمد بن أحمد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، وبهامشه: السبيل المرشد إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد. شرح وتحقيق وتخريج: عبد الله العبادي. دار السلام. ط1. 1416هـ/ 1995 م.
- (178) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر. ط6. 1420هـ/ 1999 م.
- (179) الزجاج: تفسير أسماء الله الحسنى. ت: أحمد يوسف الدقاق. دار المأمون للتراث. دمشق. ط5. 1406هـ/ 1986 م.
- (180) الزجاج: معاني القرآن وإعراجه. ت: عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب. ط1. 1408هـ.
- (181) الزجاجي: الإيضاح على علل النحو. ت: مازن المبارك. دار النفائس. بيروت. لبنان. ط3. 1399هـ/ 1979 م.
- (182) الزركلي؛ خير الدين: الأعلام. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط7. 1986 م.
- (183) الزمخشري (528 هـ)؛ أبو القاسم: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. ت: مصطفى حسين أحمد. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط3. 1407 هـ.
- (184) زهير بن أبي سلمى: الديوان بشرح علي حسن فاعور. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1408 هـ/ 1988 م.
- (185) سعيد عطية علي مطاوع: إشكالية الترادف في الترجمة العربية لمعاني القرآن. دار الآفاق العربية. القاهرة. ط1. 2006 م.
- (186) سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي؛ النص والسياق. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب/ بيروت. لبنان. ط2. 2001 م.
- (187) سيبويه: الكتاب. ت: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة، ودار الرفاعي. الرياض. ط2. 1402هـ/ 1982 م.
- (188) ابن سيده؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- (189) ابن سينا؛ أبو علي الحسين: أسباب حدوث الحروف. ت: محمد حسان الطيان ويحي مير علم. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. 1983 م.
- (190) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ت: مركز الدراسات القرآنية. المدينة النبوية.
- (191) السيوطي: الدر المنثور في التفسير المأثور. دار الفكر. ط1. 1403 هـ.
- (192) الشافعي؛ محمد بن إدريس: الرسالة. ت: أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- (193) شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا أو إحاء أربعين سنة. ت: مدحت يوسف السبع. دار الفضيلة. القاهرة. 2006 م.
- (194) الشنقيطي؛ أحمد الأمين: شرح المعلقات العشر. دار الشرق العربي. حلب. سوريا، و: بيروت. لبنان. 1424هـ/ 2003 م.

- 195) الشنقيطي؛ أحمد بن الأمين: الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع. ت: محمد باسل عيون السود. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1419هـ/ 1999م.
- 196) الشنقيطي؛ أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط. المكتبة الحمالية. مصر. ط1. 1329هـ/ 1911م.
- 197) الشنقيطي؛ محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. مصر، ومكتبة الخراز. جدة. السعودية. ط1. 1417هـ/ 1996م.
- 198) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1424هـ/ 2004م.
- 199) الصبان: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني. ت: طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة التوفيقية. مصر.
- 200) صفى الدين الحلي: الديوان. دار صادر. بيروت. لبنان.
- 201) صلاح الدين الزماكي: عون الأطفال شرح لامية ابن الوردي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 2006م.
- 202) الطبري؛ محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن. ت: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة. ط1. 1420هـ/ 2000م.
- 203) الطحاوي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. ت: أحمد محمد شاكر. مكتبة الرياض الحديثة. السعودية.
- 204) طرفة بن العبد: الديوان. ت: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط3. 1423هـ/ 2002م.
- 205) طه باقر: من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل. مكتبة لبنان. بيروت. 2001م.
- 206) عائض القرني: إمبراطور الشعراء. مكتبة العبيكان. الرياض. ط3. 1428هـ/ 2007م.
- 207) ابن عبد البر؛ أبو عبد الله يوسف بن عبد الله القرطبي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. ت: عبد الله بن الصديق. دون معلومات طبع. 1399هـ/ 1979م.
- 208) عبد الحميد بن باديس: خلاصة في علم الأصول. ت: عمار طالبي. منشورات ثالة. الأبيار. الجزائر. 2006م.
- 209) عبد الرحمن بن عطية: تاريخ العربية لسان العالمين. تر: حفناوي بالي. دار هومة. الجزائر. 2007م.
- 210) عبد الرحمن بن محمد عميسان: جهود العلامة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني رحمه الله في تقرير عقيدة السلف والرد على المخالفين. رسالة ماجستير مخطوطة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- 211) عبد العزيز محمد السلطان: الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية. رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. السعودية. ط11. 1402هـ/ 1912م.
- 212) عبد العزيز بن عبد الله الحميدي: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. طبع جامعة أم القرى. مكة المكرمة.
- 213) عبد الغني النابلسي في ديوانه المسمى ديوان الحقائق ومجموع الرقائق. المطبعة الشرقية. 1306هـ.
- 214) عبد الغني بوزكري: محاضرة في ترجمة محمد تقي الدين الهلالي. دون معلومات نشر.
- 215) عبد القادر الفاسي الفهري: ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب. ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية. كلية الآداب. فاس - سايس 21-22/11/2007م. دون معلومات نشر.
- 216) عبد القادر منير: شفاء العليل في تخريج أحاديث مفتاح التفقه الأصل في شرح مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الخليل. مركز التراث الثقافي المغربي. الدار البيضاء، و: دار ابن حزم. بيروت. ط1. 1430هـ/ 2009م.

- 217) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان. ت: محمود محمد شاكر. دار المدني. جدة. السعودية. ط1. 1412هـ/1991م.
- 218) عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945. دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار. الرويبة. الجزائر.
- 219) عبد النعيم محمد حسنين: قاموس الفارسية؛ فارسي/عربي. دار الكتاب المصري. القاهرة/ دار الكتاب اللبناني. بيروت. ط1. 1402 هـ/ 1982 م.
- 220) عبید الله بن قيس الرقيات: الديوان. ت: محمد يوسف نجم. دار صادر. بيروت. لبنان.
- 221) أبو عبيدة: مجاز القرآن. ت: فؤاد سزكين. مؤسسة الرسالة. ط2. 1401هـ.
- 222) أبو العتاهية: الديوان. دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. 1406 هـ/ 1986 م.
- 223) العثيمين؛ محمد بن صالح: القواعد المثل في صفات الله وأسمائه الحسنى. ضمن مجموع الفتاوى والرسائل. جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان. دار الوطن. الرياض. السعودية. 1413 هـ.
- 224) عدي بن الرقاع العاملي: الديوان. ت: نوري القيسي، وحاتم الضامن. مطبعة المجمع العلمي العراقي. 1407هـ/ 1987 م.
- 225) عدي بن زيد: الديوان. ت: محمد جبار المعيد. شركة دار الجمهورية. بغداد. العراق. 1965م.
- 226) عروة بن حزام: الديوان. ت: أنطوان محسن القوال. دار الجليل. بيروت. لبنان. ط1. 1416هـ/ 1995م.
- 227) ابن عقيل: شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك (ت: 672 هـ) ومعه: كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، ويليه: تكملة في تصريف الأفعال لمحمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى. مطبعة السعادة. مصر. ط11. 1960م.
- 228) عمر بن أبي ربيعة: الديوان. ت: د. فايز محمد. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط2. 1416هـ/ 1996م.
- 229) عمرو بن أهر: شعر عمرو بن أهر الباهلي. ت: حسين عطوان. طبع مجمع اللغة العربية بدمشق. سوريا.
- 230) عمرو بن معدي كرب الزبيدي: الديوان. جمع: مطاع الطرابيشتي. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. ط2. 1405 هـ/ 1985 م.
- 231) ابن فارس؛ أحمد (ت395هـ): مقاييس اللغة. ت: عبد السلام هارون. دار الفكر. بيروت. 1399 هـ/ 1979 م.
- 232) الفاكهي النحوي المكي؛ عبد الله بن أحمد (ت: 972 هـ): شرح كتاب الحدود في النحو. ت: المتولي رمضان أحمد الدميري. مكتبة وهبة. القاهرة. مصر. ط2. 1414 هـ/ 1993 م.
- 233) فان ديك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ترجمة عبد القادر قنيني. إفريقيا الشرق. الدار البيضاء. المغرب. 2000 م.
- 234) الفراء: معاني القرآن. ت: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي. عالم الكتب. بيروت. ط3. 1401هـ.
- 235) الفراهي؛ عبد الحميد: مفردات القرآن. ت: محمد أجمل أيوب الإصلاحي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط1. 2002م.
- 236) الفراهيدي؛ الخليل بن أحمد: العين. ت: د مهدي المخزومي ود إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.
- 237) الفرزدق: الديوان. شرح: إيليا الحاوي. دار الكتاب اللبناني. مكتبة المدرسة. بيروت. لبنان. ط1. 1983م.
- 238) الفيروزآبادي؛ مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. ت: محمد نعيم العرقسوسي وآخرين. مؤسسة الرسالة. ط8. 1426هـ/ 2005م.

- (239) القاضي عبد الجبار (ت: 415 هـ): متشابه القرآن. ت: عدنان زررور. دار التراث. القاهرة. مصر.
- (240) القاضي عبد الجبار (ت: 415 هـ): المغني. ت: محمود محمد الخضير. مراجعة: د. إبراهيم مدكور. إشراف: طه حسين. الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- (241) ابن قاسم المالكي؛ عبد الرحمن بن محمد (ت: بعد 920 هـ): شرح كتاب الحدود للأبدي. ت: المتولي بن رمضان أحمد الدميري. مكتبة الشروق. مصر. 1413 هـ / 1993 م.
- (242) ابن قتيبة الدينوري (227 هـ): تأويل مختلف الحديث. ت: سعيد محمد السناري. دار الحديث. القاهرة. 1427 هـ / 2006 م.
- (243) ابن قتيبة الدينوري (227 هـ): تأويل مشكل القرآن. ت: السيد أحمد صقر. المكتبة العلمية. ط3. 1401 هـ.
- (244) القرطبي؛ أبو عبد الله محمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- (245) قطرب: الأضداد. ت: حنا حدا. دار العلوم. الرياض. السعودية. ط1. 1405 هـ.
- (246) القنوجي؛ صديق بن حسن: فتح البيان في مقاصد القرآن. ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان. 1412 هـ / 1992 م.
- (247) القوجوي: حاشية محيي الدين زادة محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي (ت951 هـ) على تفسير القاضي البيضاوي (ت685 هـ). ت: محمد عبد القادر شاهين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1419 هـ / 1999 م.
- (248) ابن القيم: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية. ت: مجموعة من المحققين. إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة.
- (249) ابن القيم: بدائع الفوائد. ت: علي بن محمد العمران. طبع مجمع الفقه الإسلامي. جدة، ودار عالم الفوائد. مكة المكرمة.
- (250) ابن القيم: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. ت: محمد خالد العطار. ط1. المكتبة الشرقية. الجزائر العاصمة. 1432 هـ / 2010 م.
- (251) ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين. ت: محمد أجمل الإصلاحي، وزائد بن أحمد النشيري. إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة. السعودية. ط1. 1429 هـ.
- (252) الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل أو العهد القديم والعهد الجديد). طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. 2006 م.
- (253) ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل: الفصول في سيرة الرسول. ت: سليم بن عيد الهلالي. دار غراس. الكويت. ط1. 1424 هـ / 2003 م.
- (254) ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم. ت: سامي بن محمد السلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. السعودية. ط2. 1420 هـ / 1999 م.
- (255) الكميت بن زيد: الديوان. ت: محمد نبيل طريقي. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. 2000 م.
- (256) لبيد بن ربيعة: الديوان. اعتنى به: حمدو طماس. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط1. 1425 هـ / 2004 م.
- (257) لويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم. المكتبة الكاثوليكية. بيروت. لبنان. ط19. دون تاريخ.
- (258) ابن مالك؛ محمد بن عبد الله: ألفية ابن مالك في النحو والصرف. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط1. 1423 هـ / 2002 م.
- (259) مالك بن أنس: الموطأ (برواياته). ت: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي. مجموعة الفرقان التجارية. دبي. الإمارات العربية المتحدة.
- (260) مالك بن الربيع: الديوان. ت: نوري حمودي القيسي. مجلة معهد المخطوطات العربية. مج15. ج1.

- 261) مبارك الميلي: رسالة الشرك ومظاهره. ت: أبي عبد الرحمن محمود. دار الراهة للنشر والتوزيع. الرياض. السعودية. ط1. 1422 هـ/ 2001 م.
- 262) المبرد؛ أبو العباس محمد بن يزيد النحوي (ت: 285 هـ): الكامل في اللغة والأدب. مؤسسة المعارف. بيروت. لبنان. 1423 هـ/ 2002 م.
- 263) المحلي؛ جلال الدين، والسيوطي جلال الدين: تفسير الجلالين. ت: المركز العلمي بدار السلام. علق عليه: صفي الرحمن المباركنفوري. دار السلام. الرياض. السعودية. ط2. 1422 هـ/ 2002 م.
- 264) محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني. ترجمة وتعليق: هاشم صالح. دار الطليعة. بيروت. ط2. 2005 م.
- 265) محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان. مطبعة البعث. قسنطينة. الجزائر. 1967 م.
- 266) محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم. دار الشواف. القاهرة. مصر. ط4. 1992 م.
- 267) محمد بن الموصلي (ت: 774 هـ): مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله لابن القيم (ت: 751 هـ). ت: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي. أضواء السلف. الرياض. السعودية. ط1. 1425 هـ/ 2004 م.
- 268) محمد بن عبد الرحمن الشائع: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم. مكتبة العبيكان. الرياض. السعودية. ط1. 1414 هـ/ 1993 م.
- 269) محمد خير رمضان يوسف: المستدرك على تنمة الأعلام للزركلي. دار ابن حزم. بيروت. لبنان. ط1. 1422 هـ/ 2002 م.
- 270) محمد علي فركوس: الإنارة شرح كتاب الإشارة في معرفة الأصول والوجازة في معنى الدليل. دار الموقع. الجزائر العاصمة. ط1. 1430 هـ/ 2009 م.
- 271) محمد علي فركوس: الفتح المأمول في شرح مبادئ الأصول. ط2. دار الرغائب والنفائس. القبة. الجزائر. 2001 م.
- 272) محمد علي فركوس: مختارات من نصوص حديثية في فقه المعاملات المالية. دار الرغائب والنفائس. القبة. الجزائر. 1419 هـ/ 1998 م.
- 273) محمود سعد ناصح: موقف الخميني من الشيعة والتشيع. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. المغرب.
- 274) مرتاض؛ عبد الملك: قضايا الشعرية. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر.
- 275) المرقشين؛ الأكبر عمرو بن سعد والأصغر عمرو بن حرمة: الديوان. ت: كرين صادر. دار صادر. بيروت. ط1. 1998 م.
- 276) مساعد بن سليمان الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم. دار ابن الجوزي. الرياض. السعودية. 1422 هـ.
- 277) مساعد بن سليمان الطيار: تفسير جزء عم. دار ابن الجوزي. الرياض. السعودية. ط2. 1422 هـ.
- 278) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم. ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي. دار طيبة. الرياض. السعودية. ط1. 1427 هـ/ 2006 م.
- 279) مصطفى أحمد الرفاعي اللبان: بحث في ترجمة القرآن الكريم. مجلة الفتح. السنة السادسة. العدد 290. الخميس 17 ذو القعدة 1350 هـ.
- 280) مصطفى أحمد الرفاعي اللبان: ترجمة القرآن الكريم أيضا. الفتح. السنة السادسة. العدد 295. 27 المحرم 1351 هـ.
- 281) مصطفى جواد: قل ولا تقل. دار المدى للثقافة والنشر. دمشق. سوريا. 2001 م.

- (282) المعري؛ أبو العلاء: سقط الزند. دار بيروت، دار صادر. بيروت. لبنان. 1376هـ / 1975م.
- (283) معن عبد القادر آل زكريا: يونس بحري؛ حياة مثيرة؛ مذكرات عراقي في برلين خلال الحرب العالمية الثانية. الحلقة 64. جريدة "الزمان" الدولية. السنة الثالثة. العدد 3670. يوم: 12/8/2010م.
- (284) مقاتل بن سليمان البلخي: الوجوه والنظائر. ت: حاتم صالح الضامن. مركز جمعة الماجد. دبي. ط1. 1427هـ / 2006م.
- (285) ابن منظور: لسان العرب. ت: عبد الله الكبير، ومحمد حسب الله، ومحمد الشاذلي. دار المعارف. القاهرة. مصر.
- (286) مهدي الكاظمي القزويني: مناظرة في مسألة القبور والمشاهد 1. مجلة المنار. 29 ذي الحجة 1345هـ / 29 يونيو 1927م.
- الجزء 28
- (287) الموسى؛ محمد بن موسى، والحمد؛ محمد بن إبراهيم: الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء. دار ابن خزيمة. الرياض. ط2. 1428هـ / 2007م.
- (288) ميخائيل باخين: الملحمة والرواية. تر: د. جمال شحيد. معهد الإنماء العربي. بيروت. لبنان/ الهيئة القومية للبحث العلمي. طرابلس. ليبيا. ط1. 1982م.
- (289) النابغة الجعدي: الديوان. ت: واضح الصمد. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. 1998م.
- (290) النابغة الذبياني: الديوان. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. مصر. ط2. 1985م.
- (291) ابن نباتة؛ جمال الدين المصري (ت: 768هـ): الديوان. مطبعة التمدن. عابدين. مصر. ط1. 1905م.
- (292) أبو النجم العجلي: الديوان. جمع وتحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد. مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق. 1427هـ / 2006م.
- (293) النحاس؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: 338هـ): معاني القرآن. ت: محمد علي الصابوني. جامعة أم القرى. مكة المكرمة. ط1. 1409هـ / 1988م.
- (294) النحاس؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: 338هـ): إعراب القرآن. ت: زهير غازي زاهد. مكتبة النهضة العربية. بيروت. لبنان. ط3. 1409هـ / 1988م.
- (295) نزار أباظة ومحمد رياض المالح: إتمام الأعلام. دار صادر. بيروت. لبنان. ط1. 1999م.
- (296) نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب؛ التحليل النصي في البحث الاجتماعي. تر: طلال وهبة. مراجعة نجوى نصر. المنظمة العربية للترجمة. بيروت. لبنان. ط1. 2009م.
- (297) الهذلي؛ أبو كبير وآخرون: ديوان الهذليين. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة. مصر. 1385هـ / 1965م.
- (298) ابن هشام الأنصاري؛ جمال الدين عبد الله بن يوسف: قطر الندى وبل الصدى. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط1. 1423هـ / 2002م.
- (299) ابن هشام الأنصاري؛ جمال الدين عبد الله بن يوسف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دار الفكر. بيروت. لبنان. ط6. 1985م.
- (300) يحيى بعبطيش: تعليمية اللغات الحية النشأة والتطور. مجلة الدراسات اللغوية. جامعة منتوري. العدد الثالث. قسنطينة. 2005م.

301) Arthur Jeffery : The foreign vocabulary in the Quran. Oriental Institute Baroda. 1938.

302) Charles Bouton: La linguistique appliquée. Presses Universitaires de France. 1979.

- 303) GEORGE SALE : THE KORAN: commonly called ALKORAN OF MOHAMMED. Translated into English from the original Arabic. LONDON: FREDERICK WARN AND CO.,s Publicatins, AND NEW YORK.
- 304) Lauziere Henri: The Evolution of the Salafiyaa through the life and Thought of Taqi al-Din al-Hilali (d 1987). ProQuest LLC. Washington, DC. 2008
- 305) MARMADUKE PICKTHAL: The meaning of THE GLORIOUS KORAN ; an explanatory translation. Alfred. A. Knopf. New York. 1930.
- 306) Michael Oustinoff: La traduction. Presses Universitaires de France. 2003.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ - هـ
التمهيد	1 - 11
الفصل الأول: الدراسات اللغوية	12 - 175
المبحث الأول: أصول اللغة	13 - 45
المطلب الأول: أصل اللغة	14 - 18
أصل اللغة في الدين	15
نظريات علم الأحياء	15
نظرية محاكاة أصوات الطبيعة	15
النظرية الانفعالية	17
النظريات الاجتماعية	17
أصل اللغة عند الهلالي	18
المطلب الثاني: اللغات السامية	19 - 34
فصائل اللغات	19
اللغات السامية	19
حرفا العين والحاء في البربرية والقبطية دليل على الموطن الأول للغات السامية	21
إبراهيم <small>عليه السلام</small>	22
لغات التوراة والإنجيل لغات سامية درسها الهلالي	23
الخصائص المشتركة للغات السامية	24
الصوت	24
الصرف	25
التركيب	25
الأسلوب	25
مثال على تقارب كلمات اللغات السامية	26
العربية أصل الساميات	28
الاختلافات بين اللغة العربية واللغات السامية	29
اختلافات صوتية	29
اختلافات صرفية	29
اختلافات نحوية	29
اختلافات معجمية	29
الاستعانة باللغات السامية في فقه الخطاب الديني	29
الاستعانة باللغات السامية في رد الجهالات على الدين واللغة	30
الإعراب في ضوء اللغات السامية	30
أهمية الإعراب	31

31	آراء في العلامة الإعرابية
33	حالات الإعراب في اللغات السامية
45 – 35	المطلب الثالث: المعرب في القرآن الكريم
35	تعريفه
35	دوافعه
36	الخلاف في وجوده في القرآن
38	الألفاظ المعربة في القرآن الكريم
39	التأصيل اللغوي للمعرب في ضوء اللغات السامية
40	كلمات أصيلة في اللغات السامية عدت معربة
45	خلاصة رأي الهلالي فيما وصف بالمعرب

135 – 46	المبحث الثاني: البنية الصوتية والصرفية والنحوية
56 – 47	المطلب الأول: حروف المباني والحركات
47	تعريف الحرف
49	تجويد القرآن
50	اللحن في حروف المباني
52	الإبدال
54	الحركات
54	تغير المعنى لتغير الحركة
54	مثلثات العرب
56	السكون
56	الحروف المتقطعات التي ابتدأت بها أوائل السور
84 – 57	المطلب الثاني: أبنية الأسماء والأفعال ومعانيها
57	أبنية الفعل
62	أبنية الاسم
62	الجنس والعدد
62	المذكر والمؤنث
63	التثنية
63	الجمع
63	الجمع المذكر السالم
64	ما جمع بألف وتاء
65	جموع التكسير
70	جمع مفعول
75	استعمال جمع القلة في موضع جمع الكثرة
77	أبنية المصادر
81	أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين
83	التصغير
83	النسب

109 - 85	المطلب الثالث: حروف المعاني وأسماء الكناية
85	حروف المعاني
85	أحرف النداء
85	أحرف العطف
89	حروف الجر
97	الإضافة
101	الأحرف الجوازم
102	الشرط والجزاء
105	أحرف النصب
106	الأحرف المشبهة بالفعل
107	أحرف النفي
108	أحرف التمني
108	أحرف التحضيض والتنديم
109	أسماء الكناية
135 - 110	المطلب الرابع: مباني النحو
110	المسند والمسند إليه
110	الضائر
110	المبتدأ والخبر
111	ضمير الفصل
113	الفعل والفاعل
113	أزمنة الفعل
116	الحالات التي يكون فيها الفاعل ضميرا مستترا وجوبا
117	التعدي واللزوم
121	المفاعيل
121	المفعول به
121	المفعول المطلق
122	المفعول فيه
123	الحال
126	الاستثناء
126	صيغتا التعجب
127	التوابع
127	عطف البيان
128	عطف النسق
130	البدل
130	النعته
132	الصفة جملة أو شبه جملة
133	اعتراض على ابن عقيل في حذف النعت
134	وصف الجمع بالمفرد وبالجمع

134	التوكيد
135	عود الضمير

148 - 136	المبحث الثالث: التفسير اللغوي
138 - 137	المطلب الأول: التفسير النبوي
137	تفسير القرآن بالقرآن
137	تفسير القرآن بالحديث
138	التفسير اللغوي
139	المطلب الثاني: التفسير عند السلف
139	التفسير اللغوي عند السلف
148 - 140	المطلب الثالث: التفسير عند محمد تقي الدين الهلالي
140	التفسير بالمأثور
140	تفسير القرآن بالقرآن
141	تفسير القرآن بالسنة
141	تفسير السنة بالسنة
141	التفسير اللغوي عند الهلالي
142	الشواهد اللغوية
143	التفسير اللفظي
143	التفسير اللفظي دون ذكر الشاهد
144	التفسير اللفظي مع ذكر الشاهد
145	السياق اللغوي
146	السباق واللاحق
146	الوجوه والنظائر

175 - 149	المبحث الرابع: دلالة اللفظ على المعنى
160 - 151	المطلب الأول: في وضع اللفظ للمعنى
151	أولاً: الخاص
151	المطلق والمقيد
151	الأمر والنهي
152	ثانياً: العام
152	صيغ العموم
156	أقسام العام
156	العام الباقي على عمومته
157	العام المراد به الخصوص
157	العام المخصوص
158	ثالثاً: المشترك والمتضاد والمترادف
159	الفروق اللغوية

169 - 161	المطلب الثاني: اللفظ باعتبار استعماله في المعنى
161	أولاً: الحقيقة والمجاز
161	تعرف الحقيقة والمجاز
161	أقسام الحقيقة
162	موقف الهلالي من المجاز
163	شرط حمل الكلام على المجاز
164	أنواع المجاز
164	المجاز اللغوي
164	الاستعارة
165	المجاز المرسل
166	المجاز العقلي
167	التأويل وحدوده عند الهلالي
168	ثانياً: الصريح والكناية
175 - 170	المطلب الثالث: كيفية دلالة اللفظ على المعنى
170	أولاً: المنطوق
170	المنطوق الصريح (دلالة المطابقة، ودلالة التضمن)
171	المنطوق غير الصريح (دلالة الالتزام)
171	ثانياً: المفهوم
171	مفهوم الموافقة
172	مفهوم المخالفة
172	من أنواع مفهوم المخالفة
172	مفهوم الحصر
172	مفهوم التقسيم
173	مفهوم الشرط
173	مفهوم الغاية
173	مفهوم الصفة والحال
174	مفهوم الزمان
174	مفهوم المكان
174	موانع الاحتجاج بمفهوم المخالفة

252 - 176	الفصل الثاني: دور اللغة في فهم سياق نزول الخطاب الديني
223 - 177	المبحث الأول: المخاطب
181 - 178	المطلب الأول: أدلة أسماء الله ﷻ وصفاته
178	أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف
179	أسماء الله ﷻ توقيفية لا مجال للعقل فيها
181	صلة أخبار الآحاد بنفي الصفات عند المتكلمين
183 - 182	المطلب الثاني: صلة القرينة في المجاز بتحريف الأسماء والصفات
219 - 184	المطلب الثالث: حمل نصوص الأسماء والصفات على الحقيقة عند الهلالي

221 - 220	المطلب الرابع: رسول الله ﷺ؛ أساؤه وصفاته
223 - 222	المطلب الخامس: أهمية معرفة صفات المخاطب

234 - 224	المبحث الثاني: المخاطب
226 - 225	المطلب الأول: أصناف المخاطبين
225	الإنس والجن
225	الأنبياء والرسل
225	المؤمنون
226	الكفار
232 - 227	المطلب الثاني: المخاطبون من حيث العموم والخصوص
227	أولاً: خطاب الرسول ﷺ؛ وخطاب الأمة
229	ثانياً: خطاب الرجال، وخطاب النساء
231	ثالثاً: خطاب نساء النبي ﷺ؛ وخطاب نساء الأمة
232	رابعاً: خطاب المشركين؛ وخطاب المسلمين
234 - 233	المطلب الثالث: أهمية معرفة صفات المخاطب

252 - 235	المبحث الثالث: الأزمنة والأمكنة
237 - 236	المطلب الأول: زمان الخطاب الديني ومكانه، والزمان والمكان في الخطاب الديني
245 - 238	المطلب الثاني: التناس الديني والإسرائيليات
238	تعريف التناس
243	موقف الهلالي من الإسرائيليات
244	من الإسرائيليات
248 - 246	المطلب الثالث: أسباب نزول القرآن وورود الحديث
247	العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
251 - 249	المطلب الرابع: المكي والمدني
251	الأسلوب في السور المكية والسور المدنية
252	المطلب الخامس: النسخ

348 - 253	الفصل الثالث: أثر اللغة في تحليل الخطاب الديني
266 - 254	المبحث الأول: معاني النحو
256	المطلب الأول: الخبر
256	الخبر على بابه
256	الخبر بمعنى الطلب
266 - 257	المطلب الثاني: الطلب
257	الأمر
257	من الدلالات الطلبية للأمر

258	الوجوب
258	الندب
258	الدعاء
258	النصح والإرشاد
258	الاقتراح
259	الإباحة
259	التشجيع
259	من الدلالات غير الطلبية للأمر: التهديد
260	النهي
260	دلالة التحريم
261	دلالة الكراهة
261	النهي عن الشيء والمراد أثره
261	الاستفهام
261	الاستفهام الإخباري
263	الاستفهام الطلبي
264	الأحكام الشرعية في الخطابات الإلهية
264	الأحكام التكليفية
266	الأحكام الوضعية

333-267	المبحث الثاني: فقه الخطاب الديني
304-269	المطلب الأول: الإيمان
269	تعريف الإيمان
269	زيادة الإيمان ونقصانه
270	نفي الإيمان عن لا يجب لأخيه ما يجب لنفسه؛ نفي وجود أو نفي كمال؟
270	الكفر
270	الكبائر
271	أثر معرفة والمخاطب في فقه حديث في الكبائر
271	الوعد والوعيد
272	أصول الإيمان
272	الإيمان بالله
272	التفسير اللغوي للعبادة
273	الشرك ومظاهره
273	معنى الشرك في اللغة والشرع
274	من المباحث اللغوية المتصلة بمظاهر الشرك
274	ما شاء الله ثم شئت؛ لا: وشئت؟
274	نفي العدوى والطيرة والهامة وصف حقيقة أو مجاز؟
276	القبور
276	دلالة المطابقة ومعنى النهي في: لا يبني عليها مساجد

276	خمس صيغ للنهي عن اتخاذ القبور مساجد
276	النهي عن اتخاذ القبور مساجد
276	النهي عن اتخاذ المساجد على القبور
277	النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور
277	النهي عن اتخاذ المساجد في القبور
277	النهي عن بناء المساجد على القبور
278	الإيمان بالملائكة
278	"ما" في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ [البقرة: 102]
269	الإيمان بالرسول
279	النبوة والرسالة لغة وشرعا
280	عصمة الأنبياء
281	تأويل الهلالي خطابات دينية تنسب الذنوب إلى الأنبياء
282	قول ابن قتيبة
282	قول أبي عبيد القاسم بن سلام
283	عيسى ﷺ
283	إضافة التشريف
283	احتجاج وفد نجران على التثليث بضمير الجمع في قوله تعالى: ﴿ فَعَلَّمْنَا ﴾ [إبراهيم: 45]، ﴿ أَمَرْنَا ﴾ [الإسراء: 16]
284	دلالة بعض
285	رفع المسيح عيسى ﷺ إلى الله ﷻ
286	معنى التوفي في اللغة
286	دلالة واو العطف في قوله تعالى: ﴿ مُتَوَفِّيكَ وَرَأْفَعُكَ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: 55]
286	تحليل نقدي لقصة الصلب في الإنجيل
287	نزول عيسى ﷺ
287	عود الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْجِئِهِ ﴾ [النساء: 159]
288	الإيمان بالكتب
293	الإيمان باليوم الآخر
293	الموت والبرزخ
294	علامات الساعة
294	علامات صغرى
294	شروح لغوية للبيضاوي وتوضيحات للهلالي
297	العلامات الكبرى
297	البعث
298	الميزان حقيقة لا مجاز
299	عدم دلالة الواو على الترتيب والتعقيب
299	الجنة والنار
299	من العام المخصوص: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: 88]
299	الجنة والنار عند أهل الكتاب مثال للتناص الديني

300	دلالة لن في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَرِيَنَّ﴾ [الأعراف: 143]
303	الإيمان بالقدر
303	تعريف القدر
303	التفسير النبوي للوح المحفوظ
303	العمر والرزق
332-305	المطلب الثاني: الإسلام
305	تعريف الإسلام
305	أسلم اللازم في اللغة والشريعة
305	أسلم المتعدي
306	الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا
307	أركان الإسلام
307	شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله ﷺ
308	إقام الصلاة
308	الصلاة في اللغة الدعاء وشاهد شعري على ذلك
309	الصلاة في الشرع
309	الأمر بالصلاة الواجبة أمر بتحقيق شروطها
309	الطهارة
309	أثر دلالة السياق في فهم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: 143]
309	المياه
309	الجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها: أصل ماء مَوّه
309	قلب الواو ياء لانكسار ما قبلها: مياه
309	الماء المطلق وأنواع المياه
310	دلالة المفهوم في قول الهلالي: "لكثرته"، وقوله: "إن كان قليلا"
310	النجاسات
310	واو العطف والترجيح في نجاسة الخمر
311	عود الضمير ومسألة نجاسة الخنزير
311	سنن الفطرة
311	الأمر في سنن الفطرة للوجوب
311	نواقض الوضوء
311	تفسير الحدث
312	الأمر بالتوضأ من لحوم الإبل للوجوب
312	تأويل أحاديث توهم التعارض في مس الذكر
312	﴿لَمَسَّمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: 43] بين الحقيقة والمجاز
313	الوضوء
313	النية ليست كلاما بل قصدا
313	استحباب الوضوء لكل صلاة
313	الغسل
313	اجتماع خطابين في الغسل ولم يمكن الجمع بينهما وعرف التاريخ

313	من ألفاظ الوجوب التصريح بلفظه والأمر بالفعل، مثاله: غسل الجمعة
314	التيمم
314	معنى الصعيد عند الشافعي وأحمد
314	تخصيص التراب بالذكر في الحديث دليل على حصر التيمم به
314	مواقيت الصلاة
314	وقت صلاة المغرب
315	وقت صلاة العشاء
315	سبب الاختلاف بين الجمهور والحنفية التنازع في معنى الشفق؛ أهو البياض أم الحمرة؟
315	مفهوم حديث: "أن يصلبها إذا ذكرها": لا قضاء على التارك عمدا
315	الأذان
315	أقل الجمع في اللغة، ووجوب الأذان على كل جماعة اثنين فصاعدا
315	العرب لا تقف على متحرك
316	ستر العورة
316	من الخطاب الديني الخاص بالنساء: الأمر بالخمار
316	المساجد
316	الدعاء على من يبيع أو يبتاع أو ينشد ضالة في المسجد كلام حقيقي لا نفسي
316	صفة الصلاة
316	قراءة الفاتحة من أركان الصلاة
316	الفرق بين الفرض والواجب عند الحنفية
317	أثر هذا الفرق في قول الحنفية أن الفاتحة ليست شرطا في صحة الصلاة
317	رد الهلالي
317	قراءة الفاتحة للمأموم
319	إدراك الركعة
319	"إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجدوا فاسجدوا"
320	"ونحن سجدوا" جملة حالية
320	"ولا تعدوها شيئا"
320	"ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة"
320	هل الركعة هي الركوع أم أنها حقيقة في جميعها مجاز في الركوع؟
320	الكلام في الصلاة
320	صلاة الجماعة
320	أقل الجمع، وانعقاد الجماعة باثنين
320	صلاة المسافر
320	مسافة القصر
320	تقييد الخطاب المطلق لا يكون إلا بخطاب الشرع
321	السفر في اللغة والشرع
321	الإقامة مشترك لفظي بين الاستيطان غير المحدود وفترة راحة المسافر
321	الإقامة الطارئة المؤقتة لا ترفع عن المسافر اسم السفر
321	إطلاق الله ورسوله القصر في صلاة السفر وعدم تقييد مسافته ولا نهايته

321	أقل وأكثر ما قيد به السلف السفر
321	معنى: "إذا خرج مسافة": إذا قصد مسافة هذا القدر
321	الفرسخ: ثلاثة أميال وهو فارسي معرب
321	حكم قصر الصلاة في السفر
321	من الألفاظ الدالة على الوجوب: فرض
322	صلاة الجمعة
322	أقل الجمع وأقل من تصح بهم الجمعة
322	عدد المخاطبين وأقل من تصح بهم الجمعة
322	معنى: ساعة ويوم من السياق
322	حرمة الكلام في خطبة الجمعة
322	مخاطبة الناس بما يفهمون
323	لا تجوز خطبة الجمعة بالأعجمية
323	إيتاء الزكاة
323	الزكاة في اللغة والشريعة
323	لا يشترط التكليف في خطاب الوضع
323	زكاة المواشي
323	من مفهوم المخالفة: إسقاط الزكاة عن المعلوفة
323	زكاة الزرع والثمار
324	عموم قوله تعالى: ﴿حُدِّثْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: 103]
324	من تصرف إليه الزكاة
324	معنى رضح
324	مثال لأثر معرفة سبب النزول في فقه الخطاب
324	من الخطاب الديني الخاص برسول الله ﷺ وآل بيته: حرمة الصدقة عليهم
325	صوم رمضان
325	الصوم في اللغة والشريعة
325	قول: "إني صائم" كلام حقيقي أم مجاز؟
325	الوصال في الصوم خاص بالرسول ﷺ
325	أثر دلالة السياق اللغوي في فهم معنى قوله: ﴿الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187]
325	أثر معرفة الناسخ والمنسوخ في فقه صيام الشيخ والشيخة والحامل والمرضع
326	حج البيت
326	الحج في اللغة والشرع
326	الوقوف بعرفة
326	من صيغ الحصر: "الحج عرفة"
326	طواف الإفاضة
326	نفي الصحة
326	السعي بين الصفا والمروة
327	الوau العاطفة والترتيب بين الصفا والمروة
327	من الخطاب الديني الذي يختص به الرجال عن النساء: الأمر بالخلق

327	طواف الوداع
327	النهي عن الشيء أمر بضده
327	النكاح
327	مما يختص به الرجال عن النساء: نكاح الكتابيات
328	"لا نكاح إلا بولي" نفي صحة أو نفي كمال؟
328	"لا نكاح إلا بولي" خبر بمعنى الطلب
328	من موانع الاحتجاج بمفهوم المخالفة معارضة النص
328	من كنايات القرآن
329	خوف نشوز المرأة؛ هل هو بمعنى العلم أو على بابه؟
329	النشوز في اللغة
329	من الأسماء المتباينة الحَكَم والوكيل
329	الخلع
329	الأمر للوجوب في حديث الخلع
330	الكراهة في الكتاب والسنة تحريم
330	الأطعمة
330	دلالة الأمر بذكر اسم الله عند الذبح، والنهي عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه
330	ترك التسمية
331	من حمل كلام السلف على الاصطلاحات الحادثة
331	معنى كراهة مالك أكل كل ذي ناب من السباع
331	حكم أكل لحوم السباع
331	إطلاق لفظ الشاة والشاتين في أحاديث العقيدة دون تقييد
332	البيوع
332	نسخ المراهنة، وحرمة القمار وغيره من العقود المحرمة
332	المراهنة كانت في مكة قبل الهجرة
332	تأويل التفرق في قوله ﷺ: "المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا"
332	الفرائض
332	العرب تسمي العم أبا
332	الجد أب
333	المطلب الثالث: الإحسان
333	"كتب الإحسان" أي: فرضه
333	"على كل شيء" أي: في كل شيء

334 - 348	المبحث الثالث: من تطبيقات علوم اللسان عند الهلالي
335 - 337	المطلب الأول: تعليم اللغة
335	تعريف تعليمية اللغة
335	طريقة الهلالي في تعليم اللغة
335	لغة المنشأ
335	لغات الفصيحة اللغوية الواحدة

فهرس المحتويات

336	اللغات الأخرى
348 - 338	المطلب الثاني: ترجمة الخطاب الديني
338	الترجمة؛ رؤية تاريخية
338	لماذا الترجمة؟
339	صعوبة الترجمة
340	ترجمة التوراة والأنجيل
340	الأب والابن
342	ساكن الصحراء
342	ترجمة القرآن والحديث

351 - 349	الخاتمة
-----------	---------

368 - 352	فهرس المصادر والمراجع
-----------	-----------------------

382 - 369	فهرس المحتويات
-----------	----------------